الشفاعة

وموقف الفرق الإسلامية منها

(هذا البحث رسالة علمية نال بها المؤلف درجة الماجستير)

إعداد

أحمد على مصلح مزروع

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

إشراف الأستاذ الدكتور

حسن محمد مقبول الأهدل

إشراف الأستاذ الدكتور

صالح بن يحيى صواب

مناقشة وتحكيم

الأستاذ الدكتور/ عبد الوهاب بن لطف الديلمي

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم إبراهيم القريبي

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط والسي دي
محرم بك: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

الطبعة الأولي ٢٠١١

رقم الإيداع

٢٠٠٩/٣٥٤٣

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤١١٩١٠ - ٠٢٢٢٠٠٢-٥٢٢٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه .

أما بعد :

فإن الأخ الأستاذ / أحمد عليّ مصلح مزروع ، قام بتحرير رسالته بعنوان : [**الشفاعة وموقف الفرق الإسلامية**] ، والتي نال عليها درجة الماجستير من جامعة صنعاء ، قسم الدراسات الإسلامية ، وكنت أحد المحكمين الذين ناقشوا الرسالة وحكموا عليها .

والرسالة اشتملت على معلومات ذات أهمية بالغة في موضوعها ، فقد بذل الباحث فيها جهداً مشكوراً ، حيث أتى على أطراف الموضوع وأفاد من عدد كبير ممن سبقه في هذا الشأن ، كما أنه استوعب الكثير من الأدلة الشرعية التي تثبت الشفاعة ، وأوضح موقف الفرق منها سواء المثبت لها أم النافي ، وخرج بنتائج لم تخرج عن نطاق ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة ، والرسالة جديرة بأن تُطبع وتُنشر لتعم الفائدة ، خاصة في صفوف طلاب العلم ، سائلاً الله تعالى للباحث المزيد من التوفيق والسداد ، وأن ينفع بجهده الإسلام والمسلمين ، وبالله التوفيق .

وكتبه

د. عبد الوهاب بن لطف الديلمي

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه

Date No

أما بعد فإن الأخ الأستاذ أحمد علي مصلح مزروع، قام بتحرير رسالته بعنوان: "الشفاعة وموقف الفرق الإسلامية" والتي نال عليها درجة الماجستير من جامعة صنعاء - قسم الدراسات الإسلامية، وكنت أحد المحكمين الذين ناقشوا الرسالة وحكموا عليها.

والرسالة اشتملت على معلومات ذات أهمية بالغة في موضوعها، فقد بذل الباحث فيها جهدًا مشكورًا، حيث أتى على أطراف الموضوع وأفاد من عدد كبير ممن سبقه في هذا الشأن، كما أنه استوعب الكثير من الأدلة الشرعية التي تثبت الشفاعة، وأوضح موقف الفرق منها سواء المثبت لها أم النافي، وخرج بنتائج لم تخرج عن نطاق ما عليه أهل السنة والجماعة... والرسالة جديرة بأن تطبع وتنشر ليعم بها الفائدة خاصة في صفوف طلاب العلم، سائلًا الله تعالى للباحث المزيد من التوفيق والسداد، وأن ينفع بجهوده الإسلام والمسلمين، وبالله التوفيق

وكتب
د. عبد الوهاب لطف الديلمي
[توقيع]
٢٦ شوال ١٤٢٩هـ

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على القائل **(لا يشكر الله من لا يشكر الناس)** [١]، فلئن عجزت عن شكر الشيخ الدكتور / حسن محمد مقبول الأهدل حفظه الله فلن أعجز بعون الله ـ عن دعوات له في ظهر الغيب على تفضله بالإشراف على هذا البحث ـ وقيامه بتوجيه الباحث بروح قوية ، فلقد استفدت منه ـ حفظه الله ـ أضعاف ما يتعلق بالرسالة ، وغيرها .

وأتقدم بالشكر الجزيل للدكتور / صالح يحيى صواب ـ رئيس قسم الدراسات الإسلامية ـ على قبوله الإشراف على هذا البحث كمشرف مشارك .

وأشكر القسم ممثلاً في أساتذتي:

رئيس وأعضاء هيئة التدريس ، وكذلك عمادة كلية الآداب ممثلة بعميدها الأستاذ الدكتور / محمد عبدالعزيز يسر ، ونائبه للدراسات العليا والبحث العلمي الأستاذ الدكتور / محمد عبدالواحد الشجاع على ما يبذلونه من جهود في سبيل التعليم .

---

(١) أبو داود برقم / ٤٨١١ ، أحمد (٢ / ٣٨٩) برقم / ٧٩٢١ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم / ٤١٧ .

وأتوجه بالشكر العميم إلى جامعة صنعاء ممثلة برئيسها الأستاذ الدكتور / صالح علي باصرة ، ونيابة شئون الدراسات العُليا ممثلة بـأ.د/ توفيق سفيان ، وجميع العاملين فيها على ما يبذلونه من جهود في سبيل تذليل الصعاب أمام الباحثين من الطلاب .

ولا يفوتني شكر القائمين على مركز الدعوة العلمي في صنعاء ، وأمناء مكتبته النموذجية المثالية على جهودهم معي في سبيل إنجاز هذا البحث .

وأشكر كل من هيأ لي أسباب ذلك منهم ومن غيرهم ، والشكر لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً صاحب الفضل العظيم على ما أنعم وأكرم وتفضل ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً .

أما بعــد :

فإن علم العقيدة الإسلامية من أشرف العلوم وأجلّها ، لأنه العلم بالله تعالى وآياته ، وأسمائه وصفاته ، وحقه على عباده ، وكذلك العلم بالنبوات وكلّ ما يتعلق بأمور الآخرة من بعث وجنة ونار وحساب .. وغيرها .

وهذه هي المقاصد التي نزلت بها الكتب السماوية وأجمعت الرسل على الدعوة إليها ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل :٣٦]،وقوله تعالى :﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** (٥٦) ﴾ [الذاريات :٥٦] ، وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً** (١٣٦) ﴾ [النساء :١٣٦] ،وكان من صميم الاعتقاد بهذه الدعوة هو تبيين المعتقد الحق ومحاربة البدع ، والأباطيل بشتى أشكالها ، وما عليه الفرق المبتدعة من انحراف في الاعتقاد ، فإنه يجب على كل مسلم أن يتبصر في دينه ، ويعرف المعتقد الحق من غيره ، ويعبد الله تعالى طبقاً لما جاءت به الشريعة الإسلامية .

ولقد كان المسلمون الأوائل من سلف هذه الأمة على هدي من أمر دينهم ، ذلك لأن أعمالهم وجميع شئونهم كانت وفق ما جاء به القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة ، ثم

لما انحرف كثير من المسلمين عن هذا المنهج القويم ـ منهج الكتاب والسُّنَّة ـ في عقائدهم وأعمالهم تفرقوا شيعاً وأحزاباً في العقائد والمذاهب ، في السياسة والأحكام ، وكان من نتائج هذا الانحراف انحراف في المعتقد الحق ، معتقد سلف الأمة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

فيجب الاهتمام بالعقيدة دراسة وتدريساً ولا يلتفت إلى القول بأن دراسة عقائد الفرق أمور عفا عليها الزمان ، وأمور انتهى وقتها فهم يقولون : « إن الباحثين في مسائل العقيدة ينبشون ما تحت التراب ، بمعنى أن الحديث عن الفرق حسب زعمهم ، إنه بحث في أمور انقرضت وما يعلمون أن الذي انقرض هو الأشخاص، وأما الأفكار والمناهج والعقائد فلا زالت منتشرة »[1] .

وعلى هذا فدراسة عقائد الفرق المبتدعة وإن كانت في ظاهرها دراسة للماضي ، ومراجعة لتاريخ فرق المبتدعة الذين جنوا على ماضي المسلمين ، إلا أنها دراسة لأمور ما تزال قائمة في حاضر الأمة الإسلامية من حيث كونها تكشف جذور البلاء الذي شتت قوى المسلمين وفرقهم شيعاً ، وجعل بأسهم بينهم شديداً ، بل هذه الدراسة نور يضيء للمسلم طريقه وسط هذا الظلام الفكري في الاعتقاد. ففرقة المعتزلة لا زالت أفكارهم حية قوية يتشدق بها من يمجدون العقل ويحكمونه في كل الأمور ، وكذلك ما ظهر من الفكر التكفيري بدون ضوابط شرعية ، وذلك الفكر امتداد لما سبق من بذرة الخوارج الأولى ، وكذا ما نرى من الصوفية وقد اقتطعت من المسلمين أعداداً كثيرة ، مثقفين وغير مثقفين ، جرفهم تيار التصوف الخرافي فمادوا فيه وانخرطوا في تعظيم الأشخاص والغلو فيهم ونشر الشركيات ، وما يجري من الرافضة في نشر الأفكار الشيعية الغالية ، وزعزعة المعتقد الصحيح ، وبث الفوضى في المجتمع المسلم .

فالأمة بحاجة إلى تصحيح معتقدها ومعرفة عقائد الفرق المخالفة لعقيدة الصحابة

---

(١) البدعة ضوابطها وأثرها السيء في الأمة / الدكتور : علي بن محمد ناصر الفقيهي (ص٣٠) ط . الجامعة الإسلامية.

الكرام وأتباعهم،ولأهمية أمر العقيدة ألف علماء الأمة سلفاً وخلفاً الكتب الكثيرة في الاعتقاد والرد على أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغلاة الصوفية وغيرهم .

فبالمعتقد الحق يحصل الاتفاق في العمل للإسلام ، وفي الطاعة والاتباع .

وأصول العقائد التي أمرنا الله باعتقادها هي التي حددها الرسول ﷺ في حديث جبريل عليه السلام المشهور بقوله :« **الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى**»(١) .

وقد بين الله ـ عز وجل ـ اتفاق الرسل والكتب السماوية على إثبات اليوم الآخر ، وما يقع فيه ، وكان أصل فطرة الله ـ عز وجل ـ للإنسان على الإحساس بوجود عالم آخر بعد الموت ، وحياة أخرى بعد هذه الحياة ، ولكن لا يخلو وصف الناس لما بعد الموت من تقول بغير علم ، فجاءت الرسالات السماوية مبينة لحقيقة ذلك اليوم .

وحيث إن القرآن الكريم خاتم لكل الكتب المنزلة ، فقد جاء وافياً شافياً بأدلته وبراهينه على البعث والجزاء وسائر ما يتعلق باليوم الآخر .

فبين لنا القرآن الكريم وشرحت السُّنَّة المطهرة ما يكون بعد الموت من فتنة القبر ، وعذابه ونعيمه ، والنفخ في الصور ، والبعث ، والحشر ، والشفاعة ، والحساب ، والصحف ، والميزان ، والحوض ، والصراط ، والجنة والنار ، وغير ذلك مما يكون بعد الموت ، بيَّناه بياناً شافياً ، وفصَّلاه تفصيلاً واضحاً حتى كأننا وإياه نراه رأي العين .

ومما ذكر الرسول ﷺ من أمور الآخرة ثبوت الشفاعة يوم القيامة ، فإنجاز وعد الله ووعيده ، ومجازاة الناس بالفضل والعدل ، من أعظم غايات المبدأ والمعاد ، ولهذا كثرت نصوصه ، وتعددت أدلته ، واتفقت عليه الشرائع ،ونص أهل العلم على أنه من معظمات المسائل وأكبرها .

والجزاء من أكثر أصول الدين وضوحاً في الكتاب والسُّنَّة ، لأهميته وعمومه ولأن

---

(١) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (١ / ٣٧) ح / ٨ .

النبي ﷺ بلغ البلاغ المبين ، وفرق الله به بين الحق والباطل في أصول الدين وفروعه . وكان الأمر على ذلك حتى ضعف التسليم المطلق للوحي في قلوب بعض أبناء الأمة، وانساقوا وراء عقولهم وأهوائهم، واصغوا لكلام أعداء دينهم من الفلاسفة وغيرهم ، فدب بينهم الخلاف، واتسع بمرور الزمن حتى أظلمت في أذهانهم تلك الأصول المشرقة، وأشكلت عليهم نصوص الشرع البينة ، فعظمت الفرقة بين أبناء الأمة ، وأصَّلت كل فرقة لنفسها أصولاً تميزها عن سائر المسلمين ، وتأولت كل ما خالفها من النصوص ، حتى كاد التأويل يأتي على الشرع كله لولا أن الله يقيض في كل زمان من ينافحون عن كتاب الله تعالى، وينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين .

وموضوعنا هذا الشفاعة هو من أصول العقيدة ، منهم من أنكرها ومنهم من غالى فيها ، اختلافاً في أصول الوعد والوعيد ابتداءً بتفسير الوعد والوعيد وتحديد مدلولهما ومروراً بفهم إطلاقاتهما ، وانتهاء بتعيين شروط تحققهما وجوداً وعدما ، فالوعيدية اضطربوا في تحديد ما يشترط لتحقق الوعد وانتفاء الوعيد وجوداً وعدماً.

وبهذا الاعتقاد أنكروا الشفاعة وتعلقوا بنصوص الوعيد ، وتأولوا ما يخالفها بأنواع التأويلات .

ولما كان من العقائد التي يجب الإيمان بها : الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب أحببت أن يكون بحثي لنيل درجة الماجستير في موضوع **(الشفاعة)** إذ يعتبر من الموضوعات التي يزداد المؤمن بالإيمان بها حباً لرسول الله ﷺ وطاعةً له واتباعاً لسُنَّته وتعظيماً له، وبيان رحمة الله على عباده الموحدين، وأهمية التوحيد من غيره ، وأسميته **(الشفاعة وموقف الفرق الإسلامية منها)** .

ويمكن إبراز أسباب اختيار الموضوع وأهميته من خلال الجوانب التالية:

أولاً : أسباب اختيار الموضوع :

[١] أن ما كتب في هذا الموضوع على وفرته متفرق في كتب القدماء والمحدثين

وغيرهم ولم يفرد على حد علمي ببحث مستقل[١]، وبيان أقوال الفرق الإسلامية ، سوى كتاب الشفاعة ، للشيخ / مقبل بن هادي الوادعي ـ رحمه الله تعالى ـ وهو يعتبر كتابًا حديثًا ، فكان من المهم جمع هذا الموضوع وتنسيقه واستخلاص نتائجه .

[٢] رغبتي في الكتابة في موضوعات العقيدة الإسلامية وبيانها مستنداً إلى الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف .

[٣] إبراز المعتقد الحق في موضوع الشفاعة بشكل عام وبيان عقيدة الفرق فيها، ومعالجة الانحرافات العقدية عندها في هذا الموضوع .

[٤] الإلمام بتفسير الآيات المحتج بها في إنكار الشفاعة ، واستخراج ما احتوته ـ في هذا الموضوع ـ من العلم والفوائد والمعارف في منطوقها ومفهومها ولوازمها وإشاراتها ، وبيان الحق فيها .

[٥] وجود كثير من الإشكالات والشبهات في هذا الموضوع عند منكري الشفاعة أو المغالين فيها ، وبيان وجهها ، والتوفيق بين الكثير من المسائل التي ظاهرها التعارض عند أصحاب الفرق .

[٦] طعن الوعيدية في أحاديث الشفاعة رغم تواترها،وبيان ما هو صحيح صريح فيها .

[٧] الاهتمام البالغ من الشارع بالإيمان باليوم الآخر بما فيه الإيمان بالشفاعة .

ثانياً : أهمية اختيار الموضوع وأهدافه :

[١] أن الشفاعة متصلة بالعقيدة التي تعتبر من أشرف العلوم وأجلها لأن شرف العلم بشرف المعلوم ،والمعلوم أولاً هو الله عز وجل ببيان رحمته بعباده وجوده وكرمه وتفضله عليهم بإحسانه وعفوه بالشفاعة ثم معرفة قدر محمد ﷺ وتفضيل الله له على سائر الأنبياء في بعض أنواع الشفاعة وغيرها ، وكذلك قدْر الأنبياء والصالحين.

---

(١)أخبرني أستاذنا الدكتور:حسن الأهدل بان هناك رسالة للإمام الصنعاني حققها الشيخ / عقيل المقطري .

[٢] أن الشفاعة من أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة والمجمع عليها عند السلف .

[٣] أن الشفاعة من أصول المسائل المتنازع فيها بين طوائف أهل القبلة .

[٤] أن الإيمان بالشفاعة من الإيمان بالتوحيد ، وباليوم الآخر .

[٥] التأثير البالغ الذي يحدثه الإيمان بالشفاعة ، وذلك باستشعار عظمة الله ـ عز وجل ـ ورحمته البالغة على عباده الموحدين .

[٦] أن الشفاعة من الموضوعات التي يطمع فيها العبد المسلم ، وذلك بأن يكون رسول الله ﷺ شافعاً له .

[٧] أن النزاع في الشفاعة بين أهل القبلة أدى إلى ظهور الوعيدية (الخوارج والمعتزلة) .

[٨] الإيمان بالشفاعة من الأدلة على محبة الرسول ﷺ في إتباعه قولاً وعملاً .

[٩] بيان حقيقة الشفاعة وتوضيحها بالأدلة من غير إفراط ولا تفريط .

[١٠] بيان النتائج السيئة التي أفرزها منهج المنكرين والمغالين في الشفاعة ، واضطرابهم في الاستدلال وتأويلهم للنصوص الصريحة في هذا الموضوع.

ثالثاً : منهج البحث :

[١] **المنهج الاستقرائي:** وذلك باستقراء آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الخاصة بالشفاعة وما يتعلق بها ، وكذلك أقوال الأئمة وآراء الفرق وبيان مصادرهم التي أدت إلى الإنكار أو المغالاة في الشفاعة .

[٢] **المنهج التحليلي:** وذلك بعمل دراسة خاصة لهذه الآيات والأحاديث النبوية من جانب عقدي وتعلقها بالإيمان باليوم الآخر ، ومن ثم تحليلها واستنباط ما فيها من معان ومفاهيم تتعلق بدراسة الموضوع .

ويتلخص عملي في النقاط التالية :

[١] جمعت المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وآثار مروية عن سلف الأمة ، ونقول وأقوال للمتقدمين والمتأخرين مما له صلة

بالموضوع ، وقمت بدراستها وترجيح الأقوال .

[٢] قسّمت ما جمعت على أبواب الرسالة وفصولها ومباحثها ومطالبها ونقاطها إلاّ ما يتعلق ببعض المباحث فلم أقسمها إلى مطالب كون المادة العلمية وحدة موضوعية لا تقبل التجزئة إلى مطالب فتركتها كما هي مرسومة في الخطة والبحث ، فجمعت ما تشتت ورتبت ما هو متفرق ، وانتقيت ماهو موسع ، حسب ما يقتضيه المقام وتدعو إليه الحاجة .

[٣] عزوت الآيات القرآنية إلى سورها التي وردت فيها وبينت رقمها .

[٤] قمت بعزو الأحاديث النبوية والآثار المروية عن الصحابة إلى مصادرها ، فإن كانت في الصحيحين أكتفي بذلك ، وإن كانت في أحدهما فقد أذكر من خرجه من الآخرين كمسند أحمد غالباً أو غيره ، وقد لا أذكر معه أحداً إذا كان في أحدهما ، ولم أذكر مرتبةً للأحاديث أو الآثار التي جاءت في الصحيحين أو في أحدهما ، لبلوغ رواياتهما أعلى درجات الصحة كما هو معلوم.عند أهل الحديث ، وما كان في غير الصحيحين أذكر حُكمه عند أهل العلم وأشير إلى رأي الشيخ العلامة ناصر الدين الألباني غالباً كونه قد استوفى الكلام على معظم الأحاديث أكثر من غيره.

[٥] أذكر بعض الأحاديث مباشرة وعند تخريجه أذكر من رواه من الصحابة .

[٦] عزوت الآثار المروية عن التابعين ، وأئمة هذا الدين إلى مصادرها بحسب ما وقفت عليه منها .

[٧] وضعت اقواساً خاصة بالآيات ، وأخرى بالأحاديث ، وثالثة بالآثار والأقوال المقتبسة لأهل العلم ، هكذا ﴿ ﴾ ، « » ، ( ) .

[٨] شرحت الكلمات الغريبة معتمداً في ذلك على الكتب الخاصة بذلك ، مثل كتب غريب الحديث وشروحها .

[٩] وثقت النقول والأقوال والآراء من المصادر والمراجع التي نقلتها منها ، وذلك

بذكر الجزء والصفحة ، وما تصرفت فيه أشرت إلى ذلك بعبارة : (بتصرف) ، (باختصار) ، (بزيادة يسيرة) ، في أغلب الأحيان ، وما اقتبسته بالمعنى.أو ما يتبعه من زيادات ثانوية ، رقمت ذلك وأشرت إليه في الحاشية بكلمة (انظر ...) ، مشيراً إلى المرجع والمصدر .

[١٠] إذا كان الموضوع يحتاج إلى بيان ولم يكن له مجال في أصل البحث فأجعل عليه إشارة (*) أو ترقيم ثم أوضحه في الحاشية ، وذلك زيادة للفائدة وتوضيحاً للمعنى .

[١١] عرَّفت بالمصادر والمراجع التي استفدت منها عند ذكرها لأول مرة فقط ، وذلك بذكر المصدر والمؤلف والمحقق إن وجد والصفحة ، ودار النشر والبلد ، والطبعة والتاريخ إن وجد وعند تكرارها أذكرها مختصرة .

[١٢] قد أستخدم طبعتين أو أكثر أحياناً للضرورة،وأفصل كل طبعة على حدة عند ذكرها لأول مرة،ووضحت ما وقع من ذلك في فهرس المراجع والمصادر.

[١٣] ترجمت لأكثر الأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة عند أول موضع يرد فيه ذكر العلم ، ولم أترجم لبعضهم خشية الإطالة ، وبينتهم في فهرس مستقل .

[١٤] حاولتُ جاهداً البحث عن مكان وتاريخ ميلاد الأعلام الذين ترجمت لهم فلم أجد ذلك لبعضهم ، فاكتفيت بذكر مكان وتاريخ الوفاة .

[١٥] اعتمدتُ في الفهرسة على الترتيب الأبجدي لكل الفهارس ما عدا آيات القرآن الكريم فقد اعتمدت في فهرستها على ترتيب السور والآيات في المصحف.

[١٦] عندما قمت بالفهرسة الأبجدية للأعلام لم أعتبر (أبو) و(ابن) و(أل) إذا لم تكن من أصل الكلمة .

[١٧] وضعت فهارس متعددة .

- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

رابعاً : خطة البحث :

اشتمل البحث على (مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة) :

الباب الأول : الشفاعة ، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : تعريف الشفاعة وأهميتها وأنواعها ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الشفاعة لغة وشرعاً وأهميتها ، وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : الشفاعة لغة .
- المطلب الثاني : الشفاعة شرعاً .
- المطلب الثالث : أهمية الشفاعة .

المبحث الثاني : الفرق بين التوسل والاستغاثة والشفاعة ، وفيه خمسة مطالب :

- المطلب الأول : التوسل لغةً وشرعاً .
- المطلب الثاني : أنواع التوسل وأحكامه .
- المطلب الثالث : الاستغاثة لغةً وشرعاً .
- المطلب الرابع : الاستغاثة المثبتة في الكتاب والسُّنَّة والمنهي عنها .
- المطلب الخامس : الفرق والعلاقة بين الشفاعة والتوسل والاستغاثة .

المبحث الثالث : الشفاعة في أمور الدنيا ، وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : الشفاعة المباحة .
- المطلب الثاني : الشفاعة المحرمة .
- المطلب الثالث : حكم الاستجابة لطلب الشافع .

الفصل الثاني : حكم الإيمان بثبوت الشفاعة وأدلتها ،وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الأدلة على الشفاعة ، وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : الأدلة من القرآن الكريم .

الفصل الأول : شفاعة الرسول ﷺ ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : لمن الشفاعة ؟

المبحث الثاني : الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ ، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الشفاعة المتفق في خصوصيتها بالنبي ﷺ .
- المطلب الثاني : الشفاعة المختلف في خصوصيتها بالنبي ﷺ .

المبحث الثالث : الشفاعة العامة ، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الشفاعة لأهل الكبائر من أهل التوحيد في الخروج من النار .
- المطلب الثاني : الشفاعة للأهل والأقارب .

الفصل الثاني : شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الكبيرة لغةً وشرعاً ، وفي مطلبان :

- المطلب الأول : الكبيرة لغةً .
- المطلب الثاني : الكبيرة في الاصطلاح الشرعي .

المبحث الثاني : حكم أهل الكبائر، وفيه أربعة مطالب :

- المطلب الأول : حكم أهل الكبائر عند أهل السُّنَّة والجماعة .
- المطلب الثاني : حكم أهل الكبائر عند الخوارج .
- المطلب الثالث : حكم أهل الكبائر عند المعتزلة .
- المطلب الرابع : حكم أهل الكبائر عند المرجئة .

المبحث الثالث : الشفاعة في أهل الكبائر، وفيه مطالبان :

- المطلب الأول : ثبوت شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر .
- المطلب الثاني : الكبائر المأذون بالشفاعة فيها .

الفصل الثالث : شفاعة غير الرسول ﷺ للأمة :

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : شفاعة غير الرسول ﷺ للأمة من (الملائكة .. وغيرهم) .

المبحث الثاني : شفاعة الأعمال الصالحة للعبد .

المبحث الثالث : شفاعة أرحم الراحمين .

الباب الثالث: موقف الفــرق الإسلامية من شفاعة الرسول ﷺ، وفيه ثمانية فصول :

الفصل الأول : أهل السُّنَّة والجماعة وموقفهم من الشفاعة، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بأهل السُّنَّة والجماعة وألقابهم، وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : التعريف بأهل السُّنَّة لغة .
- المطلب الثاني : السُّنَّة والجماعة اصطلاحاً .
- المطلب الثالث : ألقاب أهل السُّنَّة والجماعة .

المبحث الثاني : مصادر أهل السُّنَّة والجماعة في التلقي والاستدلال .

وفيه خمسة مطالب :

- المطلب الأول : القرآن الكريم .
- المطلب الثاني : السُّنَّة النبوية .
- المطلب الثالث : الإجماع .
- المطلب الرابع : العقل الصحيح الصريح .
- المطلب الخامس : الفطرة السليمة .

المبحث الثالث : موقفهم من شفاعة الرسول ﷺ، وفيه مطلب :

- المطلب الأول : موقفهم من الشفاعة العظمى والشفاعة لأهل الكبائر. وفيه فرعان :

الفرع الأول : موقفهم من الشفاعة العظمى .

الفرع الأول : الإجماع وموقفهم منه .

الفرع الثاني : الرأي والعقل وموقفهم منهما .

المبحث الرابع: موقف الخوارج من شفاعة الرسول ﷺ لأمته ،وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : موقفهم من الشفاعة عموماً .
- المطلب الثاني : موقفهم من الشفاعة العظمى .
- المطلب الثالث : موقفهم من الشفاعة لأهل الكبائر .

الفصل الرابع : المعتزلة وموقفهم من الشفاعة ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : المعتزلة لغةً واصطلاحاً وألقابهم ، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : المعتزلة لغةً واصطلاحاً .
- المطلب الثاني : ألقاب المعتزلة .

المبحث الثاني : مصادر المعتزلة في التلقي والاستدلال ، وفيه أربعة مطالب :

- المطلب الأول : القرآن والسُّنَّة والإجماع وموقفهم منها ، وفيه ثلاثة فروع :

  الفرع الأول : القرآن الكريم وموقفهم منه .

  الفرع الثاني : السُّنَّة النبوية وموقفهم منها .

  الفرع الثالث : الإجماع وموقف المعتزلة منه .

- المطلب الثاني : العقل .
- المطلب الثالث : الفلسفات وعقائد الأمم الأخرى .
- المطلب الرابع : الأهواء والنزعات الشخصية عند فرقهم وأفرادهم .

المبحث الثالث: موقف المعتزلة من شفاعة الرسول ﷺ للأمة،وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : موقفهم من الشفاعة عموماً .
- المطلب الثاني : موقفهم من الشفاعة العظمى .

■ المطلب الثاني : الرد على شُبَه الوعيدية العقلية في إنكار الشفاعة .

الفصل السادس : الشيعة وموقفهم من الشفاعة ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الشيعة لغةً واصطلاحاً ، وفيه ثلاثة مطالب :

■ المطلب الأول : الشيعة لغةً .

■ المطلب الثاني : الشيعة اصطلاحاً .

■ المطلب الثالث : مناقشة التعاريف وتوضيح الأرجح .

المبحث الثاني : فرق الشيعة وألقابها ، وفيه مطلبان :

■ المطلب الأول : فرق الشيعة .

■ المطلب الثاني : ألقاب الشيعة .

المبحث الثالث: مصادرهم في التلقي والاستدلال وموقفهم من مصادر أهل السُّنَّة.

وفيه مطلبان :

■ المطلب الأول : مصادرهم في التلقي والاستدلال ، وفيه أربعة فروع :

الفرع الأول : أئمتهم ورجالهم .

الفرع الثاني : العقل .

الفرع الثالث : الروايات والآثار الضعيفة أو الموضوعة .

الفرع الرابع : التلقي عن الأمم الضالة والفرق الهالكة .

■ المطلب الثاني : موقفهم من مصادر التلقي عند أهل السُّنَّة ، وفيه ثلاثة فروع :

الفرع الأول : القرآن الكريم وموقفهم منه .

الفرع الثاني : السُّنَّة النبوية وموقفهم منها .

الفرع الثالث : الإجماع وموقفهم منه .

المبحث الرابع : موقف الشيعة الإثنى عشرية من الشفاعة، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول: موقفهم من شفاعة الرسول ﷺ .
- المطلب الثاني: موقفهم من شفاعة غيره ﷺ .

الفصل السابع: الصوفية وموقفهم من الشفاعة، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: تعريف الصوفية وألقابهم، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : تعريف الصوفية لغةً واصطلاحاً .
- المطلب الثاني : ألقاب الصوفية .

المبحث الثاني: أقسام الصوفية .

المبحث الثالث: مصادر الصوفية في التلقي والاستدلال، وفيه أربعة مطالب :

- المطلب الأول : الأحلام والرؤى والمنامات .
- المطلب الثاني : الذوق والكشف وإيحاء الشياطين .
- المطلب الثالث : آراء الرجال وتحكيم العقل .
- المطلب الرابع :التلقي من مصادر شتى من أهل الكتاب والمجوس والفلاسفة وغيرهم

المبحث الرابع: موقف الصوفية القبورية من الشفاعة، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : موقفهم من الشفاعة لأهل الكبائر .
- المطلب الثاني : موقفهم من شفاعة الصالحين .

الفصل الثامن: شبهة الرافضة والصوفية القبورية في الشفاعة والرد عليها:

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: شبهة الرافضة والصوفية القبورية في الشفاعة .

المبحث الثاني: الرد على شبهة الرافضة والصوفية القبورية .

الخاتمة:

وقد اشتملت على خلاصة البحث ونتائجه وتوصياته ومقترحات على شكل نقاط .

الفهارس :

وأخيراً ذيلت البحث بفهارس للتوضيح والتيسير للوصول إلى ما يبتغيه القارئ والباحث مما ورد في البحث .

وفي الختام ..

فإني أحمد الله تعالى وأشكره أولاً وأخيراً ، ظاهراً وباطناً على أن وفقني لإتمام هذا البحث ، وأسأل الله الكريم أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم سبحانه ، وأن يثيبنا على ذلك ، وأن يكون نافعاً للمسلمين،ومعلوم أن الكمال لله وحده فقد لا يستطيع المرء الوفاء بكل ما يلتزم به ، أو الإحاطة بما يقوم به من عمل، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى وله الحمد والمنَّة، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

إعداد

أحمد عليّ مصلح مزروع

عفا الله عنه

البَابُ الأَوَّلُ

الشفاعة

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

تعريف الشفاعة وأهميتها وأنواعها

الفصل الثاني

حكم الإيمان بثبوت الشفاعة وأدلتها

الفصل الثالث

أقسام الشفاعة وأحكامها

الفصل الأول

تعريف الشفاعة وأهميتها وأنواعها

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: تعريف الشفاعة لغة وشرعاً وأهميتها، وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : الشفاعة لغة .
- المطلب الثاني : الشفاعة شرعاً .
- المطلب الثالث : أهمية الشفاعة .

المبحث الثاني : الفرق بين التوسل والاستغاثة والشفاعة ، وفيه خمسة مطالب :

- المطلب الأول : التوسل لغةً وشرعاً .
- المطلب الثاني : أنواع التوسل وأحكامه .
- المطلب الثالث : الاستغاثة لغةً وشرعاً .
- المطلب الرابع : الاستغاثة المثبتة في الكتاب والسُّنَّة والمنهي عنها .
- المطلب الخامس : الفرق والعلاقة بين الشفاعة والتوسل والاستغاثة .

المبحث الثالث : الشفاعة في أمور الدنيا ، وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : الشفاعة المباحة .
- المطلب الثاني : الشفاعة المحرمة .
- المطلب الثالث : حكم الإستجابة لطلب الشافع .

المبحث الأول

تعريف الشفاعة لغة وشرعاً وأهميتها

قبل التعرض لبيان حكم الشرع في مسائل الشفاعة والتوسل والاستغاثة يجدر التنبيه على نقطة هامة جداً تتعلق بالمعاني التي استعملت فيها هذه الألفاظ في هذه المواضع.

ذلك أن كلاً من لفظ الشفاعة والتوسل والاستغاثة قد ورد ذكرها في القرآن والسُّنَّة وكلام الصحابة واستعملت لمعاني معينة .

ولكن أهل البدع والأهواء أحدثوا اصطلاحات ومعاني لهذه الألفاظ خلافاً لما كانت تستعمل فيه من معان في خطاب الشرع وعرف الصحابة آنذاك ، قاصدين بذلك استعمال الأدلة الشرعية بما يوافق أهواءهم وأغراضهم ، ومن ثم لبّسوا على الناس وأفهموهم أن تلك الألفاظ لم ترد إلا لتلك المعاني التي أحدثوها هم ، وهذا التلاعب بمعاني تلك الألفاظ هو الذي سهل على أهل البدع استعمال تلك النصوص في حججهم وسهل على عامة الناس تقبل تلك البدع لظنهم ، أن تلك النصوص دالة على تلك المعاني الباطلة .

ولذا كان من الواجب بيان الحق في هذه المسائل ، وأن نبين المعنى الشرعي لتلك الألفاظ ونحذر من المعاني المبتدعة المحدثة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [1] ـ رحمه الله ـ: « والألفاظ الشرعية لها حرمة ،

---

(١) هو الإمام العلامة الحافظ المجتهد المطلق المفسر شيخ الإسلام .. أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن محمد بن تيمية الحراني الدمشقي ، ولد بحران سنة ٦٦١هـ ، كان المدافع القوي عن العقيدة الإسلامية وتصدى لأهل البدع حتى سجن عدة مرات ، ومات معتقلاً في قلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ . بلغت مصنفاته ثلاث مائة مجلد منها: (العقيدة الواسطية والحموية والتدمرية) و (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) و(التوسل والوسيلة) و(السياسة الشرعية) و(الفتاوى) وغيرها . انظر: تذكرة الحفاظ / للذهبي (٤ / ١٤٩٦ وما بعدها) : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون، شذرات الذهب / لابن العماد الحنبلي(ج٦ / ٨٠) المجلد الثالث ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون، طبقات الحفاظ / للسيوطي (ص٥٢٠) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) ، الأعلام / للزركلي (١ / ١٤٤) ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ ط السادسة (١٩٨٤م) .

ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ليثبت ما أثبته وينفي ما نفاه من المعاني.

فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك ، فيثبت ما أثبته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله » (١) .

وقال - رحمه الله - : « ومن لم يعرف لغة الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها ويخاطبهم بها النبي ﷺ ، وعادتهم في الكلام وإلا حرف الكلم عن مواضعه ، فإن كثيراً من الناس ينشأ على اصطلاح قوم وعادتهم في الألفاظ ، ثم يجد تلك الألفاظ في كلام الله أو رسوله أو الصحابة فيظن أن مراد الله أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه ، ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك .

وهذا واقع لطوائف من الناس من أهل الكلام والفقه والنحو والعامة وغيرهم .

وآخرون يتعمدون وضع ألفاظ الأنبياء وأتْباعهم على معان أُخر مخالفة لمعانيهم ، ثم ينطقون بتلك الألفاظ ، مريدين بها ما يعنونه هم ، ويقولون إنا موافقون للأنبياء » (٢).

« ولفظ الشفاعة ، والتوسل ، والاستغاثة دخل فيها من تغيير لغة الرسول ﷺ وأصحابه ، ما أوجب غلط من غلط عليهم في دينهم ولغتهم » (٣) .

فبناءً على ما تقدم لابد أن نبين مراد الشارع بألفاظ الشفاعة ، والتوسل ، والاستغاثة ليتضح ما أثبته الشارع من المعاني وما نفاه منها حتى يتبين الحق من الباطل ، وإزالة اللبس عن كثير من الناس الذين يريدون الحق فبها يمكن فهم النصوص وفق مراد الله سبحانه ورسوله ﷺ .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ١١٣- ١١٤) ، بتصرف.

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ـ تحقيق / ربيع بن هادي المدخلي ص١٥٢-١٥٣)ـ مكتبة لينة للنشر والتوزيع ـ دمنهور ـ مصر ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٩٨م) .

(٣) المصدر السابق (ص١٥٨) .

المطلب الأول

الشفاعة لغة

الشفاعة لغةً: مأخوذة من الشفع وهو ضد الوتر ، لأن المشفوع له صار شفعاً بالشافع . فالشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين ، من ذلك الشفع خلاف الوتر[١] .

فالشفع : خلاف الوتر ، تقول : كان وتراً فشفعته شفعاً[٢] .

يقال : شفع لي يَشْفَع شفاعةً وتشفَع : طلب .

والشفيعُ : الشافع ، والجمع شفعاء .

واستشفع بفلان على فلان وتشفع له إليه فشفعه فيه .

وقال الفارسي : استشفعه طلب منه الشفاعة أي قال له كن لي شافعاً .

وفي التنزيل قوله تعالى : ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء : ٨٥] .

وروي عن المبرد وثعلب أنهما قالا في قول الله تعالى : ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥] . قال : الشفاعة الدُّعاءُ هاهنا[٣] .

والشفاعة : كلام الشفيع للمِلِكِ في حاجة يسألها لغيره .

وشَفَعَ إليه : في معنى طلب إليه .

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ـ تحقيق / عبدالسلام محمد هارون (٣ / ٢٠١) ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ط الثانية (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) .

(٢) الصحاح للجوهري ـ تحقيق / أحمد عبدالغفور عطار(٣ / ١٢٣٨) دار العلم للملايين ـ ط الثالثة(١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

(٣) لسان العرب لابن منظور (٨ / ١٨٤) مادة شفع ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م) (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .

والشَّافعُ : الطالب لغيره يستشفع به إلى المطلوب .

وتقـول : تشفعت لفلان إلى فلان فشفّعني فيه ، واسم الطالب شفيع .

وقال الأعشى :

واستشفَعَتْ من سراة الحيِّ ذا ثقة   فقد عصاها أبوها والذي شفعا [١]

واستشفعته إلى فلان أي سألته أن يشفع لي إليه ، وتشفعت إليه في فلان فشفعني فيه تشفيعاً .

ومنه القول:

فككت عـدِّيا كُلّها من إسارها   فافضلْ وشفعني بقيس بن جَحْدَر [٢]

ومنه قوله : « شفع فلانٌ إلى الأمير في فلانٍ شفاعة » [٣] .

ويقال : شفع يشفع شفاعة : فهو شافع وشفيع. والمشفِّع : الذي يقبل الشفاعة ، والمشفَّع : الذي تقبل شفاعته[٤] .

وقال الراغب الأصفهاني ـ رحمه الله ـ من المفردات عن قول الله تعالى : ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ .

أي من أنضم إلى غيره وعاونه وصار شفعاً له أو شفيعاً في فعل الخير والشر فعاونه وقواه ، وشاركه في نفعه وضره .

وذكر أن الشفاعة : الإنضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ، تحقيق ومراجعة / عبد السلام محمد هارون ـ محمد علي النجار ٤٣٦ – ٤٣٧) – الدار المصرية للطباعة والترجمة ط بدون (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م) .

(٢) لسان العرب لابن منظور (٨ / ١٨٤) مادة شفع .

(٣) شمس العلوم / لنشوان الحميري ـ تحقيق د / حسين العمري وغيره (٦ / ٣٥٠٥) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ دمشق ـ سورية ـ ط الأولى (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م) .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر / لابن الأثير ـ تحقيق د / محمود محمد الطناحي / وطاهر أحمد الزاوي (٢ / ٤٨٥) دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) .

انضمام من هو أعلى حُرمة ومرتبة إلى من هو أدنى(١) .

وقال الإمام السفاريني(٢) ـ رحمه الله ـ في بيان ذلك : « والحق أنها مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر ، فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له »(٣) .

فيتلخص مما تقدم : أن أصل كلمة (الشفاعة) تدل على معنى ضم الشيئين ومقارنتهما وهي مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر .

وأنها بمعنى الدعاء ، والطلب .

وأن الشافع هو صاحب الشفاعة التي يطلبها لغيره ، وهو المشفوع له ، ويسمى شفيعاً ، وإن قبلت شفاعته فهو مشفَّع .

وأن المشفوع إليه هو من تطلب منه الشفاعة ، فإن قبلها فهو مشفِّع .

وأن الشفاعة إذاً : الانضمام إلى آخر من أجل نصرته .

---

(١) المفردات في غريب القرآن ـ تحقيق / محمد سيد كيلاني (ص٢٦٣) ـ كتاب الشين ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

(٢) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ، شمس الدين ، أبو العون : عالم بالحديث والأصول والأدب ، محقق . ولد سنة ١١١٤هـ في سفارين (من قرى نابلس) ، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها . وعاد إلى نابلس فدرّس وافتى ، وتوفي فيها سنة ١١٨٨هـ وعمره ٧٤ سنة ، من تصانيفه كشف اللثام شرح عمدة الأحكام ، ولوامع الأنوار البهية ، وغيرها . انظر : الأعلام (٦ / ١٤) معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة (٣ / ٦٥) برقم ١١٧٣١ / مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م) ، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة / لمحمد بن عبدالله بن حميد النجدي .

(٣) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ـ تعليق الشيخ / عبدالرحمن أبابطين ،وسليمان بن سحمان (٢ / ٢٠٤) المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م) .

المطلب الثاني
الشفاعة شرعاً

الشفاعة في الاصطلاح الشرعي :

تتقارب مع المعنى اللغوي (الدعاء،والطلب) وقد ورد عن أهل العلم تعاريف متعددة :

فقيل الشفاعة : (هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم)[١] .

* وقيل في تعريفها : (هي سؤال الخير للغير)[٢] .

* وقيل في تعريفها :وأما في الشرع فهي التي يراد بها معناها الواضح الذي ورد به الشرع مخبراً عنه،ومبيناً أمره مما يحصل في الدار الآخرة، وهي طلب الرسول ﷺ أو غيره من الله في الدار الآخرة حصول منفعة لأحد من الخلق أو دفع مضرة عنه)[٣] .

والشفاعة لا تنحصر في درء المفاسد أو في جلب المصالح ، فحقيقتها لايختص بواحد منها ، بل يتعلق بأحدهما تارة ، وبالآخر تارة أخرى .

وقال الإمام القرطبي[٤] **ـ رحمه الله ـ :** « فالشفاعة هي ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك ، فهي على التحقيق إظهارٌ لمنزلة الشفيع عند المشفع ، وإيصال المنفعة إلى المشفوع له »[٥] .

وقيل في تعريفها : « هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة »[٦] .

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ـ لابن الأثير ـ تحقيق / محمود محمد الطناحي ، وطاهر أحمد الزاوي (٢ / ٤٨٥).

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريين (٢ / ٢٠٤) .

(٣) الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار ـ د / غالب بن علي عواجي (١ / ٢٤٣ - ٢٤٤) دار لينة للنشر والتوزيع (مطابع الفاروق الحديثة)ـ دمنهور ـ مصر،ط الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، وانظر ص٢٣ نفس المصدر.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الأندلسي القرطبي المالكي، الإمام ، المفسر، الفقيه ، من مصنفاته :(الجامع لأحكام القرآن في التفسير، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) وغيرها ، توفي سنة (٦٧١هـ) في (منيت ابن خصيب في شمال أسيوط ، بمصر) . انظر : شذرات الذهب / لابن العماد)ج٥ / ٣٣٥) المجلد الثالث ، الأعلام / للزركلي (٥ / ٣٢٢) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي(٥ / ٢٩٥)،دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى(١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

(٦) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين رحمه الله(ص٣٩٩) دار ابن الجوزي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

وهذا التعريف شامل للأمرين (أي درء المفاسد وجلب المصالح) سواءً كانت الشفاعة في أمور الدنيا فيما أباحه الشرع وأذن به أو أمور الآخرة .

ومما ورد في ذلك ما رواه أبو هريرة (١) رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في صلاته على الجنازة : « **اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت هديتها للإسلام ، وأنت قبضت روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفر لها** »(٢) .

وعن أنس(٣) وعائشة(٤) ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : « **ما من ميت يصلي عليه**

---

(١) اختلف في اسمه اختلافاً كبيراً وأرجح الأسماء عبدالرحمن أو عبدالله بن صخر الدوسي ، وكني بأبي هريرة لهرة كان يحملها في كمه فرآه الرسول عليه الصلاة والسلام فقال له : يا أبا هريرة ، أسلم عام خيبر ، ولزم رسول الله ﷺ رغبة في العلم ، وكان من المكثرين للحديث وحفظه ، توفي بالمدينة وقيل بالبصرة سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩ هـ ، وهو ابن ثمان وسبعين ، انظر : الإصابة / لابن حجر (٤ / ٢٠٢ - ٢٢١) ترجمة رقم ١١٩٠ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٢٨هـ) ، الاستيعاب / لابن عبدالبر ٤ / ٢٠٢-٢١٠) هامش الإصابة ، سير أعلام النبلاء / للذهبي ـ تحقيق : شعيب الأرنؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة ـ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) - (٢ / ٥٧٨ وما بعدها) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة / لابن الأثير (٣ / ٤٧٥) ترجمة رقم٣٣٢٨ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ، تقريب التهذيب / لابن حجر (٢ / ٤٨٣) رقم / ٨٤٦٧ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢ / ٣٤٥ ، ٣٦٣) ح٨٥١٩ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، أبو داود في سننه : كتاب الجنائز ، باب الدعاء للميت (٣ / ٥٣٨) ح٣٢٠٠ دار الحديث للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٩١هـ - ١٩٧١م) ، مشكاة المصابيح / للتبريزي ـ تحقيق : الألباني (١ / ٥٣٠) ح١٦٨٨ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

(٣) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصاري الخزرجي ، أبو حمزة ، خادم رسول الله ﷺ ، وأحد المكثرين من الرواية عنه ، آخر من مات من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بالبصرة ، فضائله ومناقبه كثيرة رضي الله عنه ، توفي سنة ٩٠هـ ، وقيل ٩٢هـ وهو الأصح ، وعمره ١٠٣ عاماً . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر العسقلاني (١ / ١١٢ ، ١١٣) ترجمة رقم / ٢٧٥ . الناشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة / لابن الأثير (١ / ١٩٢-١٩٥) ترجمة رقم / ٢٥٨ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط (٣ / ٣٩٥ وما بعدها) ، تقريب التهذيب / لابن حجر (١ / ١١١) رقم / ٥٦٦ .

(٤) هي أم عبدالله حبيبة رسول الله ﷺ ، بنت خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ كانت من أكبر فقهاء الصحابة حيث كانوا يرجعون إليها ، بنى بها الرسول عليه الصلاة والسلام في شوال بعد =

أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشْفَعُون له إلا شفعوا فيه »[(١)] . فهم يدعون ويطلبون من الله عز وجل الشفاعة للغير بجلب المنفعة أو دفع المضرة.

وقعة بدر ، ونزلت الآيات في تبرئتها مما رماها به أهل الإفك ، عاشت خمساً وستين سنة ، وحدث عنها جماعة من الصحابة والتابعين ، توفيت سنة ٥٧ هـ على الصحيح بالمدينة ودفنت بالبقيع . انظر: تذكرة الحفاظ / للذهبي (١ / ٢٧-٢٩) ، طبقات ابن سعد (٥ / ٥٨ وما بعدها ـ (دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، سير أعلام النبلاء (٢ / ١٣٥ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (٢ / ٦٥١) رقم / ٨٦٧٩ ، الأعلام / للزركلي (٣ / ٢٤٠) .

(١) رواه مسلم : كتاب الجنائز ـ باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه (٢ / ٦٥٤) ح٩٤٧ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون(١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م) ، وأحمد في مسنده (٣ / ٢٦٦) ، (٦ / ٣٢-٤٠-٩٧-٢٣١) ، واللفظ لمسلم.

المطلب الثالث

أهميـــة الشفـــاعة

من خلال تعريفنا للشفاعة تظهر أهميتها وحكمتها البالغة فهي تفريج للكرب بدفع الضر سواءً في الدنيا أو عند الله عز وجل في الآخرة في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، أو تكون لجلب المنافع للعبد المسلم بما يفيده في الحياة الدنيا أو ما يزيد درجاته عند ربه سبحانه وتعالى ، ومن أهميتها وحكمتها إظهار جلال الله وعظمته وإعلان كرامة الشفيع ووجاهته ، ومنها بيان عِظم رحمة الله الواسعة التي تجعل العبد المذنب بسبب ذنوبه وانتهاكاته للمحرمات أن يعود إلى الله مطمئن البال راجيًا رحمة ربه عزوجل فييئس المسرف على نفسه من كل مخلوق ولكن الله عز وجل يكرمه بأحد الشفعاء فيشفع له ، ومن أهميتها إظهار خصوصية النبي ﷺ إذ يظهره الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة على رؤوس الخلائق بعد أن يموجون بعضهم في بعض بحثاً عمّن يقدم إلى ربه ـ عز وجل ـ يتشفع للأمة بأكملها أولها وآخرها فعند ذاك يمكّنه الله ـ عز وجل ـ فيشفع فيمن يأذن الله له .

ومن أهميتها إظهار عظم كلمة التوحيد وأفضلية الموحدين على غيرهم إذ يكون آخر من يشفع لهم الله عز وجل برحمته من قال كلمة التوحيد ولم يشرك بالله شيئاً .

فالشفاعة إظهار منزلة الشفيع عند المشفَّع ، وإيصال منفعته للمشفوع[(١)] ، وذلك بعد الإذن من الله عزوجل إن كان في أمور الآخرة ، أو بوسيلة مشروعة بينها الشرع إن كان في أمور الدنيا ومنافعها .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥ / ٢٩٥) .

المبحث الثاني

الفرق بين التوسل والاستغاثة والشفاعة والعلاقة بينهما

المطلب الأول

التوسل لغةً وشرعاً

أولاً : التوسل لغةً :

التوسل : التقرب .

والوسيلة : المنزلة عند الملك .

والوسيلة : الدرجة .

والوسيلة : القُرْبة .

ووسّل فلانٌ إلى الله وسيلةً إذا عَمِل عملاً تقرَّب به إليه[١] .

والواسِل : الراغِبُ إلى الله ، قال لبيد : والوسيلة : الرغبة والطلب .

أرى الناس لا يَدْرونَ ما قَـدْرُ أمـرهـم بـلـى كـلُّ ذي رأي إلى الله واسِـلُ[٢]

وسل : الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبةٍ ، وهي أخص من الوصيلة ، لتضمنها لمعنى الرغبة[٣] .

وتوسَّل إليه بوسيلة إذا تقرَّب إليه بعَمَل .

وتوسَّل إليه بكذا : تقرَّب إليه بحُرْمةٍ آصرةٍ تُعْطفه عليه .

والوسيلةُ : الوصلة والقُرْبى ، وجمعها الوسائل .

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١١ / ٧٢٤) مادة وسل .

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦ / ١١٠) مادة وسل . بتصرف .

(٣) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص٥٢٣) .

فالوسيلة : هي ما يتقرب به إلى الشيء[1] .

ونستخلص مما تقدم أن التوسل لغة : هو السبب الموصل إلى المقصود ، والتقرب إلى المطلوب ، والتوصل إليه برغبة .

وهو : المنزلة عند الملك والدرجة والقربة .

ثانياً : التوسل في الاصطلاح الشرعي هو :

قبل أن نبدأ ببيان ذلك فإني أذكر كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بيّن فيه معنى لفظ (الوسيلة) و (التوسل) وقال رحمه الله تعالى ما يلي :

(إن لفظ الوسيلة والتوسل فيه إجمال واشتباه يجب أن تعرف معانيه ، ويعطي كل ذي حق حقه ، فيعرف ما ورد به الكتاب والسُّنَّة من ذلك ومعناه ، وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك .

ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه فإن كثيراً من اضطراب الناس في هذا الباب هو بسبب ما وقع من الإجمال والاشتراك في الألفاظ ومعانيها حتى تجد أكثرهم لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب .

فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾ [المائدة : ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً (٥٦) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً (٥٧)** ﴾ [الإسراء : ٥٦-٥٧] .

فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغي إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات .

فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول فأمر به أمر إيجاب أو استحباب ، وأصلُ

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١١ / ٧٢٤) مادة وسل ، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥ / ١٨٥).

ذلك الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ .

فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ماجاء به الرسول ﷺ ، لا وسيلة لأحد إلى الله إلا ذلك .

والثاني : لفظ (الوسيلة) في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ : « **سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سال الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة** »[(١)] .

فالتوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته .

والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقدون فيه الصلاح .

وحينئذ فلفظ التوسل به ﷺ يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين هما :

أحدهما : هو أصل الإيمان والإسلام وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته ، ومنه قوله تعالى :﴿ ... **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾ [المائدة : ٣٥] أي القرب إليه بطاعته ، وطاعة رسوله طاعته ، قال تعالى : ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء : ٨٠] .

الثاني : دعاء الرسول ﷺ وشفاعته ، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته .

ومن هذا قول عمر بن الخطاب[(٢)] رضي الله عنه : « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه (١ /٢٨٨)ح. ٣٨٤ ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص. والترمذي في سننه : كتاب المناقب ، باب في فضل النبي ﷺ(٥ / ٥٤٦) ح٣٦١٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ دار الكتب العلمية - بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م) .

(٢) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي أبو حفص ، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة،أسلم بعد أربعين رجلاً ،وكان إسلامه في السنة السادسة وسماه الرسول عليه الصلاة والسلام الفاروق، تولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وفتحت الفتوح في عهدة،قتله أبو لؤلؤة المجوسي في آخر ذي الحجة سنة ٢٣هـ،وقيل٢٤هـ وعمره٦٣ =

بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا »(١) أي بدعائه وشفاعته لا بذاته.

ويراد به معنى آخر ليس بصحيح ولم يأذن به الشرع وهو :

الثالث : التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته ، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه ، لا في حياته ولا بعد مماته ، لا عند قبره ولا غير قبره ، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم ، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة (٢)

وقال رحمه الله :« إنه ليس في هذا الباب حديث واحد مرفوع إلى النبي ﷺ يعتمد عليه في مسألة شرعية، باتفاق أهل المعرفة بحديثه، بل المروي في ذلك إنما يعرف أهل المعرفة بالحديث أنه من الموضوعات ، إما تعمداً من واضعه ، وإما غلطاً منه »(٣).

ومن خلال ما ذكرنا نعرف أن الوسيلة في القرآن الكريم يقصد بها :القربة،والمحبة ، والطاعة والدعاء.

قال ابن جرير (٤) رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ اطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه.

سنة ، انظر: أسد الغابة ٤ / ١٥٦-١٩٢) ترجمة رقم٣٨٢٤ ، تهذيب التهذيب/ لابن حجر (٧ / ٤٣٨-٤٤١)ـ دار صادر ـ بيروت- لبنان ـ ط الأولى (١٣٢٦هـ) ، تذكرة الحفاظ (١ / ٥-٨) ، تاريخ الخلفاء / للسيوطي (ص١٢٣ وما بعدها) ـ دار القلم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ، طبقات الحفاظ / للسيوطي (ص١٣) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) .

(١) رواه البخاري : كتاب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ٢ / ٣٣ ح ١٠١٠ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ـ تحقيق / ربيع بن هادي المدخلي (ص ٧٩-٨٢) بتصرف .

(٣) المصدر السابق (ص١٨٠) .

(٤) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، الإمام ، العلامة ، القارئ ، المحدث ، المفسر ، المؤرخ ، الفقيه، صاحب التصانيف، ولد بآمُل إحدى مناطق طبرستان سنة ٢٢٤هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٣١٠هـ ، له عدة مؤلفات منها : (جامع البيان) في التفسير ، و (تاريخ الأمم والملوك) و (تهذيب الآثار) و(اختلاف الفقهاء) وغيرها . انظر: تذكرة الحفاظ / للذهبي (٢ / ٧١٠) ، سير اعلام النبلاء / للذهبي (١٤ / ٢٦٧ وما بعدها) ، الأعلام ٦ / ٦٩)، طبقات المفسرين /للداودي ـ تحقيق : علي محمد عمر (٢ / ١٠٦) ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م) .

وقال رحمه الله تعالى في الآية الوسيلة : المحّبة ، تحببوا إلى الله تعالى » (١)

وقال ابن الجوزي (٢) **ـ رحمه الله ـ :** في الوسيلة قولان :

« **أحدهما :** أنها القربة، قاله ابن عباس ، وعطاء، ومجاهد ، والفراء . وقال قتادة : تقربوا إليه بما يرضيه . قال أبو عبيدة : يقال : توسلت إليه ، أي : تقرّبت إليه . وأنشد :

إذا غـفـل الواشـون عُـدنا لوصلنا وعـاد التـصـافي بيننا والوسـائلُ

والثاني : المحبة ، يقول : تحببوا إلى الله (٣) » .

وقال الإمام ابن كثير(٤) ـ رحمه الله: « والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن(٤ / ٥٦٦، ٥٦٧) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٢هـ- ١٩٩٢م) .

(٢) هو أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، ولد عام ٥٠٨هـ في بغداد ، توفي أبوه وعمره ثلاث سنين ، وكان أهله تجاراً في النحاس (الصُفر) ولهذا كُتب اسمه في بعض السماعات بعبدالرحمن الصفار ، ونسبته بالجوزي إلى (مشرعة الجواز) قرأ القرآن وجوّده وأخذ الإجازات فيه .. كان فقيهاً حافظاً مفسراً أديباً، له أكثر من ثمانين شيخاً ... بدأ التصنيف وعمره ثلاث عشرة سنة ، توفي عام ٥٩٧هـ في بغداد ، له عدة مصنفات تزيد على الثلاث مائة منها : (زاد المسير في علم التفسير ، منهاج الوصول إلى علم الأصول ، جامع المسانيد ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، مناقب بغداد ، الإنصاف في مسائل الخلاف) وغيرها . انظر: كتاب الوافي بالوفيات / صلاح الدين خليل الصَفدي ـ تحقيق : أحمد الأرناؤوط وآخر ١٨ / ١٠٩-١١٣ ـ دار إحياء التراث العربي ـ ط الأولى (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٢١ / ٣٦٥ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي ٣ / ٣١٦) .

(٣) زاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي (٢ / ٣٤٨) المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ، دمشق ـ سورية ، ط الأولى (١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م) ، ط الرابعة (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م) .

(٤) هو الحافظ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي الدمشقي ، ولد عام ٧٠١هـ بقرية من أعمال مدينة بصرى ، وقدم دمشق ، وصاهر الحافظ المزي ، من تلاميذ الإمام ابن تيمية ، حافظ ، مؤرخ ، فقيه ، رحل في طلب العلم ، توفي عام ٧٧٤هـ ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية ، له مؤلفات عديدة منها : (البداية والنهاية، شرح صحيح البخاري ، تفسير القرآن العظيم ثاني كتاب في التفسير المأثور بعد تفسير ابن جرير) وغيرها . انظر: شذرات الذهب/ لابن العماد (ج٦ / ٢٣١) المجلد الثالث ، طبقات المفسرين / للداودي (١ / ١١٠) ، البدر الطالع / للشوكاني (١ / ١٥٣) ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون ، الأعلام للزركلي (١ / ٣٢٠) .

المقصود،والوسيلة أيضاً علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله ﷺ »(١).

وقال الإمام الشنقيطي (٢) رحمه الله : « وأصل الوسيلة الطريق التي تقرب إلى الشيء ، وتوصل إليه وهي العمل الصالح بإجماع العلماء لأنه لا وسيلة إلى الله تعالى إلا باتباع رسوله ﷺ » .

« وروى عن ابن عباس (٣) رضي الله عنهما أن المراد بالوسيلة الحاجة، واستدل ببيت عنتره :

إن الرجال لهم إليك وسيلة ... إن يأخذوك تَكَحَّلي وتَخَضَّبي

قال يعني لهم إليكِ حاجة » (٤) .

وقال رحمه الله : « التحقيق في معنى الوسيلة هو ما ذهب إليه عامة العلماء من أنها التقرب إلى الله بالإخلاص له في العبادة ، على وفق ما جاء به الرسول ﷺ ، وتفسير ابن عباس داخل في هذا ، لأن دعاء الله والابتهال إليه في طلب الحوائج من أعظم أنواع عبادته التي هي الوسيلة إلى نيل رضاه ورحمته » (٥) .

« فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الطريق الموصلة إلى رضاه وجنته ورحمته

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢ / ٥٥) دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط السادسة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م . .

(٢) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي ، ولد عام ١٣٢٥هـ . علامة أصولي مفسر ، لغوي ، من علماء شنقيط ، موريتانيا ، ولد وتعلم بها ، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، ودرس في مختلف علوم الشريعة ، توفي بمكة عام ١٣٩٣هـ ، له عدة مصنفات منها : تفسيره (أضواء البيان) وغيره ، انظر : الأعلام / للزركلي (٦ / ٤٥) ، علماء ومفكرون عرفتهم / لمحمد المجذوب (١ / ١٧١-١٩١) دار الشواف ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الرابع١٩٩٢م) .

(٣) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، أبو العباس ، ابن عم رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وبنو هاشم في الشعب ، دعا له الرسول ﷺ بالعلم والحكمة وتأويل القرآن مع البركة والصلاح ، وكان يحبه ويدنيه ويقربه ويشاوره ، وكان عمر رضي الله عنه يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر وفقهه ، مات بالطائف سنة ٦٧ وقيل ٦٨هـ ، وهو ابن ٧٠ سنة وقيل ٧١ سنة وقيل ٧٤ سنة والأقوى هو : توفي وعمره ٧١ سنة . الاستيعاب / لابن عبدالبر (٢ / ٣٥٦-٣٥٧) بهامش الإصابة ، الإصابة (٢ / ٣٣٠-٣٣٤) ترجمة رقم / ٤٧٨١ ، سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٣١ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (١ / ٥٠٤) رقم / ٣٤٢٠ .

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢ / ٨٦-٨٧) مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) .

(٥) المصدر السابق (٢ / ٨٧) .

هي اتباع رسوله ﷺ ، ومن حاد عن ذلك فقد ضل سواء السبيل ، قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾[النساء: ١٢٣] » [١].

ونستخلص مما تقدم أن التوسل والوسيلة في الاصطلاح الشرعي هي :

اتخاذ سبب مشروع يُقرِّب إلى الله تعالى ، وعبادة يراد بها التوصل إلى رضوان الله - سبحانه وتعالى - ، وبما شرعهُ على لسان رسوله ﷺ لنيل المنزلة العالية عنده سبحانه وتعالى ، أو لقضاء الحاجات بجلب نفع أو دفع ضر ، أو للحصول على مرغوب في الدنيا والآخرة، والتوسل إلى الله لا يكون إلا بما شرعه سبحانه وتعالى ، وبهذا يجمع ما قاله السلف .

وتأمل قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[المائدة: ٣٥] .

ففي تقديم الجار والمجرور ﴿ إِلَيْهِ ﴾ إفادة اختصاص[٢] الوسائل بالله ، لا يشركه معه فيها أحد ، كما في قوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [الفاتحة: ٥] . والله أعلم

---

(١) المصدر السابق (٢ / ٨٧) .
(٢) قاعدة اللغة العربية التي نزل بها القرآن ان تقديم ما حقه التاخير يفيد الحصر والاختصاص .

المطلب الثاني
أنواع التوسل وأحكامه

بداية لابد من بيان أقول العلماء في التوسل إجمالاً وهي كما يلي :

١- منهم من منع التوسل بالنبي ﷺ في حال غيبته وبعد مماته وهم الجمهور .

٢- ومنهم من أجاز التوسل بالأنبياء في حال حياتهم دون غيرهم ، كابن عقيل الحنبلي[(١)] ، والعز بن عبد السلام[(٢)] .

قال الإمام الشوكاني[(٣)] ـ رحمه الله ـ : « وأمّا التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام أنه

---

(١) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبدالله البغدادي الظَّفَري الحنبلي ، أبو الوفاء ، أحد شيوخ الحنابلة، كان متكلماً ، ولد سنة ٤٣١هـ ، وكان يسكن الظَّفَرية شرق بغداد ،كان دَيناً حافظاً للحدود ، قوي الصبر ، وكان قد اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته . . ، فأراد الحنابلة قتله ، فاستجار بباب المراتب عدة سنين ، ثم أظهر التوبة ، توفي سنة ٥١٣هـ . له عدة تصانيف أعظمها : (كتاب الفنون) وغيرها . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٩ / ٤٤٣) ، طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى (٢ / ٢٥٩) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، والأعلام / للزركلي (٤ / ٣١٣) .

(٢) هو عبدالعزيز بن عبدالسلام الدمشقي ، الملقب بسلطان العلماء لمواقفه الجريئة مع الحكام ، ولد ونشأ في دمشق سنة ٥٧٧هـ ، إمام ، محدث ، أصولي ، فقيه ، توفي سنة ٦٦٠هـ في القاهرة ، له مصنفات كثيرة ، منها (قواعد الشريعة ، قواعد الأحكام) وغير ذلك . انظر: فوات الوفيات / لمحمد بن شاكر الكتبي ـ تحقيق د: إحسان عباس (٢ / ٣٥٠) ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج ٥ / ٣٠١) المجلد الثالث ، الأعلام /. للزركلي (٤ / ٢١) ، طبقات الشافعية / للسبكي ، تحقيق : عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي (٨ / ٢٠٩) ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ ط الأولى ـ بدون تاريخ .

(٣) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني ثم الصنعاني ، ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان باليمن) سنة ١١٧٣هـ نشأ بصنعاء وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ ، كان مشتغلاً بالعلم دراسة وتدريساً وافتاء وتصنيفاً ، ترك التقليد واجتهد رأيه اجتهاداً مطلقاً غير مقيد . توفي عام ١٢٥٠هـ في صنعاء ، بلغت مصنفاته أربعة عشر ومائة كتاب ، منها : تفسيره (فتح القدير) ، و (إرشاد الفحول في أصول الفقه) و (السيل الجرار) و (نيل الأوطار) وغير ذلك . أنظر: البدر الطالع / للشوكاني (٢ / ٢١٤)، الأعلام / للزركلي (٦ / ٢٩٨) ، معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة (٣ / ٥٤١) .

لايجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي ﷺ » [١] .

ثم قال رحمه الله : « وعندي لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي ﷺ كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين :

الأول : إجماع الصحابة ﷺ .

الثاني : أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله فإذا قال القائل: اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به.من العلم » [٢] .

٣- ومنهم من أجاز التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتًا وهم جملة أهل البدع والضلال .

وحقيقة التوسل في دعاء الله تعالى أن يقرن الداعي بدعائه ما يكون سبباً في قبول دعائه ولابد من دليل على كون هذا الشيء سبباً للقبول ، ولا يعلم ذلك إلا من طريق الشرع ، فمن جعل شيئاً من الأمور وسيلة له في قبول دعائه بدون دليل من الشرع فقد قال على الله مالا يعلم ، إذ كيف يدري أن ما جعله وسيلة مما يرضاه الله تعالى يكون سبباً في قبول دعائه ؟ ، والدعاء من العبادة ، والعبادة موقوفة على مجيء الشرع بها .

وقد أنكر الله تعالى على من اتّبع شرعاً بدون إذنه وجعله من الشرك فقال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١] ، وقال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾ [التوبة: ٣١] .

قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ : « والتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء أو الصالحين لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة الله جل جلاله في أمر يوم

---

(١) الرسائل السلفية في إحياء سُنَّة خير البرية ﷺ (كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد) للشوكاني (ص٥) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م) .

(٢) المصدر السابق (ص٥) .

الدين ، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواءً كان نبياً أو غير نبي فهو في ضلال مبين ، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ، ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [يونس : ٤٩] ، فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله ﷺ من أمر الله شيء ، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك لغيره . وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء أو العلماء توسلاً مشروعاً » (١) .

والتوسل في دعاء الله تعالى قسمان هما :

القسم الأول : التوسل المشروع :

وهو التقرب إلى الله بما يحبه ويرضاه من العبادات الواجبة أو المستحبة سواءً كانت أقوالاً أو أفعالاً أو اعتقادات،ويكون بوسيلة جاءت بها الشريعة المطهرة،وهو على ثلاثة أنواع:

الأول : التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته :

وهذا يعتبر من أعظم الأنواع وأنفعها للعبد توسلاً إلى الله عز وجل ، وقد أمرنا الله عز وجل بذلك في كتابه الكريم بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، أي ادعو الله متوسلين إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلىَ .

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : « أي اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني،يا حكيم احكم لي، يا رازق ارزقني، يا هادي اهدني ، يا فتاح افتح لي ، ياتواب تب عليَّ ، هكذا » (٢) .

« فقوله: ﴿ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ ، شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة فيدعي في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلاً: اللهم اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ، وتب عليّ يا تواب ، وارزقني يا رزاق ، والطف بي يا لطيف

---

(١) كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ضمن الرسائل السلفية ... (ص٧) بزيادة يسيرة .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧ / ٢٣٧) .

ونحو ذلك »[١] .

فإن ذلك مما يحبه الله ويرضاه ، وذلك استعمله رسول الله ﷺ كما روى ذلك الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود[٢] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن ، فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحاً »[٣] .

وقال ﷺ : « **اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ..** »[٤] .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان ـ لعبدالرحمن السعدي (ج٣ / ٧٢) المجلد الثاني ، دار ابن الجوزي ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) .

(٢) عبدالله بن مسعود : أبو عبدالرحمن بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن قار بن مخزوم بن فزار المكي المهاجري البدري ، صحابي من كبار الصحابة فضلاً وقرباً من رسول الله ﷺ ، هاجر الهجرتين وشاهد المشاهد كلها ، ولي قضاء الكوفة وبيت مالها في خلافة عمر رضي الله عنه ، ثم رجع إلى المدينة وتوفي بها سنة ٣٢هـ . وعمره ٦٣ سنة ، انظر : الإصابة (٢ / ٣٦٨ وما بعدها) ترجمة رقم / ٤٩٥٤ ، سير أعلام النبلاء (١ / ٤٦١ وما بعدها (تقريب التهذيب (١ / ٥٣٣) رقم / ٣٦٢٤ ، الاعلام / للزركلي (٤ / ١٣٧) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده(١ / ٣٩١) ، وأبو يعلي في مسنده (٩ / ١٩٩) ح٥٢٩٧ تحقيق حسين سليم أسد ـ دار الثقافة العربية ـ بيروت ، دمشق ـ ط الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ، والحاكم في مستدركه (١ / ٦٩١) ح ١٨٧٧ ، وقال : صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن عن أبيه ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) ، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١ / ٣٣٦) برقم (١٩٩) .

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب : صفة الصلاة : باب الدعاء بعد الذكر ـ تحقيق د /عبد الغفار سليمان البنداري وآخر (١ / ٣٨٨) ح ١٢٢٩ من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩١م (، وأخرجه الحاكم في المستدرك : كتاب الدعاء والتكبير (١/٧٠٥-٧٠٦) ح/١٩٢٣ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، الحديث صحيح : انظر : صحيح الجامع الصغير ، وزيادته للالباني - رحمه الله - برقم (١٣٠١) ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .

الثاني : التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة :

١- التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به وبرسوله ﷺ وبكل ما أمره وقد ذكر ذلك القرآن الكريم قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ** (١٠٩) ﴾ [المؤمنون : ١٠٩]،وقوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** (١٦) ﴾ [آل عمران : ١٦] ،وقوله تعالى : ﴿ **رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ** (١٩٣) ﴾ [آل عمران : ١٩٣] .

فقد ذكر الله ـ عز وجل ـ في هذه الآيات الإيمان قبل الدعاء، ولهذا يجوز للمسلم أن يقول : اللهم بإيماني بك ، ومحبتي لك واتباعي لرسولك ﷺ وإيماني به أن تدفع عني الشر ، وتفرج عني الكرب ، وتعطيني من فضلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته فرض على كل أحد في كل حال ، باطناً وظاهراً ، في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته ، في مشهده ومغيبه ، لا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال بعد قيام الحجة عليه ، ولا بعذر من الأعذار ، ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته » (١) .

فهذا النوع من التوسل من أعظم الوسائل ، فالأعمال الصالحة سبب لثواب الله لنا ومجازاته إيّانا فإذا توسلنا إلى الله بالأعمال الصالحة كنا متوسلين إليه بوسيلة ، كما قال سبحانه وتعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾[المائدة :٣٥] ، فالوسيلة هي الأعمال الصالحة وكما سبق وأن أوضحنا ذلك ، فالله تعالى يجب أن نتوسل إليه بالإيمان والعمل والصلاة والسلام على نبيه ومحبته وطاعته وموالاته وغيرها من الأعمال التي تقربنا إليه سبحانه .

٢- التوسل إلى الله بعبادته وطاعته، والخوف منه، فالتوسل إلى الله بعبادته وطاعته من أعظم القربات التي يحبها الله ويرضاها من عبده ويثيبه عليها ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله ـ عز وجل ـ قال : من عادى لي وليا**

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٣ ، ٤) .

فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه . وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت (*) عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » (١) .

فالعبد المسلم عند أدائه للفرائض ودوامه على النوافل يعتبر (متقربًا ومتوسلاً) بها إلى الله عز وجل ، وكذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار .

فعن عبد الله بن عمر(٢) رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر ، فمالوا إلى غار في الجبل ، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعلهُ يفرجُها ، فقال أحدُهم : اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ، ولي صبية صغار كنتُ أرعى عليهم ، فإذا رُحتُ عليهم فحلبتُ بدأتُ بوالديَّ أسقيهما قبل ولدي ، وإنه نآء بي(٣) الشجرُ فما أتيتُ حتى أمسيتُ ، فوجدتهما قد ناما ، فحلبتُ كما كنت أحلُبُ ، فجئت بالحلاب فقمتُ عند رؤسهما ، أكرَهُ أن أوقظهما من نومهما ،وأكرَهُ أن أبدأ بالصِّبية قبلهما والصِّبية يتضاغون عند قدميَّ ، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجرُ ، فإن كنت**

(١) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب التواضع (٨ / ١٣١) ح / ٦٥٠٢، وأحمد في مسنده(٦ / ٢٥٦)، واللفظ للبخاري.

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، كانت هجرته قبل هجرة أبيه، وأول مشاهده الخندق، كان من المكثرين بالرواية عن الرسول ﷺ، وكان يقتدي به في كل أمره ، توفي عام ٧٣هـ وقيل في أول ٧٤هـ . وعمره ٨٦ عامًا وقيل ٨٧ عامًا. انظر: أسد الغابة (٣ /٣٤٧-٣٥٢) ترجمة رقم / ٣٠٨٠ ، سير أعلام النبلاء(٣ / ٢٠٣ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (١ / ٥١٦) رقم/ ٣٥٠١ ، الأعلام (٤ / ١٠٨)؛

(٣) نآء بي : أي بعد ، انظر: فتح الباري / لابن حجر (١٠ / ٤١٨) دار الريان ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .

(*) التردد نوعان :الأول :تردد للشك في النتيجة، فهذا منزه عنه الله تعالى لان الله تعالى لا يخفى عليه شئ.
الثاني: تردد لما يتعلق بالعبد مع العلم بالنتيجة ، فهذا يوصف الله تعالى به ، لأنه سبحانه وتعالى أثبت ذلك لنفسه في هذا الحديث . فهو تردد يليق بجلاله سبحانه .

تعلمُ أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نَرىَ منها السماء ، ففَرج الله لهم فرجَة حتى يَرَون منها السماء .

وقال الثاني : اللهم إنه كانت لي أبنة عم أحبها كأشدٌ ما يحبُّ الرجال النساء ، فطلبتُ إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار ، فسعيتُ حتى جمعتُ مائة دينار فلقيتها بها ، فلما قعدت بين رجليها ، قالت : يا عبد الله اتق الله ، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه ، فقمتُ عنها ، اللهم فإن كنت تعلم أنّي قد فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها ، ففرج لهم فُرجةً .

وقال الآخر : اللهم إني كنت أستأجرت أجيراً بفَرَق أرز ، فلما قضى عملهُ قال : أعطني حقي ، فعَرَضتُ عليه حقه ، فتركه ورغب عنه ، فلم أزل أزرعه حتى جمعتُ منه بقراً وراعيها فجاءني وقال : اتق الله ولا تظلمني واعطني حقِّي ، فقلت أذهب إلى تلك البقر وراعيها ، فقال اتق الله ولا تهزأ بي ، فقلت إنِّي لا أهزأُ بك ، فخذ تلك البقر وراعيها فأخذهُ فانطلَقَ فإن كنت تعلمُ أنِّي فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج ما بقي ، فَفَرَجَ اللّهُ عنْهُم »(١) .

فهؤلاء الثلاثة سألوا الله ـ عز وجل ـ وتوسلوا إليه بأعمالٍ صالحة عملوها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « وإن كان متوسلاً بسبب يقتضي المطلوب كالسؤال بالأعمال التي فيها طاعة الله ورسوله ، مثل السؤال بالإيمان بالرسول ومحبته ، وموالاته ونحو ذلك فهذا جائز »(٢) .

٣- التوسل بالاستغفار والتسبيح والدعاء :

وهذا من أفضل ما يتوسل به العبد إلى ربه فقد أثنى الله ـ عز وجل ـ على المستغفرين من ذنوبهم التائبين الآيبين إليه كما في قوله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا**

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب ، باب إجابة دعاء من بر والديه (٨ /٣٠-٤) ح / ٥٩٧٤ . ومسلم : كتاب الذكر والدعاء،باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال (٤ / ٢٠٩٩)ح ٢٧٤٣ واللفظ للبخاري .

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ٣٣٧) .

فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

فيكثرون من ذكر الله ـ عز وجل ـ والاستغفار بالسنتهم وقلوبهم ،وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى ملازمة الاستغفار لما فيه من إظهار العبودية لله والافتقار إليه والذل والخشوع له وكان ﷺ يكثر من ذلك كما ثبت عنه ﷺ بقوله : « **يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة** »(١) ، وعنه ﷺ أنه قال : « **إنه ليغان**(٢) **على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة** »(٣) .

وأما الدعاء فإنه أقوى وسائل التقرب إلى الله، وأفضل ما يتقرب به العبد إلى مولاه، فالدعاء مخ العبادة .

قال الله تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** (٦٠) ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** (١٨٦) ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى من دعاء سليمان عليه السلام حيث قال عز وجل : ﴿ **وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** (١٩) ﴾ [النمل : ١٩] .

وحديث الأعمى هو من التوسل بدعائه ﷺ ، فإن الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره . فقال له : « **إن شئت دعوتُ وإن شئت صبرتَ فهو خير لك . قال : فادْعُهُ ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا**

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه(٤ / ٢٠٧٥ ، ٢٠٧٦) ح / ٢٧٠٢ ، أبو داود: كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار(٢ / ١٧٧) ح١٥١٥ ، من حديث أبي بردة رضي الله عنه .

(٢) ليغان : الغين هو ما يتغشى القلب ـ انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (ج١٧ / ٢٣) المجلد السادس .

(٣) رواه مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٤ / ٢٠٧٥) ح / ٢٧٠٢ ، أبو داود : كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار (٢ / ١٧٧) ح١٥١٥ ، من حديث أبي بردة رضي الله عنه .

الدُّعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبيِّ الرحمة ، إنِّي توجهت بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتقضى لي ، اللهم فشفِّعْه فيَّ » [١] .

فهذا توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته ، ودعا له النبي ﷺ ، ولهذا قال :(وشفعه في ، فسأل الله أن يقبل شفاعة رسوله فيه وهو دعاؤه) [٢] .

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة وليس هذا مجال لبسطها .

٤- التوسل إلى الله تعالى بتوحيده سبحانه :

ومن هذا توسل يونس عليه السلام عندما سقط في البحر فالتقمه الحوت، قال الله تعالى : ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء :٨٧] .

٥-التوسل إلى الله بذكر حال الداعي المبيّنة لاضطراره وحاجته واعترافه بالذنب:

كتوسل موسى عليه السلام في قول الله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] ، وكتوسل أيوب عليه السلام في قول الله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٣] .

فكان هذا توسلاً بإظهار الضعف والحاجة والافتقار إلى الله عز وجل .

وكما قال الله تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام في قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص: ١٦] .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الدعوات ، باب ١١٩ ،(٥ / ٥٣١) ، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه في حديث أبي جعفر وهو الخطمي،وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص٤١٧-٧١٨) ح٦٥٩ ، تحقيق د / فاروق حمادة ــ مؤسسة الرسالة ــ ببروت ــ لبنان ــ ط٢ (١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٥م) . وابن ماجه في سننه : كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها ، باب ما جاء في صلاة الحاجة وفيه (ويصلي ركعتين (١ / ٤٤١) ح ١٣٨٥ دار الريان للتراث ــ القاهرة ــ مصر ــ ط بدون ، ، وأحمد في مسنده (٤ / ١٣٨) كلهم من رواية عثمان ابن حنيف رضي الله عنه ، والحاكم قي مستدركه : كتاب صلاة التطوع (١ / ٤٥٨) ح١١٨٠ ، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه،وقال الذهبي صحيح، انظر:المشكاة (٢ / ٧٦٩) برقم (٢٤٩٥). قال الألباني رحمه الله: وإسناده صحيح ، ومن ضعفه من المتاخرين فما أصاب ، كما لم يصب من استدل به على التوسل بالأشخاص ، وإنما هو دليل على التوسل بدعاء الرجل الصالح ..

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيميه (ص١٨٥) .

وكان هذا توسلاً بالاعتراف بالذنب ليتوب الله عنه من ذلك .

الثالث : التوسل بدعاء الأحياء الصالحين للغير :

وهذا عبارة عن طلب العبد ممن يظن فيه الصلاح والتقوى عندما يقع في ضيق شديد، وقد يعلم من نفسه التفريط في جنب الله فيجب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله فيذهب إلى ذلك الرجل معتقداً فيه التقوى والعلم بالكتاب والسُّنَّة أو بعض منها فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج عنه كربه ويزيل همه .

فهذا النوع من أنواع التوسل المشروع الذي أجازته الشريعة وأرشدت إليه .

قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٠].

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً فقال : يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : « **اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا** » .

قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعةً ولا شيئاً ، وما بيننا وبين سلع[١] من بيت ولادار . قال : فطَلعتْ من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت . قال والله ما رأينا الشمس سبتاً .

ثم دخل رجلٌ من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب فاستقبله قائماً فقال: يارسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: « **اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظِّراب والأودية ومنابت الشجر قال: فانقطعت ، وخرجنا نمشي في الشمس** »[٢] .

---

(١) سلع : جبل بالمدينة المنورة ، الظِّراب : واحدها ظَرِب ، وهي : الروابي الصغار .

(٢) رواه البخاري: كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع (٢ / ٣٤-٣٥) ح ١٠١٣، ومسلم : كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء (٢ / ٦١٢) ح ٨٩٧ .

وقول عكاشه بن محصن(١) رضي الله عنه للنبي ﷺ حيث ذكر أوصاف الذين يدخلون الجنة وهم سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب، فقال رضي الله عنه : « **ادع الله أن يجعلني منهم .....** »(٢) .

ولما توفي رسول الله ﷺ صار الصحابة رضي الله عنهم يطلبون الدعاء من عمه العباس رضي الله عنه فيدعو الله لهم .

لما رواه أنس رضي الله عنه : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب ، فقال : « **اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . قال : فيُسقون** »(٣) .

ومعنى قول عمر رضي الله عنه : أي إنا كنا نقصد نبينا ﷺ ونطلب منه أن يدعو لنا ونتقرب إلى الله بدعائه ، والآن وقد انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا ؛ فإننا نتوجه إلى عم نبينا ونطلب منه أن يدعو لنا .

وقال صاحب كتاب الصواعق المرسلة الشهابية : (مبيناً معنى الحديث) .

إن المراد بالاستسقاء بالعباس والتوسل به الوارد في حديث أنس رضي الله عنه هو

---

(١) هو الصحابي الجليل : عكاشه بن محصن بن حُرْثان بن قيس بن مُرَّة بن كثير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد ابن خزيمة الأسدي ، حليف بني عبد شمس، يكنى أبا محصن ، كان من سادات الصحابة وفضلائهم . هاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأبلى فيها بلاءً حسناً ، وانكسر في يده سيف ، فأعطاه رسول الله ﷺ عُرْجوناً ـ أو عوداً فعاد في يده سيفاً يومئذٍ شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به .. وكان يسمى ذلك السيف العَوْن، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبشره الرسول ﷺ أنه يدخل الجنة بغير حساب ، وقتل في قتال أهل الردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنة ١١هـ وقيل ١٢هـ ، انظر: أُسد الغابة (٤ / ٧٤ – ٧٥) ترجمة رقم / ٣٧٣٢ ، سير أعلام النبلاء (١ / ٣٠٧ ، ٣٠٨) ، الأعلام / للزركلي (٤ / ٢٤٤) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الطب ، باب من لم يَرْقِ (٧ / ١٧٤) ح ٥٧٥٢ ، وكتاب اللباس ، باب البُرودِ والحَبِرة والشملة (٧ / ١٨٩) ح٥٨١١ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١ / ١٩٩) ح٢٢٠ ، وكذلك ١ / ١٩٧) ح٢١٦ ، ٢١٨ . من حديث ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما عند البخاري ، ومن حديث أبي هريرة وعمران بن حصين عند مسلم .

(٣) رواه البخاري : كتاب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٢ / ١٣٤) ح ١٠١٠ .

الاستسقاء بدعاء العباس على طريقة معهودة في الشرع،وهي أن يخرج من يستسقى به إلى المصلى ، فيستسقي ويستقبل القبلة داعياً ، ويحول رداءه ،ويصلي ركعتين، أو نحوه من هيئات الاستسقاء التي وردت في الصحاح، والدليل عليه قول عمر رضي الله عنه : « **اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا** »[(١)] .

ففي هذا القول دلالة واضحة على أن التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبي ﷺ ، والتوسل بالنبي ﷺلم يكن إلا بأن يخرج ، ويستقبل القبلة ، ويحوّل رداءه ، ويصلي ركعتين أو نحوه من الهيئات الثابتة في الاستسقاء ،ولم يرد في حديث ضعيف فضلاً عن الحسن ، والصحيح أن الناس طلبوا السقياء من الله في حياته ﷺ متوسلين به من غير أن يفعل ما يفعل في الاستسقاء المشروع من طلب السقياء والدعاء ، والصلاة وغيرهما مما ثبت بالأحاديث الصحيحة[(٢)] .

وجاء عن النبي ﷺ قوله : « **دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخيرٍ قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل** »[(٣)] .

فهذه أنواع ثلاثة للتوسل المشروع ، فمنها ماهو واجب كالتوسل بالأسماء والصفات والإيمان به وبرسوله ﷺ والتوسل بتوحيده ، ومنها ما هو مستحب ، كالتوسل بالأعمال الصالحة أو دعاء الصالحين .

فيجب على العبد المسلم عند الشدائد وغيرها أن يتوسل إلى الله ـ عز وجل ـ بالوسائل المشروعة لا بغيرها .

---

(١) سبق تخريجه ، ص ٢٦ .

(٢) الصواعق المرسلة الشهابية على الشُبه الداحضة الشامية / للعلامة : سليمان بن سحمان النجدي الحنبلي ـ تحقيق / عبدالسلام بن برجس (ص٢٧٠ ، ٢٧١) دار العاصمة ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤٠٩هـ) .

(٣) رواه مسلم:كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٤ / ٢٠٩٤) ح ٢٧٣٣ ، وأحمد في مسنده (٥ / ١٩٥) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم .

القسم الثاني : التوسل الممنوع :

وهو التقرب إلى الله بما لايحبه ولا يرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات ، وهو أن يكون التوسل بوسيلة لم يات بها الشرع ، وهو نوعان :

الأول : أن يكون بوسيلة أبطلها الشرع ، كتوسل المشركين بآلهتهم وبطلان هذا ظاهر .

الثاني:أن يكون التوسل بوسيلة سكت عنها الشرع وهي متعلقة بالله فهذا محرم، أما إذا كانت متعلقة بمصالح العباد فليس من هذا،لأنها من باب المعاملات التي الأصل فيها الإباحة، والمقصود منها مصالح العباد :أي المصلحة المعقولة المعنى في الأمور الدنيوية،وليس المجال في الكلام عليها هنا،لأن التوسل الذي نحن بصدده في الأمور العبادية التي لا يكون للإنسان فيها مجال إلا حسب تحديد الشرع وذكره لها، وهو أنواع:

[١] توسل بالأموات :

وهذا التوسل ممنوع وهو من المحظورات الشرعية لأنه موصل إلى الشرك بالله بل قد يكون شركاً بالله عز وجل ، لأن الميت لا يقدر أن يفعل لنفسه شيئًا ولا يفيدها فمن باب أولى لا يقدر على منفعة غيره .

ولذا نجد أن الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ لم يتوسلوا به عند الشدة والضيق وإنما توسلوا بدعاء الأحياء .

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: « .. فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين ، بل عمر بن الخطاب ومعاوية(١) بن أبي سفيان ومن بحضرتهما من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان ، لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان

---

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن امية القرشي الأموي ، امير المؤمنين ، ولد قبل البعثة بخمس سنين ، من كُتّاب الوحي ، كان فصيحاً حليماً وقوراً ، ولاه عمر الشام بعد اخيه يزيد ، وبقي على ذلك خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما حتى آلت إليه الخلافة عام الجماعة ، مات سنة ٦٠هـ ، وهو ابن ٨٢ سنة ، وقيل ٧٧ سنة ، انظر : الإصابة (٣/٤٣٣-٤٣٤) ترجمة رقم / ٨٠٦٨ ، أسد الغابة (٥/٢٢٠-٢٢٤) ترجمة رقم /٤٩٧٧ ، سير أعلام النبلاء (٣/١١٩ وما بعدها.) ، تقريب التهذيب (٢/١٩٥) رقم ٦٧٨٢ .

حياً كالعباس، وكيزيد بن الأسود [١] ، ولم يتوسلوا ، ولم يستشفعوا ، ولم يستسقوا في هذه الحال بالنبي ﷺ لا عند قبره ولا غير قبره ، بل عدلوا إلى البدل كالعباس ، وكيزيد ، بل كانوا يصلّون عليه في دعائهم ، وقد قال عمر : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا » [٢] » [٣] .

٢- التوسل بجاه النبي ﷺ أو بجاه غيره :

فيعتبر من التوسل الممنوع الذي لا يجوز شرعاً لأن الأصل في العبادات التوقف على ما جاء في الشرع ، ولا تثبت إلا بدليل صحيح .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ : « وروى بعض الجهال عن النبي ﷺ أنه قال : " **إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي ، فإن جاهي عند الله عظيم** " وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث . . . » [٤] .

فالتوسل بجاهه ليس له أصل في كتاب الله ولا سُنَّته ﷺ ولم يعمله الصحابة ، ولو كان التوسل بجاه أحد بعد موته ﷺ جائزاً لكان التوسل به أولى ولعمله الصحابة والتابعون من بعدهم .

٣- التوسل بذات المخلوق :

يعتبر توسلاً ممنوعًا لا يجوز شرعاً فقد قال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ: « فأما التوسل بذاته ﷺ في حضوره أو مغيبه أو بعد موته ـ مثل الإقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم ـ فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين » [٥] .

---

(١) هو يزيد بن الأسود الجرشي أبو الأسود ، ذكره بعضهم من الصحابة ، ولا يثبت ذلك ، وهو في عداد الشاميين ، من العبّاد، وكان أدرك الجاهلية والإسلام ، قحط المسلمون في زمن معاوية فخرج معاوية يستسقي به، انظر: الإصابة (٣ / ٦٧٣) ترجمة رقم/٩٣٩٣ ، أسد الغابة (٥ / ٤٩١-٤٩٢) ترجمة رقم/٥٥١٧ ، سير أعلام النبلاء (٤ /١٣٦-١٣٧) .

(٢) سبق تخريجه ، ص ٢٦ .

(٣) مجموع الفتاوى (١ / ٣١٨ - ٣١٩) .

(٤) مجموع الفتاوى (١/٣١٩) .

(٥) المصدر السابق (١/٣١٨) .

« وكذلك عَلِمَ الصحابة أن التوسل به إنما هو التوسل بالإيمان به وبطاعته ، ومحبته ، وموالاته ، أو التوسل بدعائه وشفاعته ، فلهذا لم يكونوا يتوسلون بذاته مجردة عن هذا وهذا ، فلما لم يفعل الصحابة - رضوان الله عليهم - شيئاً من ذلك ، ولا دعوا بمثل هذه الأدعية ـ وهم أعلم منا وأعلم بما يحب الله ورسوله ،وأعلم بما أمر الله به ورسوله من الأدعية ، وما هو أقرب إلى الإجابة منا ، بل توسلوا بالعباس وغيره ممن ليس مثل النبي ﷺ ـ دل عدولهم عن التوسل بالأفضل إلى التوسل بالمفضول أن التوسل المشروع بالأفضل لم يكن ممكناً » (١) .

وقال - رحمه الله - : « وإن كان سؤالاً بمجرد ذات الأنبياء والصالحين فهذا غير مشروع ، وقد نهى عنه غير واحد من العلماء وقالوا إنه لا يجوز » (٢) .

فهذه الأنواع من التوسل كالتوسل بذوات المخلوقين ، أو بجاههم فيما لا يقدر عليه إلا الله ـ عز وجل ـ وسواءً كانوا أحياءً أم أمواتاً ، وسواءً كانوا أنبياء أم صالحين أم كانوا من عامة المؤمنين فهو توسل بدْعي وقد يصل إلى حد الشرك بالله عز وجل ، فهذه توسلات غير جائزة ولا مشروعة، لأنه لم يرد فيها دليل تقوم به الحجة .

ولا يجوز للمسلم أن يتقرب إلى الله ويتوسل إليه بغير ما شرعه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٣٢١- ٣٢٢).
(٢) مجموع الفتاوى (١ / ٣٣٧) .

المطلب الثالث

الاستغاثة لغةً وشرعاً

أولاً : الاستغاثة لغةً :

مأخوذة من الغوث ، أي أجاب الله غوثاه وغُواثَه وغَواثَه ، وحكى ابن الأعرابي : أجاب الله غِياثَه . والغُّواث بالضم : الإغاثةُ .

وغَوَّث الرجلُ ، واستَغاثَ : صاح واغوثاه .

وفي الحديث : اللهم أغثْنا ، بالهمزة ، من الإغاثة .

واستغاثني فلانٌ فأغثْتُه .

وتقول : ضُرِبَ فلانٌ فَغَوَّث تغْويثاً إذا قال : واغوْثاه .

وقال ابن سيده : وغوَّث الرجل واستغاث : صاح واغوثاه .

ويقول الواقع في بليَّة : أغثني أي فرِّج عنِّي .

ويقال : استغثتُ فلاناً ، فما كان لي عنده مغوثه ولا غَوْث ، أي إغاثه .

والسؤال منه : غِثنا ، ومن الإغاثه ، بمعنى الإعانة : أغثْنا (١) .

وأكثر ما يقال :(غياث المستغيثين)، ومعناه المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم ، وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين :(اللهم أغثنا اللهم أغثنا) (٢) .

ويقال : (أغاثه إغاثة وغياثاً وغوثاً) .

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٢ / ١٧٤) مادة (غوث) بتصرف . والنهاية في غريب الحديث والأثر ـ لابن الأثير (٣ / ٣٩٢) ، باب الغين مع الواو .

(٢) رواه البخاري : كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة (٢/ ٣٥) ح / ١٠١٤ ، ومسلم: كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء (٢ / ٦١٣) ح ٨٩٧ من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه .

وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب ، قال تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال : ٩] . إلا أن الإغاثة أحق بالأفعال ، والاستجابة أحق بالأقوال ، وقد يقع كل منهما موقع الآخر (١) .

ثانياً : الاستغاثة شرعــاً :

(هي عبارة عن طلب الغوث والاستنجاد والإنقاذ من الشدة والهلاك) .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - :

« الاستغاثه : هي طلب الإغاثه والتخليص من الكربة والشدة » (٢) .

وقال الإمام الشوكاني - رحمه الله - :

« الاستغاثة : هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار وهو طلب النصر » (٣) .

وقال ابن العربي (٤) رحمه الله « عند قول الله تعالى : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص : ١٥] ، أي طلب غوثه ونصرته ، ولذلك قال في الآية بعدها ﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ [القصص : ١٨] ، وإنما أغاثه لأن نصر المظلوم دِينٌ في الملل كلها ، وفرضٌ في جميع الشرائع » (٥) .

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيميه (١ / ٤٨٤) دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون.

(٢) الاستغاثة في الرد على البكرى (ص٨٨) ـ الدار العلمية ـ دلهي ـ الهند ـ ط بدون .

(٣) الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية (كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٣) .

(٤) هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي المعافري الأشبيلي المالكي الفقيه ، المحدّث المفسر ، الأديب ، المؤرخ ، المتكلم ، الحافظ ، القاضي ، برع في فنون عديدة وكان فصيحاً ثاقب الذهن ، ولد سنة ٤٦٨هـ في أشبيلية ، ومات بقرب فاس ، ودفن بها عام ٥٤٣هـ . له مؤلفات عديدة ، منها : (الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، الوصول إلى معرفة الأصول ، أحكام القرآن ، الأحكام الصغرى) وغيرها . انظر : : تذكر الحفاظ / للذهبي (٤ / ١٢٩٤) ، طبقات الحفاظ / للسيوطي (ص٤٦٨) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٢٠ / ١٩٧ وما بعدها) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٤ / ١٤١) المجلد الثاني ، الأعلام للزركلي (٦ / ٢٣٠) .

(٥) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ـ تحقيق علي محمد البجاوي (٣ / ١٤٦٥) دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

وفي الدعاء المأثور عن النبي ﷺ : « **ياحي ياقيوم ، لا إله إلا أنت ، برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، ولا إلى أحد من خلقك** »(١) .

والنبي ﷺ كان في حياته يستغاث به فيطلب منه أن ينصر المظلوم،ويطعم الجائع، ويسقي الظمآن ،ويخلص الأسرى ، ويقضي الدين عن المدين ونحو ذلك .

ومعلوم أن نبينا ﷺ أفضل الناس عملاً ، وأعظمهم حرصاً على البر والتقوى ، بل كل خير أرشد به ودل عليه فله مثل أجر كل عامل خير من أمته فإنه هو الذي دعا إلى ذلك ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً** » (٢) .

واستغاثة الصحابة به في القحط ، إنما استغاثوا به ليدعو لهم كما يستغيث الناس به يوم القيامة ليشفع لهم .

---

(١) رواه الترمذي في سننه : كتاب الدعوات ، باب ٩٢(٥ / ٥٠٤)ح٣٥٣٤ ، وقال هذا حديث غريب وقد روي هذا الحديث عن أنس من غير وجه ، ومجمع الزوائد (١٠ / ١٨٠) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) ، مشكاة المصابيح / للتبريزي (٢ / ٧٥٨) برقم / ٢٤٥٤ .

(٢) رواه مسلم : كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة (٤ / ٢٠٦٠) ، ح٢٦٧٤ ، وأبو داود : كتاب السُّنَّة ، باب لزوم السُّنَّة (٥ / ١٦) ح ٤٦٠٩ ، والترمذي : كتاب العلم ، باب ما جاء فيمن دعاء إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة (٥ / ٤٢) ح٢٦٧٤ .

المطلب الرابع

الاستغاثة المثبتة في الكتاب والسُنّة والمنهي عنها

إن دين الإسلام مبني على أصلين عظيمين :

أحدهما: أن لا يعبد إلا الله وحده.

والثاني : أن لا يعبد إلا بشريعة نبيه ورسوله محمد ﷺ، وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن دعا الأموات من الأنبياء وغيرهم أو دعا الأصنام أو الأشجار أو الأحجار أو غير ذلك من المخلوقات أو استغاث بهم أو تقرب إليهم بالذبائح والنذر أو صلّى لهم أو سجد لهم فقد اتخذهم أرباباً من دون الله وجعلهم أنداداً له سبحانه وهذا يناقض هذا الأصل وينافي معنى لا إله إلا الله ،كما أن من ابتدع في الدين مالم يأذن به الله لم يحقق معني شهادة أن محمداً رسول الله وقد قال الله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان :٢٣] .

والاستغاثة مبناها على الكتاب والسُّنّة ، فليست كل استغاثة حرام فهي تنقسم إلى قسمين هما :

القسم الأول : الاستغاثة المثبتة المشروعة وهي :

عبارة عن استغاثة بما يحبه الله ـ عز وجل ـ ويرضاه ، وهي تكون موافقة لما جاء به الشرع ، وهي أنواع :

الأول : الاستغاثة بالله ـ عز وجل ـ وهي الاستغاثة المأمور بها في الشرع،فلا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله سبحانه ، وكل غوث فهو من عنده سبحانه وتعالى ، وقد أخبر عن المؤمنين في استغاثتهم إياه يوم بدر بقوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنفال:٩] .

وكان ذلك حين نظر النبي ﷺ إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول: « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام

لا تعبد في الأرض » (١) .

وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبه فأخذ أبو بكر (٢) رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه ،وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله هذه الآية) (٣) .

وقد أمر الله تعالى عباده أن يدعوه ويستغيثوه ، فهو تعالى غياث المستغيثين المدرك لعباده في الشدائد ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر : ٦٠] ، (ويقصد بعبادتي : أي دعائي) (٤) .

الثاني : الاستغاثة بالنبي ﷺ أو بغيره فيما يدخل تحت مقدرتهم فهذا من الاستغاثة الجائزة شرعاً من ذلك استغاثة خزاعه حين قاتلتهما بنو بكر وأعانتهم على ذلك قريش بقولهم :

يارب إني ناشد محمداً . حلف أبينا وأبيه الأتلد...

واستغاثة أبي جندل وأبي بصير ، واستغاثة قريش بالرسول ﷺ من أبي بصير ومن معه ، ومن هذا النوع ما وردت به النصوص من الاستغاثة بالنبي ﷺ يوم القيامة ، وسنذكرها في مكانها إن شاء الله تعالى .

ومنها ما ذكره الله تعالى في قصة موسى عليه السلام بقوله : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ

---

(١) رواه مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، وإباحة الغنائم (٣ / ١٣٨٤) ح١٧٦٣ ، وأحمد في مسنده (١ / ٣٠ ، ٣٢) ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن أبي قحافة ، أبو بكر الصديق أفضل الأمة ، أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال ، ولد ونشأ بمكة وكان سيداً من سادات قريش ، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياساتها ، ثم كانت له في عصر النبوة مواقف عظيمة وكبيرة ، وقمع أهل الردة، وجمع القرآن الكريم ، دامت خلافته سنتين وثلاثة أشهر ، توفي سنة ١٣هـ وله ٦٣ سنة . انظر: أسد الغابة / لابن الأثير (٣ / ٣١٥-٣٤١) ، ترجمة رقم ٣٠٦١ / ، تاريخ الخلفاء / للسيوطي (ص٣٥-١٢١) ، تذكرة الحفاظ / للذهبي (١ / ٢-٤) ، تقريب التهذيب / لابن حجر (١ / ٥١٣) برقم / ٣٤٧٨ .

(٣) جامع البيان في تاويل القرآن ـ لابن جرير (٦ / ١٨٨) .

(٤) جامع البيان في تاويل القرآن (١١ / ٧٣) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥ / ٣٢٧) .

عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [القصص : ٦٠] ، فهذه الاستغاثة فيما يقدر عليه موسى عليه السلام وهذا لا ينافي كمال التوحيد ، فهي تعتبر من الأمور الحسية التي يقدر عليها الحي المستغاثُ به الحاضر فليس ذلك من الشرك، بل ذلك من الأمور العادية الجائزة بين المسلمين ، (وكما يستغيث بأصحابه في الحرب وغيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق) (١) .

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - : « ولا خلاف أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور. . . .مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجراً أو يحول بينه وبين عدوه الكافر، أو يدفع عنه سبعاً صائلاً أو لصاً أو نحو ذلك » (٢) .

وهذه من الأمور التي تعرض للناس ويحتاجون فيها إلى أن يستعين بعضهم ببعض.

القسم الثاني : الاستغاثة المنفية الممنوعة :

وهي عبارة عن استغاثة بما لا يحبه الله - عز وجل - ولا يرضاه، وليست موافقة لما جاء به الشرع ، وهي أنواع :

الأول : الاستغاثة بالنبي ﷺ أو الرجل الصالح في حال حياتهما وحضورهما فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى ، مثل غفران الذنوب وهداية القلوب ، وشفاء المرضى، والرزق والنصر،على الأعداء وغير ذلك فيما لا يقدر عليه إلا الله - عز وجل - فهذه استغاثة منفية ممنوعة ، وتعتبر من الشرك الأكبر الذي يُخرج من الملة ، والله - عز وجل - يقول في كتابه الكريم : ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ** (٦٢) ﴾ [النمل : ٦٢] .

قال ابن جرير - رحمه الله - : « أم ما تُشركون بالله خير ، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء النازل به عنه » (٣) .

---

(١) مجموعة التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب النجدي ـ تحقيق / بشير محمد عيون (١ / ١١٢) مكتبة المؤيد ـ الرياض ـ السعودية ـ ط (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) .

(٢) كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ضمن الرسائل السلفية) (ص٣) .

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (١٠ / ٦) .

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - : « وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستغاث فيه إلا به كغفران الذنوب والهداية وانزال المطر والرزق ونحو ذلك ، كما قال الله تعالى : ﴿ **وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾ [القصص : ٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** ﴾ [فاطر : ٣] »(١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « فأما مالا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فلا يجوز أن يطلب إلا من الله سبحانه، لا يطلب ذلك لا من الملائكة ولا من الأنبياء، ولا من غيرهم، ولا يجوز أن يقال لغير الله : اغفر لي ، واسقنا الغيث ، وانصرنا على القوم الكافرين ، أو أهد قلوبنا ، ونحو ذلك »(٢) .

وقول النبي ﷺ : « **إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله** »(٣) .

(فاستغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق.. وكاستغاثة المسجون بالمسجون)(٤) .

الثاني : الاستغاثة بالميت سواء كان نبياً أو غيره :

فأما النبي ﷺ بعد موته ، فلم يرد دليل على الاستغاثة به من قبل الصحابة أو التابعين ، (فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف دعاؤه نفسه)(٥) .

---

(١) كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ضمن الرسائل السلفية) (ص ٣) .
(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٣٢٩) .
(٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (١٠/ ٣٧٣) ح ٢٩٨٦٢ ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط بدون ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م) ، الطبراني عن عبادة بن الصامت ﷺ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٥٩) رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيحين غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث. أ.هـ. ، وأحمد في مسنده (٥ / ٣١٧) بلفظ (لا يقام لي إنما يقام لله تبارك وتعالى) من حديث أبي بكر ﷺ .
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١ / ٣٣٠) ـ بزيادة يسيرة .
(٥) مجموعة التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب رحمه الله (١ / ١١٢) .

وأما غيره كما يعتقد بعض غلاة الصوفية المنحرفة في شيوخهم أن لهم تصرفاً في الكون بعد الممات أو حكايات مكذوبة لسدنة القبور ليأكلوا بها أموال الناس بالباطل ، فهذا يعتبر من الشرك بالله ـ عز وجل ـ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « فإن دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم وفي مغيبهم وسؤالهم والاستغاثة بهم في هذه الحال ونصب تماثيلهم ـ بمعنى طلب الشفاعة منهم ـ هو من الدين الذي لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولاً ولا أنزل به كتاباً ، وليس هو واجباً ولا مستحباً باتفاق المسلمين ، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين » (١) .

وقال رحمه الله تعالى : « فإنه لا يمكن أحد أن يقول إن النبي ﷺ شرع لأمته أن يستغيثوا بميت لا نبي ولا غيره ، لا في جلب منفعة ولادفع مضرة ، لا بهذا اللفظ ولا معناه » (٢) .

وقد أنزل الله النهي عن دعوة الأنبياء والصالحين والملائكة فقال سبحانه : ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً** ﴾[الإسراء : ٥٦] .

والآيات بعدها نزلت فيمن يدعو المسيح وأمه والعزير والملائكة ، في قول أكثر المفسرين من السلف ، وعلى هذا فتعتبر الاستغاثة بالميت منفية مطلقاً وعلى كل حالٍ وفي كل شيء .

قال ابن القيم (١) ـ رحمه الله ـ : عند كلامه عن الشرك الأكبر ومن أنواعه :

✿ « طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١٥٩) .

(٢) كتاب الاستغاثة في الرد على البكري ـ تحقيق/عبد الله بن دجين السّهيلي (١ /٤٠٧) ، دار الوطن ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م .

(٣) هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي ، الفقيه الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية ، المولود عام ٦٩١هـ في دمشق ، المجتهد المفسر ، النحوي الأصولي ، تتلمذ على يد شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مدة طويلة ، وسمع من الشهاب النابلسي ، وإسماعيل بن مكتوم ، قال عنه ابن رجب (كان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة .. لم أشاهد مثله في ذلك ، ولا رأيت أوسع منه علماً ..) وقد امتحن وأوذي مرات ، وحُبس كذلك .. توفي عام ٧٥١هـ في دمشق ألف

العالم ، فإن الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، فضلاً عمن استغاث به ، وساله قضاء حاجته ، أو ساله أن يشفع له إلى الله فيها ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده »[1] .

الثالث : الاستغاثة بالنبي ﷺ والرجل الصالح في حال غيبتهما:

وهذا أيضاً لا يجوز فيعتبر من الاستغاثة الممنوعة، فإن الغايب لا يسمع الاستغاثة ولا يعلم الغيب، ولذا يقول الله ـ عز وجل ـ عن نبينا محمد ﷺ يقول : ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

فمن استغاث بمن لا يعلم الغيب استغاثة في حال غيبته فقد وقع في الشرك بالله ـ عز وجل ـ أو أقل ما يحكم عليه بأن هذا النوع من الاستغاثة شرك بالله ـ عز وجل ـ .

الرابع : الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية :

مثل : أن يستغيث الغريق برجل مشلول ، فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العلّة ، ولعلّة أخرى وهي : أن الغريق ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « لا يجوز ذلك " أي الاستغاثة " من ميت ولا غائب ولا من حي حاضر ، إلا فيما يقدر عليه خاصة »[3] .

= كثيراً من الكتب التي تربو على خمسين مؤلفاً ، منها : (إعلام الموقعيْن ، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، وزاد المعاد ، وأحكام أهل الذمة ، وتهذيب سنن أبي داوود) وغيرها . انظر: : الدرر الكامنة / لابن حجر (٣/ ٤٠٠-٤٠٢) ، دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج / ١٦٨ - ١٧١) المجلد الثالث ، البداية والنهاية / لابن كثير (ج ١٤/ ٢٤٦) المجلد السابع ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨) .

(١) مدارج السالكين ـ تحقيق/ محمد حامد الفقي (١ / ٣٤٦) ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) .

(٢) شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين رحمه الله تعالى (ص٦٦) ـ دار التراث للنشر والتوزيع .

(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة / لابن تيمية (ص٣٧) دار أطلس للنشر والتوزيع ـ ط بدون (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) .

المطلب الخامس

الفرق والعلاقة بين الشفاعة والتوسل والاستغاثة

نجد من خلال ما سبق من معاني كلٍ من (الشفاعة ، والتوسل ، والاستغاثة) ، أن العلاقة بينها تكون في الدعاء والسؤال .

فالشفاعة عبارة عن طلب لدرء المفاسد وجلب المصالح للعبد ، وهي شاملة للسؤال من الشافع في الشفاعة .

ولكن نجد أن الاستغاثة والتوسل مع شمولهما للسؤال ، أن التوسل أعم من الاستغاثة ، ففي الاستغاثة لا يقال : استغثت إليك بفلان يا فلان أن يفعل بي كذا وإنما يقال : استغثت بفلان أن يفعل بي كذا ، وفي التوسل يقال ذلك .

كما أن من سأل بشيء أو توسل به لا يكون مخاطباً له ولا مستغيثاً به ، لأن قول السائل المتوسل أتوسل إليك يا إلهي بفلان إنّما هو خطاب لله ، لا لذلك المتوسل به ، بخلاف المستغاث به فإنه مخاطب مسئول منه الغوث .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: في رده على من فسر الاستغاثة بالتوسل: « أن يقال هذا الرجل فسر الاستغاثة بالتوسل بقوله : أن كل من توسل إلى الله بنبيه في تفريج كربة فقد استغاث به سواء كانت بلفظ الاستغاثة والتوسل أو غيره .

وقال : قول القائل أتوسل إليك برسولك واستغيث برسولك عندك أن تغفر لي استغاث بالرسول حقيقة في لغة جميع الأمة .

وهذا الكلام وإن كان باطلاً كما تقدم فالمقصود هنا أنه جعل الذي يسأل الله به مستغيثاً به،وهنا قد جعل الاستغاثة بسؤاله، فقد جعل المستغيث به مستغيثاً بالله، فالمعنى لايصح إذا أريد به:السؤال به فإن الله تعالى هو مسئول لا مسئول به، وحينئذ فما قال في الاستغاثة به يناقض ما تقدم إلا أن يجعل الاستغاثة تعم النوعين فيلزمه أن يجعل كل من سأل النبي ﷺ شيئاً فإنما سأل الله ، ويلزمه ذلك من غيره ،

وحينئذ فيسأل المخلوق كما يسأل الخالق،وهذا لا يقوله عاقل فضلاً عن مسلم»[١] .

ونستخلص مما تقدم : أن الشفاعة والتوسل والاستغاثة ، يجتمعن في أن كل واحد منها فيه التوجه إلى الغير بالدعاء ، والمسألة .

بينما الشفاعة والتوسل يفارقان الاستغاثة في العموم والخصوص ، فنجد أن التوسل والشفاعة أعم من الاستغاثة كون التوسط بين المتوسل والمتوسل إليه والمستشفع موجودة وهو المتوسل به والمستشفع به .

وبينما الاستغاثة أخص من التوسل والشفاعة لأنه لا يوجد بين المستغيث والمستغاث به أحد فيتصل المستغيث بالمستغاث به مباشرة .

فالتوسل والشفاعة يكون كل منهما بواسطة وبغير واسطة ، بينما لا تكون الاستغاثة إلا بدون واسطة .

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيمية (ص١٩١) .

المبحث الثالث

الشفاعة في أمــور الدنيا

المراد بهذه الشفاعة هي : (التوسط لدى أصحاب الجاه والسلطان ونحوهم من أصحاب الحقوق ، والسعي إليهم لقضاء حوائج الآخرين بإعطائهم حقوقهم وحاجاتهم، أو درء مظلمة عنهم ، فهي عبارة عن السعي في حق أحد الناس بالخير .

ولا شك أن الشفاعة عند الله ـ عز وجل ـ ليست كالشفاعة عند البشر في الدنيا ، فنجد من أعظم الفروق أن الشفاعة عند البشر قد تحصل بدون إذن المشفوع إليه ، أو بدون رضاه عن المشفوع له ، وذلك لأي سبب من الأسباب ، والتي تدل على تأثير المخلوق في المخلوق ، بخلاف الشفاعة عند الله تبارك وتعالى ، فلا تحصل إلا بعد إذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له ، فإن الله تعالى بيده كل شيء ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا يؤثر فيه شيء من مخلوقاته سبحانه وتعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ موضحاً ذلك : « وإذا كان الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، فما بقي الشفعاء شركاء ، كشفاعة المخلوق عند المخلوق ، فإن المخلوق يشفع عند نظيره ، أو من هو أعلى منه، أو دونه ، بدون إذن المشفوع إليه، ويقبل المشفوع إليه ولا بد شفاعته :إما لرغبته إليه، أو فيما عنده من قوة أو سبب ينفعه به أو يدفع عنه ما يخشاه ، وإما لرهبته منه ، وإما لمحبته إياه ، وإما للمعاوضة بينهما والمعاونة ، وإما لغير ذلك من الأسباب .

وتكون شفاعة الشفيع هي التي حركت إرادة المشفوع إليه ، وجعلته مريداً للشفاعة بعد أن لم يكن مريداً لها ، كأمر الآمر الذي يؤثر في المأمور ، فيفعل ما أمره به بعد أن لم يكن مريداً لفعله » (١) .

ونجد أن البشر يحتاجون إلى الشفاعة فيما بينهم في أمور الدنيا وذلك لجهلهم

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤ / ٣٨١) .

أحوال الناس وهذه الشفاعة على نوعين : شفاعة مباحة وشفاعة محرمة .

قال الإمام النووي[١] **- رحمه الله - في بيان ذلك :** « اعلم أنه تستحب الشفاعة إلى ولاة الأمر وغيرهم من أصحاب الحقوق والمستوفين لها مالم تكن شفاعةً في حدٍ أو شفاعةً في أمر لا يجوز تركه، كالشفاعة إلى ناظر على طفل أو مجنون أو وقف أو نحو ذلك ، في ترك بعض الحقوق التي في ولايته ، فهذه كلها شفاعة محرَّمة يحرم على الشافع ويحرم على المشفوع إليه قبولها، ويحرم على غيرهما السعي فيها إذا علمها .

ودلائل جميع ما ذكرته ظاهرة في الكتاب والسُنَّة وأقوال علماء الأمة ، قال الله تعالى : ﴿ **مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا** ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء : ٨٥] »[٢] .

قال ابن القيم - رحمه الله -: « وكل من أعان غيره على أمرٍ بقوله أو فعله فقد صار شفيعاً له ، والشفاعة للمشفوع له هذا أصلها ، فإن الشافع يشفع صاحب الحاجة فيصير له شفْعاً في قضائها لعجزه عن الاستقلال بها ، فدخل في حكم هذه الآية كل متعاونين على خيرٍ أو شرٍ بقولٍ أو عمل »[٣] . وهذا التعريف شامل لنوعي الشفاعة المباحة والمحرمة كما سنوضح ذلك في المطلبين الآتيين .

---

(١) هو أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحازمي الحوراني النووي الشافعي ، الحافظ الزاهد أحد أعلام الأمة . ولد سنة ٦٣١هـ في نوى (من قرا حوران بسوريا) وإليها نسبته ، كان علاّمة بالفقه والحديث ، توفي سنة ٦٧٦هـ في قريته نوى ، له مصنفات كثيرة من أشهرها : (شرح صحيح مسلم ، والمجموع شرح المهذب ، رياض الصالحين ، الأذكار) وغير ذلك . انظر : شذرات الذهب / لابن العماد (٥ / ٣٥٤ - ٣٥٦) ، البداية والنهاية / لابن كثير(١ / ٢٩٤)، المجلد السابع ، النجوم الزاهرة / ليوسف تغري الأتابكي (٧ / ٢٧٨) ـ طبعة مصورة عن مطبعة دارا لكتب ـ وزارة الثقافة ـ مصر ط بدون ، الأعلام / للزركلي (٨ / ١٤٩) .

(٢) الأذكار للإمام النووي ـ تحقيق / عبدالقادر الأرنؤوط (ص ٤٦٨ - ٤٦٩) ، دار الهدى ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثالثة (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) .

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين / لابن القيم (ص٣٧٥) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

المطلب الأول

الشفاعة المباحة (المشروعة)

الشفاعة المباحة هي الشفاعة لدى الآخرين من أجل تخليص الحقوق أو درء المظالم ، أو نحو ذلك من حاجات الناس المباحة .

وقد جاءت السُنَّة المطهرة ببيان ما يحل من الشفاعة وما يحرم ، وقد فعل ذلك النبي ﷺ فقد طلب الصحابة منه ﷺ الدعاء فدعا لهم وحصل بدعوته بركة ومنفعة في الحياة الدنيا ، وكذلك شفاعته ﷺ عند بريره ، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن زوج بريره كان عبداً يقال له : مُغيثٌ ، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي ﷺ لعباس : « يا عباس : ألا تعجبُ من حب مُغيثٍ بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثاً ؟، فقال النبي ﷺ : " **لو راجَعْتِه** " ، قالت: يا رسول الله ، تأمرني ؟ قال:" **إنما أنا أشفع** " قالت : لا حاجة لي فيه »[١] .

وكذلك أمره ﷺ بذلك كما دلت الأحاديث الصحيحة منها :

عن أبي موسى الأشعري[٢] رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال :« **اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيّه ما أحب** »[٣] .

قال الإمام النووي - رحمه الله - : « فيه استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج

(١) رواه البخاري : كتاب الطلاق ، باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة (٧ / ٦٢) ح / ٥٢٨٣ ، وأبو داود: كتاب الطلاق ، باب في المملوكة تعتق وهي تحت حر او عبد (٢ / ٦٧٠) ح / ٢٢٣١ .

(٢) عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضّار ، أبو موسى الأشعري ، مشهور باسمه وكنيته معاً ، قدم المدينة بعد خيبر ، من كبار الصحابة وفقهائهم ، كان حسن الصوت بالقرآنِ حتى قال الرسول عليه الصلاة والسلام عنه (لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل دواد) وهو احد الحكمين بين علي ومعاوية رضي الله عنهم ، مات سنة ٤٢ هـ ، وعمره ٦٣ عاماً ، انظر: الإصابة (٢/ ٢٥٩-٢٦٠) (ترجمة رقم ٤٨٩٨) ، أسد الغابة (٣/ ٣٧٦ - ٣٧٧) ترجمة رقم ٣١٣٥ / ، سير اعلام النبلاء (٢ / ٣٨٠ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (١ / ٤٤١) رقم / ٣٥٥٣ .

(٣) رواه مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام(٤ / ٢٠٢٦) ح ٢٦٢٧ ، وأحمد في مسنده (٤ / ٤٠٠) .

المباحة سواءً كانت الشفاعة إلى سلطان ووالٍ ونحوهما أم إلى واحد من الناس وسواءً كانت الشفاعة إلى سلطان من ظلم أو إسقاط تعزير أو في تخليص عطاء لمحتاج أو نحو ذلك »[(١)] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجةٌ قال : « **اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء** »[(٢)] .

وصاحب الشفاعة الحسنة يثاب عليها حتى ولو لم تقبل شفاعته ، فقد بذل الشافع السبب ، وهو ما يستطيعه .

وقد روى ابن جرير الطبري عن الحسن البصري[(٣)] ـ رحمه الله ـ أنه قال : « من يُشفِّع شفاعة حسنة كان له فيها أجران ، ولأن الله يقول : ﴿ **مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا** ﴾ [النساء : ٨٥] ، ولم يقل " يشفَّع " »[(٤)] .

وكذلك ما ورد في معنى الحديث السابق : « اشفعوا يحصل لكم الأجر مطلقاً ، سواء قضيت الحاجة أو لا »[(٥)] .

وقال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لقول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ **مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا** ﴾ ، أي من يسعى في أمر فيترتب عليه خير كان له

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (ج١٦ / ١٧٧-١٧٨) المجلد السادس ـ دار الريان ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى ـ (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م) .

(٢) رواه البخاري كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة، والشفاعة فيها(٢ / ١٤٠)ح١٤٣٢، وأحمد في مسنده(٤ / ٤٠٩).

(٣) هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري بن أبي الحسن، تابعي ، مولى زيد بن ثابت ، وقيل غيره ، ولد بالمدينة عام ٢١هـ في زمن عمر بن الخطاب ، كان إمام أهل البصرة في زمانه وحبر الأمة ، وله مع الحجاج مواقف وقد سلم من اذاه ، مات بالبصرة سنة ١١٠هـ ، له : (التفسير ، وكتاب إلى عبد الملك بن مروان في الرد على القدرية) . انظر: طبقات المفسرين / للداودي (١ / ١٤٧) ، تذكرة الحفاظ / للذهبي (١ / ٧١) ، سير اعلام النبلاء / للذهبي ٤ /٥٦٣ وما بعدها) ، تقريب التهذيب / لابن حجر (١ / ٢٠٢) برقم / ١٢٣١ ، الاعلام / للزركلي (٢ / ٢٢٦) .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ((٤ / ١٨٨) .

(٥) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٣ / ٣٥٢) .

نصيب من ذلك .

وقال مجاهد بن جبر[١] : « نزلت هذه الآية في شفاعات الناس، بعضهم لبعض »[٢] .

---

(١) هو الإمام أبو الحجاج المكي مجاهد بن جبر ، شيخ القراء والمفسرين ، تابعي مفسر من أهل مكة مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ـ وقيل غيره ـ ولد عام ٢١هـ ، أشهر تلاميذ ابن عباس ، أخذ عنه القرآن والتفسير والفقه ، استقر في الكوفة ، توفي عام ١٠٣هـ ـ وقيل غير ذلك ـ وقد بلغ ٨٣ سنة ، يقال أنه مات وهو ساجد . انظر: : طبقات ابن سعد (٥ / ٤٦٦) ، سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٤٩ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي (٥ / ٢٧٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (١ / ٥٤٤) .

المطلب الثاني

الشفاعة المحرمة (غير مشروعة)

وهي عبارة عن الشفاعة في إبطال الحقوق ، أو إقرار الباطل أو تعطيل حد .

قال الإمام النووي - رحمه الله - في بيان ذلك : « .. وأما الشفاعة في الحدود فحرام ، وكذا الشفاعة في تتميم باطل أو إبطال حق ونحو ذلك فهي حرام »(١) .

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يُكلِّم فيها رسول الله ﷺ ومن يجترئُ عليه إلا أسامة حِبُّ رسول الله ﷺ ؟ فكلَّم رسول الله ﷺ فقال: **«أتشفعُ في حدٍّ من حدود الله ؟ ثم قام فخطبَ فقال : يا أيها الناس إنما ضلَّ من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرَقَ الشريفُ تركوه ،وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحدَّ ، وأيمُ اللهِ لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطعَ محمدٌ يدها»**(٢) .

قال ابن حجر (٣) - رحمه الله - : « وفي هذا الحديث من الفوائد منع الشفاعة في الحدود ، ففي الترجمة الدلالة على تقييد المنع بما إذا انتهى ذلك إلى أولى الأمر ،

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٦ / ١٧٨) المجلد السادس .

(٢) رواه البخاري: كتاب الحدود ، باب كراهية الشفاعة في الحدّ إذا رُفِعَ إلى السلطان(٨ /١٩٩) ح ٦٧٨٨ ، ومسلم : كتاب الحدود ، باب قطع يد السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود (٣ / ١٣١٥) ح١٦٨٨ ، واللفظ للبخاري .

(٣) هو الإمام الحافظ الشهير أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ابو الفضل ، أصله من عسقلان بفلسطين ، ومولده بالقاهرة سنة ٧٧٣هـ ، انفرد بمعرفة الحديث وعلله في الزمن المتاخر ، حفظ القرآن وهو ابن تسع ، وبعض متون العلم ، ورحل إلى بلدان كثيرة لطلب العلم ، أطلق عليه لفظ الحافظ ، ورحل الطلبة إليه ، وانتشرت مؤلفاته في حياته وهي كثيرة جداً منها ما كمل ومنها ما لم يكمل . توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢هـ ، من أشهر مصنفاته : (فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لسان الميزان ، تهذيب التهذيب ، بلوغ المرام من أدلة الأحكام) وغيرها . انظر: شذرات الذهب / لابن العماد (ح٧ / ٢٧٠) المجلد الرابع ، البدر الطالع / للشوكاني (١ / ٨٧ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي (١ / ١٧٨) ، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر / لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي ــ تحقيق: إبراهيم باجس عبدالمجيد ــ دار ابن حزم ــ بيروت ــ لبنان ــ ط الأولى(١٤١٩هـ – ١٩٩٩م) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع / شمس الدين السخاوي (ج٢ / ٣٦) المجلد الأول ــ دار الجيل ــ بيروت ــ لبنان ــ ط الأولى (١٤١٢هـ ١٩٩٢م) .

واختلف العلماء في ذلك فقال : أبو عمر بن عبدالبر لا أعلم خلافاً أن الشفاعة في ذوي الذنوب حسنة جميلة مالم تبلغ السلطان ، وأن على السلطان أن يقيمها إذا بلغته . وذكر الخطابي وغيره عن مالك أنه فرق بين من عُرِفَ بأذى الناس ومن لم يُعرف ، فقال : لا يشفع للأول مطلقاً سواء بلغ الإمام أم لا ، وأما من لم يعرف بذلك فلا بأس أن يُشفع له مالم يبلغ الإمام » [١] .

ففي هذا دلالة واضحة على منع الشفاعة في الحدود إذا بلغت ولي الأمر .

وقال ﷺ : « **اشفعوا في الحدود مالم تبلغ السلطان ، فإذا بلغت السلطان فلا تشفعوا** » [٢] .

قال الإمام النووي - رحمه الله - : « وقد أجمع العلماء على تحريم الشفاعة في الحد بعد بلوغه إلى الإمام لهذه الأحاديث وعلى أنه يحرم التشفيع فيه فأما قبل بلوغه إلى الإمام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس فإن كان؛ لم يشفع فيه وأما المعاصي التي لا حد فيها وواجبها التعزير فتجوز الشفاعة والتشفيع فيها سواء بلغت الإمام أم لا ، لأنها أهون ثم الشفاعة فيها مستحبة إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب أذى ونحوه » [٣] .

وقد ورد تهديدٌ من النبي ﷺ فيمن كانت شفاعته في حدٍ بلغ السلطان في أحاديث في الصحاح كما سبق ، وأحاديث في السنن وغيرها ، منها :

✿ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من حالت شفاعته دون حدٍ من حدود الله ـ عز وجل ـ فقد ضاد الله في أمره**» [٤] .

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢ / ٩٨) .

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى : كتاب الأشربة والحد فيها ، باب ما جاء في الشفاعة بالحدود (٨ / ٣٣٣) دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان ، ط (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) ، من حديث عروه بن الزبير رضي الله عنه .

(٣) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (١١ / ١٨٦) المجلد الرابع .

(٤) رواه أبو داود : كتاب الأقضية ، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها (٤ / ٢٣) ح٣٥٩٧ ، واحمد في مسنده(٢ / ٧٠) ،والبيهقي في السُنن الكبرى : كتاب الأشربة والحد فيها ، باب ما جاء في الشفاعة بالحدود(٨ / ٣٣٢)، والحاكم في المستدرك : كتاب البيوع(٢ / ٢٧) ح ٢٢٢٢ ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي ، والحديث صحيح : انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته / للالباني برقم ٦١٩٦ .

وعن عروة بن الزبير[١] قال : « شفع الزبير في سارق ، فقيل : حتى يبلغه الإمام ، فقال : إذا بلغ الإمام فلعن الله الشّافِعَ والمشَفَّعَ كما قال رسول الله ﷺ »[٢] .

وعن صفوان بن أميه رضي الله عنه[٣] قال : « كنت نائماً في المسجد على خميصة لي ثمن ثلاثين درهماً ، فجاء رجل فاختلسها مني ، فأُخذ الرجل ، فأُتى به إلى النبي ﷺ ، فامر به ليقطع قال : فأتيته ،فقلت : أتقطعه من أجل ثلاثين درهماً ، أنا أبيعه وأنسيه ثمنها ، قال : " فهّلا كان هذا قبل أن تأتيني به" »[٤] .

فهذه أدلة صريحة في عدم جواز الشفاعة في الحدود بعد بلوغ السلطان ، أو إبطال حقوق ، أو إقرار باطل وغيرها .

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، ولد سنة ثلاث وعشرين هجرية ، من كبار الطبقة الثانية من التابعين ، وكان فقيهاً عالماً عابداً ، ثقة كثير الحديث ، توفي سنة ٩٣هـ ، وقيل ٩٤هـ وعمره ٦٧ عاماً ، انظر:تهذيب التهذيب(٧ / ١٨٠–١٨٥)ترجمة رقم ٣٥١ / سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٢١ وما بعدها)، الأعلام للزركلي (٤ / ٢٢٦).

(٢) رواه الدار قطني في سننه (٣ / ٢٠٥) ح٣٦٤ ، دار المحاسن للطباعة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون ، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١٢/٩٠) .

(٣) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَع القرشي الجمحي، يكنى أبا وهب وقيل أبو أمية ، أسلم بعد فتح مكة ، كان من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، مات بمكة أيام قتل عثمان ، وقيل سنة ٤٢هـ أول خلافة معاوية ، وقيل ٤١ هـ ، انظر : تهذيب التهذيب (٤ / ٤٢١ ، ٤٢٥) ، الإصابة (٢ / ١٨٩) ترجمة رقم / ٤٠٨٠ ، أسد الغابة (٣ / ٢٨) ترجمة رقم / ٢٥١٥ ، سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٦٢ وما بعدها) .

(٤) رواه أبو داود : كتاب الحدود ، باب من سرق من حرز (٤ / ٥٥٣) ح٤٣٩٤ ، وأحمد في مسنده (٦ / ٤٦٦) ، والنسائي في سننه الكبرى : كتاب قطع يد السارق ، باب ما يكون حرزاً وما لا يكون (٤ / ٣٣٠) ح ٧٣٦٩ ، وابن ماجه : كتاب الحدود ، باب من سرق من الحرز ٢ / ٨٦٥) ح٢٥٩٥ ، والحاكم في مستدركه : كتاب الحدود (٤ / ٤٢٢) ح٨١٤٩ ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ورواه الدار قطني في سننه ٣ / ٢٠٤ ، ح٣٦٢، وانظر: فتح الباري لابن حجر (١٢ / ٨٩– ٩٠) ، وانظر: مشكاة المصابيح : باب قطع يد السارق تحقيق الألباني (٢ /١٠٦٧) . برقم ٣٥٩٨ .

المطلب الثالث

حكـــم الاستجابة لطلب الشافع

أما حكم استجابة الشافع فيترتب على حكم الأمر المشفوع فيه ، وبهذا تنطبق عليه الأحكام الشرعية الخمسة .

فإن كان الأمر المشفوع فيه واجباً ، كرد مظلمة أو تخليص حق أو نصرة لمظلوم ، كان حكم طاعة الشافع الوجوب .

وإن كان الأمر المشفوع فيه محرماً ، كشفاعة رجل لآخر بشرب الخمر أو ترك فرض من الفروض الواجبة عليه ، أو الشفاعة في حدٍ من حدود الله بعد بلوغه السلطان ، لقوله ﷺ لأسامة (١) بن زيد - رضي الله عنهما - « **أتشفع في حدٍ من حدود الله** » (٢) فيكون حكم طاعة الشافع محرم .

وإن كان الأمر المشفوع فيه مندوباً ، كشفاعة رجل لآخر وجب عليه التعزير ولم يبلغ الحد ، ولم يكن صاحب شرٍ وأذى للناس في الأصل ، فيكون حكم طاعة الشافع في هذه الحالة مندوباً .

وإن كان الأمر المشفوع فيه مكروهاً ، كشفاعة رجل لآخر صاحب شر وأذى للناس وجب عليه التعزير أو الحد قبل بلوغه السلطان ، فحكم طاعة الشافع مكروهة .

---

(١) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن امرئ القيس الكلبي ، ولد بمكة ونشأ على الإسلام ، أمه : أم أيمن حاضنة النبي ﷺ ، يكنى أبا محمد ، وقيل أبو زيد ، وقيل أبو يزيد ، وقيل أبو خارجه ، وهو مولى رسول الله ﷺ من أبويه ، وكان يسمى حِبُّ رسول الله ﷺ واستعمله النبي وهو ابن ثماني عشرة سنة ، ولم يبايع علياً ولا شهد معه شيئاً من حروبه ، توفي أيام معاوية سنة ثمان أو تسع وخمسين هجرية ، وقيل توفي سنة ٥٤هـ - ورجحه ابن الأثير - وقيل توفي قبل قتل عثمان بالجرف - وهو موضع بينه وبين المدينة ثلاثة اميال ، وحُمل المدينة - وعمره ٧٥ عاماً ، له في كتب الحديث ١٢٨ حديثاً ، انظر : أسد الغابة (١ / ١٠١-١٠٤) ترجمة رقم/ ٨٤ ،سير أعلام النبلاء (٢ /٤٩٦-٥٠٧) ، تقريب التهذيب (١ /٧٦ رقم / ٣١٦) .

(٢) سبق تخريجه ص ٧٦ .

وإن كان الأمر المشفوع فيه مباحاً ، كشفاعة رجل لآخرين في وضع دَيْنه والتسامح عنه للمدين ، فحكم طاعة الشافع مباحة .

ومن ذلك أيضاً حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال لبريرة : « " **لو راجعْته** " ، قالت يا رسول الله تامرني ، **قال : إنما أنا أشفع** ، قالت : لا حاجة لي فيه »(١) ..

---

(١) سبق تخريجه ص ٧٣ .

الفصل الثاني

حكم الإيمان بثبوت الشفاعة وأدلتها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأدلة على الشفاعة.

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الأدلة من القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: الأدلة من السُّنَّة النبوية.
- المطلب الثالث: دليل الإجماع.

المبحث الثاني: حكم الإيمان بثبوت الشفاعة.

المبحث الأول
الأدلة على الشفاعة وفيه

المطلب الأول
الأدلة من القرآن الكريم

إن الأدلة على إثبات الشفاعة يوم القيامة بأنواعها مستفيضة في الكتاب والسُّنَّة، وإجماع السلف الصالح .

فقد ورد في القرآن الكريم آيات في ذلك تتعلق بأمر الشفاعة في الآخرة ، وذلك من حيث إثباتها والتأكيد على شروطها ، ونفيها عن غير مستحقيها ، ونحو ذلك

وسيأتي الكلام مفصلاً عن شروط الشفاعة في موضعه (*) بإذن الله تعالى .

أولاً : الآيات الدالة على عدم تحقق الشفاعة إلا بشروطها منها :

قول الله تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وقول الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٣) ﴾ [يونس : ٣] .

وقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً (١٠٩) ﴾ [طه : ١٠٩] .

---

(١) في المبحث الثالث من الفصل الثالث .

وقول الله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦) ﴾ [النجم : ٢٦] .

ثانياً : الآيات الدالة على نفي الشفاعة عن غير مستحقيها منها :

قول الله تعالى عن الكفار : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) ﴾ [الأنعام : ٥١] .

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) ﴾ [غافر : ١٨] .

وقول الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) ﴾ [المدثر : ٤٨] .

ونفي الشفاعة عن غير مستحقيها من الكفار وغيرهم من أهل الشرك والإلحاد في هذه الآيات وغيرها يدل بمفهومه على انتفاع المؤمنين بها .

ولا حجة لمن يرى أن الشفاعة منتفية نفياً مطلقاً ، ولا يعني نفيها عن غير مستحقيها أنها تنتفي عن سائر الأقوام ، فإن هذا لا يقول به عاقل ، وقد ذكر الله مراراً في سورة البقرة للتأكيد قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨) ﴾ [البقرة : ٤٨-١٢٣] ، وقد تكررت مرتين في نفس السورة ، فالشفاعة في الآيتين منفية عن قوم بعينهم هم بنو إسرائيل ، بدليل خطاب الله لهم في الآية السابقة مباشرة ، وذلك في قوله سبحانه : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٧-١٢٢] .

وكذلك من سار على نهجهم في الشرك والإلحاد ، ومخادعة الله ورسوله ، والاستنقاص بدين الله عز وجل ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

المطلب الثاني

الأدلة من السنّة النبوية

لقد ورد في السُّنَّة النبوية أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر ، وهي صحيحة وصريحة في إثبات الشفاعة يوم القيامة .

فإذا كان القرآن الكريم قد أكد على الشروط والضوابط للشفاعة عند الله تعالى يوم القيامة فإن السُّنَّة قد شرحت ووضحت أنواع الشفاعة وصفتها ، وكذلك الشفعاء والمشفوع لهم كما سنوضح ذلك لاحقاً بإذن الله تعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ : « وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة ، منها في الصحيحين أحاديث متعددة ، وفي السنن والمساند مما يكثر عدده »(١) .

« فشفاعة النبي ﷺ نوع من السمعيات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي »(٢) .

فمن هذه الأدلة ما يلي :

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة . وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافعٍ وأول مشفَّع** »(٣) .

❁ وعن جابر(٤) بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **أعطيت خمساً**

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٣٤) .
(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢ / ٢٠٨) مع زيادة يسيرة .
(٣) صحيح مسلم : كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٤ / ١٧٨٢) ح٢٢٧٨ ، وأحمد في مسنده (٢ / ٥٤٠) .
(٤) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم الأنصاري السلمي ، أحد المكثرين للرواية عن رسول الله ﷺ شهد العقبة، وأكثر المشاهد مع رسول الله ﷺ وكانت له بعد وفاة رسول الله حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم ، توفي سنة ٧٤ وقيل ٧٦ وقيل ٧٧هـ وعمره ٩٤ عاماً ، انظر : الإصابة (٢ / ٤٥) ترجمة رقم ١٠٢٢ / مكتبة ابن تيمية ، أسد الغابة ٢/٣٧٧ - ٣٧٩ ترجمة رقم ٦٤٧ سير أعلام النبلاء (٣/١٨٩ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (١ / ١٥٣) رقم / ٨٧٣ .

لم يعطهنَّ أحدٌ قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجُلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليُصلِّ، وأحلت لي المغانم ولم تحلّ لأحدٍ قبلي، وأعطيتُ الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصةً، وبعثت إلى الناس عامّة »(١).

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لكل نبي دعوةٌ قد دعا بها فاستجيبَ، فجعلتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة »(٢).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لكل نبي دعوةٌ يدعوها، فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة »(٣).

• وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ. فتعجَّل كل نبيٍّ دعوته، وإنِّي اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، فهي نائلةٌ إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً »(٤).

• وعن أبي سعيد(٥) الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حديث طوّل جاء فيه: « .. فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون،

(١) رواه البخاري: كتاب التيمم، البال الاول (١ / ٨٦) ح / ٣٣٥، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أول الكتاب ـ الباب الاول (١ / ٣٧٠-٣٧١) ح٥٢١، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري: كتاب الدعوات، الباب الاول (٨ / ٨٢) ح / ٦٣٠٥، ومسلم: كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لامته (١ / ١٨٩) ح١٩٩، واللفظ للبخاري.

(٣) رواه البخاري: كتاب الدعوات، الباب الاول (٨ / ٨٢) ح / ٦٣٠٤، ومسلم: كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ، دعوة الشفاعة لامته (١ / ١٨٨) ح١٩٨. واللفظ لمسلم.

(٤) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لامته (١ / ١٨٩) ح١٩٩، رواه أحمد في مسنده (٢ / ٤٢٦).

(٥) سعد بن مالك بن سنان بن الابجر وهو: عذرة بن عوف الانصاري الخزرجي، استصغر باحد واستشهد أبوه بها، وغزا هو ما بعدها، كان من المكثرين للحديث عن رسول الله ﷺ، وكان افقه أحداث الصحابة، مات سنة ٧٤هـ، وقيل غير ذلك، وكانت وفاته بالمدينة ودفن بالبقيع، وعمره ٨٦ عاماً، انظر: الإصابة (٢ / ٣٥) ترجمة رقم / ٣١٩٦، أسد الغابة (٢/ ٤٣٢ - ٤٣٣) ترجمة رقم ٢٠٣٦ / سير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٨)، وما بعدها)، تذكرة الحفاظ (١/ ٤٤)، تقريب التهذيب (١ / ٣٤٥) رقم / ٢٢٦٠.

ولم يبق إلا أرحم الراحمين ... »[١] .

● وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أمَّا أهل النَّار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناسٌ أصابتهم النَّارُ بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم أماتةً ،حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر[٢] ، فبثوا على أنهار الجنة ، ثمّ قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحِبَّة تكون في حميل السيل »[٣] .[٤] .

● وكذلك في حديث الشفاعة الطويل قول النبي ﷺ : « .. فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله ، فيقول وعزّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنّ منها من قال لا إله إلا الله »[٥] .

(والأخبار في الشفاعة أكثر من أن يؤتى عليها ، وهي كلها متواترة متوافيه على خروج الموحّدين من النار بشفاعة الرسول ﷺ وإن اختلفت ألفاظها)[٦]

فهذه بعض أحاديث الرسول ﷺ في الشفاعة اكتفينا بها حتى لا يحصل تطويل أو تكرار ، وسيأتي إيراد أحاديث أخرى في مكانها عند التكلم على شروط الشفاعة وأسبابها ، وما تبقى من فصول ومباحث بإذن الله تبارك وتعالى .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١ / ١٧٠) ح١٨٣ ، وأحمد في مسنده (٣ / ٩٤) .

(٢) ضبائر : هم الجماعات في تَفْرِقة ، واحدتها ضِبارة ، مثل عِمارة وعمائر ، وكل مجتمع ضِبارة . انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣ / ٧١) .

(٣) حميل السيل: بمعنى المحمول ، وهو الغثاء الذي يحتمله السيل . حاشية صحيح مسلم .

(٤) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ١ / ١٧٢) ح١٨٥ ، والبخاري : كتاب الأذان ، باب فضل السجود (١ / ٢٠٤) ، ح٨٠٦ ، واللفظ لمسلم ، وأحمد في مسنده (٣ / ٥ ، ١١) .

(٥) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٩ / ١٨٠) ح / ٧٥١٠ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١ / ١٨٢ - ١٨٤) ح ١٩٣ / من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، واللفظ للبخاري .

(٦) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل / للباقلاني ـ تحقيق / عماد الدين حيدر (ص٤١٨) مؤسسة الكتب الثقافية ـ ط الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .

المطلب الثالث

دليل الإجماع

لقد أجمع السلف الصالح من أهل السُّنَّة والجماعة على إثبات الشفاعة يوم القيامة على وفق ما ورد في النصوص الشرعية من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

فقد أثبتها الصحابة رضي الله عنهم الذين رووا أحاديث الشفاعة، ثم من بعدهم التابعون رحمهم الله، ثم أتباعهم إلى عصرنا الحاضر إلى ما شاء الله، ولم ينكر الشفاعة أو بعض أنواعها إلا المبتدعة.

وقد حكى الإجماع على إثبات الشفاعة جملة من الأئمة والمصنفين، فممن تكلم في هذا الشأن الآتية أقوالهم:

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله -: « وأما شفاعته ﷺ لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم، وأنكرها كثير من أهل البدع .. »(١).

ونقل الإمام النووي - رحمه الله - عن القاضي عياض(٢) - رحمه الله -:

أنه قال في الشفاعة: « وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السُّنَّة عليها(٣) ».

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١٤٨).

(٢) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي المالكي، المولود في سبته عام٤٧٦هـ، عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، تولى القضاء في سبتة ثم غرناطة، توفي عام ٥٤٤هـ بمراكش مسموماً، قيل سمه يهودي، له عدة مصنفات، منها: (الشفا بتعريف حقوق المصطفى، شرح صحيح مسلم في الحديث، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع في المصطلح) وغير ذلك. انظر: وفيات الأعيان / لابن خلكان، تحقيق: د/إحسان عباس (٣ / ٤٨٣) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٢٠ / ٢١٢ وما بعدها)، الأعلام / للزركلي (٥ / ٩٩).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (جـ٣ / ٣٥) المجلد الأول.

وقال أبو حاتم(١) وأبو زرعة (٢) رحمهما الله تعالى : « أدركنا العلماء في جميع الأمصار ـ حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً ـ فكان من مذهبهم ... الشفاعة حق » (٣) .

وذكر الإمام الأشعري(٤) ـ رحمه الله ـ من الأصول التي أجمع عليها السلف قوله : « أجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وعلى أنه يُخرج من النار قوماً من أمته بعدما صاروا حمماً ، ... » (٥) .

وقال رحمه الله : « وقد أجمع المسلمون أن لرسول الله ﷺ شفاعة » (٦) .

---

(١) هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داوود بن مهران الحنظلي أبو حاتم. ولد في الري ، وإليها نسبته سنة ١٩٥هـ ، حافظ للحديث، من أقران البخاري ومسلم ، تنقل في العراق والشام ومصر وبلاد الروم ، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٧ هـ ، له مصنفات منها : (طبقات التابعين) وغيرها . انظر: سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٣ / ٢٤٧ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي ٦/٢٧) .

(٢) هو عبيد الله بن عبدالكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء ، أبو زرعة الرازي ، من أهل الري ولد سنة ٢٠٠هـ ، من حفاظ الحديث ، زار بغداد وحدّث بها ، وجالس أحمد بن حنبل كان يحفظ مائة ألف حديث، ويقال : كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل. توفي بالريّ سنة ٢٦٤ هـ . له (مسند) . انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣ / ٦٥ وما بعدها) ، تقريب التهذيب / لابن حجر (١ / ٦٣٦) رقم / ٤٣٣٢ ، طبقات الحنابلة / للقاضي أبي يعلى ١/١٩٩) ، الأعلام / للزركلي (٤/١٤٩)) .

(٣) شرح اعتقاد أهل السنّة والجماعة للإمام اللالكائي ـ تحقيق / أحمد سعد حمدان (١/١٧٦-١٧٧)، دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط بدون .

(٤) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري ، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري ، ولد في البصرة عام ٢٦٠هـ ، كان إماماً متكلماً تبحر في كلام الإعتزال أول حياته ثم ذمه ورد عليه ، قضى فترة على مذهب الكلابية بعد رجوعه عن الاعتزال ، ثم ذمه ورجع إلى مذهب السلف ، توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ . له عدة مصنفات منها : (اللمع في الردع على أهل الزيغ والبدع ، والإبانة عن أصول الديانة ، والرد على المجسمة ، ومقالات الإسلاميين) وغيرها . انظر: : سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٥ / ٨٥ وما بعدها) ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية / لمحي الدين أبي محمد عبدالقادر بن أبي الوفاء القرشي الحنبلي ، تحقيق / عبدالفتاح الحلو (٢/٥٤٤-٥٤٥) ـ مؤسسة الرسالة ـ مطبعة هجر ـ ط الثانية (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م) ، الأعلام / للزركلي (٤/٢٦٣) .

(٥) رسالة إلى أهل الثغر (ص٢٨٨) ـ تحقيق / عبدالله شاكر محمد الجنيدي ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ، ومؤسسة علوم القرآن ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م) .

(٦) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ـ تحقيق / بشير محمد عيون (ص١٦٢) مكتبة دار البيان ـ دمشق ، وبيروت ، ط الرابعة (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م) .

وقال أبو المعالي[١] الجويني ـ رحمه الله ـ : « وأجمع المسلمون قبل ظهور البدع ، على الرغبة إلى الله تعالى ، في أن يرزقهم الشفاعة ، وذلك مجمع عليه في العصور الماضية لا ينكر على مبديه »[٢] .

وقال السفاريني – رحمه الله – عند كلامه عن الشفاعة : « وانعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة »[٣] .

(والحاصل أن الأمة قد أجمعت على جواز الشفاعة ووقوعها من الأنبياء ، والأولياء ، والصلحاء ، والملائكة ، وغيرهم يوم القيامة بعد الإذن من الله لمن يشاء الله العفو عن ذنوبه ، والمغفرة له ، لا لكل مذنب ولا من دون إذن)[٤] .

وقال ابن المرتضى[٥] اليماني (ابن الوزير) :« وأحاديث الشفاعة المصرحة بخروج الموحدين من النار قاطعة في معناها بالإجماع، وهي قاطعة في ألفاظها »[٦].

---

(١) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، أبو المعالي الجويني ، الملقب بإمام الحرمين ، ولد في جوين (من نواحي نيسابور) سنة ٤١٩هـ ، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، ومن أعظم أئمة الأشاعرة ، تتلمذ عليه الغزالي وأخذ عنه ، توفي سنة ٤٧٨هـ ، وله عدة مصنفات ، منها) : العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد) وغيرها . انظر: سير أعلام النبلاء / للذهبي(١٨ / ٤٦٨ وما بعدها)، طبقات الشافعية / للسبكي : (تحقيق: عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي) (٥ / ١٦٥) مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٩٨٣م) ، تبين كذب المفتري / لابن عساكر (ص٢٧٨–٢٨٥) دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م) ، الأعلام / للزركلي (٤ / ١٦٠) .

(٢) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ـ تحقيق / أسعد تميم (ص٣٣١) ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ ط الأولى (١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م) .

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢٠٨) .

(٤) الدين الخالص / لمحمد صديق حسن خان ـ تحقيق / محمد زهري النجار (٢ / ٢٢) مكتبة دار التراث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

(٥) هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسيني القاسمي ، أبو عبد الله المشهور بابن الوزير ، ولد في هجرة الظهراوين (من شطب أحد جبال اليمن) تعلم بصنعاء وصعدة ومكة ، مات بصنعاء سنة ٨٤٠هـ ، له مصنفات عدة اشهرها : (إيثار الحق على الخلق ، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) وغير ذلك . انظر : البدر الطالع / للشوكاني (٢ / ٨١–٩٣) ، الضوء اللامع / للسخاوي (ج٦ / ٢٧٢) المجلد الثالث ، الأعلام / للزركلي (٥ / ٣٠٠) .

(٦) إيثار الحق على الخلق (ص٣٩٥) دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

ونجد أن أئمة أهل السُّنَّة وعلماءَهم قد نصوا على إثبات الشفاعة في مؤلفاتهم المختلفة وأنها تعتبر حقًا ، خلافاً لما جاء به أهل البدع والضلال ، وهذا يعتبر من الشواهد القوية على إجماع أهل السُّنَّة وعلمائهم على إثبات الشفاعة يوم القيامة للنبي ﷺ ولغيره كما ورد ذلك في السُّنَّة المطهرة .

المبحث الثاني

حكم الإيمان بثبوت الشفاعة

أما حكم الإيمان بثبوت الشفاعة فهو الواجب ، فيجب على الإنسان المؤمن طالب الحق أن يؤمن بثبوت الشفاعة يوم القيامة بأنواعها وشروطها ويؤمن بأسبابها وهذا هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة واعتقادهم فلا يجوز التكذيب أو التشكيك بذلك .

وقد ذكر أئمة أهل السُّنّة في كتبهم ومؤلفاتهم ذلك فمنها :

قال ابو حنيفة [١] ـ رحمه الله ـ : « وشفاعة الأنبياء عليهم السلام حق، وشفاعة النبي ﷺ للمؤمنين المذنبين ثابتة بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة،قال الله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]،وهو إثبات الشفاعة لمن أذن له بها »[٢] .

وقال الإمام أحمد [٣] ـ رحمه الله ـ عند كلامه على الشفاعة: « والإيمان

(١) هو النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي، الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة يقال: إنه من أبناء الفرس . ولد في الكوفة سنة ٨٠هـ في حياة صغار الصحابة، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة، من تلامذة عطاء بن أبي رباح، أبو حنيفة : إمام الحنفية الفقيه المجتهد المحقق ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّة ، قال ابن معين: ((كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه)) ولا يحدث بما لا يحفظه ، وقال الإمام الشافعي : ((الناس عيال في الفقه : على أبي حنيفة)) ، توفي شهيداً سنة ١٥٠هـ ببغداد . انظر: : وفيات الأعيان / لابن خلكان (٥ / ٤٠٥) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٦ / ٣٩٠ وما بعدها) ، النجوم الزاهرة / للأتابكي (٢ / ١٢) ، الأعلام / للزركلي (٨ / ٣٦) .

(٢) شرح الفقه الأكبر لأبي منصور السمرقندي(ص١٥٧ – ١٥٨) منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون

(٣) هو أبو عبد الله ، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذُهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ ،أحد الأئمة الأعلام والإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً ،قال قتيبة ابن سعيد : (أحمد بن حنبل إمامنا ومن لم يرض به فهو مبتدع) . ثبت في وجه فتنة المعتزلة بالقول في خلق القرآن ثبوت الجبال الرواسي ، حفظ الله به السُّنَّة، توفي سنة ٢٤١هـ له مصنفات عدة، منها (المسند) ، (والرد على الزنادقة) وغيرها . انظر: سير أعلام النبلاء / للذهبي(١١ / ١٧٧ وما بعدها) طبقات الحنابلة / لأبي الحسن محمد بن أبي يعلى (١ / ٤) ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل/ لابن الجوزي، دار الآفاق الحديثة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م) ،الأعلام/ للزركلي(١ / ٢٠٣).

بالشفاعة.. ، والشفاعة ثابتة بنص الكتاب والسُّنَّة » (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ: « قد ثبت بالسُّنَّة المستفيضة ، بل المتواترة ، واتفاق الأمة أن نبينا ﷺ الشافع المشفع ، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة ، وأن الناس يستشفعون به يطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم وأنه يشفع لهم » (٢) .

وذكر الإمام أبوبكر الآجري (٣) في الشريعة : « وجوب الإيمان بالشفاعة » ، وقال رحمه الله تعالى بعد أن ذكر نصوصاً في إثبات الشفاعة : « إن المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأ فاحشاً خرج به عن الكتاب والسُّنَّة » ، وقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب(٤) » (٥) .

وقال الإمام المقدسي (٦) –رحمه الله – : « ويعتقد أهل السُّنَّة ويؤمنون أن النبي

---

(١) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ـ جمع وتحقيق / عبدالاله بن سلمان الاحمدي (٢ / ٢١١) ـ دار طيبة – الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٢هـ – ١٩٩١م) .

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ١٠٨) .

(٣) هو محمد بن الحُسين بن عبدالله البغدادي ، ابو بكر الآجُري نسبة إلى آجر (من قرى بغداد) ولد فيها ، وحدث ببغداد قبل سنة ٣٣٠هـ ثم انتقل إلى مكة ، كان صدوقاً ، خيراً ، عابداً ، صاحب سُنَّة واتباع ، مات بمكة سنة ٣٦٠هـ ، له عدة مصنفات منها :(كتاب الشريعة ، الرؤية ، الغرباء) وغيرها ، انظر : سير أعلام النبلاء (١٦ / ١٣٣–١٣٥)، وفيات الأعيان / لابن خلكان (٤ /٢٩٢–٢٩٣) الأعلام / للزركلي (٦ /٩٧) ، تذكرة الحفاظ / للذهبي ٣ /٩٣٦) .

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١ / ٤٣٤) وقال : وأخرج سعيد بن منصور بسند صحيح عن أنس بن مالك ، وذكره الإمام اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٦ /١١١١).

(٥) الشريعة للآجري ـ تحقيق / محمد حامد الفقي (ص٢٩٦ـ ٢٩٨ – ٣٠٠ دار السلام ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) .

(٦) هو تقي الدين أبو محمد عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سُرور المقدسي الجمَّاعيلي الدمشقي الحنبلي ، ولد في جماعيل (قرب نابلس) سنة ٥٤١هـ وانتقل صغيراً إلى دمشق ، ثم رحل إلى الأسكندرية ، وأصبهان ، وامتحن مرات ، وتوفي بمصر سنة ٦٠٠هـ ، له عدة مصنفات ، منها : (المصباح في عيون الأحاديث الصحاح ، عمدة الأحكام من كلام خير الانام ، الاقتصاد في الاعتقاد) وغير ذلك ، انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (٢١ / ٤٤٣ وما بعدها) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٤ / ٣٤٥) المجلد الثاني ، الأعلام / للزركلي (٤ / ٣٤) .

ﷺ يشفع يوم القيامة لأهل الجمع كلهم شفاعة عامة ، ويشفع في المذنبين من أمته فيخرجهم من النار بعدما احترقوا » [١] .

وقال إمام الحرمين الجويني ـ رحمه الله ـ : « فمذهب أهل الحق أن الشفاعة حق .. فإذا أثبت جواز التشفيع عقلاً ، فقد شهدت له سنن بلغت الاستفاضة فمن رامها ألقاها منقولة » [٢] .

وقال الإمام السفاريني ـ رحمه الله ـ :« والحاصل أن الإيمان بالشفاعة واجب »[٣] .

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : « وجاءت الأحاديث في إثبات الشفاعة المحمدية متواترة دل عليها قوله تعالى : "عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " والجمهور على أن المراد به الشفاعة » [٤] .

وقال الإمام يحيى ابن حمزة [٥] ـ رحمه الله ـ : وهو يتكلم في إثبات الشفاعة : « لا خلاف بين الأمة في إثبات الشفاعة وإنما الخلاف في موضوعها » [٦] .

فقوله ـ رحمه الله ـ : « وإنما الخلاف في موضوعها » لأنه من أئمة الزيدية وهو يعتقد اعتقاد المعتزلة في عدم ثبوت بعض أنواع من الشفاعات ، كما سيأتي بيانها

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد / للمقدسي ـ تحقيق / أحمد بن عطيه الغامدي (ص١٦٤ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ ط الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م) .

(٢) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد (ص٣٣٠) .

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١٨) .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١ / ٤٣٤) .

(٥) يحيى ابن حمزة بن علي بن إبراهيم بن محمد بن إدريس بن علي بن جعفر الحسيني العلوي الطالبي : من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن ، ولد بمدينة صنعاء سنة ٦٦٩هـ ، أظهر الدعوة بعد وفات المهدي محمد بن المطهر ، وتلقب بالمؤيد بالله (أو المؤيد برب العزة) توفي في حصن هران (قبلي ذمار) عام ٧٤٥هـ ، له عدة مصنفات ، منها : (نهاية الوصول إلى علم الأصول ، التمهيد لأدلة مسائل التوحيد ، الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ، المعالم الدينية في العقائد الإلهية) وغير ذلك .
انظر: البدر الطالع / للشوكاني (٢ / ٣٣١ ، ٣٣٢) ، الاعلام / للزركلي (٨ / ١٤٣) ، معجم المؤلفين/ عمر رضا كحالة (٤ / ٩٣).

(٦) المعالم الدينية في العقائد الإلهية ـ تحقيق : سيد مختار محمد حشاد (ص١٢٤) دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) .

في مكانه(١) .

وقال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ : « وثبت بالسُّنَّة المتواترة واتفاق جميع الأمة أن نبينا ﷺ هو الشافع المشفّع وأنه يشفع للخلائق يوم القيامة وأن الناس يتشفعون به ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربه »(٢) .

وأخيراً فإن فيما سبق عرضه من أقوال بعض أئمة المسلمين وعلمائهم فيه توضيحٌ قوي في إثبات الشفاعة ووجوب الإيمان بها ، وكما سيأتي بيانه أيضاً في مباحث أخرى كشفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر خاصة ، وأقوال الفرق الإسلامية في ذلك مفصلاً إن شاء الله تبارك وتعالى .

---

(١) المبحث الرابع من الفصل الرابع في الباب الثالث .

(٢) كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ضمن الرسائل السلفية ..) (ص٤) .

الفصل الثالث

أقسام الشفاعة وأحكامها

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : أقسام الشفاعة باعتبار ذاتها ، فيه مطلبان :

- المطلب الأول : الشفاعة الحسنة .
- المطلب الثاني : الشفاعة السيئة .

المبحث الثاني:أقسام الشفاعة باعتبار قبولها عند الله ـ عز وجل ـ أوردها .

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الشفاعة المنفية .
- المطلب الثاني : الشفاعة المثبتة .

المبحث الثالث: أركان الشفاعة وشروطها وأسبابها ، وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : أركان الشفاعة .
- المطلب الثاني : شروط الشفاعة .
- المطلب الثالث : أسباب الشفاعة .

المبحث الرابع : أحكام الشفاعة ، وفيه أربعة مطالب :

- المطلب الأول : حكم الاستشفاع بالله عز وجل .
- المطلب الثاني :حكم الاستشفاع بالرسول ﷺ .
- المطلب الثالث :حكم الاستشفاع بغير الرسول ﷺ .
- المطلب الرابع: الفرق بين الاستشفاع بفلان والإقسام بحق فلان.

المبحث الأول

أقسام الشفاعة باعتبار ذاتها

أما الشفاعة بإعتبار ذاتها وتعلقها بالمعاملات بين الناس ، وينال ثوابها أو عقابها في الآخرة ، فهي تنقسم إلى قسمين رئيسيين نجعلهما مطلبين هما :

المطلب الأول

الشفاعة الحسنة

وهي أن يشفع الشفيع لإزالة ضرر أو جر منفعة إلى مستحق ليس في جرها ضرر ولا ضرار ، كما سبق وان بينا ذلك في الشفاعة المباحة ، فهذه مرغوب فيها مأمور بها لقول الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة:٢] ، وللشفيع نصيب في اجرها وثوابها ، قال الله تعالى : ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء: ٨٥] ، ويندرج تحت هذه الشفاعة الحسنة كثير من شفاعات الناس بينهم في حوائجهم .

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : « فمن يشفع لينفع فله نصيب ، وقيل الشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة ، ... فمن شفع شفاعة حسنة ليصلح بين اثنين استوجب الأجر ، وقيل : يعنى بالشفاعة الحسنة الدعاء للمسلمين » (١) .

ومن ذلك قوله ﷺ : **« ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك : ولك بمثل »** (٢) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٢٩٥) .

(٢) رواه مسلم : كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٤ / ٢٠٩٤) ح٢٧٣٢ ، واحمد في مسنده (٥ / ١٩٥) ، من حديث ابي الدرداء رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «فسرت الشفاعة الحسنة بإعانة المؤمنين على الجهاد ، وفسرت الشفاعة الحسنة بشفاعة الإنسان للإنسان ليجتلب له نفعاً ، أو يخلصه من بلاء ، فالشفاعة الحسنة إعانة على خير يحبه الله ورسوله من نفع من يستحق النفع ، ودفع الضر عمن يستحق دفع الضرر عنه ، وفسرت الشفاعة الحسنة بالدعاء للمؤمنين ، وفسرت بالإصلاح بين اثنين ، وكل هذا صحيح»[١] .

(١) الإيمان لابن تيمية ـ تحقيق الألباني (ص٦١-٦٢) بتصرف يسير ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ، بيروت ـ ط الرابعة (١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م) .

المطلب الثاني
الشفاعة السيئة

وهي أن يشفع الشفيع في إسقاط حد بعد بلوغه السلطان ، أو هضم حق ، أو إعطائه لغير مستحقه ، وهذا منهي عنه لأنه تعاون على الإثم والعدوان ، لقول الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢] ، ولقوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا** ﴾ [النساء: ٨٥] ، ويندرج تحت هذه الشفاعة السيئة كثير من شفاعات الناس في المعاصي والإضرار كما قال الإمام القرطبي رحمه الله : « فمن يشفع ليضر فله كفل ، ومن سعى بالنميمة والغيبة أثم ، لأن ذلك شفاعة سيئة ، وقيل الشفاعة السيئة هي : الدعاء على المسلمين ، كما كانت اليهود تدعو على المسلمين » (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمة الله ـ : « والشفاعة السيئة بإعانة الكفار على قتال المؤمنين .... ، والشفاعة السيئة إعانته على ما يكرهه الله ورسوله ، كالشفاعة التي فيها ظلم الإنسان ، أو منع الإحسان الذي يستحقه .... ، وفسرت الشفاعة السيئة بالدعاء على المؤمنين ، وكل هذا صحيح ، فالشافع زَوْج المشفوع له، إذ المشفوع عنده من الخَلْق ؛ إما أن يعينه على بر وتقوى ، وإما أن يعينه على إثم وعدوان » (٢) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٢٩٥) .
(٢) كتاب الإيمان لابن تيمية (ص٦١-٦٢) بتصرف يسير .

المبحث الثاني

أقسام الشفاعة باعتبار قبولها عند الله - عز وجل - أوردها

أما الشفاعة بإعتبار قبولها أوردها من الله عز وجل ـ فهي على قسمين وكلاهما متعلق بالتوحيد نجعلهما مطلبين ، هما :

المطلب الأول

الشفاعة المنفية

(١) هي التي تُطلب من غير الله ـ عز وجل ـ كطلبها من الأصنام والأوثان والملائكة وغيرهم ، مما عُبد من دون الله ـ عز وجل ـ .

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : « وأما الشفاعة المنفية الباطلة فهي التي تطلب من غير الله ـ عز وجل ـ أو بغير إذنه أو لأهل الشرك ، قال تعالى : ﴿ **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ** ﴾ [غافر:١٨]،وقال تعالى :﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر :٤٨] » [١] .

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « والتي نفاها الله : هي الشفاعة الشركية ، التي في قلوب المشركين ، المتخذين من دون الله شفعاء ، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفعائهم ، ويفوز بها الموحدون » [٢] .

وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ حال من عمل ذلك مبيناً بقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴿٩٤﴾ ﴾ .
[الأنعام: ٩٤] .

---

(١) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة (٢ / ٢١٣) .
(٢) مدارج السالكين / لابن القيم ـ تحقيق / محمد حامد الفقي (١ / ٣٤٠) .

فالقول فيها : ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ ﴾ ، أي الذين عبدتموهم وجعلتموهم شركاء ــ يريد الأصنام ــ أي شركائي ــ وكان المشركون يقولون : الأصنام شركاء لله وشفعاؤنا عنده » (١) .

[٢] ومن الشفاعة المنفية التي تطلب بغير إذن من الله ـ عز وجل ـ لأن الأصل في الشفاعة أنها لله وحده سبحانه وتعالى لا تكون لغيره إلا بعد إذنه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « ولاريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع ، والله قد أمر بذلك ، لكن الداعي الشافع : ليس له أن يدعو ويشفع إلا بإذن الله له في ذلك فلا يشفع شفاعة نهى عنها » (٢) .

[٣] ومن الشفاعة المنفية التي تُطلب لأهل الشرك ، فالشفاعة المأذون بها لا تنال المشركين والكافرين واليهود والنصارى والمنافقين وأمثالهم .

فهؤلاء لا شفاعة لهم أصلاً لأنهم ليسوا من أهل التوحيد والإخلاص ، فلا تنالهم الشفاعة ، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين .

قال الله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ** ﴾ [التوبة : ١١٣ ـ ١١٤] .

وقال تعالى في حق المنافقين : ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ** ﴾ [المنافقون : ٦] .

وقال تعالى : ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ** ﴾ [التوبة : ٨٠] .

[٤] من الشفاعة المنفية أن ندعو النبي ﷺ من دون الله ـ عز وجل ـ أو نسأل الله عز وجل أن يؤتينا الوسيلة التي هي درجة خاصة برسول الله ﷺ ، (ونطلب منه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧ / ٤٣) .
(٢) مجموع الفتاوي (١ / ١٣٠) .

مقامه الخاص به ، فنسأله الوسيلة التي صرح بأنها) لا تنبغي إلا لعبد واحد ، وهي له ﷺ ، لقوله ﷺ : « **سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو . . .** »(١) .

فنجد مما تقدم أن الأمر الرئيسي في الشفاعة عند الله عز وجل يوم القيامة هو الإيمان ، فمن لا إيمان له لا شفاعة له .

فكانت هذه الشفاعة منفية لأنها تجعل لله شريكاً يُرغب إليه ويُحبَ كما يُحب الله تعالى أو أعظم ، أو تكون بغير إذنه لأنه ارتكاب لما لم يأذن الله به ، أو تكون لمن لا تنطبق عليه لخروجه عن خط المشفوع لهم ، أو تكون بأمر لم يحبه الله ولا رسوله ﷺ .

وهذه الشفاعة المنفية ينطبق عليها قول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)** ﴾ [البقرة : ٢٥٤] .

فالقول فيها : ﴿ **لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ** ﴾ أي لا يباع أحد من نفسه، ولا يفادي بمال ولو بذل ، ولو جاء بملء الأرض ذهباً ، ولا تنفعه خلة أحد يعني صداقته ـ بل ولا نسابته ـ كما قال : ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١٠١] ،ولا شفاعة، أي ولا تنفعهم شفاعة الشافعين)(٢) .

فالشفاعة المنفية تعتبر وسيلة باطلة لا تزيد صاحبها من الله إلا بعداً ، فلا تقبل شفاعة الشافع ولا تنفع المشفوع له شفاعة بها .

---

(١) سبق تخريجه ص ٤٠ .
(٢) تفسير القرآن العظيم (١ / ٣١٢) ـ دار المعرفة .

المطلب الثاني

الشفاعة المثبتة

وهي الشفاعة التي أثبتها الله تعالى لأهل الإسلام من أهل الإخلاص والتوحيد وبيّنها النبي ﷺ في سنته .

ولذا قال ﷺ عندما سئل : « مَن أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : **أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة ، من قال لا إله إلا الله ، خالصاً من قلبه أو نفسه** » (١) .

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله : هي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحَّده » (٢) .

فالأصل في وقوع الشفاعة هو تجريد التوحيد لله عز وجل ومخالفة ما كان عليه المشركون ، وهذه الشفاعة من أهم الأمور التي يتميز بها أهل التوحيد عن غيرهم .

---

(١) رواه البخاري : كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث(١ / ٣٦) ح / ٩٩ ،كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (٨ / ١٤٦) ح / ٦٥٧٠ ، وأحمد في مسنده (٢ / ٣٧٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) مدارج السالكين (١ / ٣٤٠) .

المبحث الثالث

أركان الشفاعة وشروطها وأسبابها

المطلب الأول

أركان الشفاعة

لابد لكل شيء من أصول وأركان يقوم عليها حتى تظهر حقيقته ، وهنا نجد أن الشفاعة لها أركان تقوم عليها حتى يتم تنفيذها ، أو تُظهر جوانب إكمالها سواءً كانت الشفاعة في أمور الدنيا ، أو الشفاعة عند الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة فأركانها هي :

[١] الشافع : وهو من يقوم بالشفاعة إلى غيره .

[٢] مشفوع له : وهو من يُطلب له جلب النفع أو دفع الضر .

[٣] مشفوع فيه : وهو المنتفع به ولابد من خلوه من الموانع الشرعية التي تُرد بها الشفاعة ، حتى تقبل فيه وهذا إن كان في الدنيا فمثال : الشفاعة في الحدود قبل بلوغها السلطان ، وإن كان في الآخرة فمثال : الشفاعة في الذنوب والمعاصي مع خلو صاحبها عن الشرك الأكبر المحبط للأعمال .

[٤] مشفوع إليه : وهو من يقوم بقبول الشفاعة أو استقبالها سواءَ قَبِلَ تنفيذها أم لم يقبل ، فهو من يُطلب منه تحقيق المنفعة للمشفوع له .

[٥] الشفاعة : وهي عبارة عن فعل الشفيع إلى المشفوع إليه .

المطلب الثاني
شروط الشفاعة

للشفاعة المثبتة شروط لابد من توفرها حتى تقبل عند الله ـ عز وجل ـ وهي :

الأول : إذن الله سبحانه وتعالى للشافع أن يشفع :

فهو من الشروط الرئيسية في قبول الشفاعة فلا بد من إذن الله سبحانه وتعالى يوم القيامة لمن يشفع من الشفعاء ـ لقول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ في تفسيره : « من ذا الذي يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم ، إلا أن يُخليه ويأذن له بالشفاعة لهم ، ... ولا يشفع عندي أحد "-أي عند الله عز وجل "إلا بتخليتي إياه والشفاعة لمن يشفع له ؛ من رُسُلي وأوليائي وأهل طاعتي » (١) .

وقال الإمام القرطبي في تفسيره : « وتقرر في هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة » (٢) .

فالأصل في ذلك الإذن التام من الله ـ عز وجل ـ وهو يعتبر قيد من قيود إثباتها .

(وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه ـ عزوجل ـ أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة) (٣) .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ : « فأما إذا أذن له في أن يشفع فشفع، لم يكن مستقلاً بالشفاعة ، بل يكون مطيعاً له أي تابعاً له في الشفاعة ، وتكون

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٣ / ١٠).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣ / ٢٧٣) .
(٣) تفسير القرآن العظيم (١ / ٣١٦).

شفاعته مقبولة ويكون الأمر كله للآمر المسئول ، وقد ثبت بنص القرآن في غير آية : أن أحداً لا يشفع عنده إلا بإذنه » (١) .

وقيل في الآية : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ في هذا الاستفهام من الإنكار على من يزعم أن أحداً من عباده يقدر على أن ينفع أحداً منهم بشفاعة أو غيرها ، والتقريع والتوبيخ له مالا مزيد عليه ، وفيه من الدفع في صدور عُبّاد القبور والصك في وجوههم والفتّ في أعضادهم مالا يقادر قدره ولا يبلغ مداه) (٢) .

وقال الله تعالى : ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ [يونس: ٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ : ٢٣] .

(أي لعظمته وجلاله وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة) (٣) .

وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : « أي إن الشفاعة لا تكون من أحد هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام ، إلا أن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة في الشفاعة وهم على غاية الفزع من الله » (٤) .

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في تفسيره : « فغير الله لا مالك لشيء ، ولاشريك في شيء ولا هو معاون للرب في شيء ، بل قد يكون له شفاعة إن كان من الملائكة والأنبياء والصالحين ، ولكن لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، فلا بد أن يأذن للشافع أن يشفع ، وأن يأذن للمشفوع له أن يشفع له ، ومن دونه لا يملكون الشفاعة البتة » (٥) .

---

(١) مجموع الفتاوي (١ / ١١٨) .
(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ، لصديق حسن خان (١ / ٤٢٢) ، مطبعة العاصمة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١٩٦٥م) .
(٣) تفسير القرآن العظيم (٣ / ٥٤٤) .
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٤ / ٢٩٥) .
(٥) التفسير الكبير لابن تيمية ـ تحقيق / عبدالرحمن عميره (١ / ٣١٤) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) .

وقال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ : « وكذلك شفاعة من يشفع لا تكون إلا بإذن الله كما ورد بذلك القرآن العظيم ، فهذا تقييد للمطلق لا ينبغي العدول عنه بحال » (١) .

فالله تبارك وتعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه وهو وحده سبحانه الذي يملك الشفاعة يوم القيامة ، كما قال الله تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزمر : ٤٣-٤٤] .

فالشفاعة التامة هي التي لا تكون إلا بإذنه .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : « وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه » (٢) .

فالأصل في ذلك الإذن من الله ـ عز وجل ـ سواءً كانت شفاعة نبي أو غيره، « وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه ، وبوقت الشفاعة ، فليس يشفع إلا مَنْ أذن الله له في الشفاعة ، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له ، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى له أن يشفع فيه » (٣) .

الثاني : رضاه عن المشفوع له :

كما تقدم أنه لابد من إذن الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الشفاعة لابد أيضاً من رضاه سبحانه عن المشفوع له ، فليس الإذن في الشفاعة للشفعاء مطلقاً .

ولذا يقول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية : « الذين ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله » (٤) .

---

(١) كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ضمن الرسائل السلفية ..) ، ص٢٥ .
(٢) مدارج السالكين (١ / ٣٤٣) .
(٣) معارج القبول في شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ حكمي (٢ / ٨٨٨) .
(٤) جامع البيان في تأويل القرآن / لابن جرير (٩ / ١٨) .

ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦) ﴾ [النجم : ٢٦] .

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : « هذا توبيخ من الله تعالى لمن عبد الملائكة والأصنام وزعم أن ذلك يقربّه إلى الله تعالى ، فاعلم أن الملائكة مع كثرة عبادتهم وكرامتهم على الله لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له »[١] .

فالآية تنفي الشفاعة عن الملائكة إلا بشرطين هما : إذن الله ورضاه ، والرضى من الله ـ عز وجل ـ للعبد يكون بسبب القول والعمل الذي ينتج من العبد .

يقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً (١٠٩) ﴾ [طه : ١٠٩] .

وهذه الآية أيضاً تنفي الشفاعة لكنها تستثني إذن الرحمن للشافع في أن يشفع، وأن يرضى الرحمن قوله ، والمراد بالقول المرضي هو شهادة أن لا إله إلا الله ، أي الإخلاص في كلمة التوحيد ، وكما قال الله تعالى : ﴿ لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧) ﴾ [مريم : ٨٧] .

وقال صاحب الرسالة الوافية ، في قول الله تعالى : ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، (والعصاة لتمسكهم بالتوحيد والإقرار ، والتصديق مرتضون ، بدليل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ ثم قال: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [فاطر :٣٢-٣٣] ومرتضى ومصطفى واحد ، .. فقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ قال : الذي ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله) .

وقال أصحابنا معناه: إلا لمن ارتضى أن يُشفع فيه وليس معناه إلا لمن رضي عمله، لأن من رضي له جميع عمله لا يحتاج إلى شفاعة)[١] .. ورغم هذا القول إلاّ أنه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧ / ١٠٤) .

(٢) الرسالة الوافية لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ــ تحقيق / محمد بن سعيد القحطاني (ص١١٣) ، دار بن الجوزي ــ ط الأولى (١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م) ، وانظر: كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني (ص٤٢٣) . بزيادة يسيرة .

لابد أن نقول أنه لا يجوز الاتكال على نيل الشفاعة من قريب أو بعيد من الشفعاء ، فمن أراد الشفاعة فعليه التأهيل لها بالأعمال الصالحة التي ترضي الله سبحانه وتعالى حتى يتم رضى الله تعالى عنه ، وقد ذكر ذلك النبي ﷺ كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] ، قال :« **يامعشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد سليني ماشئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً** »(١) .

فهذا دليل على أن العمل الصالح سبب لرضى الله - عز وجل - عن العبد ، فإذا تم الرضى كانت الشفاعة ، فالرسول ﷺ يحث أقاربه على العمل حتى يتم الرضى من الله - عز وجل - فلا بد أن نتأهل لذلك ، ونجيء بأعمال صالحات وكلمة التوحيد الخالصة من شوائب الشرك حتى يرضاه الله - عز وجل - مع الخوف والهيبة ، وأمل العفو والرجاء من الله وحده سبحانه .

الثالث : قدرة الشافع على الشفاعة :

فمعلوم أن طلبها من الأموات طلب ممن لا يملكها أو ممن ليس أهلاً لها، فقد قال الله تعالى في حق الذي يُطلب منه الشفاعة وهو غير قادر عليها : ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾** ﴾ [يونس : ١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ **وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾** ﴾ [الزخرف : ٨٦] .

قال الإمام ابن جرير - رحمه الله - : « قوله : ﴿ **إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ** ﴾ قال :

---

(١) رواه البخاري : كتاب الوصايا ، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب (٤ / ٨) ح٢٧٥٣ / ومسلم : كتاب الإيمان ، باب قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴿٢١٤﴾ ﴾ (١ / ١٩٢) ح ٢٠٦ .

كلمة الإخلاص »[١] .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ ﴾ أي من الأصنام والأوثان (الشفاعة) أي لا يقدرون على الشفاعة لهم ﴿ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ هذا استثناء منقطع أي لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له)[٢] .

الرابع : إسلام المشفوع لـــه :

وذلك لورود الأدلة الصريحة في ذلك بأن الشفاعة لا تكون إلا لأهل التوحيد ، فليست يوم القيامة عامة لكل أحد مؤمناً كان أو كافراً ، وإنما هي على اختلاف أنواعها ـ خاصة بالمؤمنين الذين ماتوا على التوحيد ، فالله ـ عز وجل ـ لا يرضى لعباده الكفر ، وقد توعد الكفار بالخلود في النار يوم القيامة لقوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر : ٤٨] .

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين ، وذلك أن قوماً من أهل التوحيد عُذبوا بذنوبهم ، ثم شُفِعَ فيهم ، فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة ، فأخرجوا من النار ، وليس للكفار شفيع يشفع فيهم »[٣] .

وقال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « .. فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع لأن الشفاعة إنما تنجح إذا كان المحل قابلاً فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة فإن له النار لا محالة خالداً فيها »[٤] .

فالآية تنفي الشفاعة عن الكافرين الذين لم يكونوا من أهل التوحيد والأعمال الصالحة. ولذا وردت الآية بعد قول المولى عز وجل مخاطباً أهل الكفر : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن : (١١ / ٢١٨) .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٤ / ١٤٧) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩ / ٨٨) .
(٤) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٤٧٦) .

الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المدثر:٤٢-٤٧] .

وقال تعالى على لسان المشركين: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١] ، فلا تنفعهم قرابة ولا صداقة إذا كانت وفاتهم على الكفر والشرك بالله عز وجل بخلاف أهل المعاصي من أهل التوحيد فإنه مرجو لهم الشفاعة خلافاً لغير الموحدين .

لقوله ﷺ : « **إن الرجل ليقول في الجنة ما فعل فلان وصديقه في الجحيم ، فلا يزال يشفع له حتى يشفعه الله فيه فإذا نجا قال المشركون: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾** »[١] .

وقال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨] . فالظلم يقصد به الشرك بالله - عز وجل - ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣] .

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله -: « أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ، ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير »[٢] .

وقيل:معنى ذلك أنه لا شفاعة للظالمين بالكفر والشرك الذين لا طاعة معهم)[٣] .

ومن الأدلة الواردة في السُّنَّة النبوية على أن الشفاعة خاصة بأهل التوحيد الذين سلموا من الشرك ومما يناقض الإسلام ، وأنه ليس للكفار والمشركين فيها نصيب ما جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟،فقال رسول الله ﷺ :« **لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي (١٣ / ١١٨) ، البغوي في تفسيره (٦ / ١٢٠) .
(٢) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٨٢) .
(٣) كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني (ص٤٢٤) .

الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه» (١) .

وعنه رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجّل كل نبي دعوته ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلةٌ ، إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا** » (٢) ، فالدليل واضح أن الشفاعة نائلة أهل التوحيد ولم تكن لمن مات مشركاً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « فالذي تنال به الشفاعة هي الشهادة بالحق ، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، لا تنال من تولى غير الله ، لا الملائكة، ولا الأنبياء ولا الصالحين » (٣) .

فبيّن اقتصار الشفاعة على أهل التوحيد ، بخلاف من أشرك بالله تعالى بأي وجه كان .

« وأما الشفاعة والدعاء فانتفاع العباد به موقوف على شروط وله موانع ، فالشفاعة للكفار بالنجاة من النار والاستغفار لهمَ مع موتهم على الكفر لا تنفعهم » (٤) .

لقوله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** (١١٣) ﴾ [التوبة: ١١٣] ، وكذلك لقوله ﷺ : « **استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزور القبور فإنها تذكر الموت** » (٥) .

فعدم انتفاع الكافر بالشفاعة من الأدلة على خطورة الكفر والشرك بالله - عز وجل - وأفضلية التوحيد ونبذ كل شيء فيه تعلق بغير الله تعالى .

---

(١) سبق تخريجه الحديث ص ١٠٥ .

(٢) سبق تخريج الحديث ص ٨٦ .

(٣) مجموع الفتاوى (١٤ / ٤١٢) .

(٤) مجموع الفتاوى (١ / ١٤٥) .

(٥) صحيح مسلم : كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه - عز وجل - في زيارة قبر أمه (٢ / ٦٧١) ح ٩٧٦ ، وأحمد في مسنده (٢ / ٤٤١) ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

فتحقق شروط الشفاعة سبب من أسباب قبولها عند الله ـ عز وجل ـ ، ولذا ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ هذه الشروط وسماها أصولاً بقوله : « فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها : لا شفاعة إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده ، واتباع رسوله ﷺ » (١) .

الخامس : عدم تجاوز الشافع للحدّ فيمن يشفع فيهم :

وهذا الشرط مأخوذ من كلام سيد الشفعاء نبينا محمد ﷺ ، عندما يأتيه الناس يوم القيامة طالبين الشفاعة .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **يَجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يُريحنا من مكاننا فيأتون آدم . . . ، إلى قوله : فيأتوني فأستاذن على ربي فإذا رأيتُهُ وقعت ساجداً فَيَدَعُني ما شاء الله ثم يقال ارفع رأسك سل تُعْطَهْ ، وقُل يُسمع ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأحمدُ ربّي بتحميدٍ يُعلّمني ، ثُمَّ أشفع فيحُدُّ لي حداً ثُمَّ أخرجهم من النار، وأُدخلهم الجنة ، ثم أعود فاقع ساجداً مثله في الثالثة أو الرابعة حتى ما يقى في النار إلا من حبسه القرآن** » (٢) .

فالحديث يبين أن من شروط قبول الشفاعة عدم تجاوز الحد الذي يُحده الله سبحانه للشافع .

قال ابن حجر- رحمه الله - قوله : « "فيُحدَّ لي حداً" يبين في كل طور من أطوار الشفاعة حداً أقف عنده فلا أتعداه ، مثل أن يقول شفعتك فيمن أخلّ بالجماعة ثم فيمن أخل بالصلاة ثم فيمن شرب الخمر ثمّ فيمن زنى وعلى هذا الأسلوب » (٣) .

وحقيقة شروط الشفاعة أن الله ـ عز وجل ـ إذا أراد رحمة عبده ونجاته من النار

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٣٤١) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار(٨ / ١٤٥) ح ٦٥٦٥ ، ومسلم: كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١ / ١٨٠) ح ١٩٣ ، واللفظ للبخاري .

(٣) انظر: فتح الباري : كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (١١ / ٤٤٦) .

أَذِنَ لمن شاء في الشفاعة رحمة للمشفوع فيه ، وكرامة للشافع .

وكذلك الرضى منه ـ عز وجل ـ في القول والعمل والتوفيق للمتمسك بالتوحيد وكلمة الإخلاص قولاً وعملاً ، وإن لم يكن ذلك ولم يأذن الله له لم تنفعه كما في شفاعة نوح لابنه ، وإبراهيم لأبيه ، ونبينا محمد ﷺ لعمه في استغفاره ، فردت شفاعاتهم لأن الله ـ عز وجل ـ لم يأذن لهم بذلك الإذن الشرعي في أن يشفعوا .

فالشفاعة أذن تدلُ على منزلة الشفيع العالية ، ومكانته الرفيعة في الآخرة ، أمام الخلائق جميعاً ، بالرغم من أنه لا يملك من أمر الشفاعة شيئاً إلا أن يأذن الله ـ عز وجل ـ لمن يشاء ويرضى .

المطلب الثالث

أسبـــاب الشفاعـــة

تقدم لنا فيما سبق بيان شروط الشفاعة وأنها من الأمور التي لا بد منها حتى تتحقق الشفاعة كاملة وتقع يوم القيامة ، وقد ورد ذلك مبيَّنًا في أحاديث النبي ﷺ في أن الشفاعة بعد تحقق شروطها لابد أن يكون عند العبد أعمال صالحة تقربه من الدخول في ضمن المشفوع لهم عند الله ـ عز وجل ـ فالشفاعة يوم القيامة : ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾** ﴾ [الشعراء : ٨٨ – ٨٩] ، لا تفضيل فيها بين الناس إلا بالإيمان، والأعمال الصالحة،وهذه الأعمال هي تعتبر أسباباً لوقوع الشفاعة للعبد المسلم يوم القيامة،فقد رغّب فيها ربنا سبحانه وتعالى ، وكذلك نبيه الكريم ـ محمد ﷺ ، لأنها توصل صاحبها إلى نيل الشفاعة يوم القيامة .

وهذه الأسباب منها ما يكون سببًا عامًا لا تتحقق إلا به ، ومنها ما يكون مختصاً بعمل معين ورد ذكره في حديث من أحاديث النبي ﷺ وحث عليه وبينه أنه سبب موصل للشفاعة .

الأول : السبب العام : تحقق شروط الشفاعة :

وذلك لأن مجرد القيام بالأسباب مع عدم تحقق شروط الشفاعة فإنها لا تؤدي بذاتها إلى الشفاعة لأن تحقق شروط الشفاعة سبب من أسباب قبولها عند الله ــ عز وجل ــ فلا يتعلق بذات السبب فقط ، فلا بد من تحقق الشروط ثم القيام بالأسباب الصالحة ، الفاتحة لأبواب الشفاعة عند الله ـ عز وجل ـ .

وقد ذكر الإمام ابن جرير ـ رحمه الله ـ « في تفسير قول الله تعالى : ﴿ **لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾** ﴾ [مريم : ٨٧] أي عملاً صالحاً (١) » .

ولا شك أن من أهم الأعمال الصالحة إخلاص العبادة لله تعالى بكلمة التوحيد

---

(١) جامع البيان في تاويل القرآن (١٦ / ٣٨٢) .

قولاً وعملاً والقيام بشروطها،فالتوحيد يعتبر شرطًا من شروط الشفاعة كما تقدم ذلك.

فلذا كان التوحيد المتضمن إخلاص العبادة لله تعالى أعظم سبباً تُنال به الشفاعة يوم القيامة .

وقد جاء في ذلك عن النبي ﷺ قوله لما سئل : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ... **أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه** » (١) .

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - : « والله لم يجعل استعانته وسؤاله سبباً لإذنه وإنما السبب لأذنه كمال التوحيد .. » (٢) .

فتحقيق التوحيد أهم أسباب الشفاعة ، فلا نصيب في الشفاعة لمن أشرك مع الله غيره سواء كان ذلك في الدعاء أو في غيره ، فشفاعة النبي ﷺ لا نصيب فيها لمشرك ، إنما هي للموحدين من أمته وإنْ كانوا من أهل الكبائر لا لأهل الشرك ، كما قال ﷺ : « .. **فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً** » (٣) .

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « وتأمل قول النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه وقد سأله : « من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ » ، قال ﷺ : « أسعد الناس.... » ، كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد (٤) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « بل الشفاعة : سببها توحيد الله ، وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له فكل من كان أعظم إخلاصاً كان أحق بالشفاعة ، كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة فإن الشفاعة : من الله مبدؤها ، وعلى الله تمامها فلا يشفع أحد إلا بإذنه ،وهو الذي يأذن للشافع ، وهو الذي يقبل شفاعته

---

(١) سبق تخريجه ١٠٥ .

(٢) كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ضمن الرسائل السلفية ..) (ص٣٩) .

(٣) سبق تخريجه ص ٨٦ .

(٤) مدارج السالكين (١ / ٣٤١) .

في المشفوع له، وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي يرحم الله من يرحم من عباده ، وأحق الناس برحمته : هم أهل التوحيد والإخلاص له ، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص " لا إله إلا الله " علماً وعقيدة ، وعملاً وبراءة ، وموالاة ومعاداة : كان أحق بالرحمة » (١) .

الثاني : الأسباب المختصة بالشفاعة من الأعمال الصالحة هي :

[١] قراءة القرآن :

فقراءته من الأسباب الموصلة لشفاعة الله ـ عز وجل ـ ورضوانه على العبد يوم القيامة ، وقد ورد في ذلك أحاديث عن النبي ﷺ : منها :

قوله ﷺ : « **إقرؤا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، إقرأوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان** (٢) **، أو كأنهما فرقان من طير صوافّ ، تحاجّان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركةٌ ، وتركها حسرةٌ ، ولا يستطيعها البطلةُ** » (٣) . أي السحرة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **سورة من القرآن ثلاثون أية تشفع لصاحبها حتى يغفر له ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾** » (٤) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **القرآن شافِع مشفَّع ، وما**

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤ / ٤١٤) .

(٢) الغمامة والغياية : كل شئ أظلك فوق رأسك .

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها،باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (١ / ٥٥٣) ح٨٠٤ ، وأحمد في مسنده (٥ / ٢٥٥) ، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

(٤) رواه أبو داود في سننه : كتاب الصلاة ، باب في عدد الآي (٢ / ١١٩) ح ١٤٠٠ ، والترمذي في سننه : كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك ، تحقيق / أحمد شاكر (٥ / ١٥١) ح ٢٨٩١ . وقال الترمذي : حديث حسن ، وابن ماجه في سننه : كتاب الأدب، باب ثواب القرآن (٢ / ١٢٤٤)ح٣٧٨٦ والحديث حسن: انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم٣٦٤٤ ، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي ، انظر: كتاب الشفاعة (ص٢٠٩) .

حِلٌ(١) مصَدَّقٌ ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار »(٢) .

وقال ﷺ : « اعملوا بالقرآن .. فإنه شافع مشفَّع وما حل مصدق ... »(٣) .

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : « يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه فيكون له قائداً إلى الجنة ، ويشهد عليه ويكون سائقاً به إلى النار»(٤) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال :«يجيء القرآن "أي يوم القيامة" يشفع لصاحبه.. »(٥) .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : « اقرؤا القرآن فإنه نعم الشفيع يوم القيامة .. »(٦) .

[٢] الصيـــــام :

الصيام من الأعمال الصالحة التي تكون سبباً من أسباب شفاعة المولى ـ عز وجل ـ للعبد يوم القيامة ، وذلك لفضله ولابد أن يكون العمل به إيماناً واحتساباً .

ومن ذلك ما ورد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :« الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني

---

(١) ما حل : أي خصمٌ مجادل مصدَّق . النهاية في غريب الحديث والأثر / لابن الأثير (٤ /٣٠٣) .

(٢) رواه عبدالرزاق في مصنفة ، باب تعليم القرآن وفضله ، تحقيق/ مجيب الرحمن الأعظمي (٣ / ٣٧٣) ح ٦٠١٠ ، وقال الألباني : إسناده جيد ورجاله ثقات ، انظر : السلسلة الصحيحة (٥ / ٣١) برقم / ٢٠١٩ ، انظر: صحيح الجامع / للألباني برقم٤٤٤٣) وحسنه الشيخ مقبل الوادعي ، انظر: كتاب الشفاعة ص٢١٣ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك : كتاب : فضائل القرآن ، من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه (١ / ٧٥٧) ح٢٠٨٧ ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٤) رواه الدارمي في سننه : كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن (٢ / ٣١١) ح ٣٣٢٨ ، ورواه عبد الرزاق (٣ /٣٧٣) ح٦٠١٠ / ، وقال الشيخ مقبل : رواه عبدالرزاق والطبراني بسند صحيح موقوفاً على ابن مسعود . انظر: : الشفاعة (ص٢١١) .

(٥) رواه الدارمي في سننه (٢ / ٣٠٩) ح ٣٣١٥ ، وذكر الألباني في صحيح الجامع بنحوه وحسنه برقم (٨٠٣٠) .

(٦) رواه الدارمي في سننه (٢ / ٣٠٩) ح ٣٣١٤ واللفظ له ، وأحمد في مسنده (٥ / ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧) ، وصححه الشيخ مقبل سواء الأثر الموقوف أو المرفوع . انظر: الشفاعة (ص٢١٨) .

فيه ، فيشفعان » (١) .

[٣] الصلاة على النبي محمد ﷺ :

قال رسول الله ﷺ : « **من صلى على محمد وقال : اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي** » (٢) .

فنجد في هذا الحديث شرطًا جزائيًا وهو الصلاة على محمد ﷺ وأن القائل بهذا يستحق الشفاعة عند الله يوم القيامة .

وقال ﷺ : « **من صلى عليّ حين يصبح عشراً ،وحين يمسي عشراً ، أدركته شفاعتي** » (٣) .

وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة** » (٤) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ١٧٤) ،وقال الهيثمي : رواه أحمد وإسناده حسن على ضعف في ابن الهيعة وقد وثق . مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٧٤٠) وقال حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي ، وقال المنذري : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجاله محتج بهم في الصحيح : انظر: الترغيب والترهيب : كتاب الصوم (٢ / ٨٤) ح ١٥ . والحديث صحيح : انظر: صحيح الترغيب والترهيب للألباني رحمه الله (١ / ٤٨٣) برقم ٩٦٩ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثالثة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨م) .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة / تحقيق الألباني(٢ / ٣٩٥) المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)، والطبراني في الكبير(٥ / ٢٦) ،ح٤٤٨٠ دار إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف العراقية ـ ط الثانية (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م) ، وأحمد في مسنده (٤ / ١٠٨) ، وقال الهيثمي : رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير وأسانيده حسنة (انظر: مجمع الزوائد (١٠ / ١٦٣) ، وقال الألباني : إسناده ضعيف ، ورجاله ثقات غير وفاء بن شريح الحضرمي فهو مجهول الحال ، وابن لهيعه سيء الحفظ (انظر: تخريج كتاب السُّنَّة لابن أبي عاصم) (٢ / ٣٩٥) ح٨٢٧ ، وكذلك تخريج أحاديث المشكاة (١ / ٢٩٥) برقم ٩٣٦ من حديث رويفع بن ثابت رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(١٠ / ١٢٠)رواه الطبراني بإسنادين وإسناد أحدهما جيد ورجاله وثقوا،وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (ص٢٧٣) برقم ٦٥٩ .وفي صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٦٣٥٧ ،"من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه " .

(٤) رواه الترمذي في سننه : كتاب الصلاة ، باب ماجاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٢ / ٣٥٤) ح٤٨٤ ، وقال حديث حسن غريب ، وانظر: المشكاة بتخريج الألباني (١ / ٢٩١) برقم ٩٢٣ .

[٤] الدعاء عند الأذان (طلب الوسيلة للنبي ﷺ عند الأذان) :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **من قال حين يسمع**[١] **النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلّت له شفاعتي يوم القيامة** »[٢] .

فمن التزم بهذا كان ـ إن شاء الله ـ من الفائزين بشفاعة سيد الخلق محمد ﷺ .

وعن عبد الله بن عمرو[٣] بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول : « **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلُّوا عليّ ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة** »[٤] .

[٥] الصلاة على الجنازة المسلمة الموحدة لله :

فمن أسباب الشفاعة للعبد المسلم ، صلاة الموحدين عليه عند موته والدعاء له ، لما ورد عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « **مامن ميت يُصلّي عليه أمّة من المسلمين يبلغون مائة ، كلهم يشفعون له ، إلا شُفعّوا فيه** »[٥] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مامن رجُلٍ مسلم يموتُ**

---

(١) أي عند تمام النداء ، لأن المطلق يحمل على الكمال وهو مقيد بالحديث الذي بعده ، انظر : فتح الباري لابن حجر (٢ / ٩٤) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الأذان ، باب الدعاء عند النداء (١ / ١٥٩) ح / ٦١٤ ، كتاب التفسير ، باب ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، (٦ / ١٠٨) ح / ٤٧١٩ ، وأحمد في مسنده (٣ / ٣٥٤) .

(٣) عبد الله بن عمرو بن العاص ، أبو محمد أو أبو عبد الرحمن القرشي السهمي ، هاجر هو وأبوه قبل الفتح ، بينه وبين أبيه إحدى عشرة سنة فقط ، من المفضلين عند رسول الله ﷺ ، كتب عن النبي ﷺ علماً كثيراً ، واعتزل الفتنة ، وتوفي بمصر سنة ٦٥ هـ ، وقيل بالطائف على الراجح ، ودفن بداره رحمه الله وكان عمره ٧٢ سنة وقيل ٩٢ سنة ، انظر : تذكر الحفاظ (١ / ٤١-٤٢) ، سير أعلام النبلاء (٣ / ٨٠ وما بعدها) ، أسد الغابة (٣ / ٣٥٦ – ٣٥٨) ، ترجمة رقم ٣٠٩٠ ، تقريب التهذيب (١ / ٥١٧) ، رقم / ٣٥١٠ ، الأعلام للزركلي (٤ / ١١١) .

(٤) سبق تخريجه ص ٤٠ .

(٥) رواه مسلم : كتاب الجنائز ، باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه (٢ / ٦٥٤) ح ٩٤٧ ، وأحمد في مسنده (٣ / ٢٦٦ ، ٦ / ٣٢ ، ٤٠ ، ٩٧ ، ٢٣١) واللفظ لمسلم .

فيقوم على جنازته أربعون رجُلاً، لا يشركون بالله شيئاً إلا شفَّعهم الله فيه »[١]

وقال رسول الله ﷺ : « من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب »[٢]

[٦] كثرة السجود لله تعالى :

فالسجود في الصلاة سبب من أسباب الشفاعة للعبد المسلم لأن فيه إظهار التواضع والخضوع والعبودية لله سبحانه وتعالى . وقد جاء عن ربيعة[٣] بن كعب الأسلمي أنه قال : « كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته ، فقال لي " **سل** " فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة ، قال : (**أو غير ذلك ؟**) قُلتُ : هو ذاك ، **قال : فأعني على نفسك بكثرة السُجُود** »[٤] .

وكان للسجود هذا الفضل العظيم أن يكون سبباً من أسباب الشفاعة للعبد المسلم، (.. لأن السجود غاية التواضع والعبودية لله تعالى وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاه وهو وجهه من التراب الذي يداس ويمتهن والله أعلم)[٥] .

وكان النبي ﷺ مما يقول للخادم: « **ألك حاجة** ؟ قال:حتى كان ذات يوم فقال : يا رسول الله حاجتي، قال:" **وماحاجتك** ؟ " قال: حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة . **قال:" ومن دلك على هذا** ؟ ، قال: ربي، **قال:" فأعني بكثرة السجود** " »[٦] .

---

(١) رواه مسلم : كتاب الجنائز ، باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه (٢ / ٦٥٥) ح ٩٤٨ ، وأحمد في مسنده (١ / ٢٧٧ / ٢٧٨) .

(٢) رواه أبو داود في سننه: كتاب الجنائز، باب في الصفوف على الجنائز (٣ / ٥١٥) ح ٣١٦٦ ، والترمذي في سننه : كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الصلاة على الجنازة والشفاعة للميت (٣ / ٣٤٧) ح١٠٢٨ ، وقال :حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في سننه : كتاب الجنائز ، باب ما جاء في من صلى عليه جماعة من المسلمين (١ / ٤٧٨) ح ١٤٩٠ ، والإمام أحمد في مسنده (٤ / ٧٩) ، وانظر المشكاة بتخريج الألباني (١ / ٥٣٠) برقم ١٦٨٧ ، من حديث مالك بن هبيرة رضي الله عنه .

(٣) ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي أبو فراس المدني ، كان من أهل الصفة ، خدم النبي ﷺ وروى عنه مات سنة ٦٣هـ ، انظر: : تهذيب التهذيب / لابن حجر (٣ / ٢٦٢) برقم / ٤٩٦ .

(٤) رواه مسلم : كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه (١ / ٣٥٣) ح ٤٨٩ .

(٥) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (٤ / ٢٠٦) .

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣ / ٥٠٠) وقال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح " انظر: مجمع الزوائد (٢ / ٢٤٩) .

وعن مصعب الأسلمي قال: «انطلق غلام منّا حتى أتى النبي ﷺ فقال: أسألك أن تجعلني ممن تشفع له يوم القيامة، **قال: "من أمرك هذا أو من علمك هذا أو من دلك على هذا ، قال ما أمرني به أحد إلا نفسي قال: فإنك ممن اشفع له يوم القيامة»**(١) .

وفي رواية فقال : « **أعني بكثرة السجود** » (٢) .

[٧] سكنى المدينة النبوية ، والموت بها :

والمقصد من هذا السبب هو السكن في المدينة النبوية الذي شرفها الله ـ عز وجل ـ بالنبي ﷺ ، وذلك مع الصبر عند الفتن والمصائب، وقد ورد في ذلك أحاديث منها :

عن أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرة (٣) فاستشاره في الجلاء من المدينة ، وشكا إليه أسعارها، وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له على جَهْد المدينة ولأوائها ، فقال له ، ويحك لا آمرك بذلك ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يصبرُ أحدٌ على لأوائها فيموت ، إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً** » (٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لايصبر على لأواء المدينة وشدّتها أحدٌ من أمتي ، إلا كُنتُ له شفيعاً يوم القيامة أو شهيداً** » (٥) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **من استطاع أن يموت بالمدينة فليمُت بها ، فإني أشفع لمن يموتُ بها** » (٦) .

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦٩) ،وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٢) ذكره الحافظ بن حجر من رواية البغوي والطبراني ، انظر: الإصابة من تمييز الصحابة (٣ / ٤٢٢) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان / ط الأولى ـ (١٣٢٨هـ) .

(٣) ليالي الحرة : وهي الفتنة المشهورة التي نهبت فيها المدينة سنة ثلاث وستين هجرية ، انظر : شرح النووي لصحيح مسلم (ج٩ / ١٤٩) المجلد الثالث .

(٤) رواه مسلم : كتاب الحج ، باب الترغيب في سكنى المدينة ، والصبر على لأوائها (٢ / ١٠٠٢) ح١٣٧٤ ، وأحمد في مسنده (١ / ١٨١) ، واللفظ لمسلم .

(٥) رواه مسلم : كتاب الحج ، باب الترغيب في سكنى المدينة (٢ / ١٠٠٤) ح ١٣٧٨ .

(٦) رواه الترمذي في سُننه : كتاب المناقب ، باب فضل المدينة (٥ / ٦٧٦)ح ٣٩١٧ ، وقال: حديث حسن غريب ، وابن ماجه في سُننه بلفظ (**فإني أشهد لمن مات بها**) : كتاب المناسك ، باب فضل المدينة =

فسكنى المدينة النبوية سبب من أسباب شفاعة الرسول ﷺ للعبد المسلم يوم القيامة ، قال الإمام النووي رحمه الله : « وفي هذه الأحاديث .. دلالات ظاهرة على فضل سكن المدينة والصبر على شدائدها وضيق العيش فيها ، وأن هذا الفضل باق مستمر إلى يوم القيامة »(١) .

[٨] قضاء حوائج المسلمين :

فمنفعة المسلم لأخيه المسلم وقضاء حاجته من أسباب الشفاعة عند الله عز وجل للعبد المسلم من الشفعاء في ذلك اليوم

كما قال الرسول ﷺ : « **من قضى لأخيه حاجة كنت واقفاً عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت له** »(٢) .

[٩] الأخوة في الله :

فمن أسباب الشفاعة عند الله ـ عز وجل ـ الأخوة الإيمانية التي لا يشوبها مصلحة من المصالح الدنيوية ، لقوله ﷺ : « **أنا شفيع لكل رجلين اتّخيا في الله من مبعثي إلى يوم القيامة** »(٣) .

والحاصل مما تقدم أن من كان حريصاً على نيل شفاعة النبي ﷺ أو غيره يوم

= (٢/١٠٣٩) ح ٣١١٢ ، والإمام احمد في مسنده (٢/١٠٤) ، والحديث صحيح : انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ الألباني – رحمه الله – برقم (٦٠١٥) ، وانظر مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني (٢/٨٣٩) برقم ٢٧٥٠ ، وقال الألباني : إسناده صحيح .

(١) انظر : شرح النووي لصحيح مسلم (٩/١٥١) المجلد الثالث .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٣٥٣) ، وقال : غريب من حديث مالك تفرد به الغفاري ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى (١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م) ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٧٥١) ، وقال الشيخ : مقبل : الحديث لا يثبت بهذا السند . انظر : الشفاعة (ص ٢٥٦ – ٢٥٧) .

(٣) أبو نعيم في الحلية (١/٣٦٨) ، من حديث سلمان رضي الله عنه ، وكنز العمال (٩/٤) برقم (٢٤٦٤٤) ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم /١٧٢٣ ، وقال الشيخ مقبل : الحديث في سنده عمرو بن خالد الكوفي ، وهو أبو خالد الواسطي ... وهو كذاب عند المحدثين ، ... أما بقية السند فثقات إلا إسحاق الطائي الكوفي، ... ،اخشى ان يكون إسحاق بن بشر الكاهلي الكوفي وهو كذاب . انظر : الشفاعة (ص ٢٥١) .

القيامة ، أنها لا تأتي إلا بسبب من العبد المسلم ، وهذه الأسباب جملتها أعمال صالحة ، « لأن الشفاعات متنوعة يوم القيامة ، فمنها للمذنبين الموحدين بإخراجهم من النار وإدخالهم الجنة ، ومنها شفاعات للصالحين برفع درجتهم في الجنة ، أو إدخالهم الجنة بلا حساب فيعطى كل أحد ما يناسبه » (١) .

فعلى المسلم أن يتحرى الأسباب المؤدية إلى حصول الشفاعة ، ويعمل بمقتضاها ، والله الموفق .

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٢ / ١١٤) بتصرف .

المبحث الرابع
أحكام الشفاعة

المطلب الأول
حكم الاستشفاع بالله عز وجل

الاستشفاع بالله ـ عز وجل ـ يعتبر من أوجب الواجبات على العبد المسلم إذا كان مراده النجاة والفرج من الكربات والشدائد، ويقصد بذلك الالتجاء إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ والرجوع إليه دون سواه وقد أمرنا بذلك في كتابه العزيز بقوله سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقد ذكر الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ: « في تفسير هذه الآية بعض أقوال المفسرين لمعناها : فقيل وحدوني واعبدوني أتقبل عبادتكم وأغفر لكم ، وقيل المراد بالدعاء السؤال بجلب النفع ودفع الضر » .

وقال ـ رحمه الله ـ: « بل الثاني أولى لأن معنى الدعاء حقيقة وشرعاً هو الطلب ، فإن استعمل في غير ذلك فهو مجاز ، على أن الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو عبادة ، بل مخ العبادة كما ورد بذلك الحديث الصحيح : بقوله ﷺ : الدعاء هو العبادة ، قال ربكم ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1] » .

فالله سبحانه قد أمر عباده بدعائه ووعدهم بالإجابة ووعده الحق ، وما يبدل القول لديه ولا يخلف الميعاد .

---

(١) رواه أبو داود : كتاب الصلاة ، باب الدعاء (٢ / ١٦١) ، ح ١٤٧٩ (والترمذي في سننه : كتاب تفسير القرآن ، باب ومن البقرة ، ومن سورة المؤمن (٥ / ١٩٤ ، ٣٤٩) ح ٢٩٦٩ ، ٣٢٤٧ وابن ماجه في سننه: كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء (٢ /١٢٥٨) ،ح٣٨٢٧ . وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه .

ثم صرح سبحانه بأن هذا الدعاء باعتبار معناه الحقيقي وهو الطلب هو من عبادته فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] [١].

أقول: لا مانع من اشتمال الآية على المعنيين السابقين، ولا يعارض ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، لأن معناها وحدوني واعبدوني، واسألوا منافعكم ومغفرة ذنوبكم.

فهذا من لطفه - عز وجل - بعباده ونعمته العظيمة حيث دعاهم إلى ما فيه إصلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه دعاء العبادة ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم، وتوعد من استكبر عنها فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾، أي ذليلين حقيرين يجتمع عليهم العذاب والإهانة جزاء على استكبارهم[٢].

---

(١) فتح القدير (٤ / ٦١٧) بتصرف ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن السعدي (ج٧ / ٧٩) المجلد الرابع - مع زيادة يسيرة.

المطلب الثاني

حكم الاستشفاع بالرسول ﷺ

وفي هذا الحكم لابد من البيان والإيضاح ومعرفة المسألة بالتفصيل .

أولاً : حكم الاستشفاع به ﷺ في الدنيا في حال حياته :

فهذا النوع من الاستشفاع جائز ، وقد سبق أن ذكرنا ذلك في الشفاعة في أمور الدنيا ، وفي تعريف التوسل ، وقد ثبت ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أنهم كانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يدعو لهم، ويشفع لهم ، فكانوا يتوسلون بدعائه ﷺ في الاستسقاء وغيره ، وقد ثبت عن الصحابة أنهم طلبوا الشفاعة من الرسول ﷺ في حياته ، وذلك لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « سالت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال أنا فاعل، قال: قُلتُ يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال : اطلبني أول ما تطلبني على الصراط ، قال : قلت فإن لم ألْقَكَ على الصراط؟ قال : فاطلبني عند الميزان ، قلت : فإن لم ألْقَكَ عند الميزان؟ ، قال : فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ[١] هذه الثلاث المواطن »[٢] .

ولا بد من المعرفة هنا أنه لا يلزم تحقق الشفاعة لكل من طلبها من النبي ﷺ في حياته ، بل لابد من توفر شروط الشفاعة ليكون أهلاً لها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في حكم الاستشفاع بالنبي ﷺ في حياته :« كان أصحابه ﷺ يتوسلون إلى الله بدعائه وشفاعته »[٣] .

---

(١) أي لا أتجاوز هذه البقاع ولا يفقدني أحد فيهن جميعهن .

(٢) رواه الترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في شان الصراط (٤ /٥٣٧) ح٢٤٣٣ ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣ /١٧٨) . وقال الشيخ الألباني رحمه الله : سنده جيد ، انظر: مشكاة المصابيح ٣ /١٥٥٧) ح ٥٥٩٥ .

(٣) مجموع الفتاوى (١ /١٤٣) .

ثانياً : حكم الاستشفاع به ﷺ بعد موته في الحياة البرزخية:

في هذه الحالة لا يجوز لأنه ﷺ في فترة زمنية مؤقتة من الله - عز وجل - لا يستطيع أن ينفع أحداً لأنها فترة ما بين الحياة الأولى في الدنيا ، والقيامة ، ومن طلب منه الاستشفاع في هذه الفترة (أي الحياة البرزخية) فهي من الأمور البدعية ولا يوجد دليل على جوازها ، والأصل في العبادات التوقف على ما ورد من دليل شرعي .

فعلى هذا لا يجوز طلب الشفاعة من الرسول ﷺ بعد موته ، قبل يوم القيامة ، لا عند قبره ، ولا بعيداً عنه .

ولم يثبت عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين فعل هذا ، مع كونهم أحرص الناس على فعل الخير ، وعلى اكتسابه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « طلب شفاعته ﷺ ودعائه واستغفاره بعد موته، وعند قبره ليس مشروعاً عند أحد من أئمة المسلمين . . »(١) .

وإذا كان لايجوز طلب الشفاعة من الرسول ﷺ بعد موته فكذا غيره من الأنبياء والصالحين بعد موتهم وكذا الملائكة لتعذر إجابتهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « وعلم أنه لم يكن النبي ﷺ بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين ، ولا يستشفعوا بهم لا بعد موتهم ولا في مغيبهم ، فلا يقول أحد : (يا ملائكة الله اشفعوا لي عند الله، سلوا الله لنا أن ينصرنا، أو يرزقنا ، أو يهدينا ، وكذلك لا يقول لمن مات من الأنبياء والصالحين: يا رسول الله ادعُ الله لي، سل الله لي، استغفر الله لي ، سل الله لي أن يغفر لي أو يهديني أو ينصرني أو يعافيني »(٢) .

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٢٤١) .
(٢) مجموع الفتاوى (١ / ١٦٠ ، ١٦١) .

ثالثاً : حكم الاستشفاع به ﷺ يوم القيامة :

وهذا النوع ثابت للنبي ﷺ وأن الناس يجتمعون ثم يطلبونها منه ، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً (١) كل أمةٍ تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعةُ إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثُهُ الله المقام المحمود » (٢) .

وسنتكلم عن هذا في مكانه إن شاء الله تعالى .

وهذا الحديث من الأدلة على أن الناس يتوسلون إلى النبي ﷺ من أجل أن يشفع لهم إلى ربهم حتى يقضي بينهم ، ويدخل أهل الجنة الجنة ، واستشفاع الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة هو كاستشفاعهم وتوسلهم به ﷺ حال حياته ، فإنهم يطلبون منه يوم القيامة أن يشفع لهم إلى الله ، كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم في الاستسقاء وغيره .

والحاصل مما تقدم أن طلب الشفاعة من النبي ﷺ حال حياته جائز وواقع ، سواءً كان طلب الشفاعة في الأمور الدنيوية ، أو طلب الشفاعة الأخروية ، وكذا فإن الناس يطلبون الشفاعة من النبي ﷺ يوم القيامة .

وأمّا طلب الشفاعة من النبي ﷺ بعد موته، فهي لا تطلب الآن إلا من الله تعالى، كأن يقول الداعي : اللهم ارزقني شفاعة نبيك ، اللهم اجعلني ممن تشفّع فيهم نبيك ، أو اللهم لا تحرمني شفاعته ونحو ذلك .

---

(١) جُثاً : أي جماعة ، الجثا : جَمْع جُثوة بالضم ، وهو الشيء المجموع ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (١ / ٢٣٩) .

(٢) رواه البخاري : كتاب التفسير ، سورة بني إسرائيل ، باب قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ (٦ / ١٠٨) ح / ٤٧١٨ .

المطلب الثالث

حكم الاستشفاع بغير الرسول ﷺ

سبق وأن تكلمنا في حكم الشفاعة في الأمور الدنيوية ، وأنه يجوز للعبد أن يستشفع بأخيه المسلم فيما يقدر عليه ، وأما بعد موته في الحياة البرزخية وهو في قبره فلا يجوز له ذلك مطلقاً ، لأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فمن باب أولى لا ينفع ولا يضر غيره .

أما في يوم القيامة فقد ثبت أن كل إنسان يفر من قريبه ، كما قال الله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)** ﴾ [عبس : ٣٤-٣٧] ، فكل واحد يقول نفسي نفسي كما ثبت في الصحيحين(١) .

وهذا في بداية الموقف عند الحساب ، حتى إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة ، فعند ذلك يبدأ أصحاب النار من أهل الذنوب الذين ماتوا على التوحيد يستنجدون ويستشفعون بمن يعرفونهم من أهل الجنة ، فيكون أهل الجنة عند الله ـ عز وجل ـ أشدَّ مُنَا شدةً في أن يشفِّعهم فيهم ويقبل شفاعتهم فيمن يعرفون ، فيأذن بذلك سبحانه وتعالى ، كما قال ﷺ : « ..... **ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله ، في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم..** »(٢) .

---

(١) رواه البخاري : كتاب التفسير ، باب ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) ﴾ (٦ / ١٠٥) ح ٤٧١٢ ، وكتاب : أحاديث الأنبياء باب : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ ٤ / ١٦٣ ، ١٦٤) ح٣٣٤٠ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١ / ١٨٤) ح١٩٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) ﴾ (٩ / ١٥٩-١٦٠) ح ٧٤٣٩ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١ / ١٦٩-١٧٠) ح ١٨٣ ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم .

وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **سلك رجلان مفازة أحدهما عابد والآخر به رهق ، فعطش العابد حتى سقط ، فجعل صاحبه ينظر إليه وهو صريع فقال :والله لئن مات هذا العبد الصالح عطشاً ومعي ماء لا أصيب من الله خيراً ، وإن سقيته مائي لأموتن ، فتوكل على الله وعزم ورش عليه من مائة وسقاه من فضله ، قال :فقام حتى قطع المفازة، قال : فيوقف الذي به رهق يوم القيامة للحساب فيؤمر به إلى النار فتسوقه الملائكة فيرى العابد ، فيقول : يا فلان أما تعرفني قال : فيقول من أنت قال : أنا فلان الذي آثرتك على نفسي يوم المفازة ، قال : فيقول بلى : أعرفك قال : فيقول للملائكة قفوا ، ويجيء حتى يقف ويدعو ربه فيقول : يارب قد تعرف يده عندي وكيف آثرني على نفسه، يارب هبه لي قال : فيقول : هو لك ، ويأخذه بيده فيدخله الجنة** »(١) . وفي رواية : يقول : « **. . .فشفعني يارب فيه ، قال : فشفعه الله فيه وأخرجه من النار** » .

فحاصل القول في هذا أن الاستشفاع بغير الرسول ﷺ في الحياة الدنيا يجوز بذلك الاستشفاع المشروع الذي ثبت عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

وأما بعد موته عند قبره فذلك من الأمور البدعية الموصلة إلى الشرك والعياذ بالله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله -: « فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم ، وخطاب تماثيلهم ، هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب ، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات مالم يأذن به الله تعالى »(٢) .

وأما في يوم القيامة فقد ثبت الاستشفاع بغير الرسول ﷺ كما ورد ذلك في سنته ﷺ فهي من الأمور التي يأذن بها الله ـ عز وجل ـ ذلك اليوم لمن يشاء من عباده .

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٢) وقال رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أبي ظلال القسملي وقد وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه غير واحد .

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ١٥٩) .

المطلب الرابع
الفرق بين الاستشفاع بفلان والإقسام بحق فلان

الاستشفاع بفلان والإقسام بحق فلان فيه تفصيل .

قال ابن أبي العز الحنفي[١] **- رحمه الله -** : « وأما الاستشفاع بالنبي ﷺ وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء ، ففيه تفصيل : فإن الداعي تارة يقول : بحق نبيّك أو بحق فلان ، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته ، فهذا محذور من وجهين :

أحدهما : أنه أقسم بغير الله .

والثانــي : اعتقاده أنَّ لأحد على الله حقاً » .

ولا يجوز الحلف بغير الله ، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه ، كقوله تعالى : ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم : ٤٧] ، وكذلك ما ثبت عنه ﷺ لمعاذ[٢] رضي الله عنه ، وهو رديفه : « **يا معاذ أتدري ما حقُّ الله على العباد ؟** ، قال الله ورسوله أعلم ، **قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أتدري ما حقهم عليه ؟** ، قال : الله ورسوله أعلم ، **قال : أن لا يُعذِّبهم** »[٣] .

---

(١) هو القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الأذرعي الدمشقي ، ولد عام ٧٣١هـ ، فقيه كان قاضي القضاة بدمشق ، ثم بالديار المصرية ، ثم بدمشق،وامتحن بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أيبك الدمشقي،توفي عام ٧٩٢هـ بدمشق ، له كتب منها : (التنبيه على مشكلات الهداية في الفقه ، شرح العقيدة الطحاوية) وغير ذلك . انظر: الدرر الكامنة/ لابن حجر (٣ / ٨٧)، شذرات الذهب / لابن العماد(ج٦ / ٣٢٦) المجلد الثالث (وهو عنده باسم محمد بن علي)،الاعلام/ للزركلي(٤ /٣١٣) .

(٢) أبو عبد الرحمن ، معاذ بن جبل بن عمرو الانصاري الخزرجي ، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام وكان رضي الله عنه أبيض الوجه ، براق الثنايا ، شهد المشاهد كلها وشهد بدراً وهو ابن ٢١ سنة ، وأمّره الرسول عليه الصلاة والسلام على اليمن ومناقبه كثيرة جداً . كانت وفاته بالطاعون في الشام سنة ١٧هـ وقيل ١٨هـ وهو أصح ، وعاش أربعاً وثلاثين سنة ، وقيل غير ذلك ، انظر : الإصابة (٣ / ٤٢٦ ، ٤٢٧) ترجمة رقم / ٨٠٣٧ ، أسد الغابة (٥ / ٢٠٤-٢٠٧) ترجمة رقم / ٤٩٥٣ ، سير أعلام النبلاء (١ / ٤٤٣ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (٢ / ١٩١) رقم ٦٧٤٨ .

(٣) رواه البخاري : كتاب التوحيد وغيره ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٩ / ١٤٠) ح / ٧٣٧٣ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١ / ٥٩)ح٣٠ .

فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق ، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير ، وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم ، وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به ، ولا أن يُسأل بسببه ويتوسل به ، لأن السبب هو ما نصبه الله سبباً .

فإن قيل : فأي فرق بين قول الداعي : (بحق السائلين عليك)، وبين قوله : (بحق نبيك) أو نحو ذلك ؟، فالجواب : أن معنى قوله : (بحق السائلين عليك) (١) ، (إنك وعدت السائلين بالإجابة ، وأنا من جملة السائلين ، فأجب دعائي ، بخلاف قوله : بحق فلان ـ فإن فلاناً ، وإن كان له حق على الله بوعده الصادق ـ فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل . فكأنه يقول : لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعاي ، وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة ؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** (٥٥) ﴾ [الأعراف :٥٥] ، وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة ، ولم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ، ولا عن التابعين ،ولا عن أحد من الأئمة رضي الله عنهم . . .

وإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان ، فذلك محذورٌ أيضاً ، لأن الإقسام بالمخلوق لايجوز ، فكيف على الخالق ؟!

وقد قال ﷺ : « **من حلف بغير الله فقد أشرك** » (٢) .

ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه رضي الله عنهم : يكره أن يقول الداعي : أسألك بحق فلان ، أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام ، والمشعر الحرام ، ونحو

---

(١) جزء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . ذكره الألباني في : سلسلة الأحاديث الضعيفة ، رقم ٢٤ .

(٢) رواه أبو داود : كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء (٣ / ٥٧٠) ح ٣٢٥١، والترمذي في سننه : كتاب النذور والأيمان ، باب كراهية الحلف بغير الله (٤ / ٩٤) ح ١٥٣٥، وأحمد في مسنده (١ / ٦٩) كلهم من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، وأخرجه الحاكم في المستدرك : كتاب الأيمان والنذور (٤ / ٣٣١) ح ٧٨١٤ ، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . الحديث صحيح : غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام/للألباني برقم٢٥٩ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

ذلك ، حتى كره أبوحنيفة ومحمد رضي الله عنهما أن يقول الرجل : اللهم إني أسألك بمعقد العزّ من عرشك ،ولم يكرهه أبو يوسف ـ رحمه الله ـ : لما بلغه الأثر فيه (١) .

وتارة يقول : بجاه فلان عندك ، يقول : نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده أنَّ فلاناً عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فأجب دعاءنا ، وهذا أيضاً محذور ، فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد موته ، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه ، يطلبون منه أن يدعوا لهم ، وهم يؤمنّون على دعائه ، كما في الاستسقاء وغيره (٢) » .

فالحاصل مما تقدم أن الاستشفاع بفلان يقصد به (دعاءه لربه ـ عز وجل ـ وشفاعته وسؤاله ، فهو استشفاع بدعائه كما ورد ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما خرجوا يستسقون ، فقد استشفعوا بالعباس رضي الله عنه أي بدعائه) (٣) .

وأما الإقسام بحق فلان فهو من الشرك بالله ـ عز وجل ـ لقوله ﷺ : « **من حلف بغير الله فقد أشرك** » (٤) .

---

(١) الحديث : موضوع ــ كما بينه الزيلعي في نصب الراية لأحاديث الهداية ٤ /٢٧٣) المكتبة الإسلامية لصاحبها / رياض الشيخ ــ ط الثانية ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٣م .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ــ تحقيق / محمد ناصر الدين الألباني (٢٣٦ ــ ١٣٧(. المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط التاسعة (١٤٠٨هـ ــ ١٩٩٨م) .

(٣) سبق تخريجه ص٥٥ .

(٤) سبق تخريج الحديث ص ١٣٥ .

الباب الثاني

الشافعون للأمة يوم القيامة

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : شفاعة الرسول ﷺ

الفصل الثاني : شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته

الفصل الثالث: شفاعة غير الرسول ﷺ للأمة

الفصل الأول

شفاعة الرسول ﷺ

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : لمن الشفاعة:

المبحث الثاني: الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ :

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الشفاعة المتفق عليها في خصوصيتها .
- المطلب الثاني : الشفاعة المختلف في خصوصيتها .

المبحث الثالث: الشفاعة العامة :

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الشفاعة لأهل الكبائر من أهل التوحيد في الخروج من النار .
- المطلب الثاني : الشفاعة للأهل والأقارب .

المبحث الأول

لمن الشفاعة ؟

لقد عرفنا فيما سبق الأدلة الواردة من القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية ، والإجماع وأقوال العلماء في إثبات الشفاعة يوم القيامة وكذلك أركانها وأسبابها وأحكامها .

فمن خلال ذلك تبين أن الشفاعة تتنوع من حيث الشفعاء ، ومن حيث نوع الشفاعة ، فأحياناً يكون الشفيع نبينا محمد ﷺ ، وأحياناً يكون غيره ، من الأنبياء والشهداء والصالحين والملائكة المقربين ، والعمل الصالح .

ولكن قبل أن نبدأ في بيان ذلك مفصلاً لابد أن نقدم بين يدي القارئ مبحثاً مهماً جداً متعلق بعقيدة العبد المسلم ، وهو عبارة عن سؤال ، والجواب عنه توضيحاً وإكمالاً للفائدة فأما السؤال فهو : لمن الشفاعة ؟.

وأمَّ الإجابة على هذا فبقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزمر : ٤٤] .

فهذه الآية تثبت الشفاعة لله وحده ـ سبحانه وتعالى ـ فاختصاص الله ـ عز وجل ـ بالشفاعة اختصاص ملك ، ومعنى ذلك أنه ليس لإحدٍ من الخلق شفاعة إلا من أخبر الله أن له شفاعة مقيدة بقيود وشروط ، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ورضاه ، مهما عظم جاهه عند الله ـ عز وجل ـ .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « فاخبر أن حال ملكه للسموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده وأن أحداً لا يشفع عنده إلا بإذنه .. وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه فإنه الذي أذن والذي قَبِلَ والذي رضي عن المشفوع ، والذي وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة » (١) .

---

(١) بدائع التفسير لابن القيم ، جمع وتخريج / يسرى السيد محمد (٤ / ٦٣) ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م) .

وقال رحمه الله في النونية :

« وله الشفاعة كلها وهو الذي في ذاك يأذن للشفيع الداني
لمن ارتضى ممن يوحده ولم يشرك كما قد جاء في القرآن » [(١)]

وقال ابن الجوزي - رحمه الله- : « لا يملكها أحدٌ إلا بتمليكه ، ولا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه » [(٢)] ، « لأن الأمر كله لله ، وكل شفيع فهو يخافه ، ولا يقدر أن يشفع عنده أحد إلا بإذنه فإذا أراد رحمة عبده أذن للشفيع الكريم عنده أن يشفع رحمة بالاثنين » [(٣)] .

ولا يحق لمنكر الشفاعة أن يستدل بهذه الآية على عدم وقوعها يوم القيامة.

« فقد يستدل بهذه الآية على وجود الشفاعة في الجملة يوم القيامة لأن الملك أو الاختصاص الذي هو مفاد اللام هنا يقتضي الوجود فالاستدلال بها على نفي الشفاعة مطلقاً في غاية الضعف » [(٤)] .

(فالمقصود أن الشفاعة ملك لله عز وجل ولا تسأل إلا منه ، كما لا تكون إلا بإذنه للشافع في المشفوع حين يأذن في الشفاعة) [(٥)] .

فإذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون إلا من بعد إذنه ، ولا يشفع النبي ﷺ ولاغيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن الله تعالى إلا لأهل التوحيد ، تبين أن الشفاعة كلها لله وإنما يمنح غيره تفضلاً وإكراماً للشافع وللمشفوع له .

فلهذا لم يجز طلبها من غيره ، بل تُطلب منه وحده ، بالقول : اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك محمد ﷺ ، أو كذلك الشهيد أو الصغير بالقول : اللهم شفِّعه فيَّ ، ونحو ذلك .

---

(١) نونية ابن القيم .
(٢) زاد المسير في علم التفسير (٧ / ١٨٧) .
(٣) تيسير الكريم الرحمن / للسعدي (ج٧ / ٤٤) المجلد الرابع .
(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / الألوسي (ج٢٤ / ١٠) المجلد الثاني عشر ـ مع زيادة يسيرة ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .
(٥) معارج القبول / لحافظ حكمي (٢ /٨٨٨ - ٨٨٩) .

فمن طلبها من النبي ﷺ بعد موته في الحياة البرزخية بحجة أنه يطلبها من الذي أعطاه الله إياها يقال له :

إن الله ـ عز وجل ـ أعطى رسوله ﷺ الشفاعة ، ونهاك أن تطلبها منه في حياتك وبعد موته ﷺ حال كونه في الحياة البرزخية ، بقوله تعالى: ﴿ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن :١٨] ، فتطلب الشفاعة بالدعاء فيشفّعه الله فيك يوم القيامة بإذنه سبحانه وتعالى ، فهي مظهر من مظاهر رحمة الله ـ تعالى ـ لا يشمل بهذه الرحمة إلا من يستحقها .

قال الله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف : ١٥٦] .

فالشفعاء وسيلة ينفذ من خلالهم قدر الله ـ عز وجل ـ والله تعالى أعلم .

المبحث الثاني

الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ

لقد خصّ الله ـ تبارك وتعالى ـ نبيه محمداً ﷺ بخصائص عظيمة ومنح وعطايا كريمة ليس لأحد عليه فيها مزيد ولا يلحقه عبد من العبيد فيها ، ونجد أن هذه الخصائص تنقسم إلى قسمين هما :

القسم الأول : خصائص تشريعية وهي :

[١] وهي ما اختص الله به النبي محمداً ﷺ من التشريعات الإلهية دون الأنبياء السابقين كما ورد ذلك في السُّنَّة النبوية المطهرة في قوله ﷺ : « **أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي ..** » (١) .

[٢] ما اختص به النبي ﷺ دون أمته مع مشاركة الأنبياء السابقين فيها ، كتزوجه بأكثر من أربع نسوة وغيرها .

القسم الثاني : خصائص تفضيلية :

[١] وهي عبارة عن التشريفات والكرامات والفضائل التي خُصّ به نبينا محمد ﷺ دون غيره من الأنبياء في الحياة الدنيا أو الآخرة .

[٢] ما اختص به النبي ﷺ دون أمته مع مشاركة الأنبياء السابقين له فيها فمن هذه الخصائص التفضيلية تخصيص النبي ﷺ في بعض أنواع الشفاعة يوم القيامة عند رب العزة والجلال ، فمنها المتفق في خصوصيتها ، ومنها المختلف في خصوصيتها (٢) بل يشاركه فيها غيره من الشفعاء يوم القيامة ، وكل أنواع الشفاعة مختصةٌ بأهل الإخلاص ، الذين لم يتخذوا من دون الله ولياً ولا شفيعاً ،

---

(١) سبق تخريجه ص ٨٦ .

(٢) يقصد بالمتفق في خصوصيتها : أي بين الأئمة والعلماء ، ويقصد بالمختلف في خصوصيتها : أي بين الأئمة والعلماء في كونها خاصة بالنبي ﷺ ، أم يشاركه غيره من الأنبياء وغيرهم من الشفعاء يوم القيامة .

كما قال تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنعام : ٥١] ، إلا نوع واحد من أنواع الشفاعة فلا يختص بأهل الإخلاص ، وهي الشفاعة لأبي طالب فهي تخفيف من العذاب خاصة بأبي طالب وحده .

المطلب الأول

الشفاعة المتفق في خصوصيتها بالنبي ﷺ

(العامة لأهل الموقف)

أولاً : الشفاعة العظمى :

وهي أعظم الشفاعات وأعمّها لأنها واردة من النبي ﷺ من أجل الشفاعة عند الله ـ عز وجل ـ ليقضي بين خلقه جميعاً ولم تكن مختصة بأمة دون أخرى ، ولهذا تسمى الشفاعة العظمى ، فهي شفاعة عامة لجميع أهل الموقف على اختلاف أديانهم لفصل القضاء بين الناس ، فهذا شامل للمؤمنين والكفار ، فهي شفاعة يومئذ لبدء الحساب ولن ينجي الكفار من النار .

وهي شفاعة خاصة بالنبي ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين طالباً ربه ـ عز وجل ـ أن يريح عباده من موقفهم العصيب ، ومن شدة الكرب ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٩] .

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : « فقال أكثر أهل العلم : ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم » (١) .

وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : « اختلف في المقام المحمود على أربعة أقوال : الأول ـ وهو أصحها ـ الشفاعة للناس يوم القيامة ، قاله حُذيفة بن اليمان » (٢) .

وقال الإمام أحمد-رحمه الله -: « قال العلماء : المقام المحمود هي شفاعته ﷺ يوم القيامة للناس في الموقف، ليريحهم الله مما هم فيه من شدة » (٣) .

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٨ / ١٣١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٣٠٩) .

(٣) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢ / ٢١٢) .

(فلرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد ، وتشريفات لا يساويه فيها أحد .. ، وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق وذلك بعد ما تسأل الناس آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يقول لست لها حتى يأتوا إلى محمد ﷺ فيقول : (أنا لها) [١] .

وقال ابن خزيمة [٢] - رحمه الله -: « ... أن المقام الذي يشفع فيه النبي ﷺ لأمته هو المقام المحمود الذي وعده الله ـ عز وجل ـ في قوله : ﴿ **عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٩] » [٣] .

وقال القاضي عياض - رحمه الله - : « وقال قتادة [٤] : كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يوم القيامة ، وعلى أن المقام المحمود مقامه ﷺ للشفاعة مذاهبُ السلف من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين » [٥]

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣ / ٥٩) .

(٢) هو محمد بن إسحاق بن المغيرة ، أبو بكر ، السلمي الشافعي (المعروف بابن خزيمة) ، الحافظ الحجة الفقيه ، إمام الأئمة ، عني بالحديث والفقه ، فكان مضرب المثل في سعة علمه ، وكان له جلالة في القلوب لعلمه ودينه ، واتباعه للسنّة . ولد سنة ٢٢٣هـ بالنيسابور ، من مصنفاته : " كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل " صحيح ابن خزيمة وغيرها ، توفي سنة ٣١١هـ بنيسابور . انظر : طبقات الشافعية / للسبكي (٣ / ١٠٩ ، ١١٠) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٤ / ٣٦٥ وما بعدها) ، شذرات الذهب / لابن عماد (ج٢/ ٢٦٢ وما بعدها) المجلد الأول ، الأعلام / للزركلي (٦/ ٢٩) .

(٣) التوحيد لابن خزيمة ـ تحقيق / عبدالعزيز الشهوان (٢ / ٧٢٤) مكتبة الرشد ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية ـ (١٤١١هـ - ١٩٩١م) .

(٤) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي الضرير الأكمه المفسر ، ولد عام ٦٠هـ ، كان رأساً في العربية و اللغة وأيام العرب والنسب ، وكان أحفظ الناس ، لا يسمع شيئاً إلا حفظه ، وله تفسير ، مات بواسط في الطاعون سنة ١١٨هـ وقيل سنة ١١٧هـ . انظر : تذكرة الحفاظ / للذهبي (١ / ١٢٢) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٥ / ٢٦٩ وما بعدها) ، طبقات المفسرين / للداودي (٢ / ٤٣) ، الأعلام / للزركلي (٥ / ١٨٩) .

(٥) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ـ تحقيق / علي محمد البجاوي (١ / ٢٩٣) ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

وقال الإمام اللالكائي (١) في بداية سياق أحاديث الشفاعة : (ما روي في أن المقام المحمود هو الشفاعة) (٢) .

وقال الإمام ابن حجر-رحمه الله-: « والراجح أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة »(٣) .

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة الصريحة في ذكر الشفاعة العظمى من ذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أُتي رسول الله ﷺ بلحم فَرُفِعَ إليه الذراع وكانت تُعجِبُهُ فنهس(٤) منها نهسةً ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك يُجمَعُ الناس الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ(٥) يسمعهم الدَّاعي وينفذُهم البصر(٦) وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يُطيقون ولايحتملون فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك الا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول : آدم إنّ ربيٌ قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلهُ مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن

---

(١) هو أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الشافعي اللالكائي ، من أهل طبرستان ، استوطن بغداد ، درس الفقه الشافعي وبرع فيه ، خرج في آخر أيامه إلى الدينور ، فمات بها كهلاً سنة ٤١٨هـ ، له مصنفات من أشهرها (شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة) وهي من أفضل الكتب التي ألفت في مجال العقيدة من حيث عرض أصول أهل السُّنَّة والجماعة . انظر: : سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٧ / ٤١٩-٤٢٠) ، تذكرة الحفاظ / للذهبي (٣ / ١٠٨٣) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٣ / ٢١١) المجلد الثاني ، الأعلام / للزركلي (٨ / ٧١) .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٦ / ١١١٢) .

(٣) فتح الباري : كتاب الرقاق (١١ / ٤٣٥) .

(٤) فنهس : أخذ اللحم بأطراف الأسنان ، والنهش : الأخذ بجميعها ـ النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الأثير (٥ / ١٣٦) باب النون مع الهاء .

(٥) صعيدٍ واحد : الصعيد هو الأرض الواسعة المستوية. شرح النووي لصحيح مسلم (ج٣ / ٦٦) المجلد الأول.

(٦) ينفذهم البصر: ينفذهم بصر الرحمن تبارك وتعالى حتى ياتي عليهم كلهم ويحيط بهم ، وقال صاحب المطالع : معناه أنه يحيط بهم الناظر . انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (ج٣ / ٦٦) المجلد الأول ، وقيل: أراد ينفذهم بصر الناظر، لاستواء الصعيد ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥ / ٩١) .

الشجرة فعصيتُهُ نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري.، اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيقولون : يانوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوةٌ دعوتُها على قومي ، نفسي نفسي ، أذهبو إلى غيري ، أذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليلُهُ من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، الا ترى ما نحن فيه ، فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات[١]، ... ، نفسي نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضّلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول إنّ ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّي قد قتلت نفساً لم أُومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمتُه ألقاها إلى مريم وروحٌ منه وكلّمت الناس في المهد صبياً اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول عيسى إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتون محمداً ﷺ فيقولون يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع

---

(١) قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ، وقوله (لطاغية مصر آنذاك أن سارة زوجته هي أخته) – صحيح البخاري : كتاب الأنبياء ، باب واتخذ الله إبراهيم خليلاً (٤ / ١٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقيل الثالثة قوله للكوكب : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ انظر: صحيح مسلم. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : (وإنما سمى " إبراهيم عليه السلام هذه كذبات " تواضعاً منه ، لأنها بحسب مراده صدق مطابق للواقع، فهي من باب التورية، والله أعلم)– شرح العقيدة الواسطية / لابن عثيمين (ص٤٠٢).

ساجداً لربِّي - عز وجل - ثم يفتحُ اللهُ عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحدٍ قبلي ، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تُعطه واشفع تُشفع ، فارفع رأسي فأقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء[١] الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذي نفسي بيده إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ، كما بين مكة وحمير[٢] ، أو كما بين مكة وبُصرى[٣] »[٤] .

قال ابن خزيمة - رحمه الله -: « هذه الشفاعة التي وصفنا أنها أول الشفاعات هي التي يشفع بها النبي ﷺ ليقضي الله بين الخلق فعندما يأمره الله - عز وجل - أن يدخل من لا حساب عليه من أمته الجنة من الباب الأيمن فهو أول الناس دخولاً الجنة من المؤمنين »[٥] .

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هي ليعجل حسابهم ويراحوا من هول الموقف وهي الخاصة به ﷺ . وقوله : (أقول يا رب أُمتي أُمتي ، اهتمام بأمر أمته وإظهار محبته فيهم وشفقته عليهم ، وقوله : فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه يدل على أنه شُفِّع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف ، فإنه لما أُمِر بإدخال من لا حساب عليه من أمته ، فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم وكان طلبه هذه

---

(١) هم شركاء الناس : يعني أنهم لا يمنعون من سائر الأبواب .

(٢) حمير : قيل هي موضع باليمن غربي صنعاء ، وقيل محلة بظاهر دمشق على القنوات . انظر : معجم البلدان / ياقوت الحموي (٢ / ٣٠٧) .

(٣) بصرى : هي مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل وهي مدينة حوران ، وبينها وبين مكة شهر . انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (ج٣ / ٦٩) المجلد الأول .

(٤) رواه البخاري: كتاب التفسير ، باب تفسير سورة بني إسرائيل (الإسراء) ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ (٦ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧) ح ٤٧١٢ ، وفي : أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ (٤ / ١٦٣-١٦٤) ح٣٣٤٠ ومسلم: كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١ / ١٨٤-١٨٥) ح ١٩٤ . واللفظ للبخاري .

(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ / ٥٩٦) .

الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم حتى يظهر في ذلك اليوم مقام نبيه ﷺ المحمود الذي وعده » [١] .

فهذا كلام فيه توضيح لما بعد الاستشفاع بالنبي ﷺ في ذلك اليوم في الشفاعة العظمى .

وكذلك من الأدلة على الشفاعة العظمى ما ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول : **« إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً [٢] كُلُ أمةٍ تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود »** [٣] .

وقوله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحمٍ » . وقال : « إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرقُ نصف الأذن ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ، ثم بمحمد ﷺ . فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم » [٤] .

ثانياً : شفاعته لأهل الجنة ليدخلوها :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال :قال النبي ﷺ :« **أنا أوّل الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً** ، وفي لفظ :" ... ، **وأنا أول من يقرع باب الجنة** " » [٥] .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **آتي باب الجنة يوم القيامة ، فأستفتح** ،

---

(١) التذكرة من أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٢٨١) ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .

(٢) جُثاً :جمعُ جثوة بالضّم، وهو الشيء المجموع، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير(١ / ٢٣٩).

(٣) رواه البخاري: كتاب التفسير، سورة الإسراء ، باب قوله تعالى :﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ (٦ / ١٠٨) ح ٤٧١٨ .

(٤) رواه البخاري : كتاب الزكاة ، باب من سال الناس تكثراً ،(٢ / ١٥٣) ح ١٤٧٤ ، ١٤٧٥، ومسلم : كتاب الزكاة ، باب كراهة المسالة للناس (٢ / ٧٢٠) ح ١٠٤٠ ، واللفظ للبخاري .

(٥) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : (أنا أول الناس يشفع في الجنة) (١ / ١٨٨) ح ١٩٦ .

فيقول الخازن : من أنت ؟ ، فأقوال : محمدٌ ، فيقول : بك أُمرتُ لا أفتح لأحدٍ قبلك » [١] .

وذلك أن أهل الجنة إذا عبروا الصراط ، وقفوا على قنطرة ، فيقتص لبعضهم من بعض، وهذا القصاص غير القصاص الذي كان في عرصات القيامة، بل هو قصاص اخص ، يطهر الله فيه القلوب ، ويزيل ما فيها من أحقاد وضغائن، فإذا هُذّبوا ونُقوا ، أذن لهم في دخول الجنة .

ولكنهم إذا أتوا إلى الجنة ، لا يجدونها مفتوحة كما يجد ذلك أهل النار ، فلا تفتح الأبواب ، حتى يشفع النبي ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها ، فيدخل كل إنسان من باب العمل الذي يكون أكثر اجتهاداً فيه من غيره ، وإلا فإن المسلم قد يدعى من كل الأبواب .

وهذه الشفاعة يشير إليه القرآن ، لأن الله قال في أهل الجنة : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣] ، وهذا يدل أن هناك شيئاً بين وصولهم إليها وبين فتح الأبواب) [٢] .

وقال ﷺ : « يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تُزلف[٣] لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ، لست بصاحب ذلك : أذهبوا ... فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤُذنُ له ... » [٤] .

---

(١) المصدر السابق (١ / ١٨٨) ح ١٩٧ .
(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين رحمه الله(ص٤٠٣) .
(٣) تُزلف : أي تقرب : كما قال الله تعالى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي قربت ، النهاية /لابن الأثير (٢ / ٣٣٠) نحوه .
(٤) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١ / ١٨٦) ح ١٩٥ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وغيره .. ورواه البخاري: ك الأنبياء ، باب قول الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ ، وغيره برقم (٣٣٤٠ ، ٣٣٦١) ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ برقم (٤٧١٢) واللفظ لمسلم .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « وأول من يستفتح باب الجنة : محمد ﷺ ، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته » [١] وذلك لقوله ﷺ : « **نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة . .** » [٢] .

وقال رحمه الله تعالى :« وهاتان الشفاعتان خاصتان به ﷺ » [٣] أي الشفاعة العظمى ، والشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة .

ثالثاً : شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض أهل النار :

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ دون غيره وهي شفاعته في عمه أبي طالب ، فكما ورد في الصحيحين أن أبا طالب مات على الكفر إلا أنه أحسن إلى رسول الله ﷺ إحساناً كبيراً ، فاستحق هذه الشفاعة من النبي ﷺ بسبب نصرته ودفاعه عنه .

« وكان من حكمة الله ـ عز وجل ـ أن بقي (أبو طالبْ) على كفره ، لأنه لولا كفره ، ما حصل هذا الدفاع عن الرسول عليه الصلاة والسلام بل كان يؤذى كما يؤذى الرسول ﷺ ، لكن بجاهه العظيم عند قريش وبقائه على دينهم صاروا يعظمونه ، وصار للنبي عليه الصلاة والسلام جانب من الحماية بذلك » [٤] .

والدليل على هذه الشفاعة ما ورد عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه ، قال للنبي ﷺ ما أغنيت عن عمِّك ، فإنه كان يحوطُك ويغضب لك ، قال : «**هو في ضحضاحٍ** [٥] **من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار** » [٦] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٧) .

(٢) رواه مسلم :كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٢/٥٨٥-٥٨٦) ح ٨٥٥ ، والبخاري : كتاب الأيمان والنذور ، باب الأول (٨/ ١٦٠ - ١٨٩)ح ٦٦٢٤وكتاب الديات ، باب من أخذ حقه أو اقتضى دون السلطان (٩ / ٨) ح ٦٨٨٧ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم .

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٧) .

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين رحمه الله (ص٤٠٤) .

(٥) ضحضاحٍ : الضحضاح في الأصل : مارَقَّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين ، فاستعاره للنار ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣ / ٧٥) .

(٦) رواه البخاري :كتاب مناقب الأنصار، باب قصة،أبي طالب(٥ / ٦٥)ح ٣٨٨٣ ومسلم :كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (١ / ١٩٥) ح ٢٠٩ واللفظ للبخاري .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ «**وذُكر عنده عَمّهُ فقال لعَلّهُ تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاحٍ من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه**» (١).

فلا بد أن نعلم أن هذه الشفاعة التي نفعت أبا طالب هي شفاعة تخفيف عليه من دركات النار وليست شفاعة إخراج ، ولكن يعتبر أهون أهل النار من الكفار عذاباً كما ورد ذلك في الحديث الصحيح بقوله ﷺ : « **أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ، وهو منتعلٌ بنعلين يغلي منهما دماغُهُ** » (٢).

« فلا تنفع في الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة »(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « فإذا كان في الكفار من خف كفره بسبب نصرته ومعونته فإنه تنفعه شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عنه لا في إسقاط العذاب بالكلية » (٤).

وقال الإمام البيهقي (٥) - رحمه الله - : « صحَّت الرواية في شأن أبي طالب فلا

---

(١) رواه البخاري : كتاب مناقب الأنصار ، باب قصة أبي طالب (٥/٦٦)ح ٣٨٨٥ ، ومسلم : كتاب الإيمان : باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب /٢٩٥ / ح ٢٠٩ .

(٢) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب أهون أهل النار عذاباً (١ / ١٩٦) ح ٢١٢ ، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وأحمد في مسنده (١ / ٢٩٠) وغيرهما .

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة / للقرطبي (ص٢٨٧) مع زيادة يسيرة .

(٤) مجموع الفتاوى (١ / ١٤٤) .

(٥) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، المولود في خسر وجرد (من قرى بيهق بنيسابور) عام ٣٨٤هـ ، وهو فقيه ، حافظ ، أصولي ، زاهد ، ورع ، من جبال العلم ،.. سمع من كبار علماء عصره ، ورحل لطلب العلم إلى بغداد وخراسان والحجاز وغيرها من البلدان ، اشتغل بالتصنيف ، بلغت تصانيفه ألف جزء ، منها : (السنن الكبرى والصغرى، دلائل النبوة ، الأسماء والصفات في التوحيد ، الاعتقاد ..، البعث والنشور) وغير ذلك، توفي عام ٤٥٨هـ في نيسابور . انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك / لابن الجوزي ـ تحقيق / محمد عبدالقادر عطا وآخر(١٦ / ٩٧) ترجمة رقم ٣٣٨٧ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، طبقات الشافعية / للسبكي (٤ / ٨-١٦) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٨ / ١٦٣ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي (١ / ١١٦) .

معنى للإنكار من حيث صحة الرواية ، ووجْهُه عندي أن الشفاعة في الكفار إنما امتنعت لوجود الخبر الصادق في أنه لا يشفع فيهم أحد ،وهو عام في حق كل كافر ، فيجوز أن يخص منه من ثبت الخبر بتخصيصه ، قال : وجملة بعض أهل النظر على أن جزاء الكافر من العذاب يقع على كفره وعلى معاصيه ، فيجوز أن الله يضع عن بعض الكفار بعض أجزاء معاصيه تطييباً لقلب الشافع لا ثواباً للكافر لأن حسناته صارت بموته على الكفر هباء منثوراً » (١) .

فلا تعارض مع قول الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر :٤٨]، إذ شفاعة الرسول ﷺ لأبي طالب مخصوصاً من هذه الآية .

وقال القرطبي (٢) ـ رحمه الله ـ في كتابه المفهم .. « اختلف في هذه الشفاعة هل هي لبيان قولٍ محقّقٍ أو لسان حال ؟ .

والأول : يشكل بالآية ، وجوابه جواز التخصيص .

والثاني: يكون معناه أن أبا طالب لما بالغ في إكرام النبي ﷺ والذب عنه جوزي على ذلك بالتخفيف فأطلق على ذلك شفاعة لكونها بسببه .

وقد يورد أيضاً على هذا المعنى فيقال : هذا إثباتُ نَفع الكافر في الآخرة بما عمله في الدُنيا . وقد نفاه النبي ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قلتُ يا رسول الله ابن جُدْعَان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ ، قال ﷺ : « **لا تنفعهُ إنّه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين** » (٣) .

---

(١) كتاب البعث والنشور ــ تحقيق الشيخ ، عامر أحمد حيدر (ص٦١) مؤسسة الكتب الثقافية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط الأولى (١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م) ، وانظر: فتح الباري (١١ / ٤٣٩) .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المالكي ، فقيه مالكي ، من رجال الحديث ، كان مدرساً بالأسكندرية ، ولد سنة (٥٧٨هـ) بقرطبة ، من كتبه : ((المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، مختصر الصحيحين)) ، توفي بالأسكندرية سنة (٦٥٦هـ) . انظر : شذرات الذهب / لابن العماد (٥/ ٢٧٣ ــ ٢٧٤) ، الأعلام / للزركلي ١/ ١٨٦) .

(٣) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمله ١ / ١٩٦) ح ٢١٤ ، وأحمد في مسنده (٦ / ٩٣ و ١٢٠) .

وبقوله ﷺ : « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنةً ، يُعْطَى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيُطعمُ بحسنات ما عمل لله بها في الدنيا حتّى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنةٌ يُجزى بها » [١] .

والجواب من وجهين :

أحدهما : ما تقدم في جواز التخصيص .

والثـانـي : أن المخفف عنه لمّا لم يجد أثراً لما خُفف عنه فكأنه لم ينتفع بذلك .

ألا ترى أنه يعتقد أنه ليس في النار أشد عذاباً منه؟، مع أن عذابه جمرة من جهنم في أخمصه، وسببه : أن القليل من عذاب جهنم ـ أعاذنا الله منه ـ لا تطيقه الجبال ، وخصوصاً عذاب الكافر ، وإنما تظهر فائدة التخفيف لغير المعذّب ، وأما المعذّب فمشتغل بما حلَّ به ، إذ لا يُخلّى ، ولا بغيره يتسلى ، فيصدق عليه أنه لم ينتفع ولم يحصل له نفع البتة » [٢] أ.هـ .

فالنبي ﷺ لم يكن له مطلق الحرية في اختيار نوع الشفاعة ، بل يكون ذلك محدداً بنوع معين منها وهي شفاعة تخفيف من العذاب لا شفاعة إخراج من النار .

قال الإمام الصنعاني [٣] ـ رحمه الله ـ ، ذاكراً شفاعة الرسول الخاصة به دون غيره : « والخاصةُ هي الشفاعةُ الكبرى التي تَدَافَعَهَا الأنبياء ، وكذلك الشفاعة في دخول الجنة ، وكذلك في التخفيف من عذاب الكفّار فهذه ثلاثةُ أنواعٍ مختصةٌ به ﷺ

---

(١) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل ... (٤ / ٢١٦٢) ح ٢٨٠٨ ، واللفظ له ، وأحمد في مسنده (٣ / ١٢٣ و ٢٨٣) من حديث انس ابن مالك رضي الله عنه .

(٢) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ـ تحقيق / محي الدين ديب مستو وآخرون (١ / ٤٥٧-٤٥٨) ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ سوريا ، بيروت ـ لبنان ، ودار الكلم الطيب ـ دمشق ـ سوريا ، بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م) ، وانظر : فتح الباري (١١ / ٤٣٩) .

(٣) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني ، أبو إبراهيم ، المعروف بالأمير ، ولد في كحلان سنة ١٠٩٩هـ ، ثم انتقل مع والده إلى مدينة صنعاء سنة ١١٠٧هـ ، أصيب بمحن كثيرة ، له نحو مائة مؤلف منها : (توضيح الأفكار في المصطلح ، سبل السلام ، تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ، إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة) وغير ذلك . انظر: البدر الطالع / للشوكاني (٢ / ١٣٣-١٣٩) ، الأعلام / للزركلي (٦ / ٣٨) .

من الشفاعة » (١) .

رابعاً : شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :قال النبي ﷺ : «**عُرضت عليَّ الأمم ، فأخذ النبي يمر معه الأمّةُ والنبي يمر معه النفر ، والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده ، فنظرت فإذا سوادٌ كثيرٌ ، قُلتُ ياجبريل هؤلاء أمتي ؟ ، قال : لا ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سوادٌ كثيرُ ،قال هؤلاء أُمتك وهؤلاء سبعون ألفاً قُدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب ، قلت ولم ؟ ، قال : كانوا لا يكتوون ، ولا يسترقون ، ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون** ، فقام إليه عكاشةُ ابن مِحْصَنٍ فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : (**اللهم اجعله منهم**) ثم قام إليه رجلٌ آخر قال ادع الله أن يجعلني منهم قال : (**سبقك بها عكاشة**) » (٢) .

ومن ذلك ما يُقال للنبي ﷺ في الشفاعة العظمى : « **يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة** .. » (٣) .

وعن عمران بن حُصين (٤) رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب » (٥) .

---

(١) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة ـ تحقيق /محمد صبحي حلاق (ص٤٤٦) ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الرقاق ،باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب(٨ / ١٤٠) ح٦٥٤١ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب(١ / ١٩٩) ح ٢٢٠ ، واللفظ للبخاري .

(٣) سبق تخريج الحديث ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ص ١٥٠ .

(٤) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي ، أبو نجيد ، أسلم عام خيبر وغزا مع رسول الله ﷺ عدة غزوات ، وبعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة يفقه أهلها ، وتولى قضاء البصرة في عهد عبد الله ابن عامر ؛ ثم استعفى فأعفاه ، وكان مجاب الدعوة ، ولم يشهد الفتنة ، توفي سنة ٥٢هـ ، انظر : أسد الغابة (٣ / ٢٩٩ ، ٣٠٠) ترجمة رقم / ٤٠٤٢ ، سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٠٨ وما بعدها) ، تذكرة الحفاظ) (١ / ٢٩ ، ٣٠) ، تقريب التهذيب (١ / ٧٥٠) ترجمة رقم / ٥١٦٦ .

(٥) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ،(٨ / ١٢٤) ح٦٤٧٢ ورواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١ / ١٩٨) ح٢١٨ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يدخل ـ أي الجنة ـ من أمتي زمرةٌ هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر »(١) .

فمن خلال ما أوردنا من أدلة يتبين بأن السبعين ألفاً هم من أمة محمد ﷺ ، وهو أحق بالشفاعة فيهم فتكون خاصة به ﷺ دون غيره من الشفعاء .

قال ابن حجر - رحمه الله - : « .. فإن السبعين ألفاً المذكورين من جملة أمته ، لكن لم يكونوا في الذين عرضوا إذ ذاك فأريد الزيادة في تكثير أمته بإضافة السبعين ألفاً إليهم »(٢) .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : « فكونهم من أمته ﷺ لا شك فيه .. »(٣) .

وقال الإمام السفاريني ـ رحمه الله ـ : « يشفع ـ ﷺ ـ عند ربه في إدخال قوم من أمته الجنة بغير حساب ، فإن هذه خاصة به ـ ﷺ ـ كما قال القاضي عياض ، والإمام النووي .. وجزم بالاختصاص الحافظ السيوطي(٤) في أنموذج اللبيب »(٥) .

وكما ورد في بعض الروايات أن الله ـ عز وجل ـ أعطاه ، ووعده ذلك من أمته ، لقوله ﷺ : « أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر

---

(١) رواه البخاري: كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٨/ ١٤٠) ح٦٥٤٢، ومسلم : كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١ / ١٩٧) ح ٢١٦ .

(٢) فتح الباري (١١ / ٤١٦) .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (ج٣ / ٩٤) المجلد الأول .

(٤) هو أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري، السيوطي، أو الأسيوطي نسبة على أسيوط مصر ، الشافعي ، المسند ، المحقق ، إمام ، حافظ ، مؤرخ ، أديب ، ولد في عام ٨٤٩هـ ، توفي والده وهو ابن خمس سنوات ، ختم القرآن وعمره ثمان سنين ، ثم حفظ عدداً من الكتب .. توفي في روضة المقياس (على نيل مصر) في منزله .. عام ٩١١هـ ، وله عدة مصنفات تزيد على الخمسمائة منها : (تناسق الدرر في تناسب السور ، الإتقان في علوم القرآن ، تاريخ الخلفاء ، طبقات المفسرين ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور.. وغيرها كثير . انظر : شذرات الذهب / لابن العماد (ج٨ / ٥١) المجلد الرابع ، الضوء اللامع / للسخاوي (ج٤ / ٦٥ وما بعدها) ، المجلد الثاني ، الأعلام / للزركلي (٣ / ٣٠١-٣٠٢) .

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١١) .

ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد ، فاستزدت ربي ـ عز وجل ـ فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً »(١) .

وقال ﷺ : « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كل ألفٍ سبعون ألفاً ، وثلاث حثياتٍ(٢) من حثيات ربي ـ عز وجل ـ »(٣) .

فهذا إكرام من الله ـ عز وجل ـ لرسوله ﷺ ،ولأمته ولكن لا ينال هؤلاء السبعون ألفاً الجنة إلا بانطباق ما ذكر في الحديث في أوصافهم حتى يدخلوها بغير حساب ولا عذاب ..

خامساً : خصوصيته في تأجيل دعوته لأمته ﷺ :

هذه دعوة تأجيلها خاص بالنبي ﷺ ، لأن إخوانه من الأنبياء دعوا بالدعوات الذي أعطاهم الله إياها ولم يثبت تأخير شيء منها .

قال الإمام ابن خزيمة ـ رحمه الله ـ : « إن الله عز وجل أعطى كل نبي دعوة وعد إجابتها ، فتعجل كل نبي منهم ـ صلى الله عليهم وسلم ـ مسألته فأعطى سؤله ،

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١ / ٦) ، وقال الهيثمي رواه أحمد وأبو يعلى وفيهما المسعودي وقد اختلط وتابعيه لم يسم ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح ، مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٠) ، وقال الشيخ الألباني رحمه الله : (الحديث صحيح فإن له شواهد كثيرة عن جمع من الصحابة، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ، برقم (١٤٨٤) .

(٢) الحثيات :هي كناية عن المبالغة في الكثرة. انظر:النهاية في غريب الحديث والأثر/لابن الأثير (١ / ٣٣٩).

(٣) الترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في الشفاعة (٤ / ٥٤٠) ح٢٤٣٧، وقال هذا حديث حسن غريب ، وابن ماجه في سننه : كتاب الزهد ، باب صفة أمة محمد ﷺ (٢ / ١٤٣٣) ح ٤٢٨٦ ، وأحمد في مسنده (٥/٢٦٨) والسُّنَّة لابن أبي عاصم ــ تحقيق الألباني(٢ /٣٨٥) ح٨١٤ ، ومشكاة المصابيح تحقيق الألباني (٣ / ١٥٤١ ، ١٥٤٢) ح ٥٥٥٦ ، كلهم من حديث أبي أمامه الباهلي رضي الله عنه ، وقال الشيخ الألباني : إسناده صحيح ، وانظر: صحيح الجامع برقم / ٧١١١ ، وكذلك انظر: الكلام في إسناده في كتاب الشفاعة : للشيخ مقبل الوادعي رحمه الله (ص١١٣) ــ دار الأرقم ــ الكويت ــ ط الثانية (١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م) .

وأخّر نبينا ﷺ دعوته ليجعلها شفاعة لأمته » [١] .

فهي مخصوصة بأمته ﷺ مضمونة الإجابة من الله ـ عز وجل ـ فكونها مرتبطة بالشفاعة يوم القيامة ذكرناها في هذا الموطن ، لثبوت ذلك عن النبي ﷺ بقوله : **« لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيبت ، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة »** [٢] .

فهذه الدعوة هي شفاعة لأمته يوم القيامة سواءً كانت لأهل الجنة ليدخلوها ، أو لأهل الذنوب والمعاصي من أمته خاصة .

« وإلا فقد أخبر ﷺ أنه سال لامته أشياء من أمور الدين والدنيا وأُعطي بعضها ، ومُنع بعضها ، وادّخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة ، وخاتمة المحن ، وعظيم السؤال والرغبة » [٣] .

قال القاضي عياض - رحمه الله -: عند قوله ﷺ : **« لكل نبي دعوةٌ يدعو بها ، واختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة »** [٤]، قال أهل العلم : دعوةٌ أعلم أنها تستجاب لهم، ويُبْلَغ فيها مرغوبهم ، وإلا فكم لكل نبّي منهم من دعوةٍ مستجابةٍ ، ولنبينا ﷺ منها ما لا يُعدُّ، لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف، وضُمِنَتْ لهم إجابةُ دعوةٍ فيما شاءوه ، يدعون بها على يقين من الإجابة » [٥] .

ولهذا « فالأخبار التي روينا عن نبينا ﷺ فيما فضله به من الشفاعة وتشفيعه إياه فيما يشفع فيه أخبار ثابتة موجبة بعلم حقيقة ما حَوَتْ على ما اقتصصنا » [٦] .

---

(١) كتاب التوحيد / لابن خزيمة (٢ / ٦٢٢) ، وانظر: المعجم الكبير للطبراني (١٢/ ٤١٣) برقم ١٣٥٢٢ .

(٢) سبق تخريج الحديث ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، ص ٨٦ .

(٣) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، تحقيق / علي محمد البجّاوي (١ /٣٠٢-٣٠٣) .

(٤) سبق تخريج الحديث ص ٨٦ .

(٥) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (١ / ٣٠٢) .

(٦) كتاب السُنّة / لابن أبي عاصم ـ تحقيق/ الألباني (٢ / ٣٩٩) بتصرف يسير .

المطلب الثاني

الشفاعة المختلف(١) في خصوصيتها بالنبي - ﷺ -

أولاً: شفاعته في قوم استوجبوا النار بأعمالهم فلا يدخلونها:

وفي ذلك ما ورد عن النبي - ﷺ - قال: « أمرّ بقوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، قال: فيقولون: يا محمد ننشدك الشفاعة، قال: فآمر الملائكة أن يقفوا بهم، قال: فأنطلق واستأذن على الرب - عزوجل - فيأذن لي فأسجد وأقول: يا رب قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، قال: فيقول لي: انطلق فأخرج منهم، قال: فانطلق واخرج منهم من شاء الله أن أخرج، ثم ينادي الباقون: يا محمد ننشدك الشفاعة فأرجع إلى الرب فأستأذن فيؤذن لي فأسجد، فيقال لي: ارفع رأسك، وسل تعطه واشفع تشفع، فأثني على الله بثناء لم يثن عليه أحد، أقول: ثَمَّ قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، فيقول: انطلق فأخرج منهم قال: فأقول يا رب، أخرج منهم من قال: لا إله إلا الله، ومن كان في قلبه حبة من إيمان، قال: فيقول: يا محمد ليست تلك لك، تلك لي، قال: فأنطلق وأخرج من شاء الله أن أخرج، قال: ويبقى قوم فيدخلون النار، فيعيرهم أهل النار، فيقولون: أنتم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به أدخلكم النار، قال: فيحزنون لذلك، قال: فيبعث الله ملكاً بكف من ماء فينضح بها في النار، ويغبطهم أهل النار، ثم يخرجون ويدخلون الجنة فيقال: انطلقوا فتضيفوا الناس، فلو أنهم جميعهم نزلوا برجل واحد كان لهم عنده سعة ويسمون المجردين »(٢).

---

(١) المختلف من خصوصيتها به ﷺ: أي هل هذه الشفاعة خاصة به ﷺ أم يشركه غيره فيها من الملائكة والأنبياء والصالحين، أمّا الإختلاف في حكم ثبوت هذا النوع من الشفاعة فسيرد أقوال الأئمة في ذلك.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم ـ تحقيق / محمد أحمد عبد العزيز (٢ / ٢٠٥ - ٦ - ٢) دار الصابوني ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون، والحديث رجاله رجال الصحيح إلا إسماعيل بن عبيد ابن أبي كريمة، وقد وثقه الدارقطني، وقال الجعابي: يحدث عن ابن سلمة بعجائب كما في التهذيب والميزان، ويُخشى أيضاً من إرساله، فيحتمل أن يكون عبد الله بن الحارث سمعه من أبي هريرة، ويحتمل أن يكون أرسله، والله أعلم ـ انظر: كتاب الشفاعة للشيخ مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - (ص ١١١).

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « وهذا يقتضي تعداد هذه الشفاعة فيمن أمر بهم إلى النار ثلاث مرات ألاّ يدخلوها ، ويكون معنى قوله (أخرج) أي (أنقذ) بدليل قوله - ﷺ - بعد ذلك : (ويبقى قوم فيدخلون النار) » (١) .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال :قال رسول الله - ﷺ - في قوله تعالى : ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ [فاطر : ٣٠] ، قال :(أجورهم يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله ، الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا) (٢) .

وقد نص على هذا النوع من الشفاعة أئمة من المسلمين ،وذلك عند ذكرهم أنواع الشفاعة ، منهم :

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « فيشفع - ﷺ - فيمن استحق النار أن لا يدخلها ... » (٣) .

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : « شفاعته - ﷺ - لبعض العصاة من أمته قد استوجبوا النار أن لا يدخلوها » (٤) .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : « الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا - ﷺ - ومن شاء الله تعالى » (٥) .

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم (٢ / ٢٠٦) .

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٤ / ١٠٨) ومجمع الزوائد للإمام الهيثمي (٧ / ١٣) وقال : رواه الطبراني من الأوسط والكبير ، وفيه إسماعيل بن عبد الله الكندي ضعفه الذهبي من عند نفسه فقال : أتى بخبر منكر ، وبقية رجاله وثقوا ، والسُّنَّة لابن أبي عاصم - تحقيق : الألباني (٢ / ٤٠٨) وقال الألباني - رحمه الله - : (إسناده ضعيف ، انظر كتاب السُّنَّة لابن أبي عاصم برقم (٨٤٦) ، وقال الشيخ مقبل - رحمه الله - : (غريب من حديث الأعمش ، عزيز عجيب من حديث الثوري ، تفرد به إسماعيل بن عبيد الكندي عن الأعمش ، وعن إسماعيل بقيه بن الوليد وحديث الثوري لم نكتبه إلا عن هذا الشيخ ....) انظر : كتاب الشفاعة ، ص١١١ ، ١١٢ .

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٧) .

(٤) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ، جمع وتحقيق/عبد الاله بن سلمان الأحمدي (٢ / ٢١٣).

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم (٣ / ٣٥) المجلد الأول .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « وفي إدخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا » (١) .

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « ... وفي قوم من أمته استوجبوا النار فيشفعه فيهم نبينا ـ ﷺ ـ ومن شاء أن يشفع ويدخلون الجنة » (٢) .

وقال شارح العقيدة الطحاوية - رحمه الله - : « شفاعته في أقوام .... ، وفي أقوام آخرين قد أُمر بهم إلى النار ، أن لا يدخلوها » (٣) .

وذُكر في كتاب فتح المجيد : « شفاعته ـ ﷺ ـ لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم ، فيشفع لهم أن لا يدخلوها » (٤) .

وأما بالنسبة للخلاف في خصوصيتها بالنبي ـ ﷺ ـ دون غيره .

فقد ذكر الإمام السفاريني في كتابه بقوله : « جزم القاضي وابن السبكي بعدم اختصاصها به ـ ﷺ ـ وتردد النووي في ذلك .قال السبكي لأنه لم يرد نص صريح بثبوت الاختصاص ولا بنفيه . وجزم في الأنموذج (السيوطي) بأنها من خصائصه ـ ﷺ ـ » (٥) .

وممن نص على عدم خصوصيتها شيخ الإسلام ابن تيميه بقوله : « وأما الشفاعة الثالثة ، فيشفع فيمن استحق النار ، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم ، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها » (٦) .

« فهي ليست خاصة بالنبي ـ ﷺ ـ ، بل تكون للنبيين ، حيث يشفعون في عصاة قومهم ، وللصديقين يشفعون في عصاة أقاربهم وغيرهم من المؤمنين ، وكذلك تكون

---

(١) فتح الباري (١١ / ٤٣٦) .
(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٢٨٦) مع زيادة يسيرة .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ــ تحقيق الألباني (ص٢٣٢) .
(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص١٨٧) وأعلام السُّنَّة المنشورة لحافظ حكمي (ص١٤٥) في سؤال كم أنواع الشفاعة .
(٥) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١١) .
(٦) مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٧) .

لغيرهم من الصالحين،حتى يشفع الرجل في أهله وفي جيرانه وفيما أشبه ذلك »(١) .

فالأحاديث في غير هذا النوع من الشفاعة ، كثيرة جداً ، بل متواترة .

وأما هذا النوع وهو(فيمن استحق النار أن لا يدخلها) فقد يستفاد من دعاء الرسول ـ ﷺ ـ للمؤمنين بالمغفرة والرحمة على جنائزهم لأن دعوة النبي ـ ﷺ ـ مقبولة، وكذلك دعاء المؤمنين الصالحين لبعضهم البعض.

ثانياً : شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة :

ودليل هذا ماورد عن النبي ـ ﷺ ـ في دعائه لأبي سلمة (٢) لما توفي فقال : **«اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافسح له في قبره ، ونورٌ له فيه»** (٣) .

فدعا له بزفع درجته في الجنة ، وكذلك قوله ـ ﷺ ـ : **«اللهم اغفر لعُبَيد أبي عامر**(٤)، ..... ، **اللهم أجعله يوم القيامة فوق كثيرٍ من خلقك من الناس »**(٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **« إن الله ـ عز وجل ـ ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة ، فيقول : يارب أنّى لي هذه؟ ، فيقول : باستغفار ولدك لك»** (٦).

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص٤٠٦) مع تصرف يسير .

(٢) الصحابي الجليل : عبد الله بن عبد الأسد هلال بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم القُرشي المخزومي ، أمه بُرة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فهو ابن عمة النبي ﷺ ، كان قديم الإسلام . هاجر إلى الحبشة معه أمراته ام سلمة ، ثم عاد وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً ، وجرح بأحد فمات منه في جمادي الآخرة سنة ٤هـ ، انظر : أسد الغابة (٦ / ١٦١ ، ١٦٢) ، ترجمة رقم / ٥٩٧١ ، تقريب التهذيب (١ / ٥٠٦) رقم / ٣٤٣٦ .

(٣) رواه مسلم : كتاب الجنائز ، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضر (٢ / ٦٣٤) ح٩٢٠من حديث ام سلمة رضي الله عنها، احمد في مسنده ٦ /٢٩٧) .

(٤) هو عبيد بن سُليم بن حضار عم أبي موسى الأشعري . انظر : (٧ / ٢٥٢) برقم / ١٠١٧٩ .

(٥) رواه البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة أوطاس (٥ / ١٩٨) ح / ٤٣٢٣، ومسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين (٤ / ١٩٤٣) ح٢٤٩٨ ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٦) رواه أحمد في مسنده (٢ / ٥٠٩) ، ومالك في الموطا : كتاب القرآن ، باب العمل في الدعاء (١ / ٢١٧) ح٣٨ ، واللفظ لأحمد .

قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: « شفاعته - ﷺ - في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها »[١] .

وقال شارح العقيدة الطحاوية عند ذكره لأنواع الشفاعة: « وشفاعته - ﷺ - في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم »[٢] .

وقد قيل إن هذه الشفاعة خاصة بالنبي - ﷺ - دون غيره .

وذكر الإمام السفاريني - رحمه الله - : « أن النووي جوز اختصاصها به - عليه الصلاة والسلام - وجزم في كتاب الانتقاء له باختصاصها به .. وصرح به القاضي عياض وابن دحية »[٣] .

وقيل إنها ليست خاصة به - ﷺ - ولكنه هو المقدم فيها[٤] .

وقد يستشهد بعدم اختصاصها بالنبي - ﷺ - بحديث أبي هريرة السابق في شفاعة الأولاد لآبائهم وكذلك الشفعاء من الأنبياء والملائكة والصالحين ، أو الأعمال الصالحة ، لقوله - ﷺ - : « **إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاّ من ثلاث : إلاّ من صدقةٍ جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له** »[٥] .

ثالثاً : شفاعته في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم :

وقد ذكر بعض العلماء أن من أنواع شفاعة الرسول - ﷺ - شفاعته فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة .

قال ابن حجر - رحمه الله -: « وظهر لي بالتتبع شفاعة أخرى وهي الشفاعة

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٢٨٦) ، وشرح النووي لصحيح مسلم)ج٣ / ٤٤) المجلد الأول .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ـ تحقيق الألباني (ص٢٣٢) ، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص١٨٧) .

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١١) .

(٤) أعلام السنّة المنشورة ، لحافظ الحكمي (ص١٤٥) وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص١٨٧) .

(٥) رواه مسلم : كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (٣/١٢٥٥) ح ١٦٣١ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأبو داود في سننه : كتاب الوصايا ، باب ما جاء في الصدقة عن الميت (٣ / ٣٠٠) ح ٢٨٨٠ ، وأحمد في مسنده (٢/٣٧٢) ،وغيرهم .

فيمن استوت حسناته وسيآته أن يدخل الجنة ، ومستندها ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (السابق يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد برحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي - ﷺ -) »[(١)] .

وقال - رحمه الله - : « أرجح الأقوال في أصحاب الأعراف أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم »[(٢)] .

وقد ذكر الله - عز وجل - في كتابه الكريم قوله : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** (٣٢) ﴾ [فاطر : ٣٢] .

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسيره : « أن الظالم ها هنا لم يكن كافراً ولا فاسقاً . قال : وممن رُوِيَ عنه هذا القول عمر وعثمان وأبو الدرداء ، وابن مسعود ، وعقبة بن عمرو وعائشة ، والتقدير على هذا القول : أن يكون الظالم لنفسه الذي عمل الصغائر »[(٣)] .

وبهذه الصغائر يتأخر دخولهم الجنة تطهيراً لهم وتنقيةً لهم .

ففي هذه الحالة يحتاجون إلى شفاعة تنجيهم من دخول النار وتدخلهم الجنة، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - أنه قال في هذه الآية ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** ﴾ قال : « **هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة** »[(٤)] .

فكلهم أصحاب الجنة ولكن يتفاوتون في الدرجات وفي وقت دخولهم إليها .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١ / ١٨٩) برقم (١١٤٥٤) ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار عنه وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني وهو وضاع،انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٨) .

(٢) فتح الباري (١١ / ٤٣٦) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٤ / ٣٤٦) بتصرف يسير .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده(٣ / ٧٨) والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الملائكة(٥ / ٣٣٨) ح ٣٢٢٥ ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال شارح العقيدة الطحاوية - رحمه الله - : « شفاعته - ﷺ - في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة » [١] .

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله - : « شفاعته - ﷺ - في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة » [٢] .

فهذا النوع من الشفاعة ثابت بقول بعض أئمة السلف ، ولكن لم يرد فيه تخصيص أو عدمه فلم أقف على كلام يثبت ذلك .

وقال الإمام السفاريني - رحمه الله - : « وبالشفاعة في جماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم من الطاعات » [٣] .

ولكن في كلامه هذا رحمه الله لم يوضح نوع الشفاعة ، فقد تكون الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، وقد تكون الشفاعة في رفع درجات أهل الجنة ، ومن استوت حسناته وسيئاته أقرب ، والله أعلم .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ـ تحقيق الألباني (ص٢٣٢) .
(٢) النهاية في الفتن والملاحم (٢ / ٢٠٤) .
(٣) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١٢) .

المبحث الثالث

الشفاعة العامة

فالقصد من العموم أن الله ـ عز وجل ـ يأذن لمن شاء من عباده الصالحين أن يشفعوا لمن أذن الله لهم بالشفاعة فيهم ، وهذه الشفاعة ثابتة للنبي ـ ﷺ ـ ، ولغيره من النبيين والملائكة والصديقين والشهداء ، والصالحين ، وهي أن يشفع من أذن له بالشفاعة في أهل النار من عصاة المؤمنين أن يخرجوا منها .

المطلب الأول

الشفاعة لأهل الكبائر من أهل التوحيد في الخروج من النار

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بإخراجهم من النار بشفاعة النبي ـ ﷺ ـ والملائكة، وإخوانهم من المؤمنين ،ويخرج الله تعالى كل من قال: لا إله إلا الله فلا يبقى في النار إلا الكافرون، وسنكتفي بذكر بعض الأدلة على ثبوت هذا النوع من الشفاعة وسنفصل القول فيما بعد في مكانه بذكر الأدلة كاملاً وأقوال السلف وأئمة المسلمين في ذلك، فمن الأدلة على ثبوت هذا النوع من الشفاعة ما ثبت في الصحيحين.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون اشفع لنا إلى ربك فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن فيأتون إبراهيم فيقول : لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد ـ ﷺ ـ فيأتوني فأقول: أنا لها فاستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمدهُ بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً فيُقال يا**

محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك ، وسلْ تُعط ، واشفع تُشفع ، فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مقال شعيرةٍ من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثمَّ أخر له ساجداً ، فيقال يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسلْ تُعط ، واشفع تُشفَّع ، فأقول : يارب أمتي أمتي فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرةٍ أو خردلةٍ من إيمان ، فانطلق فأفعل ثمَّ أعود فأحمده بتلك المحامد ثمَّ أخر له ساجداً فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب أمتي أمتي فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردلٍ من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل . . . قال ﷺ ثمَّ أعود الرابعة فأحمده بتلك ثمّ أخر له ساجداً فيقال يا محمد ارفع رأسك ، وقل يُسمع ، وسل تُعطه ، واشفع تُشفَّع ، فأقول يارب أئذن لي فيمن قال لا إله إلا الله ، فيقول ، وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنَّ منها من قال لا إله إلا الله » (١) .

فهذا الحديث وأمثاله التي ليس فيها التصريح بالشفاعة لأهل الكبائر فمن قال : (لا إله إلا الله) يشمل أهل الكبائر وغيرهم ممن لا يشرك بالله شيئاً .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - : « قوله : " أخزجوا من النار من كان في قلبه وزن كذا من الإيمان " إن معناه بعض من كان في قلبه قدر ذلك الوزن من الإيمان، لأن النبي - ﷺ - قد أعلم أنه يشفع ذلك اليوم أيضاً غيره ، فيشفعون » (٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قال :قال رسول الله - ﷺ -:« **يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربّنا حتى يريحنا من مكاننا ، فيأتون آدم** » إلى قوله - ﷺ - : (**فيأتوني فأستأذن على ربِّي فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله ثم يقال**

---

(١) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٩ / ١٧٩- ١٨٠) ح ٧٥١٠ ، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة ١ / ١٨٢) ح١٩٣ ، واللفظ للبخاري .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ /٢٧٨) .

ارفع رأسك سل تعطه ،وقل يسمع ،واشفع تشفّع ، فأرفع رأسي ، فأحمد ربي بتحميد يُعلمني ، ثم أشفع فيحدُ لي حداً ثم أخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجداً مثله في الثالثة أو الرابعة حتى ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن ، وكان قتادة يقول عند هذا أي وجب عليه الخلود » (١) .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « يخرج قومٌ من النار بشفاعة محمد ـ ﷺ ـ فيدخلون الجنّة يُسمون الجهنميين » (٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً ، أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر ، فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبّة تكون في حميل السيل ، فقال رجلٌ من القوم كان رسول الله ـ ﷺ ـ قد كان في البادية » (٣) .

فهذا النوع من الشفاعة لا يختص بالرسول ـ ﷺ ـ ، بل هي عامة له ـ ﷺ ـ ولغيره من عباد الله تعالى كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً (٤) ، ولكن الرسول ـ ﷺ ـ هو المقدم فيها ،فلا يشفع أحد من خلق الله تعالى في مثل ما يشفع فيه رسول الله ـ ﷺ ـ، فإنه يشفع في خلائق لا يعلم عدتهم إلى الله تعالى، وذلك كما مر معنا في بعض الأحاديث وكذلك ما سيأتي منها يوضح ويثبت ذلك في حقه ـ ﷺ ـ تشريفاً وتكريماً .

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين

---

(١) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (٨ /١٤٤–١٤٥) ح ٦٥٦٥ . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/ ١٨٠–١٨١) ح ١٩٣ واللفظ للبخاري .

(٢) رواه البخاري: كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (٨ / ١٤٥) ح ٦٥٦٦ ، وأحمد في مسنده(٤ / ٤٣٤) .

(٣) سبق تخريج الحديث ص ٨٧ .

(٤) في فصل شفاعة غير الرسول ﷺ .

أحد ، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة » (١) .

فخروج الموحدين من النار سواء من أصحاب الصغائر أو الكبائر دون الشرك هو قول أهل السُّنَّة والجماعة ثابت بآيات وأحاديث عدة مشهورة ،وذلك في حالة عدم استحلاله للكبيرة ، أمّا إذا استحلها فيخرج من الإسلام بسبب تحليله ما حرم الله ـ عز وجل ـ وحرمه النبي ـ ﷺ ـ في سنته .

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - : « والإيمان بأن الموحدين يخرجون من النار بعدما امتحشوا كما جاءت الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي ـ ﷺ ـ » (٢) .

---

(١) الوابل الصيب ــ تحقيق / بشير محمد عيون (ص٣٤) مكتبة دار البيان ــ دمشق ــ سوريا ، ودار المؤيد الطائف ــ السعودية ــ ط بدون .

(٢) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢ / ٢١٤) .

المطلب الثاني
الشفاعة للأهل والأقارب

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب من قريش ، ثم الأنصار،ثم من آمن بي واتبعني من اليمن، ثم سائر العرب، ثم الأعاجم ، وأول من أشفع له أولو الفضل**»[١].

وقال - ﷺ -: «**أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف**»[٢].

وعن أبي أمامة[٣] - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومضر**»[٤].

وعن أبي برزة[٥] الأسلمي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «**إن**

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ٤٢١) برقم (١٣٥٥٠) _ وقال الإمام الهيثمي : رواه الطبراني في المعجم الكبير وفيه من لم أعرفه _ انظر مجمع الزوائد (١٠ /٣٨٠ - ٣٨١) ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٧٣٢) .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ /٣٨١) وقال : رواه البزار والطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٦٨٢) .

(٣) هو الصحابي الجليل : صُدَيّ بن عجلان بن الحارث بن وهب الباهلي ، أبو أمامة ، قيل إنه شهد أُحداً وشهد صفين مع علي بن أبي طالب _ رضي الله عنه _ ثم سكن الشام حتى توفي بها سنة ٨٦هـ ، انظر الإصابة (٢ / ١٨٢) ترجمة رقم / ٤٠٥٩ ، أسد الغابة (٦ / ١٩) ترجمة رقم / ٥٦٨٨ ، سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٥٩ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (١ / ٤٣٧) رقم / ٢٩٣٤ .

(٤) رواه أحمد في مسنده (٥ /٢٥٧ - ٢٦١ - ٢٦٧) وقال المنذري رواه أحمد بإسناد جيد (انظر الترغيب والترهيب (٤ /٤٤٥) فصل في الشفاعة وغيرها ، والطبراني (٨ / ١٤٣) ح ٧٦٣٨ . وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ، ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني رجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة _ انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) . والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني - رحمه الله - برقم (٥٣٦٣) ، وذكره الشيخ مقبل الوادعي في كتابه : الشفاعة (ص١٧١) وقال : والطريقان يكفيان في ثبوت الحديث .

(٥) هو الصحابي : أبو برزة _ نضلة بن عبيد _ وقيل نضلة بن عبد الله الأسلمي ، نزل البصرة ثم مرو ثم عاد إلى البصرة وبها توفي سنة ٦٠هـ وقيل ٦٥هـ على الصحيح ، انظر : أسد الغابة (٦ / ٣٤ ، ٣٥) ترجمة رقم / ٥٧١٩ ، سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٠ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (٢ / ٢٤٧) رقم / ٧١٧٧ .

من أمتي لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر ، وإن من أمتي لمن يعظم للنار حتى يكون ركناً من أركانها »(١) .

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من عدد مضر ، ويشفع الرجل في أهل بيته ويشفع على قدر عمله »** (٢) .

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « **إن من أمتي من يشفع للفئام** (٣) **، ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للعُصبة ، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة »** (٤) .

وفي لفظ أحمد : « **وإن الرجل يشفع للثلاثة وللرجلين وللرجل »** (٥) .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤ / ٢١٢ ، ٥ / ٣١٣) واللفظ له . وقال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله ثقات ، انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) ، والبخاري في التاريخ (٢ /٢٦١) كنز العمال (١٢ /١٥٨) ، ح ٣٤٤٧١ ، وابن ماجة : كتاب الزهد ، باب صفة النار٢ /١٤٤٦) ح ٤٣٢٣، وفي الزوائد : في إسناده عبد الله بن أقيش النخعي ، ذكره ابن حبان في الثقات . وقال : أحسبه الذي روى عنه أبو أسحاق عن ابن عباس . وقال : لم يرو عنه غير داود بن أبي هند ، وليس إسناده بالصافي . والحاكم في مستدركه (١ /١٤٢) ح ٢٣٨ ، وقال :هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وضعفه الألباني : انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة(٥ / ١٤٠)برقم ٢١٢١ ، وضعيف الجامع رقم(٢٠٠٠) ، وقال الشيخ مقبل : فقول الحاكم صحيح على شرط مسلم .. وقول الحافظ في الإصابة إن سنده صحيح ، ليس بصحيح ، بل هو حديث ضعيف ، و الله أعلم . انظر : الشفاعة ص١٧١ .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ /٣٨١-٣٨٢) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي غالب وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف .

(٣) الفئام : الجماعة الكثيرة ــ انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (٣ /٤٠٦) .

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣ /٢٠-٦٣) والترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة ، باب ١٢ منه (٤ / ٥٤١) ح ٢٤٤٠ وقال : هذا حديثٌ حسنٌ ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢ / ٦٣٦) ، وكنز العمال (١٢ / ١٥٨) ح ٣٤٤٧٢ ، ومشكاة المصابيح (٣ / ١٥٥٨) ح ٥٦٠٢ ، وقال الألباني : إسناده ضعيف ، وحسنة : الشيخ مقبل . الشفاعة ص١٦٨ (ولعله حسنه بمجموع طرقه) . وذكر الهيثمي نحو هذا وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح : (وإن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة ..) انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٢) .

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣ / ٢٠) .

وقال - ﷺ - : « ويشفع الرجل منهم للرجال من أهل بيته ، فيدخلون الجنة بشفاعته »(١) .

وخلاصة القول في هذا الفصل أن الشفاعة يوم القيامة تتكرر مراراً وتتفاوت على حسب درجة الشافع أو المشفوع له فمنها :

[أ] المتفق على خصوصيتها للنبي - ﷺ - :

كالشفاعة العظمى وهي لأهل الموقف جميعاً مؤمنهم وكافرهم ، وهي الشفاعة لفصل القضاء ، والشفاعة لأهل الجنة ليدخلوها وهو عبارة عن الإذن من الله - عز وجل - في استفتاح باب الجنة لأهلها ،والشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ، وشفاعة الرسول - ﷺ - لعمه أبي طالب خاصة دون سائر الكفار ، ومنها خصوصيته - ﷺ - في تأجيل الدعوة لأمته إلى يوم القيامة .

[ب] ومنها المختلف في خصوصيتها به - ﷺ - دون غيره :

كالشفاعة لقوم استوجبوا النار بأعمالهم فلا يدخلونها ، والشفاعة في رفع درجات أهل الجنة ، والشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم .

[ج] ومنها العامة لـه - ﷺ - ولغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين، والأعمال الصالحة ، كالشفاعة للأهل والأقرباء ، والشفاعة في أهل الكبائر .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - : « إرضاء الله تعالى نبيه محمداً - ﷺ - في الشفاعة يوم القيامة مرة بعد أخرى حتى يقر بأنه قد رضي بما قد أُعطى في أمته من الشفاعة »(٢) .

وقال القاضي عياض - رحمه الله - : « فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته - ﷺ - ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها ، من حين يجتمع الناس للحشر ، وتضيق بهم الحناجر ، ويبلغ منهم العَرَقُ والشمس والوقوف

---

(١) رواه أحمد في مسنده(٣ / ٦٣)،وابن خزيمة في كتاب التوحيد(٢ / ٧٤٧)عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
(٢) كتاب التوحيد لإبن خزيمة (٢ / ٦٧٢) .

مبلغه [١] ، وذلك قبل الحساب ،فيشفع حينئذ لإراحة الناس في الموقف ، ثم يوضع الصراط ، ويحاسب الناس ...... فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة ، ثمّ يشفع فيمن وجب عليه العذاب ، ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ، ثم فيمن قال : لا إله إلا الله » [٢] .

والشفاعة لا تكون من الشافع إلا في الوقت الذي يأذن الله تعالى فيه بالشفاعة لا قبل ذلك ، فبعضهم يأذن الله له في الشفاعة بعد الحساب مباشرة ، وبعضهم يكون الإذن في الشفاعة له بعد مدة من العذاب ، وبعضهم بعد مدة من العذاب أطول . والله تعالى أعلم .

---

(١) مبلغه : نهايته .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ٣٠١) .

الفصل الثاني

شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

تمهيـــــد :

المبحث الأول : الكبيرة لغةً وشرعاً ، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الكبيرة لغة .
- المطلب الثاني : الكبيرة في الاصطلاح الشرعي .

المبحث الثاني : حكم أهل الكبائر ، وفيه أربعة مطالب :

- المطلب الأول : حكم أهل الكبائر عند أهل السُّنَّة والجماعة .
- المطلب الثاني : حكم أهل الكبائر عند الخوارج .
- المطلب الثالث : حكم أهل الكبائر عند المعتزلة .
- المطلب الرابع : حكم أهل الكبائر عند المرجئة .

المبحث الثالث : الشفاعة في الكبائر ، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : ثبوت شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر .
- المطلب الثاني : الكبائر المأذون بالشفاعة فيها .

الفصل الثاني

شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته

تمهيد :

من حكمة الله ـ عز وجل ـ أن خلق الإنسان ناقص الكمال ، ومن ذلك عدم العصمة إلا ما ورد في ذلك للأنبياء ، فقد يرتكب العبد الذنوب والمعاصي سواء كبيرة أو صغيرة ، فلا يسلم أحد منها ، فجعل الله ـ عز وجل ـ أبواباً لإخراج العبد المسلم العاصي من ذنوبه وآثامه وجعل مكفرات لها منها :

التوبة ، والاستغفار ، وفعل الحسنات ، والأذى الذي يصاب به المؤمن في نفسه وماله وأهله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « **والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله ، فيغفر لهم** »(١) .

فمن هذا الحديث تظهر الحكمة وهي : معرفة العبد افتقاره إلى ربه ـ عز وجل ـ عند ارتكابه للذنوب والمعاصي، وإظهار رحمة الله ـ عز وجل ـ بعباده في قبول المغفرة وتكفير السيئات عند الرجوع إليه والمعصية هي بداية الطريق إلى النار والعياذ بالله ـ ولذلك فإن التوبة على الله ـ تعالى ـ تقتضي أقصى غايات الإقلاع عن الذنب ، والاعتذار إلى الله ـ تعالى ـ والاعتصام بالصراط المستقيم .

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « إن حقيقة التوبة هي الندم على ما سلف ، والإقلاع عنه في الحال والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل »(٢) .

---

(١) رواه مسلم : كتاب التوبة ، باب سقوط الذنوب بالاستغفار ، توبة (٤ / ٢١٠٦) ح ٢٧٤٩ ، وأحمد في مسنده (٢ / ٣٠٩) .

(٢) مدارج السالكين (١ / ١٨٢) .

فالتوبة فرض دائم على كل مسلم على قدر استطاعته لقوله تعالى : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (٣١) ﴾ [النور : ٣١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - قال : « **والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة** »(١) .

والتوبة لا يلزم أن تكون من ذنب معين فأصلها هو الرجوع إلى الله تعالى ، وهذا يتضمن الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بأمره والاهتداء بهديه .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : « فإن حقيقة التوبة الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب وترك مايكره »(٢) .

فخطورة الذنوب كلها كبيرها وصغيرها ثابت بقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** (١٥) ﴾ [الأنعام : ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور : ٦٣] .

وقال تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال : « **كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي** ، قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ ، **قال : من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى** »(٣) .

فهذه نصوص عامة تدل على أن المعاصي شأنها كبير كلها ، وذلك لأنها ما بين إثم ، وظلم ، وفاحشة ، وفسق ، وضلال ، وكفر ، ولذلك فالمعصية أياً كان نوعها توجب الخوف والحذر من أن تكون سبباً للوقوع في الفتنة ، أو الوقوع في عذاب

---

(١) رواه البخاري : كتاب الدعوات ، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة (٨ / ٨٣) ح ٦٣٠٧ ، وأحمد في مسنده (٢ / ٣٤١) وغيرهما .

(٢) مدارج السالكين (١ / ٣٠٥)

(٣) رواه البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ، باب الاقتداء بسُنن رسول الله ﷺ ... (٩ / ١١٤) ح ٧٢٨٠ ، وأحمد في مسنده (٢ / ٣٦١) وغيرهما .

أليم كما ذكر الله تعالى ، وذكر النبي - ﷺ - .

فالمعصية تضر صاحبها بغض النظر عن كبرها أو صغرها ، ولكن يكون الضرر تبعاً لكبر المعصية ، قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزلزلة : ٧-٨] .

فالحذر من التهاون في فعل الصغائر أمر مطلوب من العبد ، فالاستصغار للذنب والإقدام عليه ذنب عظيم في غاية الكبر ، لأنه من جهة الاعتقاد مخالف لأصول الإسلام ، ومن جهة العمل هو بداية الطريق إلى عظيمتين :

الأولى: الإصرار على المعصية وهذا من الكبائر .

الثاني : الاستخفاف بأحكام الشريعة ، وهذا يصل إلى درجة الكفر في كثير من الأحيان ، والعياذ بالله تعالى .

والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر ، ولكن لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار، لقوله - ﷺ -: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه** »(١) .

قال الإمام الصنعاني - رحمه الله - : «ووجه الدلالة أن مُحقرات الذنوب إن كانت من الكبائر فالواحدة مهلكة فيضيع مقصود الحديث، وإن كانت صغائر فلا يمكن اجتماعُها لأنها مغفورةٌ البتة بحسب اجتناب الكبائر، وإن كان مع الإصرار فلا

(١) رواه أحمد في مسنده (١ / ٤٠٢)، (٥/ ٣٣١) (٦/ ٧٠ ، ١٥١)،والبهيقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٥٦) ٧٢٦٧ تحقيق / محمد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ، شرح السُنّة للبغوي ـ تحقيق / شعيب الأرنؤوط (١٤ / ٣٩٩) ح ٤٢٠٣ الكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٢١٩) ح ٧٣٢٣، من حديث سهل ابن سعد رضي الله عنه ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٩٠) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين ورجال إحداهما رجال الصحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم وهو ثقة .وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة(١ / ٦٧٤) برقم / ٣٨٩ ، وقال وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين .

صغيرة مع الإصرار على ما رُوي[١] وهو وفق كلام المتكلمين فيكون معنى قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١].

نحو قوله ـ ﷺ ـ : (**سدّدوا وقاربوا وأبشروا**) [٢].

وتكون الحكمة في عدم تمييز الصغائر من الكبائر إرادة اجتناب كلٍّ منهما، والتحفظُ عن العصيان رأساً بقيد الطاقةِ البشرية شبيهةٌ بالحكمة في إخفاء ليلة القدر في رمضان .. » [٣].

---

(١) كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن الكبائر سبع هي ؟ ، قال : إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار. انظر جامع البيان للطبري (٤ / ٤٤) برقم / ٩٢٠٨، والدر المنثور للسيوطي (٢ / ٥٠٠) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل (٨ / ١٢٣) ح ٦٤٦٧ ، ومسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى (٤ / ٢١٧١) ح ٢٨١٨ ، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة ـ تحقيق / حلاق (٤٨٧ - ٤٨٨) .

المبحث الأول
الكبيرة لغةً واصطلاحاً

المطلب الأول
الكبيرة لغةً

الكِبْر : الإثم الكبير ، وما توعَّد الله عليه النار .

والكِبَرةُ كالكِبْر : التأنيث على المبالغة .

وفي التنزيل العزيز: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ [النجم: ٣٢] .

وفي الأحاديث ذكر الكبائر في غير موضع ، واحدتها كبيرة ، وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعاً لعظيم أمرها ، كالقتل والزنا والفرار من الزحف وغيرها(١) ، والكبيرةُ : متعارفةٌ في كل ذنب تعظمُ عقوبتهُ والجمع الكبائر(٢)

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٥ / ١٢٩)

(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص٤٢١) ، كتاب الكاف .

المطلب الثاني

الكبيرة في الاصطلاح الشرعي

اختلف العلماء في تعريفها فبعضهم يعبر عن جانب منها من خلال الاستدلال ببعض النصوص دون بقيتها ، وحاول البعض الآخر أن ياتي بتعريف شامل ، فقالوا في ذلك ما يلي :

[١] الكبيرة هي : الموجبة للحد ، وقيل ما يلحق الوعيد بصاحبه بنص كتاب أو سنة[١] .

[٢] وقيل : هي ما وجبت فيه الحدود ، أو توجه إليها الوعيد [٢] .

[٣] وقيل : هي كل معصية أوجبت الحد[٣] .

[٤] وقيل هي كل ذنب أوعد فاعله بالنار[٤] .

[٥] وقال الإمام الغزالي[٥] – رحمه الله – : « هي كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف ووجدان ندم ، تهاوناً واستجراء عليها فهي كبيرة ، وما يحمل على فلتات النفس ولا ينفك عن ندم يمتزج بها وينغص التلذذ بها فليس

---

(١) قول الإمام الرافعي في كتابه الشرح الكبير ، انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٢٤) .

(٢) قول الإمام الماوردي في كتابه الحاوي ، انظر : فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٢٤) .

(٣) قول الإمام البغوي ، انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر / لابن حجر الهيثمي(١ / ٦) دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان ــ ط بدون .

(٤) قول الحسن البصري ، وابن جبير ، ومجاهد ، والضحاك . انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر (١ / ٧) .

(٥) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي الشافعي ، برع في الفقه وأصوله وعلم الكلام وغير ذلك وله مصنفات فيها ، ولد سنة ٤٥٠هـ (بطوس في خراسان وتوفي سنة ٥٠٥هـ ، وقد كان منتمياً إلى الأشعرية في طريقته الكلامية ، له مصنفات عدة ، منها : (إحياء علوم الدين ، تهافت الفلاسفة ، الاقتصاد في الاعتقاد ، المنقذ من الضلال) وغير ذلك . انظر : طبقات الشافعية / للسبكي (٦ / ١٩١ وما بعدها) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٩ / ٣٢٢ ومابعدها) ، وفيات الأعيان / لابن خلكان (٤ / ٢١٦-٢١٩) ، تبيين كذب المفتري / لابن عساكر (ص٢٩١-٣٠٦) ، الأعلام / للزركلي (٧ / ٢٢)

بكبيرة »(١) .

واعترض على هذا التعريف ، لأنه يشمل صغائر وليست بكبائر ، وكذلك يرد على هذا التعريف أن من ارتكب كبيرة من الكبائر ، المنصوص عليها كالزنا مثلاً لا يشمله التعريف إن صَاحَبَ فعله الخوف أو الندم .

[٦] وذكر الإمام الطبري في تفسيره تعريف الكبائر عداً استناداً إلى ما ذُكر من أحاديث النبي ـ ﷺ ـ بقوله : « وأولى ما قيل في تأويل الكبائر بالصحة ، ما صح به الخبر عن رسول الله ـ ﷺ ـ دون ما قاله غيره ، . . . ، فالكبائر إذاً : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين . . »(٢) .

[٧] وعرّفها إمام الحرمين بقوله : « كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقاقة الديانة(٣) » .

[٨] **وقال العز بن عبد السلام - رحمه الله - :** « إذا أردت معرفة الفرق بين الصغائر والكبائر فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها ، فإن نقصت عن أقلّ مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو أربت عليها فهي من الكبائر »(٤) .

[٩] وقيل : « والتحقيق أن الكبيرة كل ذنب قرن به وعيد أو لعن بنص كتاب أو سنة أو علم مفسدته كمفسدة ما قرن به وعيد أو حد أو لعن أو أكثر من مفسدته ، أو أشعر بتهاون مرتكبه في دينه إشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها بذلك »(٥)

[١٠] وقيل : « كل محرم لعينه منهي عنه لمعنى في نفسه »(٦)

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١ / ٧) .
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (٤ / ٤٦) عند تفسير سورة النساء آية / ٣١ .
(٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٣٢٩) .
(٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام (١ / ٢٠) ـ مؤسسة الريان ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)
(٥) نقلاً عن الزواجر عن اقتراف الكبائر (١ / ٩) .
(٦) فتح الباري لابن حجر : كتاب الأدب (١٠ / ٤٢٤) .

[١١] وقال الإمام النووي – رحمه الله – : « وإذا ثبت انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر فقد اختلفوا في ضبطها اختلافاً كثيراً منتشراً جداً ، فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :« الكبائر كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب » ونحو هذا عن الحسن البصري » .

وقال ابن الصلاح[١] :« لها أمارات منها : إيجاب الحد ، ومنها الإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها من الكتاب أو السُّنَّة ،ومنها وصف فاعلها بالفسق نصاً ، ومنها اللعن »[٢] .

[١٢] وقال الإمام القرطبي – رحمه الله – : « والصحيح إن شاء الله تعالى أن كُلَّ ذنبٍ أطلق الشرع عليه أنه كبير أو عظيم ، أو أخبر بشدَّة العقاب عليه ، أو علّق عليه حداً ، أو شدّد النكير عليه وغلّظه، وشهد بذلك كتابُ الله أو سنّة أو إ جماع، فهو كبيرة »[٣] .

[١٣] وقال الإمام الشوكاني – رحمه الله – :« قال ابن عباس : الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب .وقال ابن مسعود رضي الله عنه : الكبائر ما نهى الله عنه في هذه السورة[٤] إلى ثلاث وثلاثين آية . وقال سعيد[٥] بن جبير :

(١) هو أبو عمر وعثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر النصري الشهر زوري الكردي الشرخاني تقي الدين ، المعروف بابن الصلاح :أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال، ولد في شرخان (قرب شهر زور)سنة ٥٧٧هـ ،وانتقل إلى الموصل ثم إلى خرسان ثم إلى بيت المقدس ثم إلى دمشق وتوفي فيها سنة ٦٤٣هـ ، له مصنفات،منها(مقدمة ابن الصلاح، والفتاوى) وغير ذلك.انظر: وفيات الأعيان /لابن خلكان (٣ /٢٤٣–٢٤٥)،سير أعلام النبلاء(للذهبي ٢٣ /١٤٠)شذرات الذهب / لابن العماد (ج٥ /٢٢١) المجلد الثالث،الأعلام / للزركلي (٤ / ٢٠٧).

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (ج٢ / ٨٥) المجلد الأول .

(٣) المفهمْ لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ـ تحقيق / محي الدين مستو وآخرون (١ /٢٨٤) .

(٤) يُقصد بها سورة النساء .

(٥) سعيد بن جبير الأسدي ، بالولاء ، الكوفي ، أبو عبد الله : تابعي ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، ولد سنة ٤٥هـ قتل على يد الحجاج سنة ٩٥هـ ، قال أحمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه) . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (٤ / ٣٢١) وما بعدها ، تقريب التهذيب / لابن حجر (٣ / ٣٤٩) برقم ٢٢٨٥ ، الأعلام / للزركلي (٣ / ٩٣) .

كل ذنب نسبه الله إلى النار هو كبيرة وقال جماعة من أهل الأصول : الكبائر كل ذنب رتب الله عليه الحدّ أو صرح بالوعيد فيه »(١) .

[١٤] وقال شارح العقيدة الطحاوية - رحمه الله - : « الكبيرة هي : ما يترتب عليها حدُ أو تُوعِّد عليها بالنار ، أو اللعنة ، أو الغضب ، والصغيرة هي : ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة »(٢) .

وما ذكرنا عن الإمام النووي والقرطبي وابن الصلاح وابن أبي العز الحنفي والشوكاني هو يعتبر من أشهر التعريفات ، وأجمعها وأشهرها تعريفاً هو تعريف الإمام القرطبي رحمه الله ، كما ذكره الإمام الحافظ ابن حجر وقال : « من أحسن التعاريف »(٣) وذكره الإمام الذهبي(٤) كذلك(٥) .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : أن هذه التعريفات المشهورة المتقاربة اللفظ والمعنى صائبة لعدة اعتبارات من أهمها :

[١] أنها تشمل كل ما ثبت في النصوص أنه كبيرة كالشرك ، والقتل ، والزنا ، والسحر ،وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ،وغير ذلك من الكبائر التي فيها

---

(١) فتح القدير (١ / ٥٧٧) تفسير سورة النساء آية / ٣١ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ـ بتحقيق الألباني ـ رحمه الله ـ (ص٣٧٠ - ٣٧١) .

(٣) فتح الباري لابن حجر : كتاب الحدود ، باب رمي المحصنات (١٢ / ١٩١) .

(٤) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، شمس الدين ، أبو عبد الله : حافظ ، مؤرخ ، علاّمة محقق تركماني الأصل ، من أهل ميافارقين ، مولده في دمشق سنة ٦٧٣هـ رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان ، وكفّ بصره سنة ٧٤١هـ . تصانيفه كبيرة وكثيرة تقارب المئة ، توفي بدمشق سنة ٧٤٨هـ ، من مصنفاته : (تاريخ الإسلام ٣٦ مجلداً ، سير أعلام النبلاء ٢٥ مجلداً ، تذكرة الحفاظ ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، كتاب الكبائر) وغير ذلك . انظر فوات الوفيات / محمد بن شاكر الكتبي ـ تحقيق : إحسان عباس (٣ / ٣١٥-٣١٧) ، ديوان الإسلام / لشمس الدين محمدبن عبد الرحمن بن الغزي ـ تحقيق سيد كسروي حسن (٢ / ٣٠٩-٣١١) برقم ٩٧٠ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) ، الأعلام / للزركلي (٥ / ٣٢٦) .

(٥) كتاب الكبائر للإمام الذهبي- تحقيق / محي الدين مستو (ص١٩) . مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق ـ سوريا ، وبيروت ـ لبنان، مكتبة دار التراث ـ المدينة المنورة ـ السعودية - ط الأولى (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م) .

عقوبات مقدرة،ويشمل أيضاً ما ورد فيه الوعيد كالفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس وشهادة الزور، ويشمل كل ذنب توعد صاحبه بأنه لا يدخل الجنة وما قيل فيه منْ فَعَلَهُ فليس منّا ،وما ورد من نفي الإيمان عمّن ارتكبه كقوله ـ ﷺ ـ :«**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..**» (١). فكل من نفى الله عنه الإيمان والجنة أو كونه من المؤمنين فهو من أهل الكبائر، لأن هذا النفي لا يكون لترك مستحب ، ولا لفعل صغيرة ، بل لفعل كبيرة .

[٢] أنه المأثور عن السلف من الصحابة والتابعين والأئمة (كابن عباس ، وابن عيينه(٢) ، وابن حنبل) وغيرهم .

[٣] أن المستحق للحد له ذنب يستحق العقوبة عليه .

[٤] أن مرجعه إلى ما ذكره الله ـ عز وجل ـ ورسوله ـ ﷺ ـ في الذنوب ، فهو حد يتلقى من خطاب الشارع

[٥] أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر .

[٦] أن الله تعالى قال: ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا** ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء: ٣١] ، فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير

---

(١) رواه البخاري : كتاب المظالم والغصب ، باب النُهبى بغير إذن صاحبه (٣/١٧٨) ح ٢٤٧٥ ، كتاب الأشربه ، الباب الأول(٧/١٣٦) ح ٥٥٧٨، وكتاب: الحدود ، باب لا يشرب الخمر ، والسارق حين يسرق (٨/١٩٥-١٩٧) ح٦٧٧٢ . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب نقصان الإيمان بالمعاصي (١/٧٦) ح ٥٧ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) هو أبو محمد سفيان بن عُيينه بن ميمون الهلالي الكوفي، محدث الحرم المكي ، من الموالي ، من تابعي التابعين ، ولد بالكوفة عام ١٠٧هـ ،وسكن البادية وتوفي بها ، كان حافظاً ، فقيهاً ، واسع العلم ، كبير القدر ، محدث الحرم ، قال الشافعي :((لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز)) له:(الجامع في الحديث ، وكتاب في التفسير) توفي عام ١٩٨هـ . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (٨ / ٤٥٤ وما بعدها) ، غربال الزمان في وفيات الأعيان / ليحيى بن أبي بكر العامري الحرضي اليماني · صححه وعلق عليه : محمد ناجي زعبي العمر (ص١٨٥) ــ دار الخير للنشر والتوزيع ــ دمشق ــ سوريا ــ ط بدون (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ، تقريب التهذيب / لابن حجر (١ / ٣٧١) برقم / ٢٤٥٨ ، الأعلام / للزركلي (٣ / ١٠٥) .

السيئات ، واستحقاق الوعد الكريم . وكل من وعد بغضب الله أو لعنته ، أو نار أو حرمان جنة ، أو ما يقتضي ذلك ، فإنه خارج عن هذا الوعد ، فلا يكون من مجتنبي الكبائر .

وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد ولم يُقم عليه الحد ، لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر . إذ لو كان كذلك لم يكن له ذنب يستحق أن يعاقب عليه ، والمستحق أن يقام عليه الحد له ذنب يستحق العقوبة عليه [١] .

« ومن تتبع الذنوب التي أطلق عليها أنها كبائر وجدها أكثر من السبعين ، فكيف إذا تتبع جميع ما جاء عليه الوعيد الشديد في الكتاب والسُّنَّة من اتباعه بلعنة أو غضب أو عذاب أو محاربة أو غير ذلك من ألفاظ الوعيد فإنه يجدها كثيرة جداً » [٢] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ٦٥١ – ٦٥٥) بتصرف واختصار ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق الألباني - رحمه الله - (ص٣٧١) .

(٢) انظر : أعلام السُّنَّة المنشورة لحافظ بن أحمد حكمي (ص٢٠٨ ، ٢٠٩) .

المبحث الثاني

حكم أهل الكبائر

وقع النزاع بين الفِرَق في الحكم على أهل الكبائر ، هل يستحقون أن يوصفوا بالإيمان المطلق أو بعض منه أو الكفر أو بين ذلك ، وذلك راجع إلى أن مسائل الإيمان التي وقع النزاع فيها بين الفِرَق ، وهي تعريف الإيمان وحده ومن ثمّ دخول الأعمال فيه وعدمه ، وزيادة الإيمان ونقصانه ، وحكم أهل الكبائر ، ومسألة الاستثناء في الإيمان وعدمه ترجع إلى أصل واحد هو.

هل الإيمان حقيقة واحدة أو شيء واحدٌ أو أنه يتبعض ويتجزأ .

فقالت الخوارج والمعتزلة : إن الإيمان حقيقة واحدة فإذا ذهب بعضه ذهب باقي الإيمان . ولهذا أوجبوا ذهاب الإيمان عن مرتكب الكبيرة ، والقول بعدم زيادته ونقصانه في هذه الحالة .

وضدهم فرق المرجئة : ومنهم الجهمية الذين يُسمَّون غلاة المرجئة ، جعلوا الإيمان شيئاً واحداً لا يتبعض وهو مجرد المعرفة أو التصديق بالقلب كقول الجهمية ، أو تصديق القلب واللسان كقول المرجئة سِوى الجهمية .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « وأصل نزاع هذه الفِرَق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً إذا زال بعضه زال جميعه وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه .

فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه كما قال النبي ﷺ : « **يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان ...** » [1] » .

---

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٥١٠) ، ومنهاج السُّنَّة (٥ / ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦) بتحقيق / محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيميه ، القاهرة ــ مصر ــ ط الثانية (١٤٠٩هـ) ، وانظر نحوه : مقالات الإسلاميين / للأشعري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (١ / ٢١٤) المكتبة العصرية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط بدون (١٤١٦هـ ــ ١٩٩٥م) .

أما أهل السُّنَّة والجماعة فيقولون حيث نقص الإيمان يُحكم عليه :

[١] فمنه ما إذا زال بعضه زال الإيمان كله كأصول الإيمان :من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره واليوم الآخر، وماهو معلوم من الدين بالضرورة .

[٢] ومنه ما إذا زال بعضه زال كمال الإيمان لا أصله وحقيقته ، مثال زوال شعب الإيمان الأخرى التي دون الأصول السابقة ، وقد ورد في ذلك أدلة كثيرة تبين نقص الإيمان وزيادته كقوله تعالى : ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤] ، ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [المدثر: ٣١]، وأهل السُّنَّة كانوا أسعد الناس بموافقة النصوص ، لأنهم داروا مع النص،وسلموا وأذعنوا لما فيه وعملوا بجميع الأدلة من الكتاب والسُّنَّة ، حيث وفقوا بين ما قد يظهر منها التعارض ، بخلاف أهل الأهواء والبدع الذين أخذوا من النصوص ما يوافق مذاهبهم وردوا ما يعارضها بنفي أو تأويل .

وما يلي من مطالب سيكون توضيحاً لحكم أهل الكبائر عند كل طائفة أو فرقة على إنفراد .

المطلب الأول
حكم أهل الكبائر عند أهل السُّنَّة والجماعة

لمعرفة مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في أهل الكبائر لابد أن نذكر شيئاً من الأدلة المنصوص عليها ، ومن أقوال أئمة السلف في ذلك .

فقد تواترت النصوص الدالة على الحكم في أهل الكبائر ، بعدم كفرهم وعدم خلودهم في نار جهنم إذا دخلوها بسبب معاصيهم وذلك في حالة عدم الاستحلال للذنب سواءٌ كان كبيراً أو صغيراً . وهذا يعتبر من الأصول المجمع عليها عند أهل السُّنَّة والجماعة فمن ذلك :

الأول : نصوص تدل على أن من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

فهذه الآية أظهر الأدلة من القرآن على قول السلف وأقواها في إثبات أن ما دون الشرك من الذنوب تحت المشيئة .

قال ابن جرير- رحمه الله -: « وقد أبانت هذه الآية أنَ كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، مالم تكن كبيرته شركاً بالله » (١) .

وذكر في كتابه التبصير قول أهل السُّنَّة والجماعة في الحكم على أهل الكبائر قولهم: « هم مؤمنون غير أنهم لما رَكِبوا من معاصي الله فاجترحوا الذنوب في مشيئة الله إن شاء عفا عنهم بفضله فأدخلهم الجنة، وإن شاء عاقبهم بذنوبهم ، فإنه يعاقبهم بقدر الذنب ثم يُخرجهم من النار بعد التمحيص فيدخلهم الجنة » (٢) .

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٤ / ١٢٩) تفسير سورة النساء / ٤٨ .

(٢) التبصير في معالم الدين / لابن جرير ـ تحقيق / علي بن عبد العزيز الشِّبل (ص١٨٠) ـ دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م) .

وقال الإمام الشوكاني - رحمه الله -: « وظاهره أن المغفرة منه سبحانه تكون لمن اقتضته مشيئته تفضلاً منه ورحمة وإن لم يقع من ذلك المذنب توبة »[١].

فمن مات مشركاً لم يتب منه استحق الخلود في نار جهنم ، ومن تاب قبل موته فإن الله غفورٌ رحيم. لقوله تعالى: ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ** ﴾ [الأنفال: ٣٨] .

وقال - ﷺ - لمعاذ رضي الله عنه : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله - عز وجل - أن لا يعذِّبَ من لا يشرك به شيئاً »[٢] .

وعن أبي ذر[٣] رضي الله عنه قال : قال - ﷺ - : يقول الله - عز وجل - : « ..... **ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً ، لقيتُهُ بمثلها مغفرةً** »[٤] .

(فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض ، وهو ملؤها أو ما يقارب خطايا لقيه الله - عز وجل - بقرابها مغفرة ، لكن هذا مع مشيئة الله - عز وجل - فإن شاء غفر له ، وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة)[٥].

ثانياً : نصوص فيها التصريح بعدم دخول الموحد النار أو خلوده فيها - إن دخل - مع تصريحها بارتكابه الكبائر ، منها :

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - أنه قال : « **أتاني جبريل** عليه السلام ، **فبشرني أنه من مات من أُمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنَّة**، قلت : وإن زنى وإن سرق؟، **قال**

---

(١) فتح القدير (١ / ٦٠٠) تفسير سورة النساء آية / ٤٨ .

(٢) رواه البخاري : كتاب اللباس ، باب إرداف الرجل خلف الرجل (٧ / ٢١٨) ح ٥٩٦٧ . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١ /٥٨) ح ٣٠ ، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه واللفظ لمسلم .

(٣) هو الصحابي الجليل : أبو ذر الغفاري المشهور ، الصادق اللهجة ، مختلف في اسمه واسم أبيه ، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن ، وقيل : بريد بن عبد الله ، وبربر بن جنادة ، والمشهور جندب بن جناده قيس بن عمرو من بني غفار ، من السابقين إلى الإسلام ، قصة إسلامه في الصحيحين ، مات في الربذة سنة ٣١هـ ، طبقات ابن سعد (٤ /٢١٩) ، الإصابة (٤ /٦٢-٦٤) ترجم رقم / ٣٨٤ ، أسد الغابة (٦ /١٠٦-١٠٨) ترجمة رقم/٥٨٦٢ ، سير اعلام النبلاء (٢ /٤٦ وما بعدها) .

(٤) رواه مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى (٤ / ٢٠٦٨) ح ٢٦٨٧ ، وأحمد في مسنده (٥ /١٤٧-١٤٨-١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٦٧-١٦٩-١٧٢-١٨٠) وغيرهما .

(٥) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (٣٧٤) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

ـ ﷺ ـ : وإن زنى وإن سرق » (١) .

ثالثاً: نصوص فيها التصريح ببقاء الأخوة الإيمانية وبقاء الإيمان مع ارتكاب الكبائر، منها:

قول الله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩] .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ١٧٨] .

فاستدل أهل السُّنَّة على أن المؤمن لا يكفر بارتكابه الكبائر لأن الله سبحانه وتعالى ـ سماه مؤمناً ووصفهم بالأخوة ويقصد بها الأخوة الإيمانية .

قال ابن الجوزي - رحمه الله - : « ودل قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَخِيهِ ﴾ على أن القاتل لم يخرج عن الإسلام » (٢) .

فوجه الدلالة من هذه الآيات على أن فاعل الكبيرة لا يكفر لأن الله سمى المقتول أخاً للقاتل، مع أن قتل المؤمن كبيرة من كبائر الذنوب عند الله عز وجل .

رابعاً : نصوص واردة في إقامة الحد على مرتكب الكبيرة :

كحد السرقة ، وشرب الخمر ، والزنا ، والقذف ، والحرابة ، وغيرها فهذا دليل قوي في عدم تكفير مرتكب الكبيرة فلو كانوا كفاراً لما كانت العقوبة على حسب ارتكاب الكبيرة إمّا القصاص أو الجلد أو الرجم أو القطع أو النفي وغيرها .

ولكن الرسول ـ ﷺ ـ بيَّن الفرق في حد المرتد عن الإسلام وغيره من الحدود الأخرى لمرتكبي الكبيرة غير الكفرية ، فجعل حد المرتد عن الإسلام القتل بينما حد مرتكبي الكبائر متفاوته ، وما كان فيها حده القتل كالقاتل عمداً فقد يخفف ويحول إلى الدية عند عفو الولي عنه ، فلو كان القتل كفراً ما كان للولي عفو ولا أخذ الدية ولزمه القتل لقوله ـ ﷺ ـ : **« من بدل دينه فاقتلوه »** (٣) .

---

(١) رواه البخاري : كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة (٩/ ١٧٤) ح٧٤٨٧ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك ب الله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار (١ / ٩٤) ح٩٤ ، واللفظ له .

(٢) زاد المسير في علم التفسير (١ / ١٨٠) .

(٣) رواه البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين ، باب حكم المرتد والمرتدة (٩ / ١٩) ح ٦٩٢٢ وأحمد في مسنده (١ / ٢١٧-٢٨٢-٢٨٣-٣٢٣، ٥ / ٢٣١) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وأما أقوال أئمة السلف في ذلك فقد نصت على عدم كفر مرتكب الكبيرة إذا لم يستحل ذلك .

« فكان علماءُ التابعين في ذلك العصر مع أكثر الأمة يقولون إن صاحب الكبيرة من أمة الإسلام مؤمنٌ لما فيه من معرفته بالرُسل والكتب المنزَّلة من الله تعالى ، ولمعرفته بأن كل ما جاء من عند الله حقٌ، ولكن فاسقٌ بكبيرته وفسقه لا ينفى عنه اسم الإيمان والإسلام . وعلى هذا القول مضى سلفُ الأمة من الصحابة وأعلام التابعين » (١) .

قال الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - : « ولا نكفر مسلماً بذنب من الذنوب وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها ولا نزيل عنه اسم الإيمان ونسميه مؤمناً حقيقة ، ويجوز أن يكون مؤمناً فاسقاً غير كافر » (٢) .

وقال أبو عبيد (٣) - رحمه الله - : « أن المعاصي والذنوب لا تزيل إيماناً ولا توجب كفراً ، ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله » (٤)

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة : أن فساق أهل الملة ليسوا مخلدين في النار كما قالت الخوارج والمعتزلة، وليسوا كاملين في الدين والإيمان والطاعة ، بل لهم حسنات وسيئات يستحقون بهذا العقاب وهذا الثواب » (٥) . اهـ.

---

(١) الفرق بين الفرَق للبغدادي (ص٩٧ - ٩٨) بتصرف يسير - دار الآفاق الجديدة - بيروت - لبنان ط الرابعة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) .

(٢) كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة ، شرح الملا على القاري (ص١٠٢-١٠٣) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م) .

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي ، ولد في هراة سنة ١٥٧هـ ، أحد الأئمة الحفاظ، له تصانيف في فنون كثيرة ، منها : (غريب الحديث ، مشكل القرآن ، الإيمان) وغير ذلك ، توفي سنة ٢٢٤هـ بمكة . انظر : وفيات الأعيان / لابن خلكان (٤ / ٦٠-٦٢) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٠ / ٤٩٠ وما بعدها) ، طبقات الشافعية / للسبكي (٢/ ١٥٣ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي (٥/ ١٧٦) .

(٤) الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (ضمن أربع رسائل مجموعة) - تحقيق / الألباني - دار الأرقم - الكويت- ط الثانية (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

(٥) مجموع الفتاوى (٧ / ٦٧٩) .

وقال الإمام النووي - رحمه الله -: « وأما قوله - ﷺ -: « وإن زنى وإن سرق » فهو حجة لمذهب أهل السُّنَّة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار، وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة »[١].

ويقول - رحمه الله تعالى - أيضاً وهو يروي مذهب أهل السُّنَّة في الموحدين:

« واعلم أن مذهب أهل السُّنَّة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته .... وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى - فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً وجعله كالقسم الأول وإن شاء عذبه القدْر الذي يريده - سبحانه وتعالى - ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل »[٢].

وقال الإمام الأشعري - رحمه الله -: « وأهل السُّنَّة لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر »[٣].

وقال الإمام الطحاوي[٤] - رحمه الله -: « ولا نكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ، مالم يستحله »[٥].

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم: (ج٢ / ٩٧) المجلد الاول.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم: (ج١ / ٢١٧) المجلد الاول.

(٣) مقالات الإسلاميين ـ تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد (١ / ٣٤٧).

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي المصري الطحاوي الحنفي، إمام، حافظ، فقيه، ولد سنة ٢٣٩هـ في طحا (من صعيد مصر) صنف كتباً كثيرة منها: (عقيدته المشهورة، شرح معاني الآثار، مشكل الآثار) وغير ذلك، توفي بالقاهرة سنة ٣٢١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٥ / ٢٧-٣٢)، الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية / لعبد القادر بن أبي الوفاء القرشي (١ / ٢٧١-٢٧٧)، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٢ / ٢٨٨) المجلد الاول، والأعلام / للزركلي (١ / ٢٠٦).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ـ تحقيق / الألباني (ص٣١٦).

ويقول شارح العقيدة الطحاوية - رحمه الله - : « إن أهل السُّنَّة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفُر كفراً ينقل عن الملة بالكلية » (١) .

وقال الإمام الصابوني (٢) - رحمه الله - : « ويعتقد أهل السُّنَّة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة صغائر كانت أو كبائر فإنه لا يُكفَّرُ بها ، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله - عزوجل - إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار ، ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار وإن شاء عاقبه وعذّبه مدةً بعذاب النار ، وإذا عذّبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار » (٣) .

وقال الإمام البغوي (٤) - رحمه الله - : « اتفق أهل السُّنَّة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها ، وإذا عَمِل شيئاً

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق / الألباني (ص٣٢١) .

(٢) هو أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمدبن إسماعيل بن عابد الصابوني، ولد في نيسابور سنة ٣٧٣هـ ، تولى الوعظ وهو في العاشرة من عمره ، كان بالغاً في العفاف والسداد وصيانة النفس ، معروفاً بحسن الصلاة وطول القنوت ، كان سيف السُّنَّة وأفعى على أهل البدعة ، من مصنفاته : (الفصول في الأصول ، الانتصار ، عقيدة السلف أهل الحديث) وغيرها ، توفي بنيسابور سنة ٤٤٩هـ . انظر : طبقات الشافعية / للسبكي (٤ / ٢٧١-٢٩٢) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٣ / ٢٨٢ ، ٢٨٣) المجلد الثاني ، البداية والنهاية / لابن كثير)ج١٢ / ٨١) المجلد السادس ، الأعلام / للزركلي (١ / ٣١٧) .

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث - تحقيق بدر بن عبد الله البدر (ص٨٦) - مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة - السعودية - ط الثانية (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) .

(٤) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي ، الفقيه الشافعي ، يعرف بابن الفراء أو الفراء ، ويلقب بمحيي السُّنَّة ، نسبته إلى بغا من قرى خراسان بين هراة ومرو ، ولد عام ٤٣٦هـ ، هو فقيه ، محدث ، مفسر ، وكان جليلاً ورعاً زاهداً ، توفي عام٥١٠هـ في مرو الروّذ ، وقد جاوز الثمانين ، ولم يحج ، له عدة مصنفات، منها : (معالم التنزيل - في التفسير ، الجمع بين الصحيحين - في الحديث ، التهذيب - في الفقه الشافعي ، شرح السُّنَّة) وغيرها . انظر: طبقات المفسرين/ للداودي (١ / ١٥٧-١٥٩) ، تذكرة الحفاظ/ للذهبي (٤ / ١٢٥٧) ، الأعلام/للزركلي (٢ / ٢٥٩).

منها ، فمات قبل التوبة ، لا يُخلّد في النار ، كما جاء به الحديث ، بل هو إلى الله إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه ، ثمّ أدخله الجنة برحمته »(١) .

وقال الإمام ابن بطه(٢) **العكبري - رحمه الله -** : « وقد أجمعت العلماء لا خلاف بينهم أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه من الإسلام بمعصية، نرجو للمحسنين ، ونخاف على المسيء »(٣) .

وقال الإمام بن أبي الخير(٤) **العمراني - رحمه الله -** : « ومذهب أهل السُّنَّة أن الموحدين لا يكفرون بفعل شيء من المعاصي الصغائر والكبائر ، وإذا عملوا الكبائر وتابوا لم تضرهم ، وإن ماتوا قبل التوبة منها فامرهم إلى الله إن شاء عذبهم عليها وإن شاء غفرها لهم ، وإن عذب العباد على الصغائر لم يكن ظالماً لهم بذلك »(٥) .

---

(١) شرح السُّنَّة للإمام البغوي ـ تحقيق / شعيب الارناؤط (١ / ١٠٣) .

(٢) هو الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطه العكبري الحنبلي ، عالم بالحديث فقيه من كبار الحنابلة ولد بعكبرا سنة ٣٠٤هـ رحل إلى مكة والثغور والبصرة وغيرها في طلب الحديث ، ثم لزم بيته أربعين سنة حتى توفي سنة ٣٨٧هـ ، قال عنه الذهبي : ((كان صاحب أحوال وإجابة دعوة ﷺ)) له عدة مؤلفاته منها : (كتاب الشرح والإبانة، رسالة في إبطال الحيل) وغيرها . انظر: طبقات الحنابلة/ لابي يعلي (٢ / ١٤٤-١٥٢) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٦ / ٥٢٩) وما بعدها) ، الاعلام / للزركلي (٤ / ١٩٧).

(٣) الشرح والإبانة على أصول السُّنَّة والديانة ، للإمام عبيد الله محمد بن بطة العكبري ، تحقيق / د . رضا معطي (ص٢٦٥) ـ المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ـ السعودية ـ ط بدون (١٤٠٤هـ) .

(٤) هو يحيى بن أبي الخير بن سالم بن اسعد بن عبد الله بن محمد بن موسى ابن عمران العمراني ، أبو الحسين ، فقيه كان شيخ الشافعية في بلاد اليمن، ولد في مصنّعَة سَيْر (بلدة من اعمال إب في اليمن) سنة ٤٨٩هـ ، وتوفي في ذي السفال من محافظة إب سنة ٥٥٨هـ ، مبطوناً شهيداً ، وله مصنفات ، منها : (الزوائد على المهذب ، والبيان ـ في الفقه الشافعي ، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الاشرار) وغير ذلك . انظر : طبقات فقهاء اليمن / لابن الجعدي (ص١٧٤-١٨٤) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ تحقيق : فؤاد سيد / ط الثانية (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ، طبقات الشافعية / للسبكي (٧ / ٣٣٦-٣٣٨) ، الاعلام / للزركلي (٨ / ١٤٦) .

(٥) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الاشرار ـ تحقيق / د. سعود بن عبد العزيز الخلف (٣ / ٦٦٦) ـ أضواء السلف ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) .

وقال الإمام [١] **أبو محمد اليمني** : وهو يتكلم عن عقيدة السلف والرد على أهل البدع في مرتكب الكبائر والحكم عليه : « والذي عندنا أنه فاسق لأنه يقول الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴿٤﴾ ﴾ [النور:٤] .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات : ٦] .

فلو كانوا كفاراً كما ذكر هؤلاء [٢] لما قال ﴿ **فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ لأنه لا ندم على الكافر » [٣] .

وقد ذكر كثير من المصنفين من أئمة أهل السنَّة والجماعة وعلمائهم أقوالاً كثيرة جداً تبين حكم مرتكب الكبيرة ، واكتفينا بما ذُكر ، هذه الأقوال في حالة عدم استحلال الذنب من مرتكبه .

وما ورد من نصوص [٤] في الكتاب أو السنَّة على إطلاقه بلفظ الكفر أو الشرك -

---

(١) من علماء اليمن في القرن السادس الهجري ، لم يعرف إلا بكنيته ونسبته ، ساهم إسهاماً طيباً في بيان عقائد الفرق الضالة ، وخاصة الإسماعيلية ، فلم يؤلف أحد من السلف مثله في زمانه ومكانه في هذا الباب مع توخي الصواب والبعد عن الهوى ، وكان لقربه منهم وكثرة قراءته ، ومعرفة رموزهم أسباب لمعرفتهم ، وفضح معتقداتهم ، ولعل هذا السبب الذي أدى به إلى إخفاء إسمه ولقبه ، كان راسخ العلم غزير الإطلاع في شتى فنون المعرفة والعلم . انظر : البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان / لأبي الفضل السكسكي ـ تحقيق د : بسام العموش (ص٨٢-٨٣) مكتبة المنار ـ عمّان ـ الأردن ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ، الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير (ص٧٢٤) ـ إدارة ترجمان السنَّة ـ ط الأولى ، اليمن عبر التاريخ / أحمد حسين شرف الدين (ص١٩٦ ، ١٩٧) .

(٢) يقصد بهم : الخوارج فهم يكفرون المسلم بمجرد ارتكابه للكبيرة .

(٣) عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني ـ تحقيق ودراسة / محمد عبد الله زربان الغامدي (١ / ٢٩٨) ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ السعودية ـ ط الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) .

(٤) مثال :

[أ] قوله ﷺ : (**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**) ،رواه البخاري ح ٦٠٤٤ ومسلم ح ٦٤ من حديث ابن مسعود .

[ب] قوله ﷺ : (**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ..**) رواه البخاري خ / ٥٥٧٨ ومسلم ح / ٥٧ . قال الإمام النووي - رحمه الله - (فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال : لا علم إلا ما نفع ولا مال إلا الإبل ولا عيش إلا عيش الآخرة) انظر شرح النووي لصحيح مسلم (ج٢ / ٤١) المجلد الأول .

[ج] قوله ﷺ : (**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**) رواه مسلم ح / ٤٦ ، وقوله ﷺ : (**لا يدخل الجنة نمّام**) مسلم ، ح / ١٠٥ .

على بعض المعاصي فأهل السُّنَّة والجماعة يقولون أنه كفر دون كفر ، ويقصد بذلك تشبه مرتكب المعصية بالكافرين والمشركين بفعله .

ومن النصوص ما أولت بكفر النعمة ، أو ما ورد فيه نفي الإيمان فيقصد به نفي كمال الإيمان ، أو الإيمان الواجب وليس أصل الإيمان ، أو نفي دخول الجنة عمن ارتكب كبيرة فيقولون : ما دام موحداً فالنفي يحمل على عدم الدخول ابتداءً أو يحمل على مستحل للفعل ، وتقابل هذه النصوص مع أحاديث من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

فعند ذلك يتضح جلياً من هذه الأقوال والنقول أن مرتكب الكبيرة عند أهل السُّنَّة إذا لم يكن مستحلاً [١] لها بالفعل أو الاعتقاد ليس بكافر ولكن « يعتبر مؤمناً ناقص الإيمان ،أو مؤمن بإيمانه فاسقًا بكبيرته ، فلا يعطى الاسم المطلق للإيمان، ولا يسلب مطلق اسم الإيمان » [٢] فيكون نقص الإيمان بقدر ما ارتكب من معصية، فيقولون معه مطلق[٣] الإيمان ، لا الإيمان المطلق فلا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكلية إن شاء الله غفر له وعفا عنه من أول وهلة وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه لكن لا يخلد في النار ، بل يخرج منها بشفاعة الشافعين أو رحمة أرحم الراحمين.

وهذا ما يجب على العبد المسلم اعتقاده كونه المعتقد الحق دون سواه ، وبه يثاب العبد عند الله ـ عز وجل ـ .

---

(١) أن عامل الكبيرة يكَفُر باستحلاله إياها بل يكفر بمجرد اعتقاده بتحليل ما حرَّم الله ورسوله ـ ﷺ ـ ولو لم يعمل به لانه حينئذ يكون مكذباً بالكتاب ومكذباً بالرسول ﷺ وذلك كُفر بالكتاب والسُّنَّة والإجماع . فمن جحد امراً مجمعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة فلا شك في كفره .

(ولا نكفر بالمعاصي مؤمناً   إلا مع استحلاله لما جنى)

انظر : معارج القبول في شرح سلم الأصول إلى علم أصول التوحيد (تحقيق / عمر أبو عمر) (٣ / ١٠٤٠) .

(٢) مجموع الفتاوى / لابن تيميه (٣ / ١٥٢) بزيادة يسيرة .

(٣) الفرق بين الشيء المطلق ومطلق الشيء :أن الشيء المطلق يعني به الكمال (أي اصله وكماله موجود)، ومطلق الشيء يعني أصله لكن كماله مفقود .

المطلب الثاني
حكم أهل الكبائر عند الخوارج

يتفق عامّة الوعيدية (*) من الخوارج والمعتزلة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر ، وعلى تعريف الكبيرة ولكنهم يختلفون في الحكم على أصحابها في الدنيا ويتفقون في الحكم عليه في الآخرة، وأيضاً هي تعتبر مدار خلاف طويل بين أهل السُّنَّة والجماعة والوعيدية (الخوارج والمعتزلة) .

فالخوارج كانت في بداية الأمر فرقة واحدة ثم تفرقت إلى فرق شتى ، وكل فرقة قد تحتوي على فروع وأقسام وذلك لما ينشأ بينهم من خلاف في الآراء والمعتقدات فيفترقون ، فكبار فرق الخوارج(١) ست : (الأزارقة ، والنجدات ، والصفرية ، والعجاردة ، والإباضية ، والثعالبة ، والباقون فروعهم)(٢) .

فالخوارج يقولون : إن مرتكب الكبيرة يحكم عليه في الدنيا بالكفر لفعله الكبيرة، دون النظر إلى موانع التكفير الذي ينظر إليها أهل السُّنَّة ، كالجهل ، والخطأ، والإكراه ، والتأويل ، والتقليد .

يقول الإمام الرازي (٣) :« سائر فرقهم متفقون على أن العبد يصير كافراً

(*) سموا وعيديه : لأنهم يقولون بأحكام الوعيد دون أحكام الوعد ، أي : يغلبون نصوص الوعيد على نصوص الوعد ، ليخرجو فاعل الكبيرة من الإيمان .

(١) سيأتي التعريف بالخوارج وفرقها في الباب الثالث ، إن شاء الله تعالى .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ـ تعليق / أحمد فهمي محمد (١ / ١٠٧) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م) ، بزيادة يسيرة ، وانظر مقالات الإسلاميين / لابي الحسن الأشعري (١ / ١٦٨) .

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، فخر الدين الرازي ابو عبد الله ، ولد سنة ٥٤٤هـ في الرّي ، فقيهاً أصولياً ، عالماً رياضياً ، فيلسوفاً ، كان إماماً في الفلسفة وعلم الكلام يقال له ابن خطيب الرّي ، وكانت له مدرسة يُدرس فيها ، ويُعد من أهم رؤساء الأشاعرة ، توفي سنة ٦٠٦هـ ، من مؤلفاته : مفاتيح الغيب في التفسير ، لوامع البينات في شرح أسماء الله والصفات ، معالم أصول الدين ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) وغيرها . انظر : وفيات الأعيان / لابن خلكان (٤ / ٢٤٨) ترجمة رقم / ٦٠٠ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٢١ / ٥٠٠ ، ٥٠١) ، الأعلام / للزركلي (٦ / ٣١٣) .

بالذنب » (١) . وفي الآخرة يكون من أصحاب النار خالداً فيها إن مات ولم يتب من كبيرته التي ارتكبها ، وهذا في الحكم العام المشهور عندهم ، « فهم يكفّرون أصحاب الكبائر، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً ، إلا [النجدات] » (٢) .

وقد يجد الناظر فيما ذُكر عنهم من أقوال في مرتكب الكبيرة أنها متعددة وقد تكون متباينة في بعضها ، وذلك على حسب افتراقهم وطوائفهم ، فمن أقوال هذه الفرق والطوائف ما يلي :

أولاً : الإباضية :

قالت : « الإيمان جميع الطاعات ، فمن ترك منها شيئاً صغيرة كانت أو كبيرة كفر كفر نعمة لا كفر شرك إلا إن غفرت ، واحتجوا بقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [إبراهيم :٢٨] » .

قالت : « إن مرتكبي الكبائر في النار خالدون مخلدون فيها » (٣) .

وقالت في مرتكب الكبيرة « إنهم موحدون لا مؤمنون » (٤) ، « وأن من ارتكب كبيرة من الكبائر كَفَرَ كُفْرَ النعمة لا كفر الملة » (٥) .

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ـ تحقيق / محمد المعتصم ب الله البغدادي (ص٤٩) ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان – ط الأولى (١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م) .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٠٧) بتصرف ، ومقالات الإسلاميين/لأبي الحسن الأشعري (١ / ١٦٨) ، والتبصير في معالم الدين للإمام بن جرير الطبري (تحقيق / علي بن عبد العزيز الشِّبل (ص١٧٧) .

(٣) عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني ـ تحقيق / محمد بن عبد الله زربان الغامدي (١ / ٢٩٦) ، مقالات الإسلاميين (١ / ١٨٩) ، والإيمان لأبي عبيد (ضمن أربع رسائل ـ بتحقيق الألباني (ص١٠١ ، ١٠٢) ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١ / ٦٣ ، ٦٤) .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٣١) .

(٥) الملل والنحل (١ / ١٣٢) ، الفرق بين الفرَق للبغدادي (ص٩٧) ، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني (ص٣٢٤) ، والتبصير في معالم الدين للطبري (ص١٧٧) .

ومن فروع هذه الفرقة ما يلي :

[أ] اليـــنزيديــة :

تقول: « إن أصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون ، وكل ذنب صغير أو كبير فهو شرك »(١) .

[ب] الحفصيــة :

تقول: « إن بين الشرك والإيمان خصلة واحدة ، وهي معرفة الله تعالى وحده، فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول أو كتاب ، أو قيامه ، أو جنة ، أو نار ، وارتكب الكبائر من الزنا والسرقة وشرب الخمر فهو كافر ، لكنه بريء من الشرك »(٢) .

[ج] الحـــارثيـــة:

من أقوالها: « كل ذنب صغيراً أو كبيراً ولو كان أخذ حبة خردل بغير حق أو كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهي شرك بالله وفاعلها كافر مشرك مخلد في النار ، إلا أن يكون من أهل بدر فهو كافر مشرك من أهل الجنة ، وهذا حكم طلحة(٣) والزبير(٤)

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٣٣) .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل / لابن حزم ـ تحقيق عميره (٥ / ٥٥) شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م)، والملل والنحل للشهرستاني(١ / ١٣٢) .

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي التيمي ، أبو محمد ، صحابي جليل ، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر رضي الله عنه ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، شهد أُحداً وغيرها ، وقتل في موقعة الجمل سنة ٣٦هـ ، وهو ابن ٦٣ عاماً . انظر : الإصابة لابن حجر (٢ /٩٢٢) برقم ٤٢٦٦ ، تقريب التهذيب / لابن حجر (١ /٤٥١) برقم ٣٠٣٨ .

(٤) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي أبو عبد الله ، حواري رسول الله ﷺ ، وابن عمته صفيه بنت عبد المطلب ، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى ، أسلم صغيراً في الثانية عشرة من عمره ، هاجر الهجرتين ، شهد بدراً وما بعدها ، وشهد اليرموك وقُتل شهيداً في موقعة الجمل في شوال سنة ٣٦هـ قتله عمرو بن جرموز غدراً ، وله ٦٦ سنة أو ٦٧ سنة رضي الله عنه، انظر: الإصابة / لابن حجر ١ /٥٤٥ ـ ٥٤٦) ، أسد الغابة / لابن الأثير (٢ /٢٩٥-٢٩٨) ترجمة رقم ١٧٣٢ سير أعلام النبلاء / للذهبي (١ /٤١وما بعدها) ، تقريب التهذيب / لابن حجر (١ / ٣١٠) برقم / ٢٠٠٨ .

- رضي الله عنهما - عندهم »[١] .

ثانياً : الأزارقـــة :

« اجتمعت الأزارقة على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة خرج به عن الإسلام جملة ، ويكون مخلداً في النار مع سائر الكفار »[٢] .

وبهذا قالت : المكرمية من الثعالبة ،والصفرية ، والبيهسية وأكثر الخوارج .

ثالثــاً : الصفريــة :

ولقد انقسمت إلى ثلاث فرق :

[١] فرقة تقول بأن مرتكب الكبيرة كافر ومشرك وألحقوا بذلك صغار المعاصي[٣] .

[٢] وأخرى تقول : « لا يُشهدُ عليه بأنه كَفَرَ حتى يرفع إلى السلطان ويُحَدّ عليه ، فإذا حُدّ عليه فهو كافر »[٤] .

[٣] وأخرى تقول : « ما كان من الأعمال عليه حد واقع ، فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنا والسرقة والقذف ، فيسمى زانياً سارقاً قاذفاً لا كافراً مشركاً ، ومن كان من أهل الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة فإنه يكفر بذلك »[٥] وبه قال بعض البيهسية .

رابعاً : النجـــدات :

لهـم قــولان :

[١] أن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل /لابن حزم ـ تحقيق عميره (٥ / ٥٦) .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١١٦)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (١ / ١٧٠) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، لأبي المعالي الجويني (ص٣٢٤) .

(٣) عقائد الثلاث والسبعين فرقة/ لأبي محمد اليمني (١ / ٢٩٦) - والإيمان لأبي عبيدة (ضمن أربع رسائل) تحقيق / الألباني (ص١٠٢) .

(٤) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١ / ١٩٧) .

(٥) مقالات الإسلاميين (١ / ١٨٣) - والملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٣٤) - والفرق بين الفِرَق للبغدادي (ص٥٦) .

[٢] يُكفرون المصر على الذنب سواء كان الذنب صغيراً أو كبيراً ، ولا يكفّرون غير المُصّر وإن عمل الكبائر إذا كان من موافقيهم (١) .

وقالوا : « إن أصحاب الذنب الذي أجمعت الأمة على تحريمه كافر مشرك ، وصاحب الذنب الذي اختلفت الأمة فيه على حكم اجتهاد أهل الفقه فيه ، وعذروا مرتكب مالا يعلم بجهالة تحريمه إلى أن تقوم الحجة عليه فيه » (٢) .

خامساً : العجاردة :

يكفّرون بالكبائر(٣) ، ومن أقوال هذه الفرقة وما تفرَّع عنها : « زعموا أن من أتى كبيرة فقد جهل الله سبحانه ، وبتلك الجهالة كَفَر ، لا بركو به المعصية » (٤) .

سادساً : الثعالبة ، منها الفضيلية :

جعلوا المعاصي كلها ما غفر منها وما لم يغفر كفراً وشركاً ، وقالوا : « لأن الله جل ثناؤه لو عذبهم عليها كان غير ظالم ، لقوله تعالى : ﴿ **لا يَصْلاهَا إلاَّ الأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦)** ﴾ [الليل : ١٥-١٦] » (٥) .

سابعاً : ومن فرق الخوارج الحسينية :

يقولون فيمن خالفهم : « إنهم بارتكاب الكبائر كفار مشركون » (٦)

ثامناً : جماعة التفكير والهجرة :

تشارك جماعة التكفير والهجرة الخوارج في منهجها ومعتقدها ، فهم يكفرون

(١) مقالات الإسلاميين (١ / ١٧٥) وانظر الملل والنحل للشهرستاني (١ /١٨٨-١١٩) والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ــ تحقيق /عميره(٥ / ٥٣) - والفرق بين الفِرَق للبغدادي (ص٥٥، ٥٦) .

(٢) الفرق بين الفِرق للبغدادي (٩٧) ، (١١٩) .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٢٤) .

(٤) مقالات الإسلاميين للأشعري (١ / ١٨٢) - والفصل في الملل والأهواء والنحل / لابن حزم (٥ / ٥٥) .

(٥) عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني (١ /٢٩٦) ، والإيمان لابي عبيد (ضمن رسائل اربع) تحقيق الألباني (ص١٠٢) .

(٦) مقالات الإسلاميين للأشعري (١ / ١٩٨) .

كل من ارتكب معصية واصر عليها ولم يتب منها ، ويكفرون الحكام لأنهم لم يحكموا بما أنزل الله (١) ،ويكفرون المحكومين لأنهم رضوا بهم وتابعوهم على الحكم بغير ما أنزل الله ، وهم يكفرون علماء المسلمين وغيرهم وكل من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله فهو كافر عندهم ، ومن بايع إمامهم ودخل في جماعتهم ثم تراءى له لسبب أو لآخر تركها فهو مرتد حلال الدم عندهم ، وكل الجماعات الإسلامية الأخرى إذا بلغتها دعوتهم ولم تحلّ نفسها لتبايع إمامهم فهي كافرة مارقة ، بل والعصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر وجاهلية .

وهكذا أسرف هؤلاء في التكفير فكفروا الناس أحياءً وأمواتاً وبالجملة ، مع أن

---

(١) الحكم بغير ما أنزل الله ينظر إليه من جهتين : الجهة الأولى : من جهة الحكم على الفعل ،وهو ينقسم إلى قسمين هما : القسم الأول : الحكم على الفعل بأنه كفر أكبر ، مثل الجحود لما أنزل الله أو التشريع من دون الله أو الحكم بغير ما أنزل الله من القوانين والتحاكم إليها وإلزام الناس بها ، أو التبديل ولو لحكم واحد من أحكام الشريعة . القسم الثاني : الحكم على الفعل بأنه كفر اصغر ، وهو في حالة أن يكون حكم الله هو الحكم السائد ولكن تحصل المخالفة في الحالات الجزئية والحوادث الواقعة في الحكم بغير ما أنزل الله ، كمجاملة الحاكم المحكوم عليه لمنصب او جاه أو رشوة أو نحو ذلك ، بشرط أن يصاحبها إقرار واعتراف بشريعة الله تعالى . الجهة الثانية : من جهة الحكم على الفاعل ، لا يخلو حاله من ثلاثة احتمالات ، وهي :

الأول : ان يكون جاهلاً بلزوم الالتزام بالشريعة والتحاكم إليها . مثال : جهلة في لزوم إتباع الرسول ﷺ ، والالتزام بالشريعة إجمالاً ، فهو كافر كفراً أصلياً . لان من شروط تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله العلم بمدلولها الذي هو تصديق الرسول ﷺ والالتزام بالشريعة ، تصديقاً والتزاماً إجمالياً يقتضي التصديق والالتزام التفصيلي ، فهذا الأمر لا يعذر فيه أحد بجهل أو تاول أو إكراه ، فلا يثبت إسلام للمعين على الحقيقة إلا به .

الثاني: ان يكون عالماً بذلك ، متعمداً رد الشريعة، غير جاهل ولا متاول ، فهو كافر لتوفر الشروط وانتفاء الموانع، ولا نظر هنا لكونه مستحلاً أو غير مستحل ، جاحداً أو غير جاحد .

الثالث : ان يكون عالماً بلزوم الإلتزام بالشريعة، لكنه يجهل ان فعله يتعارض مع أصل الالتزام بالشريعة، لعدم علمه بالحكم الشرعي في ذلك . ففي هذه الحالة لا بد من إقامة الحجة عليه ورد شبهته حتى يعلم ان ما يفعله هو رد لشريعة الله ، فإن أصر على فعله كَفَرَ لانه حينئذ يكون قد فعل ما فعل رداً ورفضاً للشريعة ، وهذا هو مناط التكفير هنا .انظر : الحكم بغير ما أنزل الله أحواله واحكامه / د: عبد الرحمن المحمود (ص٣٣٠) ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى والثانية (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م) ، ضوابط التكفير عند أهل السنّة والجماعة / عبد الله القرني (ص١٧١) .

تكفير المسلم أمر خطير يترتب عليه حل دمه وماله والتفريق بينه وبين زوجته وولده وقطع ما بينه وبين المسلمين ، لا يرث ولا يورث ولا يوالى ، وإذا مات لا يُغسل ولا يُكفن ولا يُصلى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين ، وما هذه المعتقدات إلا نفسها معتقدات الخوارج[١] .

فمن خلال ما ذكرنا يتبين أن فِرق الخوارج تتفاوت أقوالهم في الحكم على مرتكب الكبيرة في الحياة الدنيا ،ويجمع الخوارج على افتراق مذاهبها في تكفير عليَ وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين[٢] ومن صوَّبهما أو صوَّب أحدهما أو رضي بالتحكيم[٣] .

وكذلك اتفاقهم على أن مرتكب الكبيرة إن مات ولم يتب منها أنه في النار خالداً مخلداً فيها ولا تنفعه شفاعة الشافعين أو غيرها .

ومنْ أكثر استدلالاتهم احتجاجهم بعمومات الوعيد ، وسنوضح ذلك ونوردها في مكانها[*] مع المناقشة والرد عليها .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « وكانت الخوارج قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة ، وقالوا أنهم كفار مخلدون في النار »[٤] .

---

(١) ظاهرة الغلو في التكفير ، الدكتور / عبد الفتاح شاهين (ص١٦ ، ١٧) انظر : ظاهرة الغلو في التكفير / للدكتور/ يوسف القرضاوي ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ مصر ــ ط الثالثة (١٤١١هـ ــ ١٩٩١م) ، وانظر : ظاهرة التكفير شبهات وردود ، للدكتور / عبد الفتاح شاهين (ص٨ــ١٠) ــ دار الإسراء ــ ط الأولى (١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م) ، والصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، يوسف القرضاوي (ص٥٤ ، ٥٥) مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ لبنان ــ ط ٥ (١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٨م) .

(٢) عمرو بن العاص من قبل معاوية بن أبي سفيان ، أبو موسى الأشعري من قبل علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ

(٣) الفرق بين الفِرقَ للبغدادي (ص٥٦) ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١ / ٦٣ــ ٦٤) .

(*) الفصل الخامس من الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

(٤) الفرقان بين الحق والباطل ــ تحقيق / عبد القادر الأرناؤوط (ص٢٤) مكتبة دار البيان ــ دمشق ــ سوريا وبيروت ــ لبنان ــ ط الثانية (١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م) .

وقالوا : « إن مرتكبي الكبائر ممن ينتحل الإسلام يعذبون عذاب الكافرين »[(١)] .

فخلاصة القول من أقوالهم السابقة :

أن مرتكب الكبيرة كافر ، على اختلاف في ذلك عند البعض ، هل يكون كفراً مخرجاً من الملة أم كفر نعمة ، ولا يمكن في حال معصيته وإصراره عليها أن يدخل الجنة إذا لم يتب منها ، فإن الله لا يغفر الكبائر لمرتكبيها إلا إذا تابوا منها قبل الموت .

فعصاة الموحدين من أهل الكبائر ـ عندهم ـ مخلدون في النار أبد الآبدين ، وهذا معتقد باطل ينافي أدلة كثيرة وردت في الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف من أهل السُّنَّة والجماعة كما سبق توضيح ذلك في مذهب أهل السُّنَّة في الحكم على مرتكب الكبيرة .

---

(١) مقالات الإسلاميين / للأشعري (١ / ٢٠٤) .

المطلب الثالث

حكم أهل الكبائر عند المعتزلة(*)

لقد تكلمت المعتزلة في الحكم على أهل الكبائر تفصيلاً في الدنيا والآخرة ، فقالوا : بأن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً ولكنه فاسق ، فهو بمنزلة بين المنزلتين(**). ، أي منزلة بين الإيمان والكفر ، فليس بمؤمن ولا كافر ، وهذا حكمه في الدنيا .

قال القاضي عبدالجبار(١) ـ رحمه الله ـ في كلامه عن مذهب المعتزلة في مرتكب الكبيرة : « إن صاحب الكبيرة لا يسمّى مؤمناً ولا كافراً ، وإنما يسمى فاسقاً »(٢) .

وقال رحمه الله : « صاحب الكبيرة له اسم بين الإسمين ، وحكم بين الحُكمين لا يكون اسمه اسم الكافر ، ولا اسمه اسم المؤمن ، وإنّما يسمّى فاسقاً ، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر ، ولا حكم المؤمن ، بل يفرد له حكم ثالث ، وهذا الحكم الذي ذكرناه ، هو سبب تسمية المسالة بالمنزلة بين المنزلتين ، فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان ، فليست منزلته منزلة الكافر ولا منزلة المؤمن ، بل منزلة بينهما »(٣) .

(*) سيأتي التعريف بالمعتزلة في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

(**) أصول المعتزلة الخمسة هي : العدل ـ التوحيد ـ والوعد والوعيد ـ المنزلة بين المنزلتين ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١) القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني الأسد آبادي ، تلقبه المعتزلة قاضي القضاة ، كان شافعياً على مذهب الأشاعرة ثم تحول إلى الاعتزل ، له مؤلفات تشكل أهمية كبرى في الفكر الاعتزالي، منها : (تثبيت دلائل النبوة ، العمد ، المغني، تنزيه القرآن عن المطاعن ، شرح الأصول الخمسة ، فضل الاعتزال ، طبقات المعتزلة) توفي سنة ٤١٥هـ . انظر : ميزان الاعتدال / للذهبي ـ تحقيق : علي محمد البجاوي (٢ / ٥٣٣) برقم /٤٧٣٧ ، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٧ / ٢٤٤-٢٤٥) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٣ / ٢٠٢ ، ٢٠٣) المجلد الثاني ، الأعلام للزركلي (٣ / ٢٧٣) .

(٢) شرح الأصول الخمسة (٧٠١ ، ٧٠٢) .

(٣) شرح الأصول الخمسة (٦٩٧) .

ويقول القاسم الرسي- رحمه الله - [١] : « كل من أتى كبيرة من الكبائر أو ترك شيئاً من الفروض المنصوصة على الاستحلال لذلك فهو كافر مرتد حكمه حكم المرتد ، ومن فعل شيئاً من ذلك اتباعاً لهواه وإيثاراً لشهواته كان فاسقاً فاجراً ما أقام على خطيئته » [٢] .

ويقول أبو سعيد الجشمي [٣] **البيهقي - رحمه الله -** : « والفاسق منزلة بين هاتين المنزلتين لا تجري عليهم أحكام الكفار ولا أحكام المؤمنين ، ولا يسمى باسم الكفار ولا باسم المؤمنين فهم فساق فجار » [٤] .

« فقد اتفقوا على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين وهي أنه فاسقٌ لا مؤمن ولا كافرٌ » [٥] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كلامه عن المعتزلة : « وفي الأسماء أحدثوا المنزلة بين المنزلتين وهذه خاصة المعتزلة التي انفردوا بها ،وسائر أقوالهم قد شاركهم فيها غيرهم » [٦] .

---

(١) هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسني، العلوي ، أبو محمد المعروف بالرسي ، فقيه ، شاعر، من أئمة الزيدية ، ولد سنة ١٦٩هـ وتوفي في الرس (وهو جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة على ستة أميال من المدينة) سنة ٢٤٦هـ. من مؤلفاته : (كتاب أصول العدل والتوحيد) . انظر : الأعلام للزركلي (٥ / ١٧١) ، معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة (٢ / ٦٣٦) برقم ١٠٩٣٨ .

(٢) كتاب أصول العدل والتوحيد للقاسم الرسي (ضمن رسائل العدل والتوحيد))ص٢٨٣) ، قدم لها : سيف الدين الكاتب ــ منشورات دار مكتبة الحياة ــ بيروت ــ لبنان ــ ط بدون .

(٣) هو المحسن بن محمد بن كرّامة الجشمي البيهقي ، أبو سعيد ، ويقال له الحاكم الجشمي ، مفسر ، عالم بالأصول والكلام ، حنفي ثم معتزلي فزيدي ، وهو شيخ الزمخشري، ولد سنة ٤١٣هـ ، قرأ بنيسابور وغيرها ، واشتهر بصنعاء (اليمن) . وتوفي بمكة مقتولاً سنة ٤٩٤هـ له مؤلفات كثيرة ، منها : (تحكيم العقول ــ في الأصول ، الإمامة ــ على مذهب الزيدية) وغير ذلك . انظر : الأعلام / للزركلي (٥ / ٢٨٩) ، معجم المؤلفين / كحالة (٣ / ٢١) برقم / ١١٣٩٦ .

(٤) تحكيم العقول في تصحيح الأصول لأبي سعيد الحسن بن محمد بن كرامه الجشمي البيهقي ، تحقيق/ عبد السلام بن عباس الوجيه (ص٢٢٦)ــ مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ــ عمّان ــ الأردن ــ ط الأولى(١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) .

(٥) الفرق بين الفِرق للبغدادي (ص٩٤) بتصرف يسير ، والتبصير في معالم الدين للطبري (ص١٧٨) .

(٦) الفرقان بين الحق والباطل (ص٢٥) .

وقال أبو محمد اليمني - رحمه الله - في كلامه عن عقيدة المعتزلة : « وأما المعتزلة فإنهم قالوا : الإيمان بالقلب واللسان مع اجتناب الكبائر ، فمن قارف منها كبيرة ذهب عنه اسم الإيمان ولم يكن مؤمناً ولا كافراً »[(١)] .

ولا مانع عندهم من تسميته مسلماً باعتباره يظهر الإسلام وينطق بالشهادتين ولكنه لا يسمى مؤمناً .

أما حكمهم على أهل الكبائر في الآخرة فيوافقون[(*)] الخوارج في الحكم فهو لايدخل الجنة لأنه لم يعمل بعمل أهل الجنة بل هو خالد مخلد في النار .

قال ابن أبي الخير العمراني - رحمه الله - : « وقالت المعتزلة .... ومن فعل كبيرة فإنه يخلد في النار ، ولا يوصف الله بأنه يغفر الكبائر »[(٢)] .

وقال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - : « وأجمع أصحاب الوعيد من المعتزلة أن مَنْ أدخله الله النار خلّده فيها »[(٣)] .

فالكبائر عندهم لا تكفر عن صاحبها بل يجب أن يعاقب عليها وعقابه عليها والخلود في النار إلاّ أنهم خالفوا الخوارج في أن العذاب على مرتكب الكبيرة دون عذاب الكفار .

قال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - : « والمعتزلة يقولون : إن عذابهم ـ أي مرتكبي الكبائر ـ ليس كعذاب الكافرين »[(٤)] .

ويقول القاسم الرسي ـ رحمه الله - : « ومن لم يتب من فسقه وظلمه فهو من

---

(١) عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١ / ٢٩٩) .

(*) قيل للمعتزلة أنهم مخانيث الخوارج ، لأن الخوارج لما رأوا لأهل الذنوب الخلود في النار ، المعتزلة رأت لهم ذلك ، انظر الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٩٩) .

(٢) الانتصار في الرد على القدرية الأشرار (٣ / ٦٦٨) ، وشرح الأصول الخمسة (٦٣٢) وشرح العقيدة الطحاوية ـ تحقيق / الألباني (ص٣٧٠) ، والتبصير في معالم الدين للطبري (ص١٧٨) .

(٣) مقالات الإسلاميين (١ / ٣٣٤) ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٣٩) ، وانظر الفرق بين الفرق (ص٩٨-٩٩) .

(٤) مقالات الإسلاميين (١ / ٢٠٤) ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٣٩) .

أهل النار ليس بخارج منها ، ولكنه وإن كان في النار فليس عذابه كعذاب الكفار ، بل الكفار أشد عذاباً » (١) .

وقال أيضاً : « فإن مات عليها - أي كبيرة من الكبائر - غير تائب منها كان من أهل النار خالداً فيها وبئس المصير » (٢) .

فبهذا يتبين أن المعتزلة خالفوا الخوارج في الحكم على مرتكب الكبيرة في الدنيا، ووافقوهم في الحكم عليه في الآخرة .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم في الآخرة دون الدنيا فلم يستحلوا من دمائهم وأموالهم ما استحلته الخوارج » (٣) .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « وافقوا الخوارج في الحكم وخالفوهم في الإسم » (٤) . .

وعلى ذلك فقول المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين باطل لا يقره أهل السُّنَّة والجماعة ، وكذلك القول بتخليد صاحب الكبيرة في النار، لأنها بهذا المعتقد تنفي ما تواترت به النصوص ، وأجمع عليه السلف من أن أهل الكبائر غير مخلدين في النار .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « أنا التزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله » (٥) .

---

(١) كتاب أصول العدل والتوحيد ، للقاسم الرسي (ضمن رسائل العدل والتوحيد) (ص٢٨٤) .

(٢) المصدر السابق (ص٢٨٣) .

(٣) الفرقان بين الحق والباطل(ص٢٥)،وانظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني(ص٣٢٥).

(٤) طريق الهجرتين ـ تخريج الأحاديث / عمر بن محمود أبو عمر (ص٥٦٨) ـ دار ابن القيم - الدمام ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤١٤هـ- ١٩٩٤م) .

(٥) حادي الأرواح (ص٢١٧) .

المطلب الرابع

حكم أهل الكبائر عند المرجئة (١)

لقد قابل الخوارج والمعتزلة في مسألة الإيمان المرجئة فقالوا : الإيمان هو التصديق بالقلب ، وما عدا ذلك فليس من الإيمان ، ولهذا كان الإيمان لا يزيد ولا ينقص

(١) **المرجئة** : هم الذين أرجئو العمل عن الإيمان وزعموا أن الإيمان هو التصديق بالقلب ومنهم من قال التصديق بالقلب واللسان ، وزعم البعض أن الإيمان هو المعرفة ، وقالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، والإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص ، وهم نحو اثنتي عشرة فرقة وأصنافهم أربعة: مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة ، انظر : المقالات (١ /٢٢٣ – ٢٢٨) ، الملل والنحل (١ /١٣٩) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٩٣–٩٥) ، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين / عبد الله بن أسعد اليافعي ـ تحقيق د. موسى سليمان الدويش (ص١٣٢– ١٤١) دار البخاري ـ المدينة المنورة ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٠هـ .

تختلف فرق المرجئة في تعريفها للإيمان إلى ثلاثة أقوال :

الأول : أن الإيمان مجرد المعرفة ، وبعضهم يقول المعرفة والتصديق ، ومن هؤلاء من يدخل عمل القلب كعامة فرق المرجئة ، ومنهم من لا يدخل ذلك . كجهم بن صفوان .

الثاني : أن الإيمان مجرد قول اللسان وهو ما أنفرد به (الكرامية) دون سائر الفرق .

الثالث أن الإيمان هو تصديق القلب وقول اللسان وهو ما يسمى بإرجاء الفقهاء .

قال شيخ الإسلام في الثالث وهو يلخص هذا الخلاف : ((.. ومما ينبغي أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السُّنَّة في هذه المسالة هو نزاع لفظي ، وإلا فالقائلون بأن الإيمان قول ، من الفقهاء : كحماد ابن أبي سليمان وهو أول من قال ذلك ، ومن أتبعه من أهل الكوفة ، وغيرهم متفقون مع جميع علماء السنّة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد ، وإن قالوا : إن إيمانهم كامل كإيمان جبريل فهم يقولون : إن الإيمان بدون العمل المفروض ومع فعل المحرّمات يكون صاحبه مستحقاً للذم والعقاب ، كما تقول الجماعة ، ويقولون ـ أيضاً بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقول الجماعة ...) الإيمان (ص٢٨١ ، ٢٨٢) ، وقال ـ رحمه الله ـ أيضاً: (والنزاع في هذا نزاع في الاسم واللفظ دون الحكم) ـ الفتاوى (١٣ / ٨٣) ، وقال ـ رحمه الله ـ أيضاً : (....... ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحداً من مرجئة الفقهاء ، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال ، لا من بدع العقائد ، فإن كثيراً من النزاع فيها لفظي ، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسُّنَّة هو الصواب ...) انظر كتاب الإيمان / لابن تيمية ـ تخريج الألباني (ص٣٧٧) .

وخلاصة ما نستفيده من هذا الإيضاح ما يلي :

[١] أن أكثر التنازع (وليس جميعه) بين الأئمة ومرجئة الفقهاء لفظي ، وفي الأسماء دون الأحكام .

[٢] أن هذا الخلاف وإن كان في الأصل لا يترتب عليه أثر عملي ، إلا أن شيخ الإسلام عدّه من بدع

عندهم ، فمن معتقدهم أنه لايضر مع الإيمان ذنب ، فإيمان أفسق الناس كإيمان الأنبياء ، ومرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان ، لأن الإيمان عندهم شيء واحد لا يزيد ولا ينقص وهو إما المعرفة ، أو التصديق على اختلاف بينهمX ، وحصروا الكفر بالجهل والتكذيب ونحوه من الجحود والإنكار والعناد .

أما الحكم على مرتكب الكبيرة في الحياة الآخرة فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن غلاة المرجئة أنهم يقولون :« ولا يدخل النار من أهل التوحيد أحد »(١) .

فمذهب أهل السُّنَّة بنفي التأبيد في النار لمن دخلها من أهل التوحيد ، خلافاً لغلاة المرجئة فإنهم ينفون الدخول في النار لأهل التوحيد ، والأمر في هذا تحت مشيئة الله ـ عز وجل ـ إن شاء أدخل العصاة من أهل التوحيد وإن شاء عفا عنهم ، فهو على كل شيء قدير .

وذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - ، أنهم يقولون : « لا يُدرى ما يفعل الله بهم فيجوز أن يعذبهم كلهم ، وأن يعفو عنهم كلهم، وأن يعذب بعضهم ويعفو عن بعضهم ، غير أنهم لا يخلد أحد منهم في النار ، فجوزوا أن يلحق بعضهم بمن ترجحت حسناته على سيئاته »(٢) .

الأقوال والأفعال .

[٣] وسبب اعتباره من بدع الألفاظ ، عدولهم عن الألفاظ المطابقة للكتاب والسُّنَّة في مسألة دخول العمل في مسمى الإيمان ، ومسألة الزيادة والنقصان .. الخ .

[٤] أن هذا القول : فصار ذريعة وطريقاً استند عليه المرجئة المتكلمون ، ولذلك نجد بينهم تشابهاً في غامة استدلالهم (فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ ، سبباً لخطأ عظيم في العقائد والأعمال) . الإيمان (ص٣٧٧) .

[٥] أنه ذريعة إلى ظهور الفسق والمعاصي ، (... بأن يقول : أنا مؤمن مسلم حقاً كامل الإيمان والإسلام ، وليٌّ من أولياء الله ، فلا يبالي بما يكون منه من المعاصي) .. شرح الطحاوية .

ولذلك ندرك أن الأسلم والأصح أن لا يقال : إن الخلاف صوري أو لفظي بإطلاق ، فضلاً عن أن يقال : أن هذا الخلاف لا محذور فيه ، أو لا يترتب عليه فساد اعتقاد و الله أعلم .. نواقض الإيمان الاعتقادية / الوهيبي (١ / ١٧٤) .

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ١٨١) .

(٢) طريق الهجرتين (ص٥٦٨) .

وقال ـ رحمه الله ـ : « فإنهم يجوزون أن لا يدخل النار أحد من أهل التوحيد » [١] .

وذكر حافظ الحكمي [٢] رحمه الله قولاً لهم : « ولا يدخل النار أحدٌ بذنب دون الكفر بالكلية » [٣] .

ويقولون: « أهل الكبائر من أهل التوحيد الذين وحّدوا وصدقوا رسول الله ـ ﷺ ـ وأقروا بشرائع الإسلام مؤمنون بإيمان جبريل وميكائيل ، وهم من أهل الجنَّة .

وقالوا : لا يضرهم مع الإيمان ذنب ، صغيرة كانت أو كبيرة كما لا ينفع مع الشرك عمل ، والوعيد إنما هو لأهل الكفر بالله ، والمكذبين بما جاء به رسوله ـ ﷺ ـ » [٤] .

واستدل هؤلاء بمقابل ما استدل به أولئك من الوعيدية (الخوارج والمعتزلة) إذ الوعيدية استدلوا بنصوص الوعيد ، والمرجئة بنصوص الوعد والرجاء .

وقد وقع غلاة المرجئة في خطأ كبير في حصرهم للكفر بالجهل والتكذيب ، فعلى قولهم هذا لو أن شخصاً قال للنبي ـ ﷺ ـ : « أنا أعلم أنك صادق ، لكن لا أتبعك ، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ، ولا أوافقك » ، لكان قوله ليس بكفر .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ فيمن قال هذا القول : (أنا أعلم ..) أنه كفر أعظم [٥] ويستلزم من قوله هذا أن من سب الرسول ـ ﷺ ـ ، أو سجد لصنم ، أو ألقى المصحف في القاذورات ليس بكافر ، والصحيح القول بكفره

---

(١) نفس المصدر (ص٥٧٠) .

(٢) هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي فقيه أديب ، من علماء (جيزان) بين الحجاز واليمن . ولد في قرية (السلام) التابعة لمدينة المضايا ، جنوب جيزان سنة ١٣٤٢هـ ونشأ بها .. ثم تفرغ للدراسة فظهر فضله ، وألف كتباً كثيرة ، توفي بمكة سنة ١٣٧٧هـ ، من مؤلفاته : (الجوهرة الفريدة في العقيدة ، اللؤلؤ المكنون في أحوال السند والمتون ، معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، وأعلام السُّنَّة المنشورة) وغيرها . انظر : الأعلام / للزركلي (٢ / ١٥٩) ، معجم المؤلفين / كحالة (١ / ٥١٩) برقم / ٣٨٨٣ .

(٣) معارج القبول (٣ / ١٠٢٠) .

(٤) التبصير في معالم الدين للطبري (ص١٧٩) .

(٥) كتاب الإيمان / لابن تيمية (ص٢٧٧) ، كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ / لابن تيمية تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد (ص٥٢٠) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م) ، شرح العقيدة الطحاوية ـ تحقيق الألباني (ص٣٣٨) .

عند الجميع .

ولعل من أعظم أسباب اضطرابهم وتناقضهم إخراج كثير منهم أعمال القلوب من مسمّى الإيمان ، ولذلك جعلوا الكفر هو التكذيب والجحود ، فلو أدخلوا الأعمال في مسمى الإيمان لعلموا أنّه يستحيل ـ مثلاً ـ أن يسب المرء من أحبه وخضع واستسلم كالرسول ـ ﷺ ـ ، لأن المحبة والاستسلام والانقياد إكرام وإعزاز ، والسب والشتم إهانة وإذلال واستخفاف ، فإذا حصل في القلب استخفاف واستهانة امتنع أن يكون فيه انقياد أو استسلام فلا يجتمعان [١] .

وذكر البغدادي[٢] عند بيانه لفرق المرجئة كلاماً لأحد مرجئة القدرية [٣] فقال :

« وزعم الصالحي أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، والكفر هو الجهل به فقط . وأن قول القائل أن الله تعالى ثالث ثلاثة ليس بكفر لكنه لا يظهر إلا من كافر ، .... ، والإيمان عنده خصلة واحدة لا تزيد ولا تنقص . وكذلك الكفر خصلة واحدة » [٤] .

فخلاصة القول فيما سبق في الحكم على مرتكب الكبيرة هو :

(أ) **أن أهل السنّة والجماعة قالوا :** (إن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، وفي الآخرة : إن شاء الله غفر له وعفا عنه من أول وهلة وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه لكن لا يخلد في النار بل يخرج منها بشفاعة الشافعين، أو رحمة أرحم الراحمين .

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ / لابن تيمية)ص٥١٩) ـ بتصرف .

(٢) هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الشافعي ، الأشعري من أكبر تلاميذ أبي إسحاق الإسفرائيني ، ولد ونشأ في بغداد ، ومات بإسفرايين سنة ٤٢٩هـ وقد شاخ ، له تصانيف في النظر والعقليات وغيرها ، منها : (أصول الدين ، الفرق بين الفرق ، نفي خلق القرآن) وغير ذلك . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٧ / ٥٧٢- ٥٧٣) ، طبقات الشافعية / للسبكي (٥ /١٣٦ - ١٤٨) ، الأعلام / للزركلي ٤ /٤٨) ، تبيين كذب المفتري / لابن عساكر (ص٢٥٣ ، ٢٥٤) .

(٣) هذه الفرقة عند أهل السنّة والجماعة أكفر أصناف المرجئة لأنها جمعت بين ضلالتي القدر والإرجاء ـ انظر الفرق بين الفرَق للبغدادي ص١٩٣ .

(٤) الفرق بين الفرَق للبغدادي (ص١٩٤ ، ١٩٥) ، ومقالات الإسلاميين للأشعري (١ /٢١٤) .

(ب) **الخوارج قالوا :** بكفر مرتكب الكبيرة بمجرد ارتكابه للكبيرة ،وفي الآخرة : يكون مخلداً في النار .

(ج) **المعتزلة قالوا :** لا مؤمن ولا كافر ولكن في منزلة بين المنزلتين ،وفي الآخرة : اتفقوا مع الخوارج في خلوده في نار جهنم .

(د) **المرجئة قالوا :** إنه مؤمن كامل الإيمان ، ولا يضر مع الإيمان معصية ،وفي الآخرة : لا يدخل النار أحد بذنب دون الكفر بالكلية .

وسبب هذا الاختلاف هو التفريط والإفراط ، زيادة في الدين أو النقص منه ، فالتفريط هو التساهل في الدين ، والإفراط هو التشدد في الدين وكلاهما منهي عنه شرعاً وموقع في الأهواء ، والبدع ، فالتساهل إعراض ، والتشدد ابتداع .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « وإنما جماع الشرِّ تفريط في حق أو تعدٍّ إلى باطل ، وهو تقصير في السُّنَّة أو دخول في البدعة ، كترك بعض المأمور وفعل بعض المحظور ، أو تكذيب بحق وتصديق بباطل » (١) .

وقال ابن المرتضى اليماني (ابن الوزير) - رحمه الله - : « فاعلم أن منشأ معظم البدع يرجع إلى أمرين واضح بطلانهما » .. وذكر أنها « الزيادة في الدين بإثبات مالم يذكره الله تعالى ورسوله - ﷺ - من مهمات الدين الواجبة ، والنقص منه بنفي ماذكره الله تعالى ورسوله - ﷺ - من ذلك بالتأويل الباطل » (٢) . فبذلك يظهر تميز مذهب أهل السُّنَّة في الحكم على مرتكب الكبيرة وتوسطة بين الوعيدية (الخوارج والمعتزلة) ، والمرجئة ، والتوفيق في الجمع بين النصوص الواردة في الكتاب والسُّنَّة وأقوال السلف ، وهو المذهب الحق الذي يجب على العبد المسلم الإيمان به ، واعتقاده والتمسك به .

---

(١) كتاب الصّفدية ــ تحقيق د/ محمد رشاد سالم (١ / ٢٩٣) ــ ط / على نفقة أحد المحسنين (١٤٠٦هـ).

(٢) إيثار الحق على الخلق / لأبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني ابن الوزير (ص٨٦ ، ٨٧) .

المبحث الثالث

الشفاعة في الكبائر

المراد بالكبائر في هذا الموضع هو مادون الشرك بالله ـ عز وجل ـ من الذنوب والمعاصي، إذ النبي ـ ﷺ ـ قد أخبر أن الشرك من أكبر الكبائر وأخطرها على العبد، إذ قد يكون العبد المسلم يعمل من الصالحات ثم تصبح هباءً منثوراً بشركه بالله ـ عز وجل ـ ولكن في هذا المبحث نقصد بالكبائر مادون الشرك .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - عند كلامه على حديث الشفاعة لأهل الكبائر : « إنما أراد أمته ، الذين أجابوه فآمنوا به ،وتابوا من الشرك »[١] .

---

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٦٥٨) .

المطلب الأول

ثبوت شفاعة الرسول - ﷺ - لأهل الكبائر

لقد ورد في هذا أدلة كثيرة عن النبي - ﷺ - منها في الصحيح ومنها في السنن والمسانيد ، وقد ذكرنا بعضاً منها فيما سبق ، وهي تدل على ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر ومما يثبت ذلك أيضاً ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي - ﷺ - قال : « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** » (١) .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - في معنى قوله - ﷺ -: « لأهل الكبائر من أمتي » : « إنما أراد أمته الذين أجابوه فآمنوا به ، وتابوا من الشرك إذ اسم الأمة قد يقع على من بعث إليهم أيضاً ، أي أنهم أمته الذين بعث إليهم ، ومن آمن وتاب من الشرك فهم أمته في الإجابة ، بعدما كانوا أمته في الدعوة إلى الإيمان » (٢) .

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢/١٦٢) ح ١٩٢٠ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط. بدون ، وأبو داود في سُننه : كتاب السُّنَّة ، باب الشفاعة (٥/١٠٦) ح ٤٧٣٩ . والترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة والرقائق الورع ، باب ١١، منه (٤/٥٣٩) ح ٢٤٣٥ ،وقال هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه،والإمام أحمد في مسنده (٣ / ٢١٣)، وابن ماجه في سننه : كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة ٢/١٤٤١) ح ٤٣١٠ ، من حديث جابر رضي الله عنه ، وابن حبان في صحيحه (٨/١٣٢) بترتيب ابن بلبان برقم ٦٤٣٤ وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/٢٦١) ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢ /٦٥١) . وابن أبي عاصم في السُّنَّة : باب في ذكر شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر (٢ / ٣٩٩) ح ٨٣١ ، والآجري في كتاب الشريعة : باب ما روي أن الشفاعة إنما هي لأهل الكبائر (ص٣٠١) ، والحاكم في المستدرك : كتاب الإيمان (١ / ١٣٩)ح / ٢٢٨ - وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ ، والبيهقي في كتاب الإعتقاد - بتحقيق/أحمد بن ابراهيم ابو العينين(ص٢٦١) دار الفضيلة- الرياض، ط الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، والصابوني في عقيدة السلف (ص٧٦) ، والإمام الالكائي في شرح اصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٦ / ١١٠١) ح ٢٠٦٦، وقال الحافظ ابن كثير: إسناده صحيح على شرط الشيخين ، انظر: تفسير ابن كثير (١ / ٥٢٣) ، وقال ناصر الدين الألباني - رحمه الله - : الحديث صحيح بطرقه ، انظر : كتاب السُّنَّة لابن أبي عاصم (٢ / ٣٩٩) ح / ٨٣٢ ، تخريج الألباني ، وانظر صحيح الجامع برقم / ٣٧١٤ ، وقد ذكر له طرقاً كثيرة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - تعالى ، منها حسن ، ومنها صحيح وغيرها ، انظر : كتاب الشفاعة (ص٨٥) .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ / ٦٥٨) .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي - ﷺ - قال: « **يخرج قومٌ من النار بشفاعة محمد - ﷺ - فيدخلون الجنَّة يُسمون الجهنّميين** » (١) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا رسول الله - ﷺ - يقول: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨-١١٦]، قال: «**إني ادخرت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي** » فامسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا ، ثم نطقنا به ورجونا » (٢) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ -: « **خُيرت بين الشفاعة ، وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمؤمنين المتقين ؟ لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطَّائين** » (٣) .

وكذلك مما ينص على شفاعة الرسول - ﷺ - في أهل الكبائر الذين دخلوا النار أن يخرجوا منها مارواه أبو هريرة رضي الله عنه ، قال: قال الرسول - ﷺ -: « **لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله ، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً** » (٤) .

---

(١) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (٨ / ١٤٥) ح٦٥٥٩ ، وأحمد في مسنده (٣ / ١٣٤- ٢٦٩) (٥ / ٣٩١) .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦ / ١٠٦) برقم ٥٩٤٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٥) ، وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير حرب بن سريح وهو ثقة ، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٣٧١٤ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ٧٥)،(٤ / ٤٠٤)، وابن ماجه : كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة(٢ / ١٤٤١)، من حديث أبي موسى الأشعري وابن عمر ، وقال : البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ما جه إسناده صحيح ورجاله ثقات ، والصابوني في عقيدة السلف الصالح ، و البيهقي في كتاب الاعتقاد (ص٢٦٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة(٦ / ١١٠٤)ح٢٠٧٤ ، وقال الإمام المنذري : رواه أحمد والطبراني، وإسناده جيد . انظر الترغيب والترهيب(٤ /٤٤٧-٤٤٨)، وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني ، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير النعمان بن قراد ، وهو ثقة . انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٨) ، وقال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ تعالى : الحديث صحيح ، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم / ٣٣٣٥ ، وقال الشيخ مقبل : الحديث رجاله رجال الصحيح . انظر : الشفاعة (ص٦٩-٧١) .

(٤) رواه البخاري :كتاب الدعوات، باب الأول (٨ / ٨٢) ح٦٣٠٤ ، ورواه مسلم:كتاب الإيمان ، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لامته(١ / ١٨٩)ح١٩٩ ، واللفظ له،وأحمد في مسنده(٢ / ٢٧٥).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال: «**يُدخلُ الله أهل الجنة الجنة، يُدخِلُ من يشاءُ برحمته، ويُدخِلُ أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون منها حُمماً قد امتحشوا، فيلقون في نهر الحياة أو الحيا** [١] **، فينبتون فيه كما تنبت الحَبَّةُ إلى جانب السَّيل، ألم تروها كيف تخرُجُ صفراءَ ملتويةً**» [٢] .

وعن أنس عن النبي - ﷺ - قال: « **يخرجُ من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيره من خيرٍ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرَّةٍ من خيرٍ ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرةٍ من خيرٍ، وفي رواية من " إيمان " مكان " من خير "** » [٣] .

وغيرها من الأحاديث الصريحة والمنصوص فيها على خروج الموحدين من النار بعد أن يأخذوا عذابهم بقدر ذنوبهم ويكون خروجهم بالشفاعة أو برحمة أرحم الراحمين سواءً كانوا من أهل الكبائر أو دون ذلك من الذنوب .

قال الإمام البيهقي - رحمه الله -: « والأحاديث في مثل هذا كثيرة، والمراد بها والله أعلم إثبات الجنة له في العاقبة، ونفي التخليد عنه في العقوبة، ثم مِنْ أهل التوحيد من يغفر له ابتداءً من غير عقوبة، ومنهم من يعاقب على ذنبه مدّة ثم تكون عاقبته الجنة .... فالمعاصي التي هي دون الشرك وإن عظمت لا تبلغ مبلغ الشرك، ولا توجب لصاحبها التخليد في النار .

---

(١) الحيا هو المطر، سمي حيا لأنه تحيا به الأرض، وكذلك هذا الماء يحيا به هؤلاء المحترقون وتحدُث فيهم النضارة، كما يُحدث ذلك المطر في الأرض . النهاية في غريب الحديث والأثر (١ / ٤٧٢) وانظر : صحيح مسلم الحاشية (١ / ١٧٢) .

(٢) رواه مسلم : كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار(١ /١٧٢) ح١٨٤ ، أبو عوانه في مسنده، بيان الدليل على أن الشفاعة لمن قال (لا إله إلا الله وكان في قلبه شيء من الخير) (١ / ١٨٥) ـ دار المعرفة ـ بيروت .

(٣) رواه البخاري : كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه (١ / ١٧ ، ١٨) ح ٤٤ ، وكتاب التوحيد (٩ / ١٤٩ ، ١٥٠) ح ٧٤١٠ ، ومسلم : كتاب الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة (١ / ١٨٢) ح١٩٣ ، واللفظ للبخاري .

وآيات التخليد كلها في الكفار وما ورد منها في أهل الإسلام ، فالمراد به أن ذلك جزاؤه ، وإذا أراد الله تعالى أن يعفو عن جزائه فَعَل ، والعفو عمّا ورد به الوعيد لا يكون خُلفاً »[١] .

وقال ـ رحمه الله ـ : « وفي تخليد المؤمن مع الكفار في النار تضييع ما أحسن من الإيمان بالله وكتبه ورسله،وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء : ٤٠] »[٢] .

وهذا هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائراً أئمة المسلمين ، بأن عصاة الموحدين الذين استحقوا دخولَ النار جزاء بعض المعاصي التي ارتكبوها أنهم يخرجون منها ولا يخلدون فيها وأن نبينا محمد ـ ﷺ ـ يشفع فيهم يوم القيامة ، ولم ينكر ذلك إلا أهل البدع .

ومن أقوال بعض أئمة المسلمين في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر الموحدين ، ما يلي :

قال الإمام ابن خزيمة ـ رحمه الله ـ : « ... إن شفاعة النبي ـ ﷺ ـ التي ذكرت أنها لأهل الكبائر ، ... ، وأنها لمن قد أدخل النار ، من غير أهل النار والذين هم أهلها أهل الخلود فيها ، بل لقوم من أهل التوحيد ارتكبوا ذنوباً وخطايا فأُدخلوا النَار لتصيبهم سفعاً منها »[٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ : « ثم اتفق أهل السُّنَّة والجماعة أنه ـ ﷺ ـ يشفع في أهل الكبائر ، وأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد »[٤] .

وقال أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ : عند كلامه عن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الشفاعة : « ويقرون بشفاعة رسول الله ـ ﷺ ـ ، وأنها لأهل الكبائر من أمته »[٥] .

---

(١) كتاب البعث والنشور / للحافظ البيهقي ـ تحقيق الشيخ / عامر احمد حيدر (ص٧٥) .
(٢) المصدر السابق ص٦٥ .
(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ / ٦٥٩) .
(٤) مجموع الفتاوى (١ / ١٠٨) .
(٥) مقالات الإسلاميين (١ / ٣٤٧) .

وقال الإمام الباقلاني(١) **- رحمه الله -:** « ومما يدل على جواز الغفران لعصاة أهل الملّة ما ورد من الأخبار الثابتة المتظاهرة في إثبات شفاعة الرسول - ﷺ - في أهل الكبائر »(٢) .

وقال أبو عمرو الداني(٣) **- رحمه الله -:** « ويخرج بشفاعة رسول الله - ﷺ - من النار قوم بعدما امتحشوا فيها وصاروا حمماً ، ويدخلون الجنة ويغسلون في ماء الحياة فتنبت لحومهم كما تنبت الحبة في حميل السيل ، على ما أتت به الأخبار الصحيحة عن الرسول - ﷺ - ، ..... فلا يديم الله تبارك وتعالى عذابه إلا على الكافرين ، ولا يخلد في ناره إلا الجاحدين ، على ما أخبر به في قوله ﴿ **إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [يوسف ٨٧] »(٤) .

وقال الإمام الجويني - رحمه الله - : عند كلامه على الشفاعة « ثمّ هي مصرحة بالتشفيع في أهل الكبائر ، إذ قال رسول الله - ﷺ - : " **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** " (٥) . فإن الأخبار المأثورة شاهدة بتعلق الشفاعة بأصحاب الكبائر »(٦) .

---

(١) أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد المعروف بابن الباقلاني ، المالكي ، الأصولي ، المتكلم على طريقة الأشاعرة ، لكنه كان يثبت كثيراً من الصفات الخبرية التي نفاها متأخرو الأشاعرة ، وقد لقي تلاميذ أبي الحسن الأشعري ، كان جيد الاستنباط سريع الجواب ، ولد سنة ٣٣٨هـ في البصرة ، له مصنفات كثيرة ، منها : " تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل في العقيدة ، إعجاز القرآن ، الإنصاف " وغيرها ، توفي في بغداد سنة ٤٠٣ هـ . انظر : تبيين كذب المفتري / لابن عساكر (ص٢١٧ وما بعدها) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٧ / ١٩٠ وما بعدها) ، وفيات الأعيان / لابن خلكان (٤ / ٢٦٩ ، ٢٧٠) برقم / ٦٠٨ ، الأعلام / للزركلي (٦ / ١٧٦) .

(٢) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل _ تحقيق / عماد الدين حيدر (ص٤١٥ - ٤١٦) .

(٣) هو عثمان بن سعيد بن عثمان الأندلسي الداني ، محدث مكثر ، ومقرئ متقدم ، وإليه المنتهى في علم القراءات ، وهو إمام في علوم القرآن ، ولد سنة (٣٧١) ، من أهل دانية بالأندلس ، له مصنفات كثيرة ، منها : ((الرسالة الوافية لمذهب أهل السُّنّة في الاعتقادات وأصول الديانات)) وغيرها ، توفي سنة (٤٤٤هـ) في بلده . انظر : سير أعلام النبلاء/ للذهبي ١٨ /٧٧ - ٨٣) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٣ / ٢٧٢) المجلد الثاني ، الأعلام/ للزركلي ٤ / ٢٠٦) .

(٤) الرسالة الوافية لمذهب أهل السُّنّة في الاعتقاد وأصول الديانات (ص١١٢) .

(٥) سبق تخريج الحديث صـ ٢١٩ .

(٦) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٣٣٠ - ٣٣١) ، وشرح المقاصد / للإمام التفتازاني _ تحقيق / عبد الرحمن عميره (٥/ ١٥٧) _ عالم الكتب _ بيروت _ لبنان _ ط / ١ (١٤٠٩هـ -١٩٨٩م) .

وقال الإمام ابن حزم[١] - رحمه الله -: عند ذكره لأنواع الشفاعة: «والشفاعة الثانية في إخراج أهل الكبائر من النار طبقة طبقة على ما صح في ذلك الخبر»[٢].

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله -: «وأجمع أهل السُّنَّة على أنه لا يبقى في النار مؤمن ولا يخلد إلا كافر جاحد»[٣].

وقال الإمام الصابوني - رحمه الله -: «ويؤمن أهل الدين والسُّنة بشفاعة الرسول - ﷺ - لمذنبي أهل التوحيد ومرتكبي الكبائر كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله - ﷺ -»[٤].

وقال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -: «والإيمان بأن الموحدين يخرجون من النار بعدما امتحشوا كما جاءت الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي - ﷺ -»[٥].

وقال الإمام الطحاوي - رحمه الله -: «وأهل الكبائر من أمة محمد - ﷺ - في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين.

وهم في مشيئته وحُكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر - عز وجل - في كتابه ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته»[٦].

---

(١) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن يزيد الفارسي الأصل، الفقيه، الحافظ، المتكلم، الوزير الظاهري، صاحب التصانيف، منها (المحلّى - في الفقه، الفصل في الملل والأهواء والنحل) وغيرها، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، وتوفي في بادية لَبْلة (من بلاد الأندلس) سنة ٤٥٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٨ / ١٨٤ ومابعدها)، تذكرة الحفاظ / للذهبي (٣/١١٤٦ - ١١٥٤)، الأعلام / للزركلي (٤/٢٥٤).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ١١٣).

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٥٠٧).

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٧٦).

(٥) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢ / ٢١٤).

(٦) شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق: الألباني (ص٣٦٩).

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في عصاة الموحدين من أهل الكبائر:

« هؤلاء هم القسم الذين جاءت فيهم الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله - ﷺ - فإنهم يدخلون النار فيكونون فيها على مقدار أعمالهم، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ويلبثون فيها على قدر أعمالهم ثمَ يخرجون منها، فينبتون على أنهار الجنة، فيفيض عليهم أهل الجنة بالماء حتى تنبت أجسادهم، ثم يدخلون الجنة، وهم الطبقة الذين يخرجون من النار بشفاعة الشافعين، وهم الذين يأمر الله سيد الشفعاء مراراً أن يخرجهم من النار بما معهم من الإيمان » (١).

وقال ابن المرتضى - رحمه الله -: « وأحاديث الشفاعة المصرحة بخروج الموحدين من النار قاطعة في معناها بالإجماع، وهي قاطعة في ألفاظها » (٢).

وقال ابن الأمير الصنعاني - رحمه الله - عند ذكره لأنواع الشفاعة: « شفاعته - ﷺ - في قوم من العصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم» (٣).

وقال الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله -: « فهذه الشفاعة حقٌ يؤمن بها أهل السُنَّة والجماعة كما آمن بها الصحابة رضوان الله عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه » (٤).

فَلِماَ تقدم يتضح جلياً ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر، فمن عقيدة أهل السُنَّة والجماعة أن أهل الكبائر قوم لقوا الله تعالى مصرين على كبائر الإثم والفواحش، ومعهم أصل التوحيد فرجحت سيئاتهم على حسناتهم فيدخلون النار بقدر ذنوبهم، ثم يأذن الله بالشفاعة فيهم لنبينا محمد - ﷺ - ولغيره من الأنبياء والملائكة والشهداء والأولياء والصالحين ومن شاء الله أن يكرمه بذلك.

---

(١) طريق الهجرتين (ص٥٦٨ - ٥٦٩).
(٢) إيثار الحق على الخلق (ص٣٩٥).
(٣) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة (ص٤٤٥).
(٤) معارج القبول (٢ / ٨٩٦).

ولكن نقول بعد ثبوت شفاعة النبي - ﷺ - للمذنبين من أمته ، أنه لا يسوغ لمسلم عاقل أن يرتكب المحرمات والمنهيات عنها اتكالاً على هذه الشفاعة ، فإن المسلم مطالب بأن يجدّ ويجتهد في العبادة والعمل حتى يرزقه الله - عز وجل - الوفاة على كلمة التوحيد فيكون من أهل شفاعته - ﷺ -، فإن أحدنا لا يدري ما يختم له في هذه الحياة .

المطلب الثاني
الكبائر المأذون بالشفاعة فيها

الكبائر المأذون بالشفاعة فيها هي ما دون الشرك بالله عزوجل ، فدعوات الأنبياء ليست مستجابة كلها،فالله ـ عز وجل ـ لم يستجب دعوة النبي ـ ﷺ ـ في عبد الله(١) ابن أُبي بن سلول وأصحابه ، حتى قال الله تعالى : ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٨٠] .

وكذلك أن النبي ـ ﷺ ـ سأل ربه أن يستغفر لأمه فمنعه ذلك،ولما أراد نوح ـ عليه السلام ـ أن يستغفر لابنه قال الله تعالى له: ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود:٤٦] لأنه تلبس بالشرك ، وهذا إبراهيم عليه السلام لم تنفع شفاعته في أبيه لأنه مشرك .

فمن مات مسلماً موحداً ولم يكن مشركاً وهو من أهل الكبائر فهو المقصود بالشفاعة كما وردت في ذلك الأدلة الواضحة الصريحة في إخراج الموحدين من النار بالشفاعة أو برحمة أرحم الراحمين .

فهو سبحانه يختار الشفعاء من الأنبياء والملائكة والشهداء والصالحين ، ولا يشفعون إلاّ في أهل التوحيد والإخلاص، فالله لا يرضى المعاصي أو الشرك أو الكفر ، فالمشركون لا تنفعهم شفاعة الشافعين وإن شفعوا لهم ، بينما أهل المعاصي دون الشرك يأذن بالشفاعة لأهلها ، وذلك من حكمته سبحانه .

عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبي ؟ ، قال: « في النار » ، فلمّا قفّى دعاه فقال : « إن أبي وأباك في النار »(٢) .

---

(١) عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في عهد الرسول ﷺ ، قضى حياته في الكيد للمسلمين ، ولما توفي في شوال سنة ٩هـ جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فطلب منه أن يعطي أباه ثوبه ليكفن فيه ، فأعطاه الرسول ﷺ ثوبه ونفث فيه من ريقه ، وصلى عليه ، فأنكر ذلك عمر رضي الله عنه ، فقال له الرسول ﷺ : إني بين خيرتين ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾ [التوبة : ٨٤] انظر : البداية والنهاية / لابن كثير (٥ / ٣١) المجلد الثالث .

(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان ، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين (١ / ١٩١)ح ٢٠٣، وأحمد في مسنده (٣/ ١١٩ - ٢٦٨) ، وغيرهما .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أتاني آتٍ من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، وهي لمن مات لا يُشرك بالله شيئاً»(١) .

فتبين بهذا الحديث وغيره أن الكبائر المأذون بالشفاعة فيها هي ما دون الشرك بالله عز وجل .

فالمشرك بالله عز وجل لا تقبل فيه شفاعة وذلك لموته وهو لم يتب من شركه، وذلك لنقضه التوحيد الخالص بالشرك ،وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر ، وشرك أصغر ، وشرك خفي ، والدليل على الشرك الأكبر قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴿١١٦﴾ ﴾ .

[النساء : ١١٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] ، فمن الشرك بالله عز وجل المانع من الشفاعة يوم القيامة :

الأول : شرك الدعوة،والدليل على ذلك قول الله تعالى :﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[العنكبوت : ٦٥] .

الثاني : شرك النية والإرادة والقصد ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[هود : ١٥-١٦] .

---

(١) رواه الترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة ، باب ١٣منه (٤ / ٥٤٢) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه ، وابن ماجه: كتاب الزهد ـ باب ذكر الشفاعة(٢ / ١٤٤١)ح٤٣١١ ، وأحمد في مسنده (٢/ ٧٥) ، (٤/ ٤٠٤ - ٤١٥) ، (٥/ ٢٣٢) ، (٦/ ٢٣-٢٨-٢٩) ، ومشكاة المصابيح (٣/ ١٥٥٨)ح ٥٦٠٠ . والحديث : صحيح : انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني - رحمه الله - برقم / ٥٦ .

الثالث : شرك الطاعة ، والدليل قول الله تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** (٣١) ﴾ [التوبة : ٣١] .

وتفسيرها الذي لا إشكال فيه هو : طاعة العلماء والعُبّاد في المعصية لا دعاؤهم إياهم ، كما فسرها النبي ـ ﷺ ـ : لعدي[١] بن حاتم لما سأله ، قال : « لسنا نعبدهم ، فذكر أن عبادتهم طاعتهم في المعصية »[٢] .

الرابع : شرك المحبة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ** (١٦٥) ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

فالشرك بالله عز وجل لا تقبل فيه الشفاعة وإن طُلِبَتْ فلا قبول لها لوجود المانع ، فتعتبر شفاعة باطلة لا تنفع أصحابها ، وهي مثل ما يدعيه المشركون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله ـ عز وجل ـ فإن هذه الشفاعة لا تنفعهم كما قال الله تعالى : ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** (٤٨) ﴾ [المدثر :٤٨] ، وذلك لأن الله تعالى لا يرضى لهؤلاء المشركين شركهم ، ولا يمكن أن يأذن بالشفاعة لهم ، فتعلق المشركين بآلهتهم يعبدونها ... ﴿ **وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ** ﴾ [يونس : ١٨] تعلق باطل غير نافع ، بل هذا لا يزيدهم من الله تعالى إلا بعداً .

فالمشرك لا ينتفع في الآخرة بعمله كما قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأنعام : ٨٨] .

---

(١) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الحَشرج الطائي ابو طَريف ، صحابي شهير كان ممن ثبت على الإسلام في الردة ، وحضر فتوح العراق وحروب عليّ وهو ابن ١٢٠ سنة وقيل ٨٠ سنة ، مات سنة ٦٨هـ ، سير أعلام النبلاء(٣ / ١٦٢ وما بعدها) ، تقريب والتهذيب (/ ١ / ٦٦٨) برقم (٤٥٥٦) .

(٢) رواه الترمذي : كتاب تفسير القرآن ، باب ١٠ ومن سورة التوبة (٥ / ٢٥٩-٢٦٠) ح ٣٠٩٥ ، والبيهقي في الكبرى (١٠ / ١١٦) ، وحسنه الألباني : في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص٢٠) .

فالكفر والشرك يخلد صاحبه في النار ويحبط عمله ولا يكون له يوم القيامة شفيع ولا مغيث ، قال الله تعالى :﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان :٢٣] ، وعن عائشة رضي الله عنها ـ قالت : قُلتُ يا رسول الله : ابن جُدْعَان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه ؟ قال ـ ﷺ ـ: « **لا ينفعه إنّه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين** »(١) . « فالكفر المطلق لا شفيع لأهله يوم القيامة »(٢) .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : « من مات على الشرك فهو من أصحاب الجحيم ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل »(٣) .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : « ومن وفقه الله تعالى لفهم هذا الموضع ومعرفته ، تبين له حقيقة التوحيد والشرك ، والفرق بين ما أثبته الله تعالى من الشفاعة وبين ما نفاه وأبطله ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نورٍ »(٤) .

وقد علّمنا النبي ـ ﷺ ـ إذا أردنا الفوز بشفاعته أن نسأل الله له الوسيلة لا أن نسأل من دون الله .

قال ـ ﷺ ـ : « **سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة** »(٥).

فمن سلك طريقاً يصل بها إلى الشرك فلا تقبل فيه شفاعة ولا ينفعه أحدٌ لا نبي مرسل ولا قريب صالح .

---

(١) رواه مسلم (سبق تخريج الحديث ص ١٥٠) .
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيميه (٧ / ٧٤) .
(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (ج١ / ٢١٣) المجلد الأول .
(٤) الضوء المنير على التفسير/لابن القيم(٢ / ٢١٨)مؤسسة النور للطباعة، ودار السلام- الرياض- السعودية- ط بدون.
(٥) سبق تخريج الحديث ، ص ٤٠ وهو برقم ٣٨٤ في مسلم .

الفصل الثالث

شفاعة غير الرسول ﷺ للأمة

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

تمهيـــد :

المبحث الأول : شفاعة غير الرسول ﷺ للأمة من (الملائكة .. وغيرهم) .

المبحث الثاني : شفاعة الأعمال الصالحة للعبد .

المبحث الثالث : شفاعة أرحم الراحمين .

الفصل الثالث

شفاعة غير الرسول - ﷺ - للأمة

تمهيد :

من فضل الله ـ عز وجل ـ على عباده أنه لم يقصر الشفاعة على شخص واحد من الأنبياء أو غيرهم وإنما جعل شفعاء يشفعون ويتوسطون للأمة بالمغفرة والرحمة ، فعلى المؤمن اعتقاد شفاعة الشفعاء ممن دلت الأدلة الشرعية على شفاعته يوم القيامة، وأن الشفاعة لا تختص بالنبي ـ ﷺ ـ فقط إلا فيما اختصه الله به تفضيلاً وإكراماً وإجلالاً له ﷺ .

قال الإمام السفاريني - رحمه الله -: « يجب أن يعتقد أن غير النبي ـ ﷺ ـ من سائر الرسل والأنبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصدّيقين والأولياء، على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون ، وبقدر جاههم ووجاهتهم يشفعون ، لثبوت الأخبار بذلك ، وترادف الآثار على ذلك ، وهو أمر جائز غير مستحيل ، فيجب تصديقه ، والقول بموجبه لثبوت الدليل فقد قال ـ ﷺ ـ : « **أنا أول شافع وأول مشفع** »(١) »(٢) .

وقال الإمام الآجري - رحمه الله - : « إن أهل الكفر لما دخلوا النار ورأوا العذاب الأليم ، وأصابهم الهوان الشديد ، نظروا إلى قوم هم من الموحدين معهم في النار ، فعيروهم بذلك وقالوا : ما أغنى عنكم إسلامكم في الدنيا وأنتم معنا في النار ؟ فزاد أهل التوحيد من المسلمين حزناً وغماً ، فاطلع الله ـ عز وجل ـ على ما نالهم من الغم بتعيير أهل الكفر لهم ، فأذن في الشفاعة فيشفع الأنبياء والملائكة والشهداء

---

(١) سبق تخريج الحديث ٨٥ .

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢٠٩) .

والعلماء والمؤمنون فيمن دخل النار من المسلمين ، فأخرجوا منها على حسب ما أخبرنا رسول الله ـ ﷺ ـ على طبقات شتى، فدخلوا الجنة ، فلما فقدهم أهل الكفر ودُّوا أن لو كانوا مسلمين ، وأيقنوا أن ليس لهم شافع يشفع لهم ، ولا صديق حميم يغني عنهم من عذاب الله شيئاً ، . . .وعلموا أن الشفاعة لغيرهم قالوا: ﴿ فَهَل لَنا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [الأعراف: ٥٣] »[١] .

ويلاحظ أن آيات الشفاعة في القرآن الكريم قد ورد بعضها بصيغة الجمع منطوقاً ، كقوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر :٤٨] ، أو مفهوماً كقوله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] [٢] .

فهذه الأدلة تدل على أن غيره ﷺ سيُعطى الشفاعة سواء كان نبيناً أو مَلَكاً أو شهيداً أو صدِّيقاً أو عملاً صالحاً أو ما يدخره ربنا عز وجل لنفسه ليخرج من يشاء من عباده من النار برحمته الواسعة .

فلهذا ما يأتي من مباحث يختص ببيان أنواع هؤلاء الشفعاء على ضوء الأدلة الشرعية ، فهي عبارة عن تكريم للشافع من الله ، والرحمة للمشفوع فيه ممن يعلم الله أنهم من أهل الرحمة ومن أهل التقوى .

---

(١) كتاب الشريعة ، للإمام الآجري (ص٢٩٩) .
(٢) عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري (ص١٢٤) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

المبحث الأول

شفاعة غير الرسول - ﷺ - للأمة

(من الملائكة .. وغيرهم)

أولاً: شفاعة الملائكة:

والدليل على هذه الشفاعة قول الله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦) ﴾ [النجم: ٢٦]، فلهم شفاعة بعد الإذن والرضى، والدليل من السُّنَّة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً في زمن رسول الله ـ ﷺ ـ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟، وهو حديث طويل وفيه: « .. **فيقول الله ـ عز وجل ـ شفعت الملائكة ... ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين ..** »(١).

ثانياً: شفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

والدليل على هذه الشفاعة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه السابق وفيه، فيقول الله تعالى: « **شفعت الملائكة وشفع النبيون..** ».

وفي لفظ البخاري: « **فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبَّار بقيت شفاعتي ...** »(٢).

ثالثاً: شفاعة الشهداء:

من الأدلة على هذه الشفاعة ما جاء في بعض السنن عن المقدام(٣) بن معد يكرب

---

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) ﴾ (٩/١٥٩-١٦٠) ح٧٤٣٩، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/١٧٠) ح١٨٣، واللفظ لمسلم.

(٢) المصدران السابقان (سبق تخريج الحديث صـ ٨٧).

(٢) المقدام بن معد يكرب بن عمرو الكندي، أبو كريمة وقيل أبو يحيى صحابي مشهور، هو أحد الوفد الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من كِنْدَة، نزل الشام ومات بها سنة (٨٧هـ) على الصحيح وله (٩١ سنة). انظر: أسد الغابة / لابن الأثير (٥/٢٦٨) برقم ٥٠٧٠ تقريب التهذيب / لابن حجر (٢ / ٢١٠) برقم / ٦٨٩٥.

رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « للشهيد عند الله ست خصالٍ : يُغفر له في أول دفعةٍ من دمه ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوته منها خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ويُزوَّج اثنتين وسبعين من الحور العين ، ويشفَّع في سبعين من أقاربه » . . . وفي لفظ « في سبعين إنساناً من أقاربه » (١) .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته » (٢) ، وعن عثمان(٣) بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: « يشفع يوم القيامة ثلاثةٌ : الأنبياء ثُمّ العلماء ثُمّ الشهداءُ » (٤) .

رابعاً : شفاعة المؤمنين :

من الأدلة على هذه الشفاعة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري

---

(١) رواه الترمذي في سننه : كتاب فضائل الجهاد ،باب في ثواب الشهيد (٤ / ١٦١) ح١٦٦٣، وقال هذا حديثُ حسنُ صحيح غريبُ ، واللفظ له ، وابن ماجه في سننه : كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله (٢ / ٩٣٦)ح٢٧٩٩،- والإمام أحمد في مسنده (٤ / ١٣١) - والآجري في كتاب الشريعة، باب ذكر شفاعة العلماء والشهداء يوم القيامة بلفظ (للشهيد عند الله عز وجل تسع خصال ..) (ص٣١٢)،- والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني ـ رحمه الله ـ برقم / ٥١٨٢ ،مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني (٢ / ١١٢٧) ح / ٣٨٣٤ وقال الألباني : إسناده صحيح .

(٢) رواه أبو داود في سننه : كتاب الجهاد ، باب في الشهيد يشفع (٣ / ٣٤) ح٢٥٢٢ ، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، - والآجري في كتاب الشريعة ، باب ذكر شفاعة العلماء والشهداء يوم القيامة (ص٣١٢) ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني رحمه الله برقم / ٨٠٩٣ .

(٣) عثمان بن عفان أمير المؤمنين ذو النورين ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، جمع الناس على مصحف واحد ، كان ينفق ماله في سبيل الله ، ثالث الخلفاء الراشدين ، استشهد سنة ٣٥هـ ، وعمره ٨٢ سنة ، انظر : أسد الغابة (٣ / ٦٠٦-٦١٨) ترجمة رقم / ٣٥٨٣ ، تذكرة الحفاظ (١ / ٨ ، ٩) ، تاريخ الخلفاء / للسيوطي (١٦٥ - ١٨٤) ، تقريب التهذيب(١/٦٦٣) رقم ٤٥١٩ ، مشاهير علماء الأمصار (ص٥) .

(٤) رواه ابن ماجه في سننه : كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة (٢ / ١٤٤٣) ح ٤٣١٣ ، - والبيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٢٦٥) ح ١٧٠٧ ، وكنز العمال (١٤/ ٤٠١)ح ٣٩٠٧٢، وضعفه الشيخ مقبل الوادعي ، لأن في سنده علاق بن أبي مسلم وغيره . انظر : الشفاعة (ص١٧٨) .

رضي الله عنه وفيه : « ... حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحدٍ بأشدّ مناشدةً لله ، في استقصاء الحق ، من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربّنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم . فتُحرَّمُ صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النارُ إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ، ثمّ يقولون : ربّنا ما بقي فيها أحدٌ ممّن أمرتنا به ، فيقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه دينار من خيرٍ فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربّنا لم نذر فيها أحداً ممّن أمرتنا ، ثمّ يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خيرٍ فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثمَّ يقولون : ربَّنا لم نذر فيها ممَّن أمرتنا أحداً، ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من خيرٍ فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثمّ يقولون : ربّنا لم نذر فيه خيراً » .

وكان أبو سعيد الخدري يقول : إن لم تصدّقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء : ٤٠] ، « فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلاّ أرحم الراحمين» ، وفي لفظ: « .. فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون.. »[١] .

فالمؤمنون يوم القيامة يناشدون الله عز وجل في العفو والمغفرة لإخوانهم المسلمين أهل الذنوب والمعاصي فيشفعهم الله فيهم ويقبل مناشدتهم له في ذلك.

ومما يمكن الاستدلال به أيضاً على هذه الشفاعة ما يأتي :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: « إن مِنْ أمتي من يشفع للفئام[٢] من الناس ، ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للعُصبة ،

---

(١) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ (٩/١٥٩-١٦٠) ح٧٤٣٩، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٧٠) ح١٨٣ ، واللفظ لمسلم .

(٢) الفئام : الجماعة الكثيرة ، انظر : النهاية في غريب الحديث والآثر (٣/ ٤٠٦) .

ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخُلوا الجنة »[١] .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومضر ، أو مثل أحدا لحييّن ربيعة ومضر ..** »[٢] .

وقال ـ ﷺ ـ : « **ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم** » ، قالوا : يارسول الله سواك ؟ ، قال « **سواي** »[٣] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « **إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة والرجل للرجل** »[٤] .

فهذه الأدلة تبين شفاعة المؤمنين لإخوانهم العصاة من أهل النار وذلك تفضلاً من الله ـ عز وجل ـ لعباده المؤمنين أن أكرمهم وأعطاهم ذلك فكلما كان المؤمن أكثر تُقى وإيمانًا كان أحق بالشفاعة لإخوانه المؤمنين ، عكس من كان معرضًا عن أوامر الله

(١) رواه الترمذي في سُننه : كتاب صفة القيامة ، باب ١٢ منه (٤/٥٤١) ح ٢٤٤٠ ، وقال : هذا حديث حسن ، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٠-٦٣) ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/٦٣٦) ، مشكاة المصابيح (٣/١٥٥٨) ح٥٦٠٢ ، وقال الألباني : إسناده ضعيف ، وحسنه الوادعي . انظر : الشفاعة (ص١٦٨) ، وذكر الهيثمي نحو هذا وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح : (وإن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة ...) . انظر : مجمع الزوائد (٢٠/٣٨٢) .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/٢٥٧ – ٢٦١ – ٢٦٧) ، وقال المنذري : رواه أحمد بإسناد جيد ، انظر الترغيب والترهيب (٤/٤٤٥) فصل في الشفاعة وغيرها . من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، – ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٨ / ١٤٣) ح ٧٦٣٨ ، وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني ورجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة . انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) ، – والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني ـ رحمه الله ـ برقم / ٥٣٦٣ ، وقال الشيخ مقبل الوادعي (ثابت الحديث ، انظر : الشفاعة (ص١٧١) .

(٣) رواه الترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة ، باب ١٢منه (٤ / ٥٤١) ح ٢٤٣٨ ، وقال : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ . من حديث عبد الله ابن أبي الجدعاء رضي الله عنه ، وابن ماجة في سننه : كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة (٢ / ١٤٤٤) ح٤٣١٦ ، والإمام أحمد في مسنده (٣ / ٤٧١) ، وابن خزيمة في التوحيد (٢ / ٧٤١) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢ / ٧٦) ح ١٨٨ ، والحاكم في المستدرك (١ / ١٤٢) ح٢٣٧ ، وقال : هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي ، والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني ـ رحمه الله ـ برقم / ٥٣٦٤ .

(٤) روه أحمد في مسنده (١ / ٢٠) ، وابن خزيمة في التوحيد (٢ / ٧٤٥) ، وقال الهيثمي : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح . انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٢) .

تعالى ورسوله - ﷺ - وارتكب ذنباً كبيراً فإنه يحرم من ذلك وقد ورد بيان ذلك في السُّنَّة المطهرة من حديث أبي الدرداء[١] رضي الله عنه أن النبي - ﷺ - قال: « **إن اللعّانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة** »[٢] .

فمن كانت هذه صفته وأخلاقه فيُحرمه الله - عز وجل - أن يكون من الشفعاء لإخوانه المسلمين يوم القيامة ، وذلك حين يشفعون في إخوانهم الذين استوجبوا النار .

خامساً : شفاعة الأبناء للآباء :

ومن الأدلة على هذه الشفاعة ما ورد عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : « **صغارهم دعاميص[٣] الجنَّة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه ، أو قال بيده ، كما آخُذُ أنا بِصَنِفَةِ[٤] ثوبك هذا ، فلا يتناهى[٥] أو قال فلا ينتهي حتى يُدخله الله وأباه الجنّة** »[٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتت امرأةٌ النّبي - ﷺ - بصبي لها، فقالت :يا نبي الله ادع الله له ، فلقد دفنت ثلاثةً ، قال - ﷺ - : (**دفنت ثلاثةً**)؟ ، قالت : نعم .

---

(١) هو الصحابي الجليل : عويمر بن مالك بن زيد بن قيس الخزرجي الانصاري ــ أبو الدرداء ــ آخى الرسول ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي ، وشهد ما بعد أحد من المشاهد مع رسول الله ، واختلف في شهوده أحد ، ولي قضاء دمشق في عهد عثمان بن عفان ، وتوفي بها سنة ٣٢هـ ، انظر : طبقات ابن سعد (٧ /٣٩١ - ٣٩٣) ، أسد الغابة (٦ /١٠٤-١٠٥) ترجمة رقم ٥٨٥٨ ، الإصابة (٣ /٤٥-٤٦) ، ترجمة رقم /٦١١٧، تقريب التهذيب (١ /٧٦١) رقم /٥٢٤٤ .

(٢) رواه مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ٤ /٢٠٠٦)ح ٢٥٩٨ ، وأحمد في مسنده ٦ /٤٤٨) . وغيرهما .

(٣) دعاميص : واحد دعموص اي صغار أهلها .واصل الدعموص دويبةٌ تكون في الماء لا تفارقه ، اي ان هذا الصغير في الجنّة لا يفارقها . انظر شرح النووي لصحيح مسلم (ج١٦ / ١٨٢) المجلد السادس ، والنهاية في غريب الحديب والاثر (٢ / ١٢٠) .

(٤) بصنفة : وهو طرفه مما يلي طُرّته . النهاية من غريب الحديث والآثر (٣/٥٦).

(٥) لا يتناهى : أي لا يتركه . انظر شرح النووي لصحيح مسلم (ج١٦ / ١٨٢) المجلد السادس .

(٦) مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه (٤/٢٠٢٩) ح ٢٦٣٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، - وأحمد في مسنده (٢ / ٤٨٨ ، ٥١٠) وغيرهما ..

قال ـ ﷺ ـ : « لقد احتظرت[(١)] بحظارٍ شديدٍ من النار »[(٢)] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهم الله وإياهم بفضل رحمته الجنّة ، وقال : يقال لهم : ادخلوا الجنة ، قال: فيقولون : حتى يجيء أبوانا ، قال ثلاث مرات ، فيقولون : مثل ذلك ، فيقال لهم : ادخلوا الجنّة أنتم وأبواكم** »[(٣)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال الرسول ـ ﷺ ـ: « **إن الرجل لترفع درجته في الجنة، فيقول: أنى لي هذا ؟ فيقال: باستغفار ولدك لك.** »[(٤)] .

وهذه الشفاعة الثابتة بهذه الأدلة تُظهر أيضاً مكانة الوالدين وعظمهما عند الله ـ عز وجل ـ وكذلك أفضلية الصبر عند المصيبة وفقد الأولاد وأنه يظهر أثرهما عند الله ـ عز وجل ـ في ذلك اليوم الشديد ، الذي يحتاج العبد المسلم فيه إلى من يغيثه ويعينه على مصيبته ، فيسخّر الله ـ عز وجل ـ الأولاد لآبائهم ليكونوا لهم شفعاء عنده ـ عز وجل ـ فينتفعوا بهم والحمد لله .

---

(١) احتظرت: أي امتنعت بمانع وثيق . انظر شرح النووي لصحيح مسلم (ج١٦ / ١٨٣) المجلد السادس ، وقال ابن الأثير : أراد لقد احتميتي بحمى عظيم من النار ، النهاية في غريب الحديث والأثر (١ / ٤٠٤) .

(٢) مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل من يموت له ولد .. (٤ / ٢٠٣٠) ح ٢٦٣٦ ، وأحمد في مسنده (٢ / ٤١٩) وغيرهما .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ٥١٠) واللفظ له ، والنسائي : كتاب الجنائز ، باب ثواب من يتوفى له ثلاثةٌ من الولد (١ / ٦١٥) ح ٢٠٠٤ دار الكتب العلمية ، والبيهقي في السنن الكبرى : كتاب الجنائز ، باب ما يرجى في المصيبة بالأولاد إذا احتسبهم (٤ / ٦٨) . وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح خلا يزيد بن أبي بكرة ولم أجد من ترجمه . انظر:مجمع الزوائد (٣ / ٧ ،٨) ، والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني برقم/ ٥٧٨٠، وانظر كتاب الشفاعة للشيخ مقبل الوادعي (ص٢٠٢) قال ـ رحمه الله ـ : الحديث رواه النسائي والبيهقي وهو على شرط الشيخين .

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢ / ٥٠٩) ، وابن ماجه ـ كتاب الادب ، باب بر الوالدين (٢ / ١٢٠٧) ح ٣٦٦٠ ، وقال صاحب الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، ومشكاة المصابيح (٢ / ٧٢٧) ح٢٣٥٤ . والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني ـ برقم / ١٦١٧ .

المبحث الثاني

شفاعة الأعمال الصالحة للعبد

أولاً : شفاعة القرآن (أي أجر العمل به) :

مما يدل على شفاعة القرآن يوم القيامة ورد في حديث النبي - ﷺ - قوله : «**اقرؤا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرؤا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتا ، أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف ، تحاجان عن أصحابهما ، اقرؤا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة**» [١] أي السحرة .

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى : « فقوله : (تحاجان عن أصحابهما) أي يخلق الله من يجادل عنه بثوابهما ملائكة ..... وكذلك يخلق الله من ثواب القرآن والصيام ملكين كريمين ، فيشفعان له، وكذلك إن شاء الله سائر الأعمال الصالحة ، كما ذكره ابن المبارك[٢] في دقائقه : أخبرنا رجل عن زيد[٣] بن أسلم قال : بلغني أن المؤمن يتمثل له عمله يوم القيامة في أحسن صورة وأحسن ما خلق الله وجهاً وثياباً وأطيبه ريحاً ، فيجلس إلى جنبه كلما أفزعه شيء أمّنه وكلما تخوف شيئاً

---

(١) رواه مسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (١ /٥٥٣) ح٨٠٤ وأحمد في مسنده (٥ /٢٤٩) من حديث أبي أمامة الباهلي ، والبيهقي في الكبرى : كتاب الصلاة، باب المعاهدة على قراءة القرآن (٢ / ٣٩٥) .

(٢) هو عبد الله بن المبارك بن واضح ، أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم التركي ، الإمام الحافظ. جمع بين العلم والجهاد والتجارة ، كان ينفق بسخاء ، له تصانيف كثيرة وقد أكثر من الترحال في طلب العلم والجهاد. ولد سنة ١١٨هـ ،وتوفي سنة١٨١هـ ، ويقال إن الرشيد لما بلغه موته قال : مات سيد العلماء ، من مؤلفاته : الزهد ، والجهاد و غير ذلك . انظر : حلية الأولياء / لأبي نعيم (٨ / ١٦٢) ، وفيات الأعيان / لابن خلكان (٣ / ٣٢) سير أعلام النبلاء / للذهبي (٨ / ٣٧٨) وما بعدها ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج١ / ٢٩٥) المجلد الأول .

(٣) هوزيد بن أسلم العدوى ـ أبو عبد الله ـ أبوه مولى عمر بن الخطاب . قال ابن حجر : ((ثقة عالم كان يرسل، من الثالثة)) توفي سنة ١٣٦ هـ، انظر: تقريب التهذيب ١ /٣٢٦) ترجمة رقم ٢١٢٣، سير أعلام النبلاء (٥ /٣١٦) .

هوّن عليه ، فيقول : جزاك الله من صاحب خيراً . من أنت ؟ .

فيقول : أما تعرفني وقد صحبتك في قبرك وفي دنياك ، أنا عملك كان والله حسناً . فلذلك تراني حسناً وكان طيباً فلذلك تراني طيباً .

يقال فاركبني فطال ما ركبتك في الدنيا وهو قوله تعالى : ﴿ **وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ** ﴾ [الزمر : ٦١] حتى يأتي به إلى ربه - عز وجل - فيقول يارب إن كل صاحب عمل في الدنيا قد أصاب في عمله ، وكل صاحب تجارة وصانع قد أصحاب في تجارته ، غير صاحبي هذا قد شغل في نفسه فيقول الله تعالى : فما تسأل ؟ فيقول المغفرة والرحمة أو نحو هذا ، فيقول : فإني قد غفرت له .. »[١] .

وجاء في بعض السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - ﷺ - قال : « **سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يُغفر له : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾** [تبارك][٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **اقراءوا القرآن فإنه نعم الشفيع يوم القيامة ..** »[٣] .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : « **يجيء القرآن يشفع لصاحبه ، يقول : يارب لكل عامل عمالة من عمله وإني كنت أمنعه للذة والنوم ، فأكرمه ، فيقال : أبسط يمينك ، فيملأ من رضوان الله ، ثم يقال : ابسط شمالك فيملأ من رضوان الله ، ويكسى كسوة الكرامة ، ويحلى حلية الكرامة ، ويلبس تاج الكرامة** »[٤] .

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٤٠٨) .

(٢) رواه أبو داود في سُننه : كتاب الصلاة ، باب في عدد الآي (٢ / ١١٩) ح ١٤٠٠ ، والترمذي في سُننه : كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة الملك (٥ / ١٥١) ح٢٨٩١ ، وقال : حديث حسن ، وابن ماجه في سُننه : كتاب الأدب ، باب ثواب القرآن (٢ / ١٢٤٤) ح٣٧٨٦ ، والحديث حسن ، انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم / ٣٦٤٤ ، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي . انظر : الشفاعة : (ص٢٠٩) .

(٣) رواه الدرامي في سُننه : كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن (٢ / ٣٠٩) ح٣٣١٤ ، واللفظ له واحمد في مُسنده (٥ / ٢٤٩ - ٥٥ - ٢٥٧) ، وصححه الشيخ مقبل ، انظر : الشفاعة (ص٢١٨) .

(٤) رواه الدرامي في سُننه : كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن (٢ / ٣٠٩) ح٣٣١٥ ، واللفظ له ، والترمذي : كتاب فضائل القرآن باب ١٨ (٥ / ١٦٣) ح ٢٩١٥ ، وقال : هذا حديث حسن =

فالقرآن الكريم هو كلام رب العالمين سبحانه وتعالى فقراءَته والعمل به يقتضي حصول العبد على الأجر والثواب ، فيعتبر انقياد العبد لكلام الله سبحانه وتعالى بابًا من أبواب إقامة القرآن حجيجاً لصاحبه (أي قارئة) وشفيعاً له عند الله ـ عز وجل ـ فعلى العبد المسلم أن يغنم قراءته وتدبُره وتطبيقه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

ثانياً : الصيـــام :

ومما يدل على شفاعة الصيام يوم القيامة ما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، قال : فيشفعان** » (١) .

فثواب الصيام ينقلب ملكاً يشفع لصاحبه ، وقد ذكرنا فيما سبق أنه من أسباب الشفاعة للعبد المسلم عند الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة .

= صحيح ، وابن ماجه : كتاب الأدب ، باب ثواب القرآن (٢ / ١٢٤٢) برقم / ٣٧٨١ ، وأحمد (٥ / ٣٥٢) ، والحاكم في مستدركه بنحو (١ / ٧٣٩) ح / ٢٠٢٩ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ومجمع الزوائد (٧ / ١٦٠) ، والحديث حسن : انظر صحيح الجامع للألباني برقم (٨٠٣٠) .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ١٧٤) ، ـ وقال الهيثمي : رواه أحمد وإسناده حسن على ضعف في ابن الهيعة وقد وثق ، مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) ، والحاكم في المستدرك (١ / ٧٤٠) ح / ٢٠٣٦ ، وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي . ـ وقال المنذري : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجاله يحتج بهم في الصحيح : انظر الترغيب والترهيب كتاب الصوم (٢ / ٨٤) ح ١٥ ، ـ والحديث صحيح : انظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني ـ رحمه الله ـ (١ / ٤٨٣) برقم ٩٦٩ .

المبحث الثالث

شفاعة أرحم الراحمين

سبق وأن تكلمنا أن أصل الشفاعة كلها لله ـ عز وجل ـ ولكن يمنح غيره تفضلاً وإكراماً ، فقد وضع الإسلام المبدأ العام للشفاعة، فقرر أن العصاة المؤمنين يعاقبون في النار بمشيئة الله ثم يخرجون منها بشفاعة سيدنا محمد ـ ﷺ ـ وبشفاعة غيره كما أسلفنا ذكرها فيما سبق ، ثم يقرر أن من لم تسعه شفاعة هؤلاء وكان قد سبق لهم الإيمان فإنه يخرج من العذاب برحمة الله جل جلاله ، بل إن كثيراً من عصاة المؤمنين يُغفر لهم قبل إدخالهم النار إما بشفاعة الرسول ـ ﷺ ـ ، وإما برحمة الله ـ عز وجل ـ على عباده المسلمين ، فيخرج طائفة كبيرة من عصاة الموحدين لا يعلم عدتهم إلا هو وذلك برحمته لا بشفاعة الشافعين ، وقد جاء في ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « **إن لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجنّ والإنس والبهائم والهوامِّ ، فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون , وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخَّر الله تسعاً وتسعين رحمةً ، يرحمُ بها عباده يوم القيامة** » [١] .

ومن الأدلة على هذه الشفاعة ما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الحديث الطويل وفيه : « .... **فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون ، فيقول الجبَّار بقيت شفاعتي فيقبض قبضةً من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنَّة يقال له ماء الحياة ..** » [٢] .

وكما ورد في حديث الشفاعة الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ـ ﷺ ـ:« **إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض... وفيه : فيقال لي : يا محمدّ ارفع رأسك وقل يُسمع لك ، وسل تُعط ، واشفع تشفَّع ، فأقول يارب**

---

(١) رواه مسلم : كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه(٤ /٢١٠٨) ح٢٧٥٢ وابن ماجه :كتاب الزهد ، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ٢ /١٤٣٥) ح ٤٢٩٣، وغيرهما .

(٢) سبق تخريج الحديث ص ١٦٩ .

أئذن لي فيمن قال :لا إله إلا الله ، قال :ليس ذاك لك (أو قال ليس ذاك إليك) ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي(١) لأُجرجنّ من قال : لا إله إلا الله »(٢) ، فجعل هذه الشفاعة له إظهاراً لرحمته على عباده سبحانه وتعالى .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ -: « **إنِّي لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، رجلٌ يخرج من النار حبواً (٣) ، فيقول الله تبارك وتعالى له ، اذهب فادخل الجنة ..** » (٤) .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله- : « وأن هذا الواحد يبقى بعدهم (أي أهل الجنة) بين الجنة والنار ثمّ يدخله الله بعد ذلك الجنة بفضله ورحمته ، لا بشفاعة أحد ، ويعطيه تفضلاً منه وكرماً وجوداً ، ماذكر في الخبر من الجنة » (٥) .

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : « ويخرج قوم من النار برحمة الله عز وجل بعد مالبثوا فيها ما شاء الله عز وجل وقوم يخلدون فيها أبداً ، وهم أهل الشرك ..»(٦) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة ، بل بفضله ورحمته » (٧) .

والأدلة في رحمة الله وفضله على عباده كثيرة ، فرحمته سبقت غضبه سبحانه وتعالى .

---

(١) جبريائي : أي عظمتي وسلطاني وقهري . انظر النهاية في غريب الحديث ولا أثر(١ /٢٣٥) .
(٢) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٩ / ١٧٩-١٨٠) ح٧٥١٠ ، رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١ / ١٨٤) ح ١٩٣ .
(٣) حبواً : قال أهل اللغة : الحبو المشي على اليدين والرجلين ، وربما قالوا : على اليدين والركبتين ، وربما قالوا : على يديه ومقعدته . صحيح مسلم بشرح النووي (ج٣ / ٣٩) المجلد الأول .
(٤) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجاً (١ / ١٧٣، ١٧٤) ح١٨٦، وابن ماجه : كتاب الزهد ، باب صفة الجنة (٢ / ١٤٥٢) ح ٤٣٣٩ ، وغيرهما .
(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ / ٧٦٢) .
(٦) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢ / ٢١٤) .
(٧) العقيدة الواسطية لابن تيمية ، شرح ابن عثيمين (ص٤٠٦) ، مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٨) .

الباب الثالث

موقف الفرق الإسلامية من شفاعة الرسول ﷺ

وفيه ثمانية فصول :

الفصل الأول : أهل السُنّة والجماعة وموقفهم من الشفاعة .

الفصل الثـــاني : الأشاعرة وموقفهم من الشفاعة .

الفصل الثالث : الخوارج وموقفهم من الشفاعة .

الفصل الرابع : المعتزلة وموقفهم من الشفاعة .

الفصل الخامس : أدلة منكري الشفاعة والرد عليها .

الفصل السادس : الشيعة وموقفهم من الشفاعة .

الفصل السابع : الصوفية وموقفهم من الشفاعة .

الفصل الثامن : شبهة الرافضة والصوفية القبورية في الشفاعـــة ، والرد عليها .

الفصل الأول

أهل السنّة والجماعة وموقفهم من الشفاعة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : التعريف بأهل السنَّة والجماعة وألقابهم

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : التعريف بأهل السنَّة لغة .
- المطلب الثاني : السنَّة والجماعة اصطلاحاً .
- المطلب الثالث : ألقاب أهل السنَّة والجماعة .

المبحث الثاني : مصادر أهل السنَّة والجماعة في التلقي والاستدلال ،

وفيه خمسة مطالب :

- المطلب الأول : القرآن الكريم .
- المطلب الثاني : السنَّة النبوية .
- المطلب الثالث : الإجمـاع .
- المطلب الرابع : العقل الصحيح الصريح .
- المطلب الخامس : الفطرة السليمة .

المبحث الثالث :موقفهم من شفاعة الرسول ﷺ ،وفيه مطلب:

- المطلب الأول : موقفهم من الشفاعة العظمى ، والشفاعة لأهل الكبائ
- وفيه فرعان

الفرع الأول : موقفهم من الشفاعة العظمى .

الفرع الثاني : موقفهم من الشفاعة لأهل الكبائر .

تمهيد الباب

لقد كان ظهور الفرق العقدية والفكرية في الأمة الإسلامية خاضعاً لأسباب داخلية عاشها المسلمون في مراحل نشأة هذه الفرق .

ولعل أول أسباب ظهور هذه الفرق يتمثل فيما عاشه بعض المسلمين من انحراف عن المنهج الإسلامي الصحيح والحجة البيضاء فلقد تضمن الكتاب والسُّنَّة كل ما يهدي المسلمين إلى طريق الحق ، ولذا فهما معيار الاستقامة ولكن بعض المسلمين تركوا المنهج الواضح الصحيح الذي جاء من الله ـ عز وجل ـ وأرسل به محمداً ـ ﷺ ـ وأنزل إليه كتابه العظيم فتركوا التمسك بالكتاب والسُّنَّة ومنهج سلف الأمة الصالحين ، وركنوا إلى بعض التصورات العقلية مبتعدين عن العقيدة الواضحة الواردة في الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف فضلوا وأضلوا .

وكان أيضاً من أسباب الانحراف العقديّ والتفرق بين المسلمين إتاحة الفرصة من قبل بعض المسلمين للتأثير الأجنبي فيهم وخلخلة عقائدهم .

فقد نشأت الفرق الإسلامية في أواخر عصر الخلفاء الراشدين وتبلورت أفكارها في العصور المتأخرة ، ثم تعمق وجود هذه الفوارق لعدم رجوع أهل البدع إلى الحق وعدم الوقوف صفاً واحداً على كلمة واحدة هي منهج الله ـ عز وجل ـ .

فقد تضمنت الدعوة إلى الله تعالى غايتين عظيمتين لا تصح الدعوة إلا بهما :

الأولى : تقرير الدين والعقيدة والشريعة وتعلمها وتعليمها والعمل بها .

الثاني : حماية الدين والعقيدة والشريعة والدفاع عنها ، وبيان من يخالفها وهذا هو منهج الكتاب العزيز ، وعليه عمل الرسول ـ ﷺ ـ وأصحابه وأئمة السلف ، وهو سبيل المؤمنينَ أهل المعتقد الحق .

والمتأمل لآثار السلف يجد أن مشاهير الأئمة الكبار في تاريخ هذه الأمة استفاض عنهم الاهتمام بأمر حماية العقيدة ، والدفاع عنها ، والتصدي للبدع والضلالة

والأهواء وأهلها ، وقد جاءت في ذلك نقول كثيرة عن الصحابة والتابعين وأئمة الهُدىٰ ومن تبعهم بإحسان إلى وقتنا هذا ونجد أن القاسم المشترك بين جميع الطوائف البدعية التي اتخذت من التأويل الفاسد معتمداً ، ومن تحريف الكلم عن موضعه منطلقاً هو : أنهم يصنعون أصولاً وقواعد لمذاهبهم الباطلة التي ليس عليها برهان من كتاب الله أو من سنة رسوله ـ ﷺ ـ ومن ثم يركبون الصعب والذلول في سبيل البحث عن مستندات تدعم مقرراتهم السابقة فإن لم يجدوا ـ ولن يجدوا ـ شرعوا في ليِّ أعناق النصوص حتى تتفق مع ما اعتقدوا ـ وما هي بمتفقة ـ وإن صادفوا ما يصادم تلك الأصول من نصوص الشريعة اشتغلوا بتأويلها إلى معان أخرى لا تصادم أصولهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بعد كلام طويل عن طوائف المبتدعة:

« والمقصود أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه ، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولا من أئمة المسلمين ، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم »[(١)] .

ومن أسباب الاختلاف التعرض لبحث كثير من المسائل المختلف فيها ، وذلك نتيجة شيوع التفكير الكلامي والفلسفي بين علماء المسلمين في إثبات العقائد والحجاج والدفاع عن العقيدة كمسألة إثبات صفات الله تعالى ونفيها ، وغير ذلك من المسائل التي تختلف فيها الطوائف البدعية مع أهل السُّنَّة والجماعة ، ومما نلاحظ أن أول مقولة فرقت بين الأمة ودخلت في أصول سائر الفرق الإسلامية الأولى : كالخوارج ، والمعتزلة ، والجهمية ، والجبرية ، والشيعة ، والزيدية ، والمرجئة هي مسألة مرتكب الكبيرة أو الفاسق الملِّي[(٢)] ، فادى ذلك إلى إنكار بعض النصوص في العقائد أو المبالغة في الإثبات ـ أي في صفات الله مثلاً ـ بدون نص شرعي ، فنجد

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٥٨) .

(٢) انظر : كتاب الاستقامة / لابن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم (١/٤٣١) ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط. بدون ، مجموع الفتاوى (٧/٤٧٩) .

أن منشأ الغلط من أهل البدع من الخوارج وغيرهم يرجع إلى أمور منها :

[١] مسوغاتهم لبدعتهم .

[٢] الورع الفاسد الناتج عن قلة العلم .

[٣] التلازم بين الخطأ والإثم .

[٤] الغلط في فهم النصوص .

[٥] الغلط في الوسائل والمقاصد .

وفي هذا الباب سنتكلم بالتفصيل عن أقوال الفرق في مسالة الشفاعة لأهل الكبائر ، وبيان المثبت والنافي والمغالي في ذلك .

الفصل الأول

أهل السنّة والجماعة وموقفهم من الشفاعة

المبحث الأول

التعريف بأهل السنّة والجماعة وألقابهم

نشأ مصطلح أهل السُّنَّة والجماعة لا سيما بعد ظهور البدع والفرق استناداً إلى الأحاديث والآثار الداعية إلى الارتباط بالجماعة المستقيمة، والتمسك بالسُّنَّة، والمحذرة من الفرقة والاختلاف في الدين، والابتداع فيه ومستندهم الأدلة الصريحة الواضحة الدلالة من الكتاب أو السُّنَّة كقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

وقال ـ ﷺ ـ : « **من رأى من أميره شيئاً يكرهُهُ فليصبر عليه ، فإنه من فارق الجماعة شبراً ، فمات إلاّ مات ميتة جاهلية** » [١] .

وقوله ـ ﷺ ـ : « **... عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** » [٢] .

---

(١) رواه البخاري : كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ ((سترون بعدي أموراً تنكرونها)) (٩ / ٥٩) ح٧٠٥٤ ، ومسلم : كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن .. (٣ / ١٤٧٧) ح١٨٤٩ . من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، واللفظ للبخاري .

(٢) رواه أبو داود في سننه / كتاب السُّنَّة ، باب في لزوم السُّنَّة (٥ / ١٣-١٥) ح٤٦٠٧ ، والترمذي في سننه : كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسُّنَّة واجتناب البدع (٥ /٤٣) ح ٢٦٧٦، وقال هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجة في سننه / كتاب المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (١ / ١٥ ، ١٦) ح٤٢ ، ٤٣ كلهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه . والحديث صحيح ، انظر : صحيح ابن ماجه / للألباني إشراف / زهير الشاوش (١ / ١٣) برقم (٤٠ ، ٤١) ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) .

وقوله - ﷺ - : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما : كتاب الله وسُنَّة نبيه » (١) .

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد ، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ، ومن خالف ذلك كان مبتدعاً عند أهل السُّنَّة والجماعة ، فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة ، ومتنازعون في إجماع من بعدهم » (٢) .

ومصطلح أهل السُّنَّة له إطلاقان : عام وخاص .

أما الإطلاق العام : فالمراد به ما يكون في مقابل الشيعة ، فتدخل جميع الطوائف المنتسبة إلى الإسلام - عدا الشيعة - في مفهوم أهل السُّنَّة .

وأما الإطلاق الخاص : فالمراد به ما يكون في مقابل أهل البدع والمقالات المحدثة كالشيعة والخوارج والمرجئة والجهمية والمعتزلة ونحوهم من أهل البدع ، فهؤلاء لا يدخلون في مفهوم أهل السُّنَّة بالإطلاق الخاص .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « فلفظ السُّنَّة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة ، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة .. وقد يراد به أهل الحديث والسُّنَّة المحضة ، فلا يدخل فيه إلا من أثبت الصفات لله تعالى ويقول : إن القرآن غير مخلوق وإن الله يُرى في الآخرة ، ويثبت القدر وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسُّنَّة » (٣) .

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ : كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر (٢ / ٨٩٩) ح٣ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت لبنان ، والحديث صحيح : انظر : صحيح الجامع للألباني برقم / ٢٩٣٧, من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) منهاج السُّنَّة (٢ / ٦٠١) ـ تحقيق / محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ، مؤسسة قرطبة ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ) .

(٣) منهاج السنة (٢ / ٢٢١) تحقيق / محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيمية ، مؤسسة قرطبة ، وانظر مجموع الفتاوى (٣ / ٣٧٥) .

المطلب الأول
التعريف لغة

أولاً : الأهل : التعريف بالأهل لغة : أهل الشيء هم أخص الناس به .

يقال في اللغة : « أهل الرجل أخص الناس به ، وأهل البيت سكانه ، وأهل الإسلام من يدين به ، وأهل المذهب من يعتقد به »(١) .

ثانياً : السنّة لغة : « هي الطريقة والسيرة »(٢) .

« والأمر الواضح ، وتكون في الخير والشر»(٣) فلا تقيد بكونها شراً أو خيراً .

ومنهم من قيدها بالخير فقال :

السُنَّة : « هي الطريقة المحمودة المستقيمة ، ولذلك قيل فلان من أهل السُنَّة ، معناه : من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة »(٤) .

وقال ابن منظور : « السُنَّة السيرة حسنة كانت أو قبيحة » .

قال الشاعر(٥) :

فلا تجزعن من سيرةٍ أنت سِرْتَها ... فأوَّلُ راض سُنَّةً من يَسيرُها

وفي الحديث :«**من سن في الإسلام سُنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ،ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه**

---

(١) معجم مقاييس اللغة / لابن فارس (١ / ١٥٠ ، الكليات / لابي البقاء ــ قابله وأعده الدكتور : عدنان درويش ومحمد المصري (١ / ٣٥٦-٣٥٧) ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي (ص١٢٤٥) ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ لبنان ــ ط الثانية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢ / ٤٠٩) مادة (سنن) ، لسان العرب / لابن منظور (١٣ / ٢٢٥) مادة (سنن) .

(٣) تعريفات ابن النحاس في شرحه على القصائد المعلقات (١ / ١٧٤-١٧٥) دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .

(٤) تهذيب اللغة / للأزهري (١٢ / ٢٩٨-٣٠١) مادة (سن) .

(٥) خالد بن زهير بن حارث الهزلي . انظر : الإصابة (١ / ٤٦٠) برقم/٣٣١٦ .

وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء(١) »(٢) .

فإذا تقرر أن السُّنَّة في اللغة : هي الطريقة سواء كانت حسنة أو قبيحة فالفرق بينهما يعرف من سياق الكلام ، وذلك إما بالإضافة بأن تضاف السُّنَّة إلى ممدوح فهي حسنة كإضافاتها إلى الله تعالى أو رسله كما في قوله تعالى : ﴿ **سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً** (٧٧) ﴾ [الإسراء : ٧٧] .

وقوله تعالى : ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ** ﴾ [الأحزاب : ٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿ **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** ﴾ [فاطر : ٤٣] .

وإما أن تضاف إلى مذموم فهي قبيحة كما في قول النبي ـ ﷺ ـ : « **لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراع ، حتى لو سلكوا جُحر ضب لسلكتموه .** قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ، **قال : فَمَنْ** »(٣) .

ويمكن أن تعرف بوصفها كما في قوله ـ ﷺ ـ : « **من سنَّ سُنَّة حسنة . . .** »(٤) .

فقد وصف السُّنة مرةً بأنها حسنة وأخرى بأنها سيئة .

وسواء قيل بتقييدها بالخير دون الشر أو إطلاقها على الخير والشر فإنه لابد من تقييدها بالمعنى الموصوف بالخير والطيب المستقيم في موضوعنا هذا .

ثالثاً : الجماعة لغةً :

أصلها من الجمع ، وهو تأليف المتفرق(٥) .

---

(١) رواه مسلم : كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (٢ / ٧٠٥) ح١٠١٧ ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة او سيئة (٤ / ٢٠٥٩) ، وأحمد من مسنده (٤ / ٣٦١ – ٣٦٢) وغيرهما من حديث : جرير بن عبد الله رضي الله عنه .

(٢) انظر : لسان العرب لابن منظور (١٣ / ٢٢٥) .

(٣) رواه البخاري : ك / أحاديث الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل (٤ / ٢٠٦) ح ٣٤٥٦ ، ومسلم : ك : العلم ، باب : اتباع سُنن اليهود والنصارى (٤ / ٢٠٥٤) ح ٢٦٦٩ ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، واللفظ للبخاري .

(٤) سبق تخريج الحديث ص ٢٥٨ .

(٥) القاموس المحيط / للفيروز أبادي (ص٩١٧) .

فالجماعة إذاً تعني الإجتماع ، وضدها الفرقة ، ثم أطلقت الكلمة على أنها إسم الطائفة من الناس يجمعهم غرض واحد) [١] .

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٧) ، والمعجم الوسيط (١ / ١٣٤-١٣٥) مادة (جمع) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (بدون تاريخ) .

المطلب الثاني
السُّنة والجماعة اصطلاحاً

أولاً : معنى السُنّة في الاصطلاح الشرعي :

السُّنَّة في الاصطلاح الشرعي عند العلماء يختلف معناها باختلاف نوع العلم الذي يشتغلون به .

[أ] ففي اصطلاح المحدثين هي : « ما أثر عن النبي ـ ﷺ ـ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خُلقية أو سيرة ، سواء كان قبل البعثة أو بعدها ، إذ غرضهم معرفة ما كان عليه النبي ـ ﷺ ـ من أحواله كلها ، سواء أفاد حكماً شرعياً أم لم يفد » (١) .

[ب] وفي اصطلاح الأصوليين تطلق السُّنَّة : « على ماجاء منقولاً عن النبي ـ ﷺ ـ على الخصوص مالم ينص عليه في الكتاب العزيز بل إنما نص عليه من جهته عليه الصلاة والسلام ، كان بياناً لما في الكتاب أولاً » (٢) .

حيث أنهم عنوا بمصادر الشريعة ، ومناهج استنباط الأحكام وأخذها من النصوص فنظروا إلى السُّنَّة من جهة كونها مصدراً أو دليلاً ، ولهذا يطلقون عليها اسم الدليل(٣) .

[ج] وفي اصطلاح الفقهاء تطلق السُّنَّة : « على ما ثبت عنه ـ ﷺ ـ من حكم

---

(١) توجيه النظر إلى أصول الأثر / لطاهر بن صالح أحمد الجزائري (ص٢، ٣) ـ المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ـ السعودية ـ ط بدون ، والسُّنَّة ومكانتها في التشريع ، لمصطفى السباعي (ص٤٧) ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م) ، والسُّنَّة قبل التدوين / لمحمد عجاج الخطيب (ص١٦) ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ، بيروت ـ ط الأولى (١٣٨٣-١٩٦٣م) .

(٢) الموافقات للشاطبي (ج٤ / ٣) المجلد الثاني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م) .

(٣) حاشية التفتازاني تصحيح : شعبان محمد اسماعيل (٢ / ٢٢) ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ مصر ، ط/بدون (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م) .

هو دون الفرض والواجب » (١) .

[د] والسُّنَّة تطلق ويراد بها عمل الصحابة ، ولا سيما عند الاتفاق لقوله ـ ﷺ ـ « .. **فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء المهديين الراشدين** .. » (٢) .

[هـ] والسُّنَّة تطلق في مقابل البدعة ، قال الإمام الشاطبي (٣) ـ رحمه الله ـ : « ويطلق (أي لفظ السُّنَّة) في مقابلة البدعة فيقال فلان على سُنة إذا عمل على وفق ما عليه النبي ـ ﷺ ـ كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أَوْلاً ، ويقال : فلان على بدعة إذا عمل على خلاف ذلك » (٤) .

والسُّنَّة إذا أطلقت في باب العقائد إنما يقصد بها ما يلي :

« السُّنَّة هي الطريق المسلوك فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه النبي ـ ﷺ ـ وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال وهذه هي السُّنّة الكاملة ، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون السُّنَّة إلا على ما يشمل ذلك كله روي ذلك عن الحسن والأوزاعي (٥) والفضيل بن عياض » (٦) .

---

(١) انظر : العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى ـ تحقيق/ د. أحمد بن علي سير المباركي (١ / ١٦٦) ـ مؤسسة الرسالة ـ ط الأولى (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م) ، وأصول السرخسي / لأبي بكر محمد السرخسي ـ تحقيق : أبي الوفاء الأفغاني (١ / ١١٤) توزيع مكتبة المعارف بالرياض ـ ط بدون .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٥٥ .

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ، الشهير بالشاطبي ، محدث ، أصولي حافظ من أئمة المالكية ، توفي سنة ٧٩٠هـ ، له عدة مصنفات ، منها : (الموافقات في أصول الفقه ، والاعتصام) وغير ذلك . انظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب / ابن فرحون المالكي ـ تحقيق : محمد أبو النور (ص٤٦) ـ دار التراث ، الأعلام / للزركلي (١ /٧٥) ، معجم المؤلفين / كحالة (١ /٧٧) برقم / ٥٨٢ .

(٤) الموافقات للشاطبي (ج٤ / ٣) المجلد الثاني .

(٥) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي الدمشقي ، عالم وإمام أهل الشام ، كان صاحب سنة وإتباع وقد عرف بالزهد والخشوع ، وهو من التابعين ، ولد في بعلبك سنة ٨٨هـ وتوفي ببيروت سنة ١٥٧هـ . انظر : الجرح والتعديل / لابن أبي حاتم (١ /١٨٤ـ ٢١٩) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى بمطبعة دائرة المعارف ـ الهند ، تذكرة الحفاظ / للذهبي (١ /١٧٨ـ ١٨٣) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٧ /١٠٧وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي (٣ / ٣٢٠) .

(٦) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (ص٢٦٢) ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ لبنان ، ط/ الأولى (١٤٠٨هـ) ، وانظر : مجموع الفتاوى (١٩ / ٣٠٦ـ٣٠٧) .

فعلى هذا فالسُّنَّة هي : ما كان عليه النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه اعتقاداً ، واقتصاداً وقولاً وعملاً [(١)] .

وهذا التعريف الاصطلاحي للسُّنَّة هو الذي يعنينا هنا ، فالمهم في هذا المقام هو معرفة السُّنَّة عند المشتغلين بتقرير مذهب السلف في الاعتقاد .

فطريقة الرسول ـ ﷺ ـ المبينة في كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ـ ﷺ ـ وطريقة الصحابة رضي الله عنهم فيما أجمعوا عليه[(٢)] ، مما يعد فاصلاً بين المنتسب إليها وبين غيره من أهل الأهواء.

ولذلك فقد كان الأئمة يصنفون كتباً باسم السُّنَّة [(٣)] ويريدون بها معنى أخص كالكلام في الأسماء والصفات ، ومسألة أن القرآن كلام الله ، والقضاء والقدر ، ومسألة الإيمان والكفر ، والمسائل المتعلقة بالبرزخ والآخرة ، والموقف من الصحابة وغيرها .

ثانياً : معنى الجماعة في الاصطلاح الشرعي :

كلمات أهل العلم تدور على ستة معان هي :

[١] الجماعة هم : السواد الأعظم[(٤)] من أهل الإسلام، لقوله ـ ﷺ ـ : **«اختلفت اليهود على إحدى وسبعين فرقةً ، سبعون في النار وواحدةٌ في الجنة ، واختلفت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، إحدى وسبعون فرقةً في النار وواحدةٌ في الجنَّة ، وتختلف هذه الأمَّة على ثلاث وسبعون فرقةً اثنتان وسبعون في النار وواحدةٌ في الجنة ، فقلنا : انعتهم لنا ، قال : " السوادُ الأعظم " »** [(٥)] .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٥/١١١) .

(٢) كإجماعهم على جمع المصحف وغيرها .

(٣) مثال من الف في هذا : (السُّنَّة : لعبد الله بن احمد بن حنبل ، وابن ابي حاتم ، وابن أبي عاصم ، والطبراني ، والبربهاري وغيرهم) .

(٤) انظر : فتح الباري لابن حجر : كتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (١٣ / ٤٠) .

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٨/٢٧٣) برقم : ٨٠٥١ ورواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (١ / ١٠٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه . وقال الهيثمي : رواه ابن ماجه والترمذي باختصار ورواه الطبراني ورجاله ثقات ، انظر مجمع الزوائد (٦ / ٢٣٤) .

وقال ـ ﷺ ـ :« **عليكم بالسواد الأعظم** »(١) أي جملة الناس ومعظمهم الذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك النهج المستقيم(٢) .

قال الإمام الآجري ـ رحمه الله ـ : « فمن أراد الله تعالى به خيراً فتح له باب الدعاء ، والتجأ على مولاه الكريم وخاف على دينه ، وحفظ لسانه ، وعرف زمانه ، ولزم الحجة الواضحة السواد الأعظم ... »(٣) .

[٢] **أن الجماعة هم الصحابة دون من بعدهم** ، « فإنهم الذين أقاموا عماد الدين ، وأرسوا أوتاده ، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أبداً »(٤) ، وهذا القول مروي عن عمر بن عبدالعزيز(٥) ـ رحمه الله ـ فما روى عنه أنه قال : « سن رسول الله ـ ﷺ ـ وولاة الأمر من بعده سننا ، الأخذ بها تصديق بكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، من عمل بها مهتدي ، ومن استنصر بها منصور ، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً »(٦) .

---

(١) رواه ابن ماجه : كتاب الفتن ، باب السواد الأعظم (٢ / ١٣٠٣) ح ٣٩٥٠ ، من حديث أنس بن مالك ، وإسناده ضعيف وروي موقوفاً عن أبي أمامة . انظر : مسند الإمام أحمد (٤ /٢٧٨) وعن عبد الله ابن أبي أوفى في المسند (٤ /٣٨٣) .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢ / ٤١٩) .

(٣) كتاب الشريعة للآجري ص٥٢ .

(٤) الاعتصام/ للشاطبي (٢ / ٢٦٢) ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون ، وانظر : فتح الباري (١٣ / ٤٠) .

(٥) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الخليفة الخامس العادل ، ولي الخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك بن مروان ولد بالمدينة عام ٦١هـ ونشأ بها ، وولي إمارتها للوليد ، ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام ، وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩هـ ، قال عنه أنس بن مالك ﷺ : (ما صليت خلف إمام أشبه برسول الله ﷺ من هذا الفتى) ، توفي عام ١٠١هـ وكانت وفاته في (دير سمعان من أرض المعرة وهي دير بنوا حي دمشق) . انظر : فوات الوفيات / لمحمد شاكر الكتبي (٣/١٣٣ ـ ١٣٥) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج١/١١٩ ـ ١٢١) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي ٥/١١٤) وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي ٥/٥٠) .

(٦) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢ / ١١٧٦) ح٢٣٢٦ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، والآجري في الشريعة (ص ٦٨) ، واللالكائي فن شرح أصول الاعتقاد (١ / ٩٤) برقم/ ١٣٤ . وشرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ـ تحقيق : محمد سعيد الخطيب أوغلي (ص٧) ـ دار إحياء السُّنَّة النبوية ـ ط بدون ١٩٧١م ـ توزيع المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة ـ السعودية ـ ط بدون .

وقال الإمام البربهاري[(١)] ـ رحمه الله ـ : « والأساس الذي بيّنا عليه الجماعة هم أصحاب محمد ـ ﷺ ـ رحمهم الله أجمعين وهم أهل السُّنَّة والجماعة »[(٢)].

[٣] وقيل أن الجمـاعة هم أهل الحديث ، أو أهل العلم المجتهدون ، وذلك « لأن الله جعلهم حجة على الخلق ، والناس تبع لهم في أمر الدين »[(٣)] وما أمر النبي ـ ﷺ ـ بلزوم الجماعة ، وهم أهل العلم .

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : « إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم ؟ »[(٤)].

وقال الإمام الترمذي[(٥)] ـ رحمه الله ـ : « وتفسير الجماعة عند أهل العلم : هم أهل الفقه والعلم والحديث »[(٦)].

وقيل الجماعة: « هم أهل العلم وأصحاب الآثار »[(٧)] وهذا رأي كثير من الأئمة.

فعلى هذا القول فالجماعة هم أهل السُّنَّة العالمون المجتهدون ، فيخرج منهم المبتدعة ، كما يخرج العامة المقلدة لأن الغالب فيهم أنهم تبع للعلماء .

[٤] وقيل الجماعة : هم جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر من أمور

---

(١) هو ابو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري الحنبلي ، صحب تلاميذ الإمام أحمد ، كان شديداً على المبتدعة ، وله كتاب شرح السُّنَّة ولد سنة ٢٣٣هـ ، توفي سنة ٣٢٩هـ . انظر : طبقات الحنابلة / لابي يعلى (٢ / ١٨) برقم/ ٥٨٨ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٥ / ٩٠ – ٩٣) ، الأعلام / للزركلي (٢ / ٢٠١) .

(٢) شرح السُّنَّة للإمام البربهاري ، تحقيق : د. محمد بن سعيد القحطاني (ص٢١) ـ دار ابن القيم للنشر والتوزيع ، ط الأولى (١٤٠٨هـ) .

(٣) فتح الباري / لابن حجر (١٣ / ٤١) .

(٤) شرف اصحاب الحديث / للخطيب البغدادي ـ تحقيق / محمد سعيد الخطيب او غلي (ص٢٥) .

(٥) هو الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك الترمذي ، ابو عيسى ، صاحب (الجامع) ، وكتاب (العلل) ، ولد في حدود سنة ٢١٠هـ في ترمذ وقيل في قرية بوغ (إحدى قرى ترمذ) من شيوخه البخاري ، وإسحاق بن راهوية وغيرهما ، فقد بصره في كبره بعد رحلته وكتابته العلم ، مات سنة ٢٧٩هـ . انظر : تهذيب التهذيب / لابن حجر (٩ / ٣٨٧ – ٣٨٨) ، وفيات الأعيان / لابن خلكان (٤ / ٢٧٨) ، سير إعلام النبلاء / للذهبي (١٣ / ٢٧٠ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي (٦ / ٣٢٢) .

(٦) رواه الترمذي : كتاب الفتن ، باب ماجاء في لزوم الجماعة (٤ / ٤٠٥) ح / ٢١٦٧ .

(٧) شرف اصحاب الحديث / للخطيب البغدادي (ص٢٦ ، ٢٧) .

الشرع سواء في أمور الأحكام أو المعتقدات[١] .

[٥] **وقيل إن الجماعة** : هم جماعة الحق وأهله [٢] .

قال الإمام ابن حزم - رحمه الله - : « وأهل السُّنَّة الذين نذكر هم أهل الحق ، ومن عداهم فأهل البدعة ، فإنهم الصحابة رضي الله عنهم ، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين ، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا ، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم » [٣] .

[٦] **وقيل إن الجماعة** : هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير .

قال الإمام الطبري - رحمه الله - : « والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة » [٤] .

ولذا أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلزوم الجماعة ونهى عن الخروج على إمامهم ، ونهى عن فراق الأمة فيما أجمعوا عليه من تأميره وتقديمه عليهم[٥] .

قال صلى الله عليه وسلم لحذيفة بن اليمان[٦] رضي الله عنه : « . . . تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . . »[٧] .

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢ / ٢٦٣) دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) .

(٢) قاله البربهاري في شرح السُّنَّة (ص٢٢) .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (لابن حزم ـ تحقيق / عبد الرحمن عميره وآخر(٢ / ٢٧١) .

(٤) فتح الباري/لابن حجر (١٣ / ٤١)،وانظر:النهاية في غريب الحديث والأثر/لابن الأثير(٢ / ٤١٩) .

(٥) الاعتصام / للشاطبي(٢ / ٢٦٤ ، ٢٦٥)ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

(٦) هو حذيفة بن حِسْل ،ويقال : حُسَيل بن جابر بن عمرو ابن ربيعة ، أبو عبد الله العبسي ، واليمان لقب حِسْل بن جابر ـ وقيل غير ذلك ـ وإنما قيل له ذلك لأنه أصاب دماً في قومه ، فهرب إلى المدينة ، وحالف بني عبد الأشهل من الأنصار، فسماه قومه اليمان، لأنه حالف الأنصار، وهم من اليمن . هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فخيّره بين الهجرة والنصرة ، فاختار النصرة ، وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم أحداً ، وهو صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين ، لم يعلمهم أحد غيره ، وقد شهد الحرب بنهاوند ، وأخذ الراية ، وكان فتح هَمَذان والريّ والدِّينور على يديه...وكان يسأ النبي صلى الله عليه وسلم عن الشر ليجتنبه . وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم ليأتيه بخبر الكفار ـ في الخندق - ، ولم يشهد بدراً لأن المشركين أخذوا عليه العهد ألا يقاتلهم . . وأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك، تولى المدائن لعمر رضي الله عنه ، وكان موته بعد قتل عثمان بأربعين ليلة سنة ٣٦هـ بالمدائن ،انظر: أسد الغابة ، لابن الأثير(١ / ٥٧٢ - ٥٧٤) ترجمة رقم ١١١٣ / ، سير أعلام النبلاء/للذهبي(٢ / ٣٦١) وما بعدها ، تقريب التهذيب / لابن حجر (١ / ١٩٢) برقم / ١١٦٠ .

(٧) رواه البخاري : كتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (٩ / ٦٥) ح٧٠٨٤ . ومسلم : كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين . . (٣ / ١٤٧٥) ح ١٨٤٧ .

وحاصل الأقوال في الجماعة ترجع إلى أمرين :

أحدهما : أن الجماعة هم الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع ، فيجب لزوم هذه الجماعة ، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها .

الثاني : أن الجماعة ما عليه أهل السُّنَّة من الاتباع وترك الابتداع ، وهو المذهب الحق الواجب اتباعه والسير على منهاجه ، وهذا معنى تفسير الجماعة بالصحابة ، أو أهل العلم والحديث ، أو الإجماع ، أو السواد الأعظم ، فهي كلها ترجع إلى معنى واحد هو : ما كان عليه رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه ، فيجب الإتباع حينئذ ولو كان المتمسك بهذا قليلاً ، ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك » [١] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « ثم من طريقة أهل السُّنَّة والجماعة اتباع آثار رسول الله ـ ﷺ ـ باطناً وظاهراً ، واتباع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، واتباع وصية رسول الله ـ ﷺ ـ حيث قال : « **عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** » [٢] ، ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ـ ﷺ ـ ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدى محمد ـ ﷺ ـ على هدى كل أحد ، وبهذا سموا أهل الكتاب والسُّنَّة ، وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة ... » [٣] .

وقال ابن أبي العز الحنفي ـ رحمه الله ـ : « والجماعة جماعة المسلمين وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين » [٤] .

---

(١) رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة .. (١ / ١٠٩) ح١٦٠ .
(٢) سبق تخريجه ص ٢٥٥ .
(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٧) .
(٤) شرح العقيدة الطحاوية ـ تحقيق الألباني (ص٣٨٢) .

وكذلك نجد أن تسمية أهل السُنّة (بالجماعة) أن هذه التسمية ثابتة لهم بالنص من رسول الله ـ ﷺ ـ بقوله : « **إن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة** » (١) .

فالمقصود بالجماعة هنا أهل السُنّة لأنهم أتباع الرسول ـ ﷺ ـ وأصحابه وهؤلاء هم جماعة المسلمين .

وخلاصة القول: أن ماذكر من أقوال في تفسير الجماعة على اختلاف ألفاظها فإنها في النهاية تجتمع معانيها في حق أهل السُنة .

ولا يمكن أن يدخل تحت تلك التفسيرات أو أحدها من أهل البدع ، لأنهم أهل التفرق والخلاف المنافي للاجتماع والائتلاف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « ولهذا وصف الفرقة بأنها أهل السُنَّة والجماعة ، وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم ، وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريباً من مبلغ الفرقة الناجية فضلاً عن أن تكون بقدرها ، بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسُنَّة والإجماع » (٢) .

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه : كتاب الفتن ، باب اختراق الأمم (١ / ٣٢) ح / ٣٩٩٣ من حديث أنس بن مالك وقال صاحب الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات ، والسُنَّة لابن أبي عاصم (٢ / ٣١) ح٦٤ . وقال الألباني ـ رحمه الله ـ : الحديث صحيح ، انظر كتاب السُنَّة لابن أبي عاصم تحقيق الألباني (١ / ٣٣) ح٦٤ .

(٢) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٤٥ ، ٣٤٦) .

المطلب الثالث

ألقاب أهل السنّة والجماعة .

هناك ألقاب وأسماء لأهل السنّة والجماعة يُعرفون بها هي :

[١] أصحاب الحديث والأثر : (١)

وذلك لاشتغالهم بحديث رسول الله ﷺ وآثار أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، تمييزاً وفهماً وعملاً واحتجاجاً بها.

قال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ :

« دين النبي محمد أخبار ... نعم المطية للفتى آثار
لاترغبن عن الحديث وآله ... فالراي ليل والحديث نهار » (٢)

وقال الإمام السفاريني ـ رحمه الله ـ :

« اعلم هديت أنه جاء الخبر ... عن النبي المقتفى خير البشر
بأن ذى الأمة سوف تفترق ... بضعاً وسبعين اعتقاداً والمحق
ما كان في نهج النبي المصطفى ... وصحبه من غير زيغ وجفا
وليس هذا النص جزماً يعتبر ... في فرقة إلاّ على أهل الأثر » (٣)

وأهل الحديث يجمعون بين رواية الحديث واعتقاد ما فيه والعمل به : قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته بل نعني بهم كلّ من كان أحق بحفظه ، ومعرفته ، وفهمه ظاهراً وباطناً ، واتباعه باطناً وظاهراً ، وكذلك أهل القرآن ، وأدنى خصلة في

---

(١) مقالات الإسلاميين / لابي الحسن الاشعري (١ / ٣٤٥) ، وانظر : الفرق بين الفرق / للبغدادي (فصل : بيان اصناف أهل السنّة والجماعة (ص٣٠٠) وما بعدها .

(٢) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي روايته وحمله /لابن عبد البر(٢ / ٣٥) .

(٣) لوامع الانوار البهية / للسفاريني (١ /٧٤-٧٦) .

هؤلاء : محبة القرآن ، والحديث والبحث عنهما ، وعن معانيهما ، والعمل بما علموه من موجبهما ... » (١) .

« فهم أعلم الناس بأقواله ﷺ وأحواله ، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها ، وأئمتهم فقهاء فيها ، وأهل معرفة بمعانيها ، واتباع لها تصديقاً وعملاً وحباً وموالاة لمن والاها وبغضاً ومعاداة لمن عاداها » (٢) .

[٢] السلف الصالح :

والمراد بهم : الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وتابعوهم وأتباعهم من أئمة الإسلام العدول ، ممن اتفقت الأمة على إمامتهم في الدين وعظم شأنهم فيه ، وتلقى المسلمون كلامهم ـ خلفاً عن سلف ـ بالرضا والقبول ، كالأئمة الأربعة وغيرهم دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي ، مثل الخوارج ، والروافض والمعتزلة ، والجبرية (٣) وغيرها من الفرق الضالة .

ومذهب السلف هو : ما كانوا عليه من الاعتقاد المنسوب إليهم (٤) .

فالسلفية طريقة كان عليها الصحابة والتابعون ، ومن تبعهم بإحسان من التمسك بالكتاب والسُّنَّة وتقديمهما على ما سواهما ، والعمل بهما على مقتضى فهم الصحابة والسلف ، فهي منهاجٌ باقٍ إلى يوم القيامة ، لقوله ﷺ : « **لا تزال**

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٩٥) .

(٢) المصدر السابق (٣ / ٣٤٧) مع زيادة يسيرة .

(٣) الجبرية : هي من الفرق المبتدعة في مسالة القدر، سموا بذلك نسبة إلى الجبر ، وهو جبر العبد وحمله على فعله ، فهو كالريشة في مهب الريح ، لا أثر له على فعله ، فالفعل لله تعالى ، والعبد محله ، وهم صنفان : خالصة ، وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً ، ومتوسطة وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً، والجهمية من فرق الجبرية. انظر : الملل والنحل (١ / ٧٠ ، ٧٣) ، رسالة في الرد على الرافضة / للمقدسي ، تحقيق / عبد الوهاب خليل الرحمن (ص١٦٩-١٧٠) ـ الدار السلفية ـ بومباي ـ الهند ـ ط الأولى (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) ، مختصر معارج القبول / لحافظ الحكمي ـ اختصار/ هشام آل عقده (ص٧٦) .

(٤) انظر : العقائد السلفية بادلتها النقلية والعقلية (شرح الدرة السنية ... / لأحمد بن حجر آل بوطامي (١ / ١١) ط الأولى ـ بيروت (١٩٧٠م) ، وانظر : لوامع الأنوار البهية / للسفاريني (١ / ٢٠) .

طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»(١) . فكل متأخر متمسك بمذهب السلف الصالح في الاعتقاد والعمل فهو على حق .

[٣] الفرقة الناجية والطائفة المنصورة :

وذلك لأحاديث النبي ﷺ الدالة على استحقاق أهل السُّنَّة والجماعة لهذا اللقب منها : قوله ﷺ : « ... **وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة . قالوا : ومن هي يا رسول الله ؟، قال : ما أنا عليه وأصحابي** »(٢) .

وفي رواية : « ... **كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة** »(٣) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في أهل السُّنَّة والجماعة : « وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ : **لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة**(٤) »(٥) .

وفي رواية : « **لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة** »(٦) .

---

(١) رواه البخاري: كتاب المناقب ، باب رقم ٢٨ (٤ / ٢٥٢) ح٣٦٤٠ ، ٣٦٤١ . ومسلم في صحيحة : كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ « لا تزال طائفة ......» (٣/١٥٢٣) ح١٩٢٠ من حديث المغيرة ، ومعاوية رضي الله عنه عند البخاري ، ومن حديث ثوبان رضي الله عنه عند مسلم ، واللفظ له .

(٢) رواه الترمذي في سننه : كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة(٥ /٢٦) ح٢٦٤١، وقال : هذا حديثٌ مفسَّرٌ غريبٌ لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه . من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

(٣) رواه الحاكم في مستدركه: كتاب العلم(١ / ٢١٨)ح٤٤٣ ، وقال: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث.

(٤) رواه البخاري : كتاب المناقب ، باب رقم ٢٨ (٤ / ٢٥٢) ح ٣٦٤٠ ، ٣٦٤١ . بنحوه ، ومسلم : كتاب الإمارة ، باب لا تزال طائفة من أمتي (٣ / ١٥٢٣) ح١٩٢٠ بنحوه .

(٥) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٩) ؛ (٤ / ٩٧) .

(٦) رواه الترمذي في سننه كتاب الفتن ، باب ٢٧ . ما جاء في الشام (٤ / ٤٢٠) ح٢١٩٢ ، وقال هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في سننه : كتاب المقدمة باب اتباع سنة رسول الله ﷺ (١ /٥) ، ح ٦ ، واللالكائي في أصول الاعتقاد ١ /١١٢، ح١٧٢. والحديث صحيح : انظر : صحيح ابن ماجه / للألباني(١ / ٦) ح٦ ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة(١ / ٣) ح١٣٥ ، وكتاب أهل السُّنَّة والجماعة معالم الإنطلاقة الكبرى (ص٣٦-٣٨)) .

فلقب الفرقة الناجية لأهل السُّنَّة والجماعة يفهم من حديث افتراق الأمة والطائفة المنصورة من الحديث الآخر .

فهذه الألقاب عُرِف بها أهل السُّنَّة والجماعة دون سواها وكلها ألقاب محمودة وليس فيها شيء من الذم بخلاف أصحاب البدع الذين تسموا بأسماء وألقاب قد تكون محمودة أو مذمومة فعرفوا بها فصارت علما عليهم ، ومن المعلوم أن أهل السُّنَّة والجماعة قد يسميهم غيرهم بأسماء وألقاب أخرى ، ويقصدون بذلك الذم بها ، إذ مامن فرقة إلا وقد وسمت أهل السُّنَّة والجماعة باسم يناسب ما خالفها فيه أهل السُّنَّة والجماعة ، ولكن بقي أهل السنة لم يلزمهم شيء من هذه الألقاب الباطلة كالحشوية[1] ، والمشبهة[2] ، والناصبة[3] وغيرها .

جاء رجل إلى الإمام مالك[1] فقال :« يا أبا عبدالله أسألك عن مسألة أجعلك حجة

---

(١) الحشوية : هو مصطلح يطلقه أهل البدع على أهل السُّنَّة مثبتوا صفات الله وأول من نطق به عمرو بن عبيد المعتزلي . ومقصودهم أن أهل السُّنَّة قد حشوا رب العباد بالأكوان بإثباتهم لله العلو والفوقية وغيرها . معجم ألفاظ العقيدة ــ عامر عبد الله فالح (ص١٤٩ــ ١٥٠) مكتبة العبيكان ــ الرياض ــ السعودية ــ ط الثانية (١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م) .

(٢) المشبهة : هم الذين يشبهون صفات الله بصفات المخلوقين ، كقول بعضهم : لله سمع كسمعي وبصر كبصري ، ويمثلونه سبحانه بالمحدثات ، ويقيسون صفات الله تعالى على ما ألفوه وشاهدوه من صفات المخلوقين ، وبعضهم يزعم أن صورة الله كصورة الآدمي ، وهو مركب من اليد والرجل والعين ولا حول ولا قوة إلا ب الله . انظر : المقالات / للأشعري (١ / ٦٦ــ١٠٤) ، التنبيه والرد / للملطي (ص٢٩ــ ٤٩) ، الفرق بين الفرق / للبغدادي (ص٢١٤ــ٢١٩) ، التبصير في الدين / للاسفرائيني تحقيق : كمال يوسف الحوت (ص١١٩ــ١٤٠) ، عالم الكتب ــ بيروت ــ لبنان ــ ط الأولى (١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م) مجموع الفتاوى (٣ / ٦) ، والملل والنحل (١ / ٩٢ وما بعدها) .

(٣) الناصبة : تطلق عموماً على من يبغض علياً وأصحابه ، ويدخل في هذا الاسم الخوارج ، بفرقهم المختلفة، وأما الرافضة فتطلق هذا الاسم على كل من أحب أبا بكر وعمر ــ رضي الله عنهما ــ وتولاهما ، زعماً منهم أن من تولاهما فقد أبغض علياً ، ولهذا أطلق على أهل السُّنَّة : نواصب . انظر مجموع الفتاوى (٢٥ / ٣٠١) ، التدمرية / لابن تيمية ــ تحقيق محمدبن عودة السعوي (ص١٢٢ / ١٢٣) . ط الأولى (١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م) .

(٤) هو أبو عبد الله ، مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي الحميري ، ولد في المدينة سنة ٩٣هـ (وقيل غير ذلك) كان متحرياً في تلقي العلم وسماع الحديث والفتوى ، من شيوخه : ربيعة الراي ، والزهري ، ونافع مولى ابن عمر ، ينسب إليه المذهب المالكي ، له مؤلفات) : الموطأ ، رسالة في القدر ، الرد على القدرية ، كتاب المناسك) توفي سنة ١٧٩هـ ، ودفن بالبقيع وعمره ٨٦سنة . انظر : الجرح

فيما بيني وبين الله عز وجل ، قال مالك : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، سل. قال : مَنْ أهل السُّنَّة ؟ قال : أهل السُّنَّة الذين ليس لهم لقب يعرفون به،لا جهمي ولا قدري ، ولا رافضي » (١) .

وهكذا نلاحظ أن هذه الألقاب والأسماء التي أطلقت على من يتبع منهج الصحابة والتابعين في الاعتقاد والسلوك مصطلحات مترادفة .

إلا أن أهل الأهواء والبدع يصفون من خالفهم بأقبح الصفات والألقاب ، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : « وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة يسمون بها أهل السُّنَّة ، يريدون بذلك الطعن عليهم والإزدراء بهم عند السفهاء والجهال » (٢) .

« فعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الاثر ، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السُّنَّة حشوية، يريدون إبطال الآثار ، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السُّنَّة مشبهة ، وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة ، وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السُّنَّة مخالفة ونقصانية ، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السُّنَّة ناصبة » (٣) .

وقال الإمام البربهاري ـ رحمه الله ـ : « إذا سمعت الرجل يقول فلان ناصبي فاعلم أنه رافضي ، وإذا سمعت الرجل يقول فلان مشبه أو فلان يتكلم بالتشبيه فاعلم أنه جهمي ، وإذا سمعت الرجل يقول : تكلم بالتوحيد واشرح لي التوحيد فاعلم أنه معتزلي ، أو يقول فلان مجبر أو يتكلم بالإجبار أو تكلم بالعدل فاعلم أنه

= والتعديل / لابن أبي حاتم (١ / ٢٨) وما بعدها ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٨/٤٨ - ١٣٢) تهذيب التهذيب / لابن حجر ((١٠/ ٥ وما بعدها)) ، الأعلام / للزركلي (٥/٢٥٧) .

(١) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (مالك والشافعي وأبي حنيفة) لابن عبد البر (ص٣٥) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ط بدون .

(٢) السُّنَّة للإمام احمد بن حنبل (ص٤٠) مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ـ مصر ـ ط / بدون .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة / للإمام اللالكائي (١ / ١٧٩) ، وانظر : الصواعق المرسلة / لابن القيم ، تحقيق / د. علي بن محمد الدخيل الله (٣ / ٩٤٩ ، ٩٥٠) ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ) .

قدري » (١) .

وقال الإمام الصابوني - رحمه الله -: « وعلامات أهل البدع بادية ظاهرة ، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم وتسميتهم إياهم حشوية ، وجهلة وظاهرية ، ومشبهة ، اعتقاداً منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل عن العلم وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ووساوس صدورهم المظلمة » (٢) .

(١) شرح السُنّة / للبربهاري (ص٥٢) ، مطبعة الصميعي ـ بتحقيق : خالد بن قاسم الردّادي (ص١٠٩) ط الثالثة (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) .

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص١١٦) .

المبحث الثاني

مصادر أهل السنّة والجماعة في التلقي والاستدلال

منهج أهل السُّنَّة والجماعة يقوم على مصادر اعتمد السلف الصالح عليها واعتصموا بها في أمور دينهم ، حيث إن الدين الحق يقوم على التسليم والتصديق والاتباع ، وهو دين الله تعالى ، أنزله على رسوله ﷺ بالوحي وأكمله ، فليس لأحد أن يحدث شيئاً زاعماً أنه من الدين ، لأن النبي ﷺ قال : « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »(١) .

« وقد اتفق الصحابة رضوان الله عليهم على القبول والتسليم لما جاء به رسول الله ﷺ ، ولم ينقل عنهم التنازع في مسائل الاعتقاد ، بل كان منهجهم في ذلك إثبات ما نطق به الكتاب والسُّنَّة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم ، لم يسوموها تأويلاً ، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً .. ، بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالإيمان والتعظيم ... »(٢) .

فلهذا تمسك أهل السُّنَّة والجماعة بمنهجهم الصحيح واعتمدوا على مصادر التلقي والاستدلال الصحيحة .

منها مصادر أصلية كالقرآن والسُّنَّة والإجماع المبني عليها، ومنها مصادر ثانوية ، وهي العقل الصحيح والفطرة السليمة وهي تابعة للقرآن والسُّنَّة .

أما القياس الأصولي وإن كان من ضمن المصادر في الأحكام الشرعية إلا أنه لا يعمل به في مسائل الاعتقاد ، لأنه مصدر غير مباشر للتلقي ، فهو عبارة عن إلحاق

---

(١) رواه البخاري : كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صُلح جور فالصلح مردود (٣/٢٤١) ح ٢٦٩٧، ومسلم : كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطنة ، وردّ محدثات الأمور (٣ / ١٣٤٣) ح١٧١٨ من حيث عائشة رضي الله عنها ، واللفظ لمسلم .

(٢) إعلام الموقعين / لابن القيم ـ تحقيق : عصام الدين الصبابطي (١ / ٥٣) بتصرف ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م) .

واقعة لا نص على حكمها بواقعة ورد نص بحكمها في الحكم الذي ورد به النص لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم .

وتوضيح مصادر التلقي والاستدلال عند أهل السُّنَّة في المطالب الآتية :

المطلب الأول

القرآن الكريم

حيث أنزل الله ـ عز وجل ـ هذا القرآن الكريم بلغة العرب على رسوله محمد ﷺ ففهموا عن الله ما أراد منهم ، وما احتاج إلى بيان بيّنه لهم رسول الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤) ﴾ [النحل: ٤٤] ، فأخذوا عقيدتهم الصافية عنه ولم يتكلفوا التأويل ولا الخوض فيما لا فائدة فيه ، وكانت العقيدة وقضاياها واضحة في القرآن ، وسوى مسائل قليلة سأل عنها الصحابة أو التبست عليهم في قضايا العقيدة ، مثلاً : لما نزل قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] ، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا أينا لم يظلم نفسه ، فقال رسول الله ﷺ : « ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] (١) .

وهذا اللبس في الفهم كان في قضايا غامضة ، لكننا لم نجد ، بل لم يثبت ذلك عن أحد من الصحابة ﷺ ، أن واحداً منهم سأل رسول الله ﷺ عن اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته أو نحو ذلك من مسائل العقيدة المتعلقة بذات الله سبحانه ، والتي خاض فيها المتأخرون ، وما ذاك إلا لفهمهم لها ، وما دلت عليه من معان تليق به ـ سبحانه وتعالى ـ ، فكانوا يؤمنون بها ويعتقدون ما دلت عليه ويدعونه

(١) رواه البخاري : كتاب الإيمان ، باب ظُلْمٌ دون ظلم (١ / ١٥) ح٣٢ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب صدق الإيمان وإخلاصه (١ / ١١٥) ح١٢٤ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم .

سبحانه بها (١) .

فالقرآن الكريم يأتي في مقدمة المصادر التي يستقي منها أهل السُّنَّة والجماعة مسائل الاعتقاد وغيرها من مسائل الأحكام، وأن الله ـ تعالى ـ هو الذي تكلم به، وأنزله على رسوله ﷺ بواسطة جبريل ـ عليه السلام ـ وقد تكفل الله ـ تعالى ـ بحفظه، وصيانته عن الزيادة والنقصان .

نظر: اللباب في شرح العقيدة/للدكتور: إبراهيم القريبي ص١٣ ـ دار الجيل ـ صنعاء ـ ط (١٤١٣هـ).

المطلب الثاني
السُّنَّة النبوية المطهرة

السُّنَّة النبوية هي من الوحي ، وهي محفوظة بحفظ الله ـ تعالى ـ لكتابه العزيز ، وهذا يقتضي وجوب الإيمان بها واتباعها والاحتجاج والاستدلال بها ، وهي المصدر الثاني من مصادر التلقي والاستدلال عند أهل السُّنَّة والجماعة ، فهم يعتمدون على الأحاديث الصحيحة في تقرير مسائل الاعتقاد .

وقد اعتنوا عناية كبيرة جداً بالسُّنَّة النبوية لتمييز صحيحها من ضعيفها حتى لا يستدلوا إلا بالصحيح منها ، واستدلالهم بالسُّنَّة في مسائل العقيدة يأتي تكميلاً لاستدلالهم بالقرآن الكريم ، وخاصة أن السُّنَّة جاءت مفصلة للقرآن ومبينة له فجمعوا بين الأدلة وهذه ميزة من ميزات منهج السلف الصالح في الاستدلال على مسائل الاعتقاد .

بالإضافة إلى أنهم يحتجون بكل ما صح من السُّنَّة من الأحاديث سواءً كانت متواترة أو آحاداً في مسائل الاعتقاد إذ الكل وحي، كما قال الله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾ [النجم :٣-٤]، فالسُّنَّة تعتبر أحد مصادر الشريعة ـ ومسائل الاعتقاد منها ـ وأنها لقيت من الحفظ والعناية ما يجعلها مصدراً صحيحاً سليماً من مصادر العقيدة،وأنها مثل القرآن الكريم في الاحتجاج بأحاديثها، سواء أكانت متواترة أم آحاداً ، ومن حاد عن هذا المسلك فقد ضل سواء السبيل .

قال الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ : « فلم يسمع مسلماً يقر بالتوحيد أن يرجع عند التنازع إلى غير القرآن والخبر على رسول الله ﷺ ولا أن يأتي عما وجد فيهما فإن فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق ، وأما من فعله مستحلاً للخروج عن أمرهما وموجباً لطاعة أحد دونهما ، فهو كافر » (١) .

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام / لابن حزم (جـ١ / ٩٥) المجلد الأول ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م) ، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ـ تحقيق / التركي ، والأرنؤط (١ / ٢٢٨) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م) .

وقال الإمام الشوكاني - رحمه الله -: « والحاصل أن ثبوت حجية السُّنَّة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورية دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لاحظ له من دين الإسلام » [(١)] .

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول / للإمام الشوكاني ـ تحقيق : محمد سعيد البدري (ص٦٩) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .

المطلب الثالث

الإجمـاع

وهذا هو المصدر الثالث من مصادر العقيدة عند السلف فإجماع السلف الصالح عندهم حجة في الاعتقاد والأحكام وخاصة إجماع الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ الذين سلموا في دينهم من الشبهات ورضي الله عنهم ورضوا عنه ، وسبيلهم هو سبيل المؤمنين الذين حذر الله من مخالفته كما قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** (١١٥) ﴾ [النساء : ١١٥] .

فيعتبر إجماع السلف الصالح دليلاً مقطوعًا به في مسائل الاعتقاد ، وأنه يستند في أبواب الاعتقاد إلى دليل سمعي : من كتاب أو سنة ، لا قياس ولا أمارة ولا غير ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو يصف طريقة أهل السُّنَّة والجماعة « وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع ، وضدها الفرقة . . والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين . وهم ـ أي أهل السُّنَّة والجماعة ـ يَزِنُونَ بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال، وأعمال باطنة ، أو ظاهرة مما له تعلق بالدين . والإجماع الذي ينضبط : هو ما كان عليه السلف الصالح ، إذ بعدهم كثر الاختلاف ، وانتشرت الأمة »(١) .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٧) .

المطلب الرابع
العقل الصحيح الصريح

منهج أهل السُّنَّة والجماعة يعتمد في إثبات وتقرير مسائل الاعتقاد على النقل إلا أنهم لم يهملوا العقل ، بل يستدلون على مسائل الاعتقاد أيضاً بصريح المعقول الموافق لصحيح المنقول .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهو يبين الدليل الشرعي :

« ثم الدليل الشرعي قد يكون سمعياً وقد يكون عقلياً فإن كون الدليل شرعياً يراد به : كون الشرع أثبته ودل عليه ، ويراد به كون الشرع أباحه وأذن فيه . فإذا أريد بالشرع ما أثبته الشرع فإما أن يكون معلومًا بالعقل أيضاً ولكن الشرع نبه عليه ودل عليه فيكون شرعياً عقلياً ، وهذا كالأدلة التي نبه الله تعالى عليها في كتابه العزيز من الأمثال المضروبة وغيرها ، الدالة على توحيده وصدق رسله وإثبات صفاته وعلى المعاد ، فتلك كلها أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل وهي براهين ومقاييس عقلية وهي مع ذلك شرعية » (١) .

ومن العلوم التي لا تدركها العقول مسائل الاعتقاد ، ولا سيما التفصيلية منها ، فالعقول ما كانت لتعلم بها لولا مجيء الوحي بها ، وذكره لأدلتها النقلية ، وهذا في غير المسائل الكبار من الإقرار بوجود الله وتوحيده ونحو ذلك ، فإن النفوس مفطورة على معرفة خالقها .

لكن المقصود هو تفاصيل هذه المسائل،وهي التي استقل الوحي بتعريفها وبيانها، وإرشاد العقول إلى طريق العلم بها ، فالعقول ما كانت لتدركها لولا تنبيه الوحي وإرشاده إلى طرق معرفتها ، وأيضاً فإن كثيراً من مسائل الاعتقاد بعد معرفتها والعلم

---

(١) در تعارض العقل والنقل/ لابن تيمية ـ تحقيق/ محمد رشاد سالم(١ / ١٩٨) ـ دار الكنوز الأدبية ـ ط الأولى (١٣٩٩هـ) ، وانظر:مجموع الفتاوى (٦ / ٧١ ، ٧٢) .

بها عند العقول لا تدرك العقول حقيقتها وكيفياتها ، كصفات الله تعالى وأفعاله ، وحقائق ما ذكر من أمور الآخرة ،والعقل وإن كان لا يدرك ماهي عليه من الكيفيات ، فهو أيضاً لا يحيل ذلك ولا يمنع إمكان وجوده ، لأن عدم إدراكه لها إنما هو نتيجة افتقاره إلى وسائل العلم بها ، فالعلم بالشيء فرع عن تصوره ، والتصور لا يقوم إلا على معطيات حسية ، وهذا أمر متعذر بالنسبة لمسائل الغيب .والشريعة ـ كما قيل ـ جاءت بمحارات العقول لا بمحالاتها [١] .

« وكذلك ضرب الله ـ تعالى ـ الأمثال في القرآن الكريم ، لتقرير مسائل الغيب ، تنبيهاً للعقول على إمكان وجودها : فاستدل على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى ، وعلى خلق الإنسان بخلق السموات والأرض وهي أعظم وأبلغ في القدرة، وعلى البعث بعد الموت بإحياء الأرض الميتة بعد إنزال الماء عليها ، إلى غير ذلك من الأمثال المضروبة في القرآن الكريم » [٢] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلهية وإن كان معلوماً بالفطرة الضرورية البديهية ، وبالشرعية النبوية الإلهية ــ فهو ــ أيضاً معلوم بالأمثال المضروبة ، التي هي المقاييس العقلية » [٣] .

فالقرآن جاء بالأدلة العقلية على أكمل وجه ، على أصول الدين من الإلهيات والنبوات والسمعيات وغيرها [٤] .

وقال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « إن السمع حجة الله على خلقه ، وكذلك العقل فهو سبحانه أقام عليهم حجته بما ركب فيهم من العقل وأنزل إليهم من السمع ، والعقل الصريح لا يتناقض في نفسه كما أن السمع الصحيح لا يتناقض في

---

(١) انظر : منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السُّنَّة والجماعة / عثمان بن علي حسن (١ / ١٧٨) ــ مكتبة الرشد ــ الرياض ــ السعودية ــ ط الثانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل / لابن تيمية ــ تحقيق / محمد رشاد سالم (١ / ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣) بتصرف ، ومجموع الفتاوى (٣ / ٢٩٩ ، ٣٠٠) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢ / ٣٧) .

(٤) انظر : المصدر السابق (٣ / ٢٩٦ ـ ٢٩٨) .

نفسه ، وكذلك العقل مع السمع ، فحجج الله وبيناته لا تتناقض ولا تتعارض ولكن تتوافق وتتعاضد .. » (١) .

والدليل الذي يحتج به عند السلف هو الدليل الشرعي الذي أثبته الشرع ، واحتج به وأمرا لناس أن يحتجوا ويستدلوا به ، لا فرق في ذلك بين الدليل السمعي الخبري ، أو السمعي العقلي الموافق لصريح المعقول ، الذي تُعلم صحته بالعقل .

ومع هذه المكانة التي يعطيها أهل السُّنَّة للعقل إلا أنهم يجعلونه تابعاً للنقل فإذا تعارض لديهم النقل مع العقل قدموا النقل على أنه لا يمكن أن يتعارض نقل صحيح مع عقل صريح .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « فيأخذ المسلمون جميع دينهم من الاعتقادات والعبادات ، وغير ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ، وليس ذلك مخالفاً للعقل الصريح فإن ما خالف العقل الصريح فهو باطل ، وليس في الكتاب والسُّنَّة والإجماع باطل ، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس ، أو يفهمون منها معنى باطلاً ، فالآفة منهم لا من الكتاب والسُّنَّة » (٢) .

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ : مبيناً المنهج الوسط الذي عليه السلف تجاه العقل الموافق لصحيح المنقول ، وصريح المعقول ما لفظه : « بل العقل شرط في معرفة العلوم ، وكمال وصلاح الأعمال ، وبه يكمل العلم والعمل ، لكنه ليس مستقلاً بذلك لكونه غريزة في النفس ، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين ، فإذا اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار .

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها ، وإن عُزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه : أموراً حيوانية ، قد يكون فيها محبة ووجْدٌ ، وذوق كما قد يحصل للبهيمة . فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة ، والأقوال

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة / لابن القيم ـ د/علي بن محمد الدخيل الله (٣ / ١١٨٧) .
(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ٤٩٠) .

المخالفة للعقل باطلة ، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه ، ولم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه » (١) .

فسلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان سلكوا المنهج الوسط في الاحتجاج بالعقل لم يعطوه السلطة ليكون حاكماً على الوحي كما فعل المتكلمون ، ولم يهملوه كما فعل الصوفية، بل احتجوا به واشترطوا لذلك أن يكون موافقاً لصحيح المنقول، فمتى كان كذلك يحتج به مع النقل الصحيح .

فهو عبارة عن دليل من أدلة المعرفة عامة ، والدينية منها خاصة ، والوحي جاء بالأدلة العقلية صافية من كل كدر ، ومسائل الاعتقاد وردت بها النصوص وبأدلتها العقلية وما على العقل إلا فهمها وعقلها .

فهذا المنهج المبني على التسليم لوحي الله تعالى عن فهم ودراية لا يسلكه إلا من اقتنع بموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، إذ لو قامت في ذهنه أدنى معارضة لما حصل له هذا التسليم .

ويذكر الإمام الدارمي(٢) ـ رحمه الله ـ منهجه تجاه العقل والرد على أهل الكلام الذين عارضوا الوحي بشبهاتهم فيقول : « ... فحين رأينا المعقول اختلف منا ومنكم ومن جميع أهل الأهواء،ولم نقف له على حد بين في كل شيء ، رأينا أرشد الوجوه وأهداها أن نرد المعقولات كلها إلى أمر رسول الله ﷺ والحق المعقول عند أصحابه المستفيض بين أظهرهم ، لأن الوحي كان ينزل بين أظهرهم ، فكانوا أعلم بتأويله منا ومنكم،وكانوا مؤتلفين في أصول الدين ، لم يتفرقوا فيه، ولم تظهر فيهم البدع والأهواء.. ، فالمعقول عندنا ما وافق هديهم ، والمجهول ما خالفهم ، ولا

---

(١) المصدر السابق (٣ / ٣٣٨ ، ٣٣٩) ، وانظر : الصواعق المرسلة / لابن القيم (٤ / ١٢٧٧) .

(٢) هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، الإمام العلامة، الحافظ ، الناقد ، ولد سنة ٢٠٠هـ من مصنفاته : (الرد على الجهمية ، رد الإمام عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد).توفي سنة ٢٨٠ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٣ / ٣١٩ وما بعدها) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٢ / ١٧٦) المجلد الأول ، الأعلام / للزركلي (٤ / ٢٠٥) .

سبيل إلى معرفة هديهم وطريقتهم على هذه الآثار... »[١] .

فالمعقول الصريح عند أهل السُّنَّة والجماعة ما وافق هدي رسول الله ﷺ وهدي أصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين ـ وما خالف ذلك مما يدعيه المتكلمون أنه معقول فهو شبهات وجهالات مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان فلا تتفق مع الوحي فضلاً عن أن تتقدم عليه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « ما عُلِمَ بصريح العقل لا يُتَصَوَّر أن يعارضه الشرع البتة ، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط »[٢] .

وقال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « ونحن نعلم قطعاً أن الرسل لا يخبرون بمحال العقول وإن أخبروا بمحارات[٣] العقول، فلا يخبرون بما يحيله العقل»[٤] .

وقال ابن أبي العز الحنفي ـ رحمه الله ـ : « فلا يُتصوَّرُ أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبداً »[٥] .

وقال الإمام السفاريني ـ رحمه الله ـ : « فمذهبنا هوما وافق صحيح المنقول وصريح المعقول ، الذي يجمع ما في الأقوال المختلفة من الصواب ، ويجتنب ما فيها من الخطأ والارتياب ، وهذا هو مذهب سلف الأمة ، وسائر الأئمة ، وهو الذي يدل عليه الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف »[٦] .

وهناك أسباب تؤدي إلى عدم توافق العقل مع النقل هي :

أولاً : الإتيان بأحاديث وآثار موضوعة مكذوبة على الرسول ﷺ يعلم بالعقل

---

(١) الرد على الجهمية / للإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ص٦٦ ، ٦٧) ـ منشورات المكتب الإسلامي ـ ط الثانية (١٣٨١هـ- ١٩٦١م)، وانظر : شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة / للالكائي (١ / ٢٠) بنحو هذا .

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١ / ١٤٧) .

(٣) بمحارات العقول : ما يحار فيه العقل وتحصل فيه الحيرة لضعفه فلا يستطيع فهمه ابتداءً .

(٤) الصواعق المرسلة (٣ / ٨٢٩ ، ٨٣٠) ، درء تعارض العقل والنقل / لابن تيمية (١ /١٤٧) .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (١ /٢٢٧)

(٦) لوامع الأنوار البهية (١ / ٢٨) .

الصريح بطلانها وثبوت نقيضها .

ثانياً : أن يكون النقل صحيحاً لكن تكون الدلالة المستنبطة منه ضعيفة ، وذلك نتيجة الفهم القاصر للنص .

ثالثاً : أن يكون العقل فاسداً يتبع الشبهات والهوى ، فإذا كان الأمر كذلك فلا يمكن التوافق بين العقل والنقل أبداً (١) .

فعلى المسلم أن يسلك المنهج المستقيم المبني على الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة بفهم صحيح ليتم له المعرفة والموافقة بين العقل الصريح والنقل الصحيح ، وبدون ذلك لا يمكن أن يتفق العقل مع وحي الله وشرعه ، وذلك لأن عقول الناس متفاوته(٢)، ولا سبيل إلى الجمع بينها إلا بردها إلى وحي الله تعالى .

---

(١) انظر : منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل / لجابر إدريس علي أمير (١ / ١٦٤) ـ دار أضواء السلف الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م (.

(٢) قد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ تعالى ـ هذا الموضوع تفصيلاً في كثير من مؤلفاته منها :
[أ] درء تعارض العقل والنقل .
[ب] نقض المنطق .
[ج] الرد على المنطقيين .
[د] بيان تلبيس الجهمية أو (نقض تاسيس الجهمية) .
[هـ] بغية المرتاد .
[و] موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، وكذلك تلميذه ابن القيم له : الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة .

المطلب الخامس

الفطرة السليمة

إن الله ـ عز وجل ـ فطر الناس على الدين الحق ، أي أنه ـ تعالى ـ خلقهم على محبته ورجائه ، وعبادته وأن هذه الفطرة لو خليت وعُدِمَ المعارض ، لبقيت على حالتها من السلامة ، والاستقامة، ولكن قد يعرض للفطرة ما يغيرها ، ويحولها إلى ملل الكفر والشرك ، وعليه فمسائل الدين موافقة لفطر الناس ـ قبل التغيير والتحويل ـ لا تجد مسألة منها إلا وفي الفطرة ما يشهد لها بالصحة والسلامة ، ومن ذلك نجد أن الفطرة تدلّل على توحيد الربوبية « فالفطر تعرف الخالق بدون الآيات والأدلة العقلية ، لأن معرفة الدليل تستلزم تصور المدلول عليه قبل ذلك ، كما أن معرفة الاسم تقتضي تصور المسمى من قبل، حتى تمكن المطابقة وتتم المعرفة »[1] .

والقلوب مفطورة على الإقرار به سبحانه أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات ، كما قالت الرسل : ﴿ **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [إبراهيم : ١٠] .

« ولذلك قال كثير من العقلاء والعلماء والأولياء ــ إن العلم بالخالق ــ ضروري لا يحتاج إلى نظر ، وقال آخرون إنما يحتاج إلى تذكر يوقظ من سنة الغفلة كتذكر الموت الذي تقع الغفلة عنه وهو ضروري حتى قال الله تعالى في مخاطبة العقلاء : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ** ﴿١٥﴾ ﴾ [المؤمنون : ١٥] »[2] .

ونجد أن دليل الفطرة يدلّل على توحيد الألوهية والأسماء والصفات ، « فالخلق

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٤٨) بتصرف .

(٢) إيثار الحق على الخلق / لابن الوزير المرتضى اليماني (ص٤٢) ، ودلائل التوحيد / لمحمد جمال الدين القاسمي (ص١٢) ــ مطبعة جمعية النشر والتاليف الأزهرية ــ القاهرة ــ مصر ــ ط الثانية (بدون تاريخ) .

مفطورون على كون الخالق سبحانه أجل وأكبر وأعلى وأعلم وأعظم ، وأكمل من كل شيء، فهذا مستقر في فطر الناس،وهو ضروري في حق من سلمت فطرته »[١] .

« ومن الفطرة الإقرار لله ـ تعالى ـ بالكمال المطلق ، الذي لا نقص فيه من وجه من الوجوه ، وكذلك في الفطرة تنزيهه عن النقائص والعيوب » [٢]، ودلالة الفطرة على توحيد الألوهية أصل مستقر في الفطر إذ يستحيل أن يكون لهذا العالم إلهان معبودان يقصدان بالدعاء ، والذل والمحبة والإخلاص.وكذلك علو الله على خلقه وغيرها.

ويرى الشيخ عبدالرحمن المعلمي[٣] **ـ رحمه الله ـ :** « إن العقيدة السلفية إنما تؤخذ وتبنى على الفطرة والشرع ، وأن المراد بالشرع : الكتاب والسُّنَّة ، والمراد بالفطرة : الشعور الفطري ، والهداية الفطرية ، والنظر العقلي العادي وهو الذي يتيسر للأميين ونحوهم ممن لم يعرف علم الكلام والفلسفة ، وهو الذي اعتدت به الشرائع وبنت عليه التكاليف ودعت إليه وحضت عليه . والله تعالى أعدَّ العقول العادية لإدراكه وأعّد لها ما يُسددها فيه من الفطرة والآيات الظاهرة في الآفاق والأنفس ، ثم أكمل ذلك بالشرع ، فإذا انقاد العقل العادي للشرع ، وامتثل هداه واستضاء بنوره فقد أمن ما يخشىٰ من قصور .

والميسر للناس قبل الشرع المأخذ الأول ، وهو الفِطر والنظر العقلي العادي ، والله سبحانه إنما خلق الناس لعبادته ، وهو سبحانه الحكيم العليم القدير . . . وقد خلقهم على الهيئة التي ترشحهم لمعرفته ومعرفة ما فُرض عليهم الإيمان به ، لأن ذلك رأس

---

(١) مجموع الفتاوى (٦ / ٧٢ ، ٧٣) بتصرف .

(٢) شفاء العليل لابن القيم (ص٤٠٤) ـ مكتبة المعارف ـ مطابع دار الكتاب العربي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون

(٣) عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العُتْمي ، نسبته إلى (بني المعلم) من بلاد عتمه اليمن ولد ونشأ في عتمة سنة ١٣١٣هـ ، كان إماماً ، فقيهاً ، عالماً ، عُين أميناً لمكتبة الحرم المكي سنة ١٣٧٢هـ ، من مصنفاته : (التنكيل لما في تانيب الكوثري من الأباطيل ، والقائد إلى تصحيح العقائد) وغير ذلك ، توفي بمكة المكرمة سنة ١٣٨٦هـ . انظر : الأعلام / للزركلي (٣ / ٣٤٢) ، معجم المؤلفين / كحالة (٢ / ١٢٦) برقم / ٧٠٦٩ .

العبادة وأساسها ، ولا نزاع بأن الميسر للناس قبل الشرع هو المأخذ الأول فلابد أن يكون فيه ما يغني فيما يثبت به الشرع بعد تنبيه الشرع ، ثم يكون فيه وفي الشرع ما يكفي لتحصيل القدر المطلوب منهم » (١) .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « إن الله سبحانه منح عباده فطرة فطرهم عليها ، لا تقبل سوى الحق ولا تؤثر عليه لو تركت ، وأيدها بعقول تفرق بين الحق والباطل، وكملها بشرعة تفصل لها ماهو مستقر في الفطرة، وأدركه العقل مجملاً ، فالفطرة قابلة والعقل مُزكٍ والشرع مبصر لما هو مركوز في الفطرة مشهود أصله دون تفاصيله بالعقل » (٢) .

ولعلم السلف أن الرسول ﷺ لم يات بشرع يحيله العقل ويعلم امتناعه ، وإنما جاء ﷺ بما يحار فيه العقل ويتعجب من حسنه .

والمقصود هنا بيان أن الإسلام بعقائده وشرائعه هو دين الفطرة . فكل مسألة من مسائله يوجد في الفطرة ما يؤيدها ويشهد لصحتها ، إما صراحة وذلك في الأصول الكبار أو إحالة بمعنى أن الفطرة لا تنفرد من ذلك ، وهذا في تفاصيل تلك الأصول ، قوله تعالى : ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم : ٣٠] .

فخلاصة القول من هذا المبحث أن مصادر التلقي والاستدلال عند السلف الصالح أهل السُّنَّة والجماعة التي يحتجون بها،ويرجعون إليها عند الاختلاف ، ويردون إليها عند التنازع ، وينزلون على حكمها ، ويعتمدون عليها في العلم والعمل هي :

المصدر الأول : كتاب الله تعالى .

المصدر الثاني : السُّنَّة النبوية الشريفة وهي هدي رسول الله ﷺ خير الهدي ، ولا

---

(١) القائد إلى تصحيح العقائد / للمعلمي ـ تعليق الألباني (ص٣٩، ٤٠) ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤٠٤هـ) .

(٢) الصواعق المرسلة / لابن القيم (٤ / ١٢٧٧ ، ١٢٧٨) .

هدي خير منه ، وهي التي تفسر القرآن وتبينه ، وهي مثل القرآن في الحجة ولا تناقضه .

المصدر الثالث : الإجماع . إجماع المسلمين ، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

المصدر الرابع : العقل الصحيح وذلك عند موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول وإلا فلا يعتبر مصدراً يعتمد عندهم إذا كان غير ذلك .

المصدر الخامس : الفطرة السليمة التي لا تخالطها أفكار ومعتقدات باطلة .

المصدر الرابع والخامس: تابعان لما قبلهما ولا ينفردان عند الاستدلال بهما .

المبحث الثالث

موقفهم من شفاعة الرسول ﷺ لأمته

وفيه:

المطلب الأول

موقفهم من الشفاعة العظمى والشفاعة لأهل الكبائر

الفرع الأول : موقفهم من الشفاعة العظمى :

يؤمن أهل السُنَّة والجماعة بالشفاعة العظمى وهي عبارة عن الشفاعة العامة لجميع أهل الموقف وهي من خصائص النبي ﷺ كما بيَّنا سابقاً .

فهي شفاعة لفصل القضاء بين الخلائق مؤمنهم وكافرهم ثم يحاسبون كل على عمله .

الفرع الثاني : موقفهم من الشفاعة لأهل الكبائر :

من عقيدة أهل السُنَّة والجماعة أنهم يؤمنون ويقرون بالشفاعة لأهل الكبائر يوم القيامة من النبي ﷺ ومن إخوانه من الأنبياء والصالحين والأولياء ، وقد ثبتت أحاديث صحيحة متواترة تؤكد خروج أقوام من النار بعد أن يمحصوا ثم يدخلون الجنة .

فيعتقد أهل السُنَّة والجماعة بأن عصاة الموحدين الذين استحقوا دخول النار جزاء بعض المعاصي التي ارتكبوها أنهم يخرجون منها ولا يخلدون فيها وأن نبينا محمداً ﷺ يشفع فيهم يوم القيامة .

فعندأهل السُنَّة والجماعة أنها لأهل الكبائر من الأمة لقوله ﷺ : « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** »(١). ولقوله تعالى : ﴿ **وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**

(١) سبق تخريج الحديث ص ٢١٩ .

وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] ، أي ولذنب المؤمنين لدلالة القرينة وطلب المغفرة شفاعة وقد ورد أن النبي ﷺ « **خُيِّر بين أن يدخل نصف أمته الجنة وبين الشفاعة ، فاختار الشفاعة** » (١) . وغيرها من الأحاديث المتواترة بوقوع الشفاعة يوم القيامة وقد سبق أن ذكرنا جملة منها .

والآيات الدالة على الشفاعة كثيرة : منها قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً** (١٠٩) ﴾ [طه : ١٠٩]، وقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ** ﴾ [سبأ : ٢٣] .

قال الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ : « فنص تعالى على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له فيها ورضي قوله ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد ﷺ لأنه أفضل ولد آدم ﷺ . . فقد صحت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فصح يقيناً أن الشفاعة التي أبطلها الله ـ عز وجل ـ هي غير الشفاعة التي أثبتها ـ عز وجل ـ وإذ لا شك في ذلك فالشفاعة التي أبطل ـ عز وجل ـ هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار، قال تعالى : ﴿ **لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا** ﴾ [فاطر: ٣٦] . فقد صح يقيناً أن الشفاعة التي أوجب الله ـ عز وجل ـ لمن أذن له واتخذ عنده عهداً ورضي قوله فإنما هي لمذنبي أهل الإسلام » (٢) .

وقال ـ رحمه الله ـ : « وذهب أهل السُّنَّة . . . إلى القول بالشفاعة » (٣) .

وقال ـ رحمه الله ـ : « وإن شفاعة رسول الله ﷺ في أهل الكبائر من أمته حق فيخرجون من النار ويدخلون الجنة . قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥] » (٤) .

---

(١) سبق تخريج الحديث ٢٢٨ .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل / لابن حزم ـ تحقيق : عبد الرحمن عميره وآخر(٤ / ١١٢-١١٣) .

(٣) المصدر السابق (٤ / ١١١) .

(٤) علم الكلام على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة / لابن حزم ـ تحقيق : الدكتور / أحمد حجازي السَّقا (ص٤٦) ـ دار الجيل ـ بيروت ، والمكتبة الثقافية ـ القاهرة ـ ط الثانية (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م) .

وقال الإمام ابن خزيمة ـ رحمه الله ـ : « إن شفاعة النبي ﷺ .. أنها لأهل الكبائر » (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « ثم اتفق أهل السُّنَّة والجماعة أنه ﷺ يشفع في أهل الكبائر » (٢) .

وقال الإمام الصابوني ـ رحمه الله ـ : « ويؤمن أهل الدين والسُّنَّة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبي أهل التوحيد ومرتكبي الكبائر كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ » (٣) .

وقال الإمام الأشعري ـ رحمه الله ـ : « وقال أهل السُّنَّة والاستقامة بشفاعة رسول الله ﷺ لأهل الكبائر من أمته » (٤) ، فالشفاعة لأهل الكبائر حق يؤمن بها أهل السُّنَّة والجماعة كما آمن بها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) التوحيد / لابن خزيمة (٢ / ٦٥٩) .
(٢) مجموع الفتاوى (١ / ١٠٨) .
(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث / للصابوني (ص٧٦) .
(٤) مقالات الإسلاميين / للأشعري (٢ / ١٦٦) .

الفصل الثاني

الأشاعرة وموقفهم من الشفاعة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالأشاعرة ، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : من هم الأشاعرة .
- المطلب الثاني : المراحل الاعتقايدة (للأشعري)
  - الفرع الأول : المرحلة الاعتزالية .
  - الفرع الثاني : المرحلة الكلابية .
  - الفرع الثالث : المرحلة السنية .

المبحث الثاني : مصادر الأشاعرة في التلقي والاستدلال

المبحث الثالث : موقف الأشاعرة من شفاعة الرسول ﷺ لأمته : وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : موقفهم من الشفاعة العظمى .
- المطلب الثاني : موقفهم من الشفاعة لأهل الكبائر .

المبحث الأول

التعريف بالاشاعرة

المطلب الأول

مَنْ هم الأشاعرة ؟

الأشاعرة : جماعة منتسبون إلى أبي الحسن الأشعري ـ رحمه الله تعالى ـ في الاعتقاد(١) .

وقد اتخذ الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاجة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم ، لإثبات حقائق الدين والعقيدة على طريقة ابن كلاب(٢) . (٣)

وكان متأخروهم في الجملة يؤمنون ويثبتون صفات المعاني السبع ويمنعون قيام الصفات الاختيارية بالله تعالى . فالأشاعرة فرقة كلامية إسلامية تنسب إلى أبي الحسن الأشعري في مرحلته الثانية التي خرج فيها على المعتزلة ودعا فيها إلى التمسك بالكتاب والسُّنَّة على طريقة ابن كلاب وهي تثبت بالعقل الصفات العقلية السبع فقط لله تعالى ، وهي (الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر

---

(١) انظر : الملل والنحل ، للشهرستاني (١ / ٨١) .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كُلاّب القطان البصري، أحد أئمة المتكلمين وإليه تنسب الكلابية ، قال عنه الإمام الذهبي : رأس المتكلمين في زمانه بالبصرة ، وصاحب التصانيف في الردّ على المعتزلة ، وهو أول من قال بأن القرآن معنى قائماً بالذات بلا قدرة ولا مشيئة ، وله كتاب : (الصفات ، وخلق الأفعال ، الرد على المعتزلة) ، توفي سنة ٢٤٥هـ . يقال أنه قيل له ابن كُلاّب ، لأنه كان يخطف الذي يناظره . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (١١/ ١٧٤ – ١٧٦) ، لسان الميزان / لابن حجر (٣/ ٣٦٠) برقم / ٤٥٩٢ ، دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، طبقات الشافعية / للسبكي ٢/ ٢٩٩– ٣٠٠) ، الأعلام للزركلي (٤ / ٩٠).

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١ /٨٧) .

والكلام) واختلفوا في صفة البقاء ، أما الصفات الاختيارية والمتعلقة بالمشيئة من الرضا الغضب و الفرح والمجيء والنزول فقد نفوها ، بينما يأولون الصفات الخبرية لله تعالى أو يفوضون معناها .

وهم في القدر مجبرة متوسطة (١) كما يقول الإيجي (٢) ـ رحمه الله ـ .

وفي مسائل الإيمان لهم شبه بالمرجئة في تعريفهم للإيمان، وفي مواقفهم من الصحابة وفي الأمور السمعية الأخروية لا يخالفون أهل السُّنَّة والجماعة .ولما كان الأشاعرة ينتسبون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ويلقبون أنفسهم بأهل السُّنَّة والجماعة فنقول، في العموم عقيدة الاشاعرة تنسب إلى عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة بالمعنى العام في مقابل أهل البدع من الخوارج والشيعة والمعتزلة ، والفلاسفة وغيرهم من فرق الباطنية، فحسناتهم على نوعين كما صرح شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ « إما موافقة أهل السُّنَّة والحديث،وإما الرد على من خالف السُّنَّة والحديث ببيان تناقض حججهم »(٣)،ويقول أيضاً: « منهم من يعظمهم لما لهم من المحاسن والفضائل ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أوسطها »(٤).

وقال ـ رحمه الله ـ : « فإن لهم حسنات وفضائل وسعياً مشكوراً وخطأهم بعد

---

(١) وصف الإمام الإيجي الأشاعرة بالتوسط في الجبر،لأنهم أثبتوا للعبد قدرة تقارن العمل وإن لم تؤثر فيه ، بخلاف الجبرية الغلاة وهم الجهمية الذين لا يثبتون قدرة أصلاً . والتحقيق أنهما متفقان إذ لا معنى لإثبات قدرة غير مؤثرة ، ونص كلامه : « والجبرية ، متوسطة : تثبت للعبد كسباً كالأشعرية ، وخالصة لا تثبته كالجهمية » . انظر : المواقف في علم الكلام / للقاضي : عبد الرحمن الإيجي (ص٤٢٨) . عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار عَضُد الدِّين الأيجي الشافعي ، عالم بالأصول العربية ، من أهل إيج بفارس ، ولي القضاء فترة ، وجرت له محنة فمات مسجوناً ، له مصنفات ، منها : (المواقف في علم الكلام ، شرح مختصر ابن الحاجب) وغيرها ، ولد سنة ٧٠٨هـ ، وتوفي سنة ٧٥٦هـ . انظر : طبقات الشافعية / للسبكي (١٠ / ٤٦ ، ٤٧) ، الدرر الكامنه / لابن حجر (٢ / ٣٢٢ ، ٣٢٣)، الأعلام / للزركلي (٣ / ٢٩٥) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٦ / ١٧٤ ، ١٧٥) المجلد الثالث .

(٣) مجموع الفتاوى (٤ / ١٢)

(٤) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٢ / ١٠٢) .

الإجتهاد مغفور » (١) .

وقال ـ رحمه الله ـ: « فإن الواحد من هؤلاء له مساع مشكورة في نصر ما نصره من الإسلام ، والرد على طوائف من المخالفين لما جاء به الرسول ﷺ ، فحمدهم والثناء عليهم بما لهم من السعي الداخل في طاعة الله ورسوله ، وإظهار العلم الصحيح ... وما من أحد من هؤلاء ومن هو أفضل منهم إلا وله غلط في مواضع » (٢) .

فقد أنصف شيخ الإسلام ابن تيمية أعلام الأشاعرة،على الرغم من مناقشته الشديدة لهم، إلا أنه ذكر ما عندهم من إيجابية وما لهم من جهودٌ عظيمة في خدمة الإسلام والدفاع عنه، فلهؤلاء الأعلام ـ على أخطائهم ـ جهودٌ لا تنكر في الجهاد في سبيل الله،والدفاع عن العقيدة، والرد على أعدائها من الملاحدة والمتفلسفة والرافضة وغيرهم ، وهي جهود تكون في موازينهم يوم القيامة ولا يحرمون أجرها عند الله تعالى(٣) .

ولكن توضيحاً لهذا الأمر ـ أي انتساب الأشاعرة إلى أبي الحسن الأشعري ـ لابد أن نقدم بياناً لمعتقد الإمام أبي الحسن الأشعري حتى نكون على علم ومعرفة بصحة النسبة إلى أهل السُّنَّة والجماعة من عدمها فقد مر الإمام الأشعري بمراحل اعتقادية نذكرها في المطلب الآتي :

---

(١) كتاب النبوات/ لابن تيمية (ص٢٢٠) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) ، وانظر : در تعارض العقل والنقل / لابن تيمية ٢/١٠٢) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل / لابن تيمية (٨/٢٧٥) .

(٣) انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة / لعبد الرحمن بن صالح المحمود (٢/٧١٠) مكتبة الرشد ـ الرياض السعودية ـ ط الثانية (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م) .

المطلب الثاني

المراحل الاعتقادية (للأشعري)

الفرع الأول : المرحلة الاعتزالية :

وهذه المرحلة كان سببها ملازمته لشيخه أبي علي الجبائي[١] ، زوج أمه واستمر على الاعتزال إلى سن الأربعين ، ثم فارقه لما لم يجد إجابات كافية في مسألة الصلاح والأصلح على الله تعالى ، وقيل إنه رأى النبي ﷺ مناماً وأمره أن يروي العقائد المروية عنه لأنها الحق ، ولهذا اعتمد الأدلة النقلية في تقرير العقائد[٢] .

الفرع الثاني : المرحلة الكلابية :

عاش أبو الحسن الأشعري في آخر المرحلة الإعتزالية حيرة كبيرة ، وقد اختفى مدة عن الناس خالياً بنفسه ليعرف الحق ، ومال إلى طريقة ابن كلاب .

وابن كلاب جاء في زمان كان الناس فيه صنفين : فأهل السُّنَّة والجماعة يثبتون الصفات كلها الذاتية والفعلية ، والجهمية ينكرونها ، فجاء ابن كلاب وأثبت الصفات الذاتية ونفى ما يتعلق منها بالمشيئة فلذلك قرر الأشعري هذه العقيدة .

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، أبو علي، ينسب إلى جبى من نواحي البصرة ، ولد سنة ٢٣٥هـ ، كان من أئمة المعتزلة المشهورين ، ورئيس علماء طائفة أهل الكلام في عصره ، وإليه تنسب الطائفة الجبائية ، وأخذ العلم عنه ابنه أبو هاشم عبد السلام بن محمد ، والأشعري ثم رجع الأشعري عن مذهبه وله معه مناظرات، له مقالات وآراء إنفرد بها ، مما أدى إلى الكلام الشديد عليه من السلف ، له مؤلفات كثيرة ، منها : (كتاب الأصول ، التفسير الكبير) وغيرها، توفي سنة ٣٠٣هـ . انظر : وفيات الأعيان / لابن خلكان (٤ / ٢٦٧ - ٢٦٩) برقم ٦٠٧، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٤ / ١٨٣ ، ١٨٤) ، مقالات الإسلاميين / للأشعري (١ / ٢٣٧) ، الفهرست / لابن النديم (تكملة الفهرست ص٦) دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٢ / ٢٤١) المجلد الأول ، الأعلام / للزركلي (٦ / ٢٥٦) .

(٢) انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري / لابن عساكر) ص٤٠ ، ٤١) ، وطبقات الشافعية الكبرى / للسبكي ـ تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي ـ (٢ / ٢٤٦) .

وقد يمثل هذه المرحلة كتابه (اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع) [١] .
والأشعرية تعد هذه المرحلة آخر مراحل أبي الحسن الأشعري وهذا خطأ .

الفرع الثالث : المرحلة السنية :

هذه المرحلة يمثلها كتاب الإبانة الذي بيَّن في مقدمته الإمام الأشعري أنه ينتسب إلى الإمام أحمد بن حنبل في الاعتقاد . ويمثلها كذلك رسالته إلى أهل الثغر [٢] ، ومقالات الإسلاميين وجميع ما ذكر من المراحل الثلاث ذكره الحافظ ابن كثير في طبقات الفقهاء الشافعيين بقوله: « والحالة الثالثة إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جريا على منوال السلف وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخراً » [٣] .

وقد اختلف الناس في كتاب الإبانة ، فمنهم من أنكر نسبته إلى أبي الحسن الأشعري ، ومنهم من أثبته ولكن يقول إنه صنفه قبل كتاب اللمع الذي يجمع حسب زعمهم ـ بين العقل والنقل في موازنة دقيقة ومطلوبة لتحقيق الوسطية بين طرفين كلاهما مجانب للحق والصواب .

وأما من أنكر نسبة الكتاب فالرد عليه : إن الحافظ ابن عساكر [٤] قد ذكر هذا

---

(١) انظر : وفيات الأعيان / لابن خلكان ـ تحقيق وتعليق / محمد محي الدين عبد الحميد ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون(١٩٤٩م) والخطط للمقريزي (٣ / ٣٠٨) دار التحرير ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون(١٢٧٠هـ).

(٢) لقد وقع الإمام أبو الحسن الأشعري في خطأ في الإجماع التاسع في رسالته إلى أهل الثغر وهو : « تأويله لصفتي الغضب والرضا » فما ذكره مخالف لما عليه سلف هذه الأمة ، ولم يجمعوا مطلقاً على ما ذكره ، لأنهم آمنوا بجميع الصفات ، وفوضوا علم الكيفية إلى الله تعالى . انظر رسالة إلى أهل الثغر (ص٢٣١) .

(٣) طبقات الفقهاء الشافعيين / لابن كثير ـ تحقيق د/ أحمد عمر هاشم ، وآخر (١ / ٢١٠) مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م) .

(٤) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله المعروف بابن عساكر الدمشقي الشافعي، المحدث ، الحافظ ، الفقيه ، المؤرخ ، ولد سنة ٤٩٩هـ في دمشق ، من مصنفاته : (تاريخ دمشق وأخبارها ، تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري) وغيرها ، توفي سنة ٥٧١هـ . انظر : وفيات الأعيان / لابن خلكان (٣ /٣٠٩-٣١١) برقم /٤٤١ ، سير الأعلام / للذهبي (٢٠ /٥٥٤) وما بعدها ، الأعلام / للزركلي (٤ /٢٧٣) .

الكتاب ـ الإبانة ـ في كتابه : تبيين كذب المفتري وجزم بصحة نسبته إلى أبي الحسن الأشعري[١] ، وغيره ممن ألف في الدفاع عن أبي الحسن الأشعري وذِكره نسبة كتاب الإبانة إليه[٢] .

وأما من قال بنسخ كتاب اللمع للإبانة فقوله خطأ - وبيان ذلك -[٣] :

أولاً : إن أبا الحسن نفسه ذكر في كتابه (العمد) في الرؤية الذي ألفه سنة عشرين وثلاثمائة تصانيفه التي صنفها إلى ذلك الوقت فذكر منها كتاب (اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع) (وكتاب اللمع الكبير) (واللمع الصغير) ولم يذكر كتاب (الإبانة) مما يدل على تأخر تأليفه[٤] .

ثانياً : إن الرواية التي ذكرها ابن عساكر عن مرحلة تحول أبي الحسن الأشعري عن الاعتزال تفيد أن أول كتاب ألفه بعد التحول هو كتاب (اللمع) يقول: « الأشعري شيخنا وإمامنا ومن عليه معولنا ، قام على مذهب المعتزلة أربعين سنة ، وكان لهم إماماً ، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال : معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي حق على باطل ولا باطل على حق ، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت اعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا ، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلى الناس فمنها كتاب اللمع ... »[٥] .

ولم يذكر كتاب الإبانة ، وهذه الرواية ترجح أن اللمع هو كتاب التحول من

---

(١) انظر : تبيين كذب المفتري / لابن عساكر (ص٢٨) .

(٢) ألف القاضي ابن القاسم عبد الملك بن درباس الشافعي ، رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري وذكر فيها كتاب الإبانة .

(٣) انظر : منهج أهل السُّنَّة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله / لخالد عبد اللطيف محمد نور (١ / ٣٢ ، ٣٣) ـ مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) .

(٤) انظر : تبيين كذب المفترى / لابن عساكر (ص١٢٨ - ١٣٠) .

(٥) المصدر السابق (ص٣٩) .

الاعتزال إلى منهج ابن كلاب ، والإبانة كتاب العقيدة الأخيرة التي استقر عليها .

قال الحافظ الذهبي - رحمه الله -: « رأيتُ لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكرُ فيها قواعد مذهب السلف في الصفات، وقال فيها: تُمَرُّ كما جاءت ، ثم قال : وبذلك أقول ، وبه أدين ولا تُؤوّل » (١) .

ثالثاً : إن أبا الحسن نفسه ذكر باباً في كتابه مقالات الإسلاميين بعنوان : « هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السُّنَّة ، فأورد فيه عقيدة السلف كما هي في الإبانة ثم عقب في النهاية بقوله : فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله » .

ثم ذكر عقيدة ابن كلاب في الباب الذي يلي هذا البابْ فقال ـ رحمه الله ـ:« **فأما أصحاب عبدالله بن سعيد القطان فإنهم يقولون بأكثر ما ذكرناه عن أهل السُّنَّة** » .

ثم لم يعقب بعد ذلك بانتسابه إلى عقيدته ، بل إنه نفى وجود اتفاق تام بينه وبين ابن كلاب حيث قال عنه وعن جماعته : « فإنهم يقولون بأكثر ما ذكرناه عن أهل السُّنَّة » ،فعدم انتسابه إلى الكلابية وإثباته وجود فرق بين الكلابية وأهل السُّنَّة ، وتصريحه بانتسابه إلى أهل السُّنَّة ، دليل على أنه استقر أخيراً على منهج أهل السُّنَّة والجماعة .

رابعاً : إن أبا الحسن الأشعري أنكر في كتابه الإبانة تفسير الاستواء بالاستيلاء ، وقرر أنه مذهب المعتزلة والجهمية والحرورية ، كذلك أثبت لله سبحانه الوجه والعين والبصر واليدين على قول أهل السُّنَّة ، رافضاً التأويل باعتباره سبيل الفرق الزائغة عن الحق وباعتبار أن نتائج منهج التأويل باطلة ومخالفة لعقيدة السلف، بل إنه قدم الأدلة النقلية والعقلية على فساد هذه التأويلات ، فلا يعقل إذاً رجوعه إلى عقيدة التأويل ولا يعلن رجوعه عن عقيدته في الإبانة إلى عقيدة اللمع التي يُظن بأنها تمثل الأشعرية الكلابية ، وهذا الظن سببه أنه اقتصر في اللمع على ذكر الصفات التي لا

---

(١) سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٥ / ٨٦) .

يثبت غيرها الأشعرية(١) .

فبهذا يتضح أن المذهب المنسوب إلى الأشعري اليوم والذي عليه الأشاعرة لا يمثل إلا المرحلة الثانية التي عاش فيها سالكاً طريقة ابن كلاب المركبة من كلام السلف وأصول الجهمية (٢) .

ذلك لأن متاخري الأشعرية حسبوا المرحلة الثانية آخر مراحل أبي الحسن الأشعري، ومن هنا يطلق على الأشعرية بأنهم كلابية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :« وابن كلاب إمام الأشعرية » (٣) .

وكبار الأشاعرة اعترفوا بأن ابن كلاب من شيوخهم ومؤسس أصولهم(٤) .

فإظهار عقيدة السلف كان في كتبه المتأخرة مثل : (الإبانة ، ورسالته إلى أهل الثغر ، ومقالات الإسلاميين ، والموجز الكبير)(٥) . وبهذا يعلم أن انتساب الأشعرية إلى أبي الحسن الأشعري نسبة غير صحيحة لأنها نسبة إلى مرحلته الثانية التي رجع عنها .

وقد نقل عنه في كتبه إثباته لعقيدة السلف دون مخالفة فقد قال ـ رحمه الله ـ وهو يبين إجماع أهل السُّنَّة في صفات الله تعالى : « وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض ولا تكييف له ، وأن الإيمان به واجب ، وترك التكييف له لازم » (٦) .

---

(١) انظر : كتاب القضاء والقدر في الإسلام / لفاروق أحمد الدسوقي (٢ / ٣١٧ ، ٣١٨) المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .

(٢) مجموع الفتاوى / لابن تيمية (١٦ / ٤٧١) بتصرف .

(٣) المصدر السابق (١٢ / ٢٠٢) .

(٤) انظر : درء تعارض العقل والنقل / لابن تيمية (٦ / ١٢١) .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى(١٢ / ٢٠٣) .

(٦) رسالة إلى أهل الثغر / للاشعري (ص٢٣٦) .

المبحث الثاني

مصادر الاشاعرة في التلقي والإستدلال

إن أسلوب القرآن والسُّنَّة هو الأسلوب اليقيني للوصول إلى حقيقة توحيد الله وصفاته وغير ذلك من أمور العقيدة ، ومما يعتقد أهل السُّنَّة والجماعة أن أول واجب على المكلفين هو عبادة الله ـ عز وجل ـ وحده لا شريك له ، بدليل الكتاب والسُّنَّة والإجماع ، وأن معرفة الله تعالى أمر فطري مركوز في النفوس وأن العقل لا يستقل بذاته حتى يكون من مصادر التلقي والاستدلال وإنما يعتمد على النقل الصحيح الصريح ، بينما نص الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ أن القول بأن النظر والاستدلال أول الواجب على المكلف هوما تبقى من مخلفات المعتزلة في مذهب الأشاعرة (١).

فنجد أن مصادر الأشاعرة في التلقي والإستدلال خالطها شيء من علم الكلام ، أو نقول الاعتماد الأكثر على علم الكلام الذي شغف الكثير منهم به وكان في عصر المأمون(٢) الأثر الأكبر، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ « أن المأمون عرَّب كتب أهل الضلال من الفلاسفة والصابئة وغيرهم » (٣) ، وقد كان المأمون يعطي العطايا والهبات إلى من يقوم بترجمة كتاب من كتب الفلاسفة ، وكان يُجِلُّ

---

(١) انظر : فتح الباري (١ / ٨٩) ، (١٣ / ٣٦١) .

(٢) هو الخليفة أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن ابي جعفر المنصور العباسي ، ولد سنة ١٧٠هـ ، قرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل ، دعا إلى القول بخلق القرآن مات سنة ٢١٨هـ ، وله ٤٨ سنة بالبذندون (قرية من قرى الثغر بينها وبين طرسوس مسيرة يوم) . انظر : تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي (١٠ / ١٨٣ وما بعدها) برقم / ٥٣٣٠ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٠ / ٢٧٢-٢٨٩) ، تاريخ الخلفاء / للسيوطي (ص٢٤٩ وما بعدها)، الأعلام / للزركلي (٤ / ١٤٢) .

(٣) انظر : كتاب نقض المنطق / لابن تيمية ــ تصحيح / محمد حامد الفقي (ص١٩) ــ مكتبة السُّنَّة المحمدية ــ القاهرة ــ مصر ــ ط بدون ، بيان تلبيس الجهمية / لابن تيمية ــ تصحيح وتعليق / محمد بن عبد الرحمن قاسم (١ / ٣٢٣) .

أهل الكلام[١] .

« فمنهج أهل الكلام[٢] يخالف منهج الكتاب والسُّنَّة في طريقة عرض مسائل العقيدة ، إذ ان المتكلمين عرضوا مسائلهم بمنهج كلامي وفي قالب فلسفي جدلي ، يحوطه التعقيد والجفاف والتخليط ، مما جعل ما يسمى بعلم الكلام غريباً غربة كاملة على الإسلام وطبيعته، وحقيقة منهجه وأسلوبه، الأمر الذي صرف كثيراً من الناس عن إدراك حقيقة العقيدة الصافية السهلة الواضحة، التي تعمق فيهم روح الإيمان، وحقيقة الاتصال بالله تعالى وتوحيده،وصرف كثيراً من الناس إلى الخوض في مسائل ما أنزل الله بها من سلطان،ولم يكلفوا بمعرفتها، فضلاً عن اعتقادها »[٣] .

ولقد ترك السلف علم الكلام وحذروا منه خوفاً من الفتنة في الاعتقاد ،وذلك لإيمانهم بأن الكتاب والسُّنَّة كافيان ووافيان بما يحتاجه الناس من العقائد الصحيحة ،ودفع الشكوك والشبهات عنهم كما قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥١] [٤] .

فمصادر الأشاعرة في التلقي والاستدلال هي :

المصدر الأول : الكتاب العزيز.

المصدر الثاني : السُّنَّة النبوية المطهرة .

ولكن يأخذونهما مَصْدرَين للتلقي على مقتضى قواعد علم الكلام ولذلك

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٠ / ٢٧٢ ، ٢٧٣) .

(٢) أهل الكلام : لا يقتصر هذا اللقب على الأشاعرة فقط بل يشمل المعتزلة ، والجهمية وغيرهم ، ولكن الأقرب إلى السُّنَّة هم الأشاعرة كما بيّنا في بحثنا هذا . فمن أهل الكلام من اتخذ منهجاً ومنطلقاً له وخالف الكتاب والسُّنَّة عن علم وبصيرة ، ومنهم من سلك علم الكلام مع بقاء تعظيمه لنصوص الشرع ونصرته للحق كأكثر أئمة الأشاعرة ـ رحمهم الله ـ فالفرق واضح .

(٣) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته / لسيد قطب (ص١١-١٦) ـ دار الشرق ـ بيروت ـ لبنان ـ ط / العاشرة (١٤٠٨هـ) ، والمعتزلة بين القديم والحديث / لمحمد العبده ـ وطارق عبد الحليم (ص١٧-٢١) ـ دار الأرقم ـ برمنجهام ـ بريطانيا ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م) .

(٤) انظر : صون المنطق والكلام عن فنّ المنطق والكلام / لجلال الدين السيوطي (ص٣٠ ، ٣١) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

فإنهم يقدمون مصدر العقل على النقل عند التعارض ، ويجعلونه حاكماً على الكتاب والسُّنَّة ويردون على ما خالفه من المعاني(١) .

ومن ذلك ما ذكره بعضهم بأن ما يتوقف عليه النقل مثل وجود الله وإثبات النبوة فإنه لا يصلح إثباته بدليل النقل، ولذلك فإنه لا يثبت إلا بالدليل العقلي(٢).

فنجد أن الأشاعرة ، والماتريدية يسقطون حجية صحيح المنقول في كثير من مسائل الإعتقاد ، ويقدمون عليه معقولاتهم وشبهاتهم العقلية ، فالمتواتر عندهم ظني الدلالة ، لا يحتجون به مالم يوافق العقل حسب زعمهم . وأما أخبار الآحاد فهي عندهم ظنية الثبوت والدلالة ، ولا يستدلون بها في المسائل العلمية الاعتقادية ولو كانت صحيحة الإسناد .

وفي ذلك يقول أبو منصور البغدادي ـ رحمه الله ـ : « وأخبار الآحاد متى صحَّ إسنادها وكانت متونها غير مستحيلة في العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم ... » (٣) .

ويشترط أبو المعالي الجويني ـ رحمه الله ـ : « للاحتجاج بصحيح المنقول أن يكون قطعياً ، موافقاً للحجج العقلية ، فمتى توفر هذا الشرطان جاز الإحتجاج به وتكون حجيته تابعة لحجية معقولاتهم التي وصفوها بأنها قطعيات » (٤) .

كما يشترط أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ للاحتجاج بأحاديث الصفات « أن

---

(١) انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة / للدكتور : سفر الحوالي (ص١٨) ـ مركز الصديق العلمي ـ صنعاء ـ اليمن ـ ط الثانية (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) ، وانظر : موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسُّنَّة / سليمان الغصن (١ / ٩١) ـ دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م) ، ونقض المنطق / لابن تيمية (ص٤٩) ، ودرء تعارض العقل والنقل (١ / ٦) .

(٢) المواقف في علم الكلام / للإيجي (ص٣٩) .

(٣) أصول الدين الإسلامي للبغدادي (ص١٢) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ط الأولى (١٤٠٦هـ) .

(٤) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد / للجويني (ص٣٠١ ، ٣٠٢) بتصرف .

تكون قطعية ، وأن تكون مما يجوزها العقل ، فإن فقد هذان الشرطان أو أحدهما فمصيرها إلى التأويل لتوافق حجج العقول »[١] .

فبهذا نجد أن مقصود المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم أنهم يعتبرون الحجة في معقولاتهم التي سموها قطعيات وأن حجية صحيح المنقول في معظم مسائل الاعتقاد ظنية، إلاّ أن الأشاعرة والماتريدية[٢] يحتجون بصحيح المنقول في أمور الآخرة التي سموها سمعيات ، وفي إثبات صفات المعاني ، وإن كان الأصل عندهم في صفات المعاني العقل .

فالأشاعرة يقسمون أصول العقيدة بحسب مصدر التلقي إلى ثلاثة أقسام[٣]:

القسم الأول : مصدره العقل وحده :

وهو معظم الأبواب ومنه باب الصفات ولهذا يسمون الصفات التي تثبت بالعقل (عقلية) وهذا القسم يحكم العقل بوجوبه دون توقف على الوحي عندهم .

أما ما عدا ذلك من صفات خبرية دل عليها الكتاب والسُّنَّة فإنهم يؤولونها .

القسم الثاني : مصدره العقل والنقل معاً :

كإثبات الرؤية لله ـ عز وجل ـ في الآخرة على خلاف بينهم فيها . وهذا القسم هوما يحكم العقل بجوازه استقلالاً أو بمعاضدة الوحي .

---

(١) الإقتصاد في الاعتقاد / للغزالي (ص١٣٢ ، ١٣٣) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٣هـ ٠ ١٩٨٣م) .

(٢) الماتريدية نسبة إلى أبي منصور الماتريدي ، وهم فرقة مصدرهم في تلقي الإلهيات والنبوات العقل ، ولم يثبتوا إلا ثمان صفات،رأوا أن العقل دل عليها دون غيرها وقد نفوا جميع الصفات الخبرية والاختيارية، ويرون أن الإيمان هو التصديق وبعضهم يضم إليه الإقرار باللسان ، ونفوا زيادة الإيمان ونقصانه وحرموا الاستثناء فيه ، ويرون أن المعاصي لا أثر لها على أصل الإيمان . انظر : التبصير في الدين / الاسفرائيني (ص٩٧-١١٩) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان / السكسكي (٣٤-٤٩) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / الرازي (ص٩٣-٩٥) ، الماتريدية دراسة وتقويماً ، أحمد بن عوض الله بن داخل اللهيبي الحربي (٤٤ ، ٤٤٧، ٤٥٣، ٤٥٤) دار العاصمة - الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى ـ (١٤١٣هـ) .

(٣) منهج الأشاعرة في العقيدة/ د. سفر الحولي (ص٣٢) ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١ / ٩١) .

القسم الثالث : مصدره النقل وحده :

وهو السميعات ذات المغيبات من أمور الآخرة كعذاب القبر ، والصراط ، والميزان والشفاعة وغيرها وهو عندهم ما لا يحكم العقل باستحالته لكن لو لم يرد به الوحي لم يستطع العقل إدراكه منفرداً ، فالحاصل أنهم في صفات الله جعلوا العقل حاكماً، وفي إثبات الآخرة جعلوا العقل عاطلاً ، وفي الرؤية جعلوه مساوياً .

أما مذهب أهل السُّنَّة والجماعة فلا منافاة بين العقل الصريح والنقل الصحيح أصلاً،ولا تقديم للعقل في جانب وإهماله في جانب آخر وإنما يُبدأ بتقديم النقل على العقل،وقد سار على هذا المنهج كل من تمسك بهدي الكتاب والسُّنَّة واقتفى آثار الصحابة، فلا يوجد في كلام أحدٍ من السلف أنه عارض الوحي بعقل وراي وقياس، ولا بذوق ووجد ومكاشفه،ولا قال قط :قد تعارض في هذا العقل والنقل(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن ، لا برايه ولا ذوقه ولا معقوله ، ولا قياسه ولا وجده ، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق ، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم » (٢) .

وقال - رحمه الله تعالى - : « جَعْلُ القرآن إماماً يؤتم به في أصول الدين وفروعه هو دين الإسلام ، وهو طريق الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين ، فلم يكن هؤلاء يقبلون من أحدٍ قط أن يعارض القرآن بمعقول أو رأي يقدمه على القرآن .. ولهذا كان الأئمة الأربعة وغيرهم يرجعون في التوحيد والصفات إلى القرآن والرسول ﷺ لا إلى رأي أحد ، ولا معقوله ولا قياسه » (٣) .

فالمعتقد الحق في مصادر التلقي والاستدلال هو اتباع السلف أهل السُّنَّة والجماعة

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى / لابن تيمية (١٣ / ٢٩) بتصرف .
(٢) المصدر السابق (١٣ / ٢٨) .
(٣) المصدر السابق (١٦ / ٤٧١ ، ٤٧٢) .

وهو الاستدلال بكتاب الله ـ عز وجل ـ وسُنَّة رسول الله ، أو ما أثر عن السلف لأنه الموافق للعقل الصريح ، وما سوى ذلك فإن الكلام فيه غير محمود بل فيه مضرة عظيمة يؤدي بصاحبه إلى الحيرة وفساد الاعتقاد .

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - : « ... لست بصاحب كلام ، ولا أرى الكلام في شيء من هذا ، إلا في كتاب الله - عز وجل - أو حديث عن النبي ﷺ ، أو عن أصحابه، أو عن التابعين ، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود ... » (١).

« فالعقل المبني على النظر والتعمق والتدقيق والتخرص والمقاييس العقلية الفاسدة التي يكثر الخطأ واللغط بسببها ويطول النزاع والمناقضة والمعارضة بها » (٢) يعتبر عقلاً فاسداً لا يمكن أن يوافق النقل بحالٍ من الأحوال .

وخلاصة القول فيما سبق كيف تطور المذهب الأشعري بدءاً من الأشعري وإلى عصر شيخ الإسلام ابن تيمية ، ومنه يتبين كيف دخل هذا المذهب على يد أعلامه في متاهات كلامية وفلسفية وصوفيه ، فقرب من الاعتزال ، وخلط علومه بمقدمات الفلاسفة المنطقية وغيرها ، وقرن ذلك بتصوف منحرف .

أما ما استقر عليه مذهب الأشاعرة ، فلا يمكن تحديد ذلك بدقة ، لاختلاف الأقوال وتعارضها وقد يثبت بعضهم ما نفاه الآخرون ، ومع ذلك فيمكن أن يقال : إن الأرضية التي استقر عليها هذا المذهب هو ماسطره الإمام الإيجي في كتابه (المواقف) مع ملاحظة أنه يعرض أحياناً في بعض المسائل لعدة أقوال داخل المذهب الأشعري ، ومع ملاحظة أن الأشاعرة حتى في العصور المتأخرة يعولون على كتب السابقين مثل كتب الأشعري(٣) والباقلاني والجويني والغزالي والرازي وغيرهم(٤) .

---

(١) السُنَّة ـ لعبد الله بن الإمام أحمد ـ تحقيق د : محمد بن سعيد القحطاني (١/ ١٣٩/ رقم /١٠٨) رمادي ، والمؤتمن للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) .

(٢) القائد إلى تصحيح العقائد / للمعلمي (ص٢٠٢) .

(٣) وهذا معلوم أنها الكتب المؤلفة في المرحلة الاعتزالية والمرحلة الكلابية أما المرحلة الثالثة ، وهي المرحلة السنية كما بينّا سابقاً .

(٤) انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة / د: عبد الرحمن بن صالح المحمود (٢/ ٦٩٤) .

المبحث الثالث

موقف الأشاعرة من شفاعة الرسول ﷺ لأمته

وفيه :

المطلب الأول

موقفهم من الشفاعة العظمى

الأشاعرة موافقون لأهل السُّنَّة فيما يتعلق بالسمعيات في الإيمان بأحوال البرزخ ، وأمور الآخرة كـ لمعاد والحشر والحوض والصراط والجنة والنار ، وعذاب القبر ، والميزان والشفاعة .

لأنها من الأمور الممكنة التي أخبر بها الرسول ﷺ ، وأيدتها نصوص الكتاب والسُّنَّة ، وبذلك جعلوها من النصوص السمعية ، ويعتقدون كذلك في أنه لا يخلد أحد من أهل القبلة في النار ما دام مات موحداً لله ـ عز وجل ـ سالمًا من الشرك « فهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : مخالفون للخوارج والشيعة ، ومن ثم كانوا أقرب الطوائف إلى السلف وأهل السُّنَّة والحديث » (١) .

فهم يؤمنون بالشفاعة العظمى أنهاخاصة بالنبي ﷺ وأنها لجميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم وهي المقام المحمود الذي يبعث الله ـ عز وجل ـ نبيه عليه الصلاة والسلام ــ بها ذلك اليوم قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

ولقوله ﷺ : « ... **أنا سيد الناس يوم القيامة** ... » (٢) .

وقد ذكر الإمام الباقلاني ، والجويني ، والبيهقي وغيرهم أنواع الشفاعات في

---

(١) كتاب النبوات / لابن تيمية (ص١٩٨) .

(٢) سبق تخريجه ص ١٥٠ .

كتبهم للمذنبين وغيرهم ممن يرفع الله درجاتهم في الجنة أو يدخلهم الجنة بغير حساب ، ومن أنواع الشفاعات الشفاعة العظمى وهي العامة لأهل الموقف مؤمنهم وكافرهم وهي لفصل القضاء بين الخلائق .

المطلب الثاني
موقفهم من الشفاعة لأهل الكبائر

وافق الأشاعرة أهل السُّنَّة والجماعة في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ فهم يؤمنون بها ويثبتونها ، وذلك لورود الأدلة القاطعة في ذلك ، منها قوله ﷺ :« **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** »(١) .

قال الإمام ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ : « ... وذهب أهل السُّنَّة والأشعرية(٢) والكرامية وبعض الرافضة إلى القول بالشفاعة » (٣) .

وقال الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ : « ومما يدل على جواز الغفران لعصاة أهل الملّة ما ورد من الأخبار الثابتة المتظاهرة في إثبات شفاعة الرسول ﷺ في أهل الكبائر »(٤) .

وقال الإمام الجويني ـ رحمه الله ـ في أحاديث الشفاعة : « ثم هي مصرحة بالتشفيع في أهل الكبائر ، إذ قال رسول الله ﷺ : « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** » (٥) .

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ : « فإن الأخبار المأثورة شاهدة بتعلق الشفاعة بأصحاب الكبائر » (٦) .

وقال عبد القاهر بن طاهر البغدادي ـ رحمه الله ـ : « .... ومنها أخبارٌ

---

(١) سبق تخريج الحديث ص ٢١٩ .
(٢) وهذا يؤكد أن ابن حزم ـ رحمه الله ـ لم يكن ينظر يوماً إلى الأشاعرة أنهم من أهل السُّنَّة . انظر : موقف ابن حزم من المذهب الأشعري / عبد الرحمن دمشقية (ص٥١) ـ دار الصميعي للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م) .
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ١١١) .
(٤) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ـ للباقلاني ـ تحقيق / عماد الدين حيدر (ص٤١٥ ـ ٤١٦) .
(٥) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد / الجويني ـ تحقيق / أسعد تميم (ص٣٣٠) .
(٦) المصدر السابق (ص٣٣١) .

مستفيضة بين أئمة الحديث والفقه وهم مجمعون على صحتها كالأخبار في الشفاعة والحساب ...... »[١] .

وقال الإمام البيهقي ـ رحمه الله ـ عند قول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء :٢٨] « فيكون المراد بالآية نفي الشفاعة للكفار وإن أحداً من الملائكة المقربين ولا من الأنبياء المرسلين لا يجتريء على أن يشفع لأحد من الكافرين »[٢] .

فهذا يدل على أنه يقول بالشفاعة لأهل الكبائر ، وقد ذكر حديث الرسول ﷺ : « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** »[٣] وقال رحمه الله : « قال أبو عبدالله : هذا حديث صحيح[٤] ، وفي هذا دلالة الإثبات للشفاعة لأهل الكبائر» .

وقال الإمام الشهرستاني[٥] ـ رحمه الله ـ : « وصاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا من غير توبة يكون حكمه إلى الله تعالى ، إما أن يغفر له برحمته وإما أن يشفع فيه النبي ﷺ .

إذ قال (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) وإما أن يعذبه بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة برحمته ولا يجوز أن يخلد في النار مع الكفار »[٦] .

فقوله فيه دلالة واضحة في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر .

---

(١) الفرق بين الفرَق / للبغدادي (ص٣١٤) .
(٢) البعث والنشور / للإمام البيهقي (ص٥٥) .
(٣) سبق تخريجه ٢١٩ .
(٤) البعث والنشور (ص٥٥) .
(٥) هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ، كان فقيهًا متكلمًا على طريقة الأشاعرة ، ولد سنة ٤٧٩ هـ ، قيل فيه : « لولا تخبطه في الاعتقاد وبالغته في نصرة مذاهب الفلاسفة والذب عنهم لكان هو الإمام ... » ، من مصنفاته : (نهاية الإقدام على علم الكلام ، الملل والنحل) ، توفى سنة ٥٤٨ هـ . انظر : وفيات الأعيان / لابن خلكان (٤ / ٢٧٣ – ٢٧٥) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٤ / ١٤٩) ، المجلد الثاني ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٢٠ / ٢٨٦–٢٨٨) ، الأعلام / للزركلي (٦ / ٢١٥) ، لسان الميزان / لابن حجر (٥ / ٢٩٨) برقم ٧٦٩٢ .
(٦) الملل والنحل (١ / ٨٨) .

وقال الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ : « اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين ، بل شفاعة العلماء والصالحين ، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة ، فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه . . . .وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة »(١) .

وقال الإمام الآمدي(٢) ـ رحمه الله ـ : « وأما إنكار الشفاعة للمذنبين والعصاة من المسلمين ، فذلك إنما هو فرع مذهب أهل الضلال في القول بوجوب الثواب ولزوم العقاب على الله ـ تعالى ـ فإن الثواب من الله ـ تعالى ـ ليس إلا بفضله ، والعقاب ليس إلا بعدله ، وهو المتحكم بما يشاء في خلقه ، ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأعراف : ٥٤] (٣) .

وقال الإمام الإيجي ـ رحمه الله ـ : « أجمع الأمة على أصل الشفاعة ، وهي عندنا لأهل الكبائر من الأمة لقوله عليه الصلاة والسلام : (**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**) ولقول الله تعالى :﴿ **وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ [محمد : ١٩] ، أي ولذنب المؤمنين لدلالة القرينة ، وطلب المغفرة شفاعة »(٤) .

وقد رد بعضهم على المعتزلة وألزمهم على قولهم في مرتكب الكبيرة إلزامات ، وهي امتناع الخوف والرجاء من الله تعالى ، وامتناع عفوه تعالى ، وامتناع شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة ، فعن امتناع شفاعة النبي ﷺ يقول الحارث

---

(١) إحياء علوم الدين / للغزالي (٤ / ٥٥٩) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط. بدون .

(٢) عليّ بن أبي عليّ محمد بن سالم الآمدي الشافعي الاصولي ، الملقب : سيف الدين الآمدي ، ولد سنة (٥٥١هـ) بآمد منطقة شمال العراق ، له مصنفات كثيرة ، منها : « الإحكام في أصول الاحكام ـ في الأصول ، غاية المرام في علم الكلام » وغيرها ، توفى سنة (٦٣١هـ) . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (٢٢ / ٣٦٤ وما بعدها) ، وفيّات الاعيان / لابن خلكان (٣ / ٢٩٣) برقم ٤٣٢ ، طبقات ال شافعية / (٨ / ٣٠٦) برقم / ١٢٠٧ .

(٣) غاية المرام في علم الكلام / لسيف الدين الآمدي ـ تحقيق : حسن محمود عبد اللطيف (ص٣٠٦) ـ يشرف على إصدارها محمد توفيق عريضة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط / بدون (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م) .

(٤) المواقف في علم الكلام / للإيجي (ص٣٨٠) .

المحاسبي(١) ـ رحمه الله ـ: « وكذلك شفاعة النبي ﷺ لا تجوز على قولكم في الآخرة ، لأن صاحب الكبيرة الله معذبه لا محالة، ولا يستحل النبي ﷺ أن يشفع فيه، فيكون يطلب إلى الله ـ عز وجل ـ أن يخلف ويكذب وعيده على دعواكم، وكذلك المجتنب للكبائر يلقى الله وقد استوجب الإجارة من العذاب، وقد غفر الله له، وأخبر أنه مدخله الجنة وعداً عليه مؤكداً فلا يحتاج إلى الشفاعة، وإنما يحتاج إلى الشفاعة المستوجب للعذاب، فأما من ضمن الله له المغفرة، وأخبره أنه من أوليائه، وأنه مدخله الجنة، وأنه لا يعذبه فلا يحتاج إلى الشفاعة ولو جاز أن يشفع في هذا لجاز أن يشفع في إبراهيم ﷺ ألاّ يعذب، وفي موسى ويحيى وجميع رسله واختص محمداً بأفضل الصلاة والتسليم لأن الوعد من الله ـ عز وجل ـ للمجتنب للكبائر، ولرسله أكبر درجات في الجنة، وأعظم منزلة عند الله ـ عز وجل ـ وقد وعدهم جميعاً ألاّ يعذبهم ويدخلهم الجنة، وقد تولاهم أجمعين فلا شفاعة للنبي ﷺ في القيامة على قولكم .. »(٢) .

ومن هذا النص نلاحظ دفاع القائل على إثبات الشفاعة ورداً على المعتزلة الذين خالفوا المنهج القويم نهج الإسلام المستقيم في ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر .

وقال الإمام البزدوي(٣) ـ رحمه الله ـ : « وكذا الشفاعة لأهل الكبائر حق عند

---

(١) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي المُحاسبي ، صاحب التصانيف الزهدية ، قال الخطيب : « له كتبٌ كثيرة في الزهد ، وأصول الدِّيانة ، والرد على المعتزلة والرافضة » وقال عنه الإمام الذهبي : « وأما المحاسبي فهو صدوق في نفسه ، وقد نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه » ، ولد ونشأ بالبصرة ، ومات ببغداد سنة ٢٤٣هـ . أنظر : ميزان الاعتدال / للذهبي (١. / ٤٣٠) برقم / ١٦٠٦ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٢ / ١١٠-١١٢) ، الأعلام / للزركلي (٢ / ١٥٣) .

(٢) العقل وفهم القرآن / للحارث المحاسبي ـ تحقيق: حسين القوتلي (ص٣٩٠ ، ٣٩١) ـ دار الكندي ـ ودار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان / ط الثانية (١٣٩٨هـ) .

(٣) هو محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم ، أبو اليسر ، صدر الإسلام البزدوي : فقيه بخاري ، ولي القضاء بسمرقند، ولد في بزدة (قلعة حصينة على ستة فراسخ من نَسَف) .سنة ٤٢١هـ ، انتهت إليه رياسة الحنفية في ماوراء النهر. وله تصانيف منها (أصول الدين) توفي ببخارى سنة ٤٩٣هـ . انظر :الأنساب: للسمعاني ـ تقديم وتعليق/ عبد الله عمر البارودي (١ / ٣٣٩) ـ دار الفكر ـ ملتزم الطبع والنشر والتوزيع ـ دار الجنان ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٨ـ ١٩٨٨م) ، الجواهر المضية / لعبد القادر القرشي (٤ / ٩٨) برقم / ١٩٩٢ ، سير الأعلام / للذهبي (١٩ / ٤٩ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي (٧ / ٢٢) .

أهل السُّنَّة والجماعة ، فيشفع الرسل والأنبياء والعلماء لأهل الكبائر ...... ففيه أحاديث كثيرة .... وكتاب الله تعالى دال عليه . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء :٢٨] وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [طه : ١٠٩] (١) .

« فشفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حق ـ أي عموماً في المقصود ، وشفاعة نبينا ﷺ ـ أي خصوصاً في المقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورود ، للمؤمنين المذنبين ، أي أهل الصغائر المستحقين للعقاب ، ولأهل الكبائر منهم المستوجبين العقاب حق ثابت ، فقد ورد (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) ... ، بل الأحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى ، ومن الأدلة على تحقيق الشفاعة قوله تعالى ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد : ١٩] .

ومنه قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر:٤٨] ، إذ مفهومه أنها تنفع المؤمنين ، وكذا شفاعة الملائكة لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النبأ :٣٨] ، وكذا شفاعة العلماء والأولياء والشهداء والفقراء ، وأطفال المؤمنين الصابرين على البلاء » (٢) .

وقال الإمام التفتازاني (٣) - رحمه الله - : « يجوز عندنا الشفاعة لأهل الكبائر في حقها، لما سبق من دلائل العفو، وما تواتر معنى من إدخار الشفاعة لأهل الكبائر.

---

(١) أصول الدين / لأبي اليسر البزدوي (ص١٦٢) ـ دار الحلبي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٣٨٣هـ) .

(٢) شرح كتاب الفقه الأكبر / لأبي حنيفة الشارح : الملاّ على القاري (ص١٣٨) .

(٣) هو مسعود بن عمر بن عبد الله المشهور بسعد الدين التفتازاني ، ولد سنة ٧١٢هـ بتفتازان إحدى قرى (نسا) متكلم ، عالم في النحو ، تتلمذ على الإيجي ، له مصنفات ، منها :) شرح العقائد النسفية ، شرح المقاصد في علم الكلام ، التهذيب في المنطق) وغير ذلك ، توفي سنة ٧٩١هـ ، وقيل ٧٩٢هـ ، وقيل سنة ٧٩٣هـ. انظر : الدرر الكامنة / لابن حجر (٤ / ٣٥٠) برقم /٩٥٣، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٦ / ٣١٩) المجلد الثالث ، البدر الطالع / للشوكاني (٢ / ٣٠٣-٣٠٥) ، الأعلام / للزركلي (٧ / ٢١٩) .

وقد يستدل بعموم قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وبأن أصل الشفاعة ثابت بالنص والإجماع ، وليست حقيقة لطلب المنافع على ما يراه المعتزلة ، وإلا لكنا شافعين للنبي ﷺ حين نسأل الله تعالى زيادة كرامته. بل لإسقاط المضاد»(١).

(١) شرح المقاصد / للتفتازاني ـ تحقيق د: عبد الرحمن عميرة (٥/١٥٧).

الفصل الأول

الخوارج وموقفهم من الشفاعة

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الخوارج لغة واصطلاحاً وألقابهم وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الخوارج لغةً واصطلاحاً .
- المطلب الثاني : ألقـابهـم .

المبحث الثاني:أهـم فـرق الخـوارج .

المبحث الثالث: مصادر الخوارج في التلقي والاستدلال ، وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : القرآن الكريم .
- المطلب الثاني : السُّنَّة النبوية وموقفهم منها .
- المطلب الثالث : الإجماع والرأي والعقل وموقفهم منها ، وفيه فرعان :
  - الفرع الأول : الإجماع وموقفهم منه .
  - الفرع الثاني : الرأي والعقل وموقفهم منهما .

المبحث الرابع : موقف الخوارج من شفاعة الرسول ﷺ لأمته،وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : موقفهم من الشفاعة عموماً .
- المطلب الثاني : موقفهم من الشفاعة العظمى .
- المطلب الثالث : موقفهم من الشفاعة لأهل الكبائر .

المبحث الأول

تعريف الخوارج لغة واصطلاحاً وألقابهم

الخوارج تعتبر فرقة كبيرة من الفرق الاعتقادية وتمثل حركة ثورية عنيفة في تاريخ الإسلام السياسي . شغلت الدولة الإسلامية فترة طويلة من الزمن ، وقد بسطوا نفوذهم السياسي على بقاع واسعة من الدولة الإسلامية في المشرق وفي المغرب العربي ، وكان بعض السلف يسمي كل أصحاب الأهواء خوارج كونها من أوائل الفرق التي ظهرت في تاريخ الإسلام ، وقد انقسمت إلى عدة فرق تجاوزت العشرين فرقة، ولكن أكبرها : المحكمة الأولى والأزارقة ، والنجدات ، والثعالبة ، والعجاردة ، والأباضية ، والصفرية ، وغيرها فروع لهذه .

وفي زماننا هذا لم يعد لفرق الخوارج وجود سوى الإباضية وهي تعتبر من أعدل فرق الخوارج وقليل من الأزارقة التي تتبنى تكفير العاصي كفر ملة (١) .

ويعتبر الخوارج من أشد الفرق الإسلامية دفاعاً عن مذهبها، وحماسة لآرائها ، واشد الفرق تديناً في جملتها وأشدها تهوراً واندفاعاً ، وهم في اندفاعهم وتهورهم مستمسكون بألفاظ قد أخذوا بظواهرها وظنوا هذه الظواهر ديناً مقدساً (٢) .

ونذكر تعريف الخوارج وألقابهم .

---

(١) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/١٠٦٣) ، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، لغالب بن علي عواجي (١ / ٦٥) ـ مكتبة لينة للنشر والتوزيع ـ دمنهور ـ مصر ـ ط الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) .

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد أبو زهرة (ص٥٨) ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

المطلب الأول
الخوارج لغة واصطلاحاً

أولاً : الخوارج في اللغة : جمع خارج وخارجي اسم مشتق من الخروج ، وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة (خرج) على هذه الطائفة من الناس معللين ذلك بخروجهم عن الدين ، أو على الإمام علي رضي الله عنه ، أو لخروجهم على الناس .

فالخوارج : قوم من أهل الأهواء لهم مقالة على حدة [١] .

ثانياً : الخوارج في الاصطلاح : للعلماء في تعريف الخوارج أقوال هي :

[١] منهم من عرفهم تعريفاً سياسياً عاماً ، اعتبر الخروج [٢] على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً من أي زمان كان .

قال الإمام الشهرستاني - رحمه الله - : « كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان » [٣] .

وزاد الإمام ابن حزم - رحمه الله - : « بأن اسم الخارجي يلحق كل من شجع الخارجين على الإمام عليّ أو شاركهم في آرائهم في أي زمن » [٤] .

---

(١) تهذيب اللغة / للازهري (٧ / ٥٠) ، وتاج العروس / للزبيدي ـ تحقيق : إبراهيم الترزي (٥ / ٥١٧) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، لسان العرب / لابن منظور (٢ / ٢٥٠) .

(٢) أول من خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ جماعة ممن كان معه في حرب صفين ، وأشدهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين (الأشعث بن قيس الكندي ، ومسعر بن فدكي التميمي، وزيد ابن حصن الطائي) . انظر : الملل والنحل (١ / ١٠٦) ، مقالات الإسلاميين (١ / ١٦٧ ، ...) ، والفرق بين الفرق (ص٥٤، ..) وذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين/ لعبد الله ابن أسعد اليافعي ـ تحقيق د: موسى سليمان الدويش (ص٢٢-٤٦) .

(٣) الملل والنحل (١ / ١٠٥) .

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢ / ١١٣) ـ نقلاً عن فرق معاصرة / غالب عواجي (١ / ٦٦) .

[٢] ومنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه ، قال الإمام الأشعري ـ رحمه الله ـ : « والسبب الذي سمُّوا له خوارج خروجهم على عليّ بن أبي طالب(١) رضي الله عنه »(٢) .

ومهما يكن من شيء فإن اسم ـ الخوارج ـ في معناه الذي يشير إلى الاشتقاق ومفارقة الجماعة ، أصبح السائر على هذه الجماعة . وإذا كان اسم ـ الخوارج ـ قد أطلق على جماعة معينة ظهرت في الفترة التي أعقبت ـ التحكيم(٣) ـ فإن الاتجاه الخارجي الذي مثله هؤلاء الخوارج قد وردت الإشارة إليه في أحاديث عديدة ، كما ظهر أفراد على عهد رسول الله ﷺ يمثلون هذه الظاهرة ، كما ورد في حديث جابر ابن عبدالله رضي الله عنه قال : أتى رجلٌ(٤) رسول الله ﷺ بالجعرانة(٥) ، مُنصَرَفه من حنين(٦) ، وفي ثوب بلالٍ فضّةٌ ، ورسول الله ﷺ يقبض منها يُعطي النّاس ، فقال :

(١) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، ابن عم رسول الله ﷺ ، واسم أبي طالب : عبد مناف ، وقيل اسمه كنيته .. وكنية الإمام علي : أبوالحسن ، وهو صهر رسول الله ﷺ على ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين ـ الحسن والحسين ـ وهو أول هاشمي ولد بين هاشميين بمكة ، وأول خليفة من بني هاشم .. وهو أول الناس إسلاماً من الصبيان .. هاجر إلى المدينة ، وشهد جميع المشاهد مع رسول الله ﷺ ـ إلا تبوك فإن الرسول ﷺ خلّفه على أهله ...وأعطاه رسول الله ﷺ اللواء في مواطن كثيرة منها يوم بدر ، وآخاه الرسول ﷺ مرتين وهو الذي نام على فراش النبي ﷺ يوم الهجرة ، واشتهر بزهده وعدله .. وله عدة فضائل .. وكان رابع الخلفاء الراشدين .. وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ، توفي شهيداً قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي عام ٤٠هـ في الكوفة ، وله ٦٣ سنة على الأرجح ، انظر : أسد الغابة (٤ / ١٠٠-١٣٤) ترجمة رقم ٣٧٨٣ بتصرف يسير ، تاريخ الخلفاء / للسيوطي (١٨٥-٢٠٨) ، تذكرة الحفاظ (١ / ١٠-١٣) ، تقريب التهذيب (١ / ٦٩٦) رقم / ٤٧٦٩ .

(٢) مقالات الإسلاميين (١ / ٢٠٧) ، تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد أبو زهرة (ص٥٨) ، تأملات في التراث العقدي للفرق الكلامية / د: عبد السلام محمد عبده (ص٨٤) ـ دار الكتاب الجامعي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

(٣) التحكيم : هو الذي جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في موقعة صفين .

(٤) الرجل : هو ذي الخويصرة من بني تميم .

(٥) الجعرانه : موضع قريب من مكة .

(٦) حنين: وادي قبل الطائف وهو المكان الذي وقع فيه غزوة حنين . انظر : معجم البلدان/ ياقوت الحموي (٢ / ٣١٣) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ملتزم التوزيع دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون، يسمى الآن بالشرائع يبعد شرق مكة بـ ٢٨ ك .

يا محمد اعدلْ ، قال ﷺ : « ويلك ومن يَعْدِلُ إذا لم أكن أعْدِلُ ؟ لقد خِبْتُ وخَسِرْتَ إن لم أكن أعدلُ » فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق ، فقال : « معاذ الله أن يتحدث الناس أنّي أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون [١] منه كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة » [٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « أول البدع ظهوراً في الإسلام وأظهرها ذماً في السُّنَّة والآثار : بدعة الحرورية المارقة ، فإن أولهم قال للنبي ﷺ في وجهه : إعدل يا محمد فإنك لم تعدل .. » [٣] .

وبهذا اعتبر أولئك الأوائل الذين ذكرهم الرسول ﷺ سلفاً للخوارج المتأخرين ، الأمر الذي أدى ببعض مؤرخي الفرق إلى اعتبار الخروج تياراً عاماً يشير إلى كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين أو على الأئمة في كل زمان[٤] .

والحاصل في تعريف الخوارج[٥] أن لهم معنى عامًا ، ومعنى خاصًا .

---

(١) يمرقون منه : أي يجوزونه ويخرقونه ويتعدّونه ، كما يخرق السهم الشيء المرميُّ به ويخرج منه . النهاية في غريب الحديث والأثر / لابن الأثير (٤ / ٣٢٠) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الأنبياء ، باب قول الله عز وجل : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة:٦] (٤ /١٦٧)ح٣٣٤٤ ، ومسلم: كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢ / ٧٤٠) ح١٠٦٣واللفظ لمسلم .

(٣) مجموع الفتاوى (١٩ / ٧١) .

(٤) انظر : الملل والنحل للشهرستاني(١ / ١٠٥)، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة) د: أحمد الجلبي (ص٥٢) ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ ط الثانية (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) .

(٥) إن بعض علماء الإباضية (كأبي إسحاق اطفيش) وغيره يعرفون الخوارج بأنهم طائفة من الناس خرجت في زمن التابعين وتابع التابعين أولهم (نافع بن الأزرق) يريدون بذلك أنه لا علاقة بين المحكّمة الأولى الذين لا يعتبرونهم خوارج والخوارج كالأزارقة ومن جاء بعدهم بل يجب ويشرع لهم ـ أي المحكّمة ـ الخروج في ذلك الوقت . انظر:فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام/غالب عواجي (١ / ٦٧).

فالمعنى العام هو : أن الخوارج كل من حاول الخروج على الإمام والأئمة الذي اتفقت الجماعة عليه ، فمن خرج بعد ذلك فهو خارجي ولذلك كان السلف يرحمهم الله يستخدمون هذه الكلمة على كل من خرج وخالف الأمة .

والمعنى الخاص هو : أن الخوارج اسم يطلق على تلك الطائفة ذات الاتجاه السياسي والآراء الخاصة والتي خرجت عن جيش الإمام عليّ رضي الله عنه ، والتحموا معه في معركة النهروان (١) الشهيرة (٢) .

---

(١) النهروان : هو مكان بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي كان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ مع الخوارج مشهورة . انظر : معجم البلدان / ياقوت الحموي (٥ / ٣٢٥) .

(٢) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام / غالب عواجي (١ / ٧١) .

المطلب الثاني

ألقـــابهـــم

أهل الأهواء والبدع عامة في كل حين وزمان ومكان يدَّعون أنهم على الحق ، ولذلك نجد أهل الافتراق يسمون أنفسهم بأسماء وصفات وألقاب توهم أنهم على الحق وأنهم الناجون ، فلذا يقول ابن القيم رحمه الله : « وكل أهل نحلة ومقالة يكسون نحلتهم ومقالتهم أحسن ما يقدرون عليه من الألفاظ ، ومقالة مخالفيهم أقبح ما يقدرون عليه من الألفاظ ، ومن رزقه الله بصيرة فهو يكشف بها حقيقة ما تحت تلك الألفاظ من الحق والباطل ولا تغتر باللفظ .. » (١) .

والألقاب التي أطلقت على الخوارج وعرفت بها هي :

[١] **الخوارج** : وهو الإسم الغالب على هذه الطائفة وقد اشتق هذا الإسم من الفعل (خرج) لأنهم خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بعد أن كانوا معه وهم في طريق عودتهم من معركة صفين(٢) .(٣) وكون اسم الخوارج من أشهر أسمائهم فهم يقبلونه ويتعلقون به من جهة وينفرونه عنهم من جهة أخرى ، يرضونه على أساس أنه مأخوذ من قول الله عز وجل : ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [النساء : ١٠٠] ، وهذا مدح لهم ، ويبغضونه من جهة إذا أريد به أنهم خارجون عن الدين أو عن الجماعة ، أو عن علي رضي الله عنه ، لأنهم يرون أن خروجهم على علي ـ رضي الله عنه ـ كان أمراً مشروعاً ، بل الصحيح عندهم أن علياً هو

---

(١) مفتاح دار السعادة/ابن القيم(١ / ١٤٥)ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م) ، ومطبعة الرياض الحديثة (١ / ١٤١) .

(٢) صفين : موضع على شاطئ الفرات من الجانب الغربي ، وكان بها الواقعة بين جيش علي وجيش معاوية رضي الله عنهما . انظر معجم البلدان / ياقوت الحموي (٣ / ٤١٤) .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين / الأشعري (١ / ٢٠٧) ، الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ١٠٥)

الخارج عليهم[١] .

[٢] **المحكّمة** : سموا بالمحكمة نسبة إلى شعارهم الذي كانوا دائماً يرددون (لاحكم إلا لله) .

قال الإمام الشهرستاني - رحمه الله - : « خرجت الخوارج على الإمام علي - رضي الله عنه - وقالوا لم حكمت الرجال ، لا حكم إلا لله »[٢] .

وقال الإمام الأشعري - رحمه الله - : « سُمُّو محكمة لإنكارهم الحكمين[٣] وقولهم : لا حكم إلا لله »[٤] .

[٣] **الحرورية**[٥] : نسبة إلى المكان الذي خرج فيه أسلافهم على عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهي قرب الكوفة، وقد وردت هذه التسمية في قول عائشة - رضي الله عنها - للمرأة التي استشكلت قضاء الحائض الصوم دون الصلاة بقولها : « أحرورية أنت »[٦] .

« فالخوارج بعد رجوع علي من صفين إلى الكوفة انحازوا إلى حرورا وهم يومئذ اثنا عشر ألفاً ولذلك سميت الخوارج حرورية »[٧] .

---

(١) مقالات الإسلاميين / للاشعري (١ / ١٦٧) ، والفرق بين الفرق / للبغدادي (ص٥٥ وما بعدها) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان / لأبي الفضل السكسكي ـ تحقيق د : بسام العموش (ص١٧) ، الإباضية بين الفرق الإسلامية / لعلي يحيى معمر(٢ /١٦٦-١٧٥) ـ مطبعة وزارة التراث القومي ـ عُمان (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) .

(٢) الملل والنحل (١ / ١٠٧) ، والفرق بين الفرق / للبغدادي (ص٥٦) ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة / لابي محمد اليمني (١ / ١١) ، والمنيه والأمل / لابن المرتضى (ص١١١) .

(٣) أبو موسى الأشعري من قبل الإمام علي بن أبي طالب ، وعمرو بن العاص من قبل معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهم أجمعين .

(٤) مقالات الإسلاميين (١ / ٢٠٧) بتصرف يسير ، تاملات من التراث العقدي للفرق الكلامية / د: عبد السلام محمد عبده (ص٩٠) ، الخطط / للمقريزي (٢ / ٣٥٤) ، ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين / اليافعي (ص٣٣) .

(٥) حروراء : قرية بظاهر الكوفة ، وقيل على ميلين منها نزل بها الخوارج الذين خالفوا علياً ـ رضي الله عنه ـ فنسبوا إليها ، انظر : المنية والأمل / لابن المرتضى ، تحقيق د. محمد جواد مشكور (ص١١١) ـ دار الندى ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) .

(٦) رواه أحمد في مسنده (٦ / ٩٧) ،والبخاري :ك :الحيض، باب لا تقضي الحائض الصلاة برقم/ ٣٢١، ومسلم :ك : الحيض، باب وجوب قضاء الصوم ... برقم / ٣٣٥ .

(٧) الفرق بين الفرق / للبغدادي (ص٥٧) ، المنيه والأمل / لابن المرتضى (ص١١١) .

قال الإمام الأشعري ـ رحمه الله ـ : « والذي له سمّوا (أي الخوارج) حرورية نزولهم بِحَرَوْرَاء من أول أمرهم » [١] .

[٤] **أهل النهروان** : نسبة إلى المكان الذي قاتلهم فيه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

[٥] **الشُراة** [٢] : وهذا اللقب حبيب إلى قلوبهم فهم الذين أطلقوه على أنفسهم ، وذلك لأنهم ـ في نظر أنفسهم ـ قد باعوا أنفسهم لله تعالى ،واشتروا الجنة ففازوا بالثمن الرابح ، وكانوا يستدلون على هذا اللقب بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة : ١١١] .

فهم يفتخرون بهذه التسمية ويسمون من عداهم بذوي الجعائل : أي يقاتلون من أجل الجعل الذي بذل لهم ، قال أحد شعرائهم :

فلما استجمعوا حملوا عليهم فظل ذرى الجعائل يقتلونا [٣]

قال الإمام الأشعري ـ رحمه الله ـ : « والذي له سُمُّوا شُراه قولهم : شرْينا أنفسنا في طاعة الله ، أي بِعْنَاها بالجنة » .

وخصومهم يسمونهم بهذا الاسم حيث يفسرون الشاري اسم فاعل من شرى الشر : إذا استطار وزاد وتفاقهم وغضب ولجَّ في الخصومة ، لما اشتهر به الخوارج من الخصومات مع غيرهم » [١] .

[٦] **النواصب** : وأما تسميتهم بالنواصب فلمبالغتهم في نصب العداء لعلي بن

---

(١) مقالات الإسلاميين (١ / ٢٠٧) ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة / لأبي محمد اليمني (١ / ١٣) .
(٢) الخطط / للمقريزي (٢ / ٣٥٥) ، والمنية والأمل / لابن المرتضى (ص١١٠) ، التنبيه والرد / للملطي (ص٦٨) .
(٣) انظر : شعراء الخوارج ـ تحقيق د/ إحسان عباس (ص٥٤) ـ نقلاً عن فرق معاصر / غالب عواجي (١ / ٦٩) والبيت لعيسى بن فائك الخارجي .
(٤) مقالات الإسلاميين (١ / ٢٠٧) الفرق بين الفرق / للبغدادي (ص٥٦) ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة / لأبي محمد اليمني(١ / ١٣)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين/للرازي(ص٤٩-٥١)، والتنبيه والرد /للملطي (ص٦٢-٦٦).

أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وأهل السُّنَّةِ والجماعة يسمون من يبغض الصحابة ناصبياً (١) .

[٧] **القعدة:** أي القاعدين عن الخروج وهذا اللقب لا يطلق على الخوارج كلهم، بل يطلق على البعض دون البعض الآخر فهذا اللقب يطلق على الإباضية والصفرية لقعودهم عن الجهاد والخروج في نظر من غلا من الخوارج مثل الأزراقة ، والنجدات ، والبيهسية : فقد رأى هؤلاء الخروج على الخلافة ومقاتلة أمراء المؤمنين ورفضَتْه الإباضية والصفرية فأطلقت الغلاة عليهم هذا اللقب : لقب القعود(٢) .

[٨] **المارقة :** يلقبون بالمارقة استناداً لما جاء في الصحيحين في مروقهم من الدين يمروق السهم من الرمية (٣) ، لقوله ﷺ في الخوارج : « ... يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة ... » (٤) .

إذا نحن شتى صادفتنا عصابة حرورية أضحت من الدين مارقة (٥)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: « والخوارج مرقوا من الإسلام » (٦) .

وقال الإمام الشهرستاني ـ رحمه الله ـ : « والخوارج المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان » (٧) . فهذا اللقب يعتبر من خصوم الخوارج لورود الأحاديث النبوية في ذم هذا اللفظ . قال الإمام الأشعري ــ رحمه الله ـ : « وهم يرضون بهذه الألقاب كلها ، إلا المارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من

---

(١) مقالات الإسلاميين (١ / ١٦٧) شرح العقيدة الطحاوية / تحقيق الألباني)ص٤٦٧) ، الخطط / للمقريزي (٢ / ٣٥٤) ، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام / غالب عواجي (١ / ٦٩) .

(٢) تأملات في التراث العقدي للفرق الكلامية / د . عبد السلام محمد عبده (ص٩٣) .

(٣) المنية والأمل / لابن المرتضى (ص١١١) .

(٤) رواه البخاري : كتاب استتابة المرتد باب من ترك قتال الخوارج للتالف ... (٩/ ٢٢) ح ٦٩٣٣ ، رواه مسلم : كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/ ٧٤٢) ح ١٠٦٤ ، من حديث أبي سعيد الخدري .

(٥) الكامل في التاريخ / لابن الأثير (٤/ ١٩٨)) ، دار صاد ، بيروت ، لبنان ، ط. بدون (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م) ، والبيت لأبي قيس الرُّقيَّات .

(٦) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٥٧) .

(٧) الملل والنحل (١ / ١٠٧) .

الرمية »[١] .

لكن الإباضية تطلقه على الأزارقة[٢] وهما فرقتان من الخوارج كما سنوضح ذلك إن شاء الله تعالى .

[٩] الشكاكية : لأنهم عند خروجهم على الإمام علي رضي الله عنه قالوا له : شككت في أمرك وحكمت عدوك من نفسك ، وقيل لأنهم يشكون في عدم صحة اعتقاد الناس ، والأصل أن يظن العبد بالآخرين الظن الحسن[٣] .

[١٠] القُـــراء : لكثرة قراءتهم القرآن لكنهم لا يدركون معانيه وأحكامه كما قال عليه الصلاة والسلام عنهم : « **يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان** »[٤] .

وقوله:« يخرج من هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[٥]»[٦].

[١١] الأعراب : وذلك أن معظم الخوارج في بداية أمرهم كانوا مجتمعين من الأعراب والجفاة من البادية .

[١٢] الجهال: كما سماهم بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فقال :

---

(١) مقالات الإسلاميين (١ / ٢٠٧) .

(٢) انظر: الإباضية في موكب التاريخ/لعلي يحيى بن معمر (ص٣٤) ــ نشر مكتبة وهبة القاهرة ــ مصر ــ ط بدون .

(٣) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان : لابي الفضل السكسكي (ص٩)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة(١ / ١٢ ، ١٣)، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين (ص٢٣) .

(٤) رواه مسلم : كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢ / ٧٤٢) ح١٠٦٤ ، من حديث أبي سعيد الخدري ، رواه البخاري : كتاب استتابة المرتد ، باب ترك قتال الخوارج.. (٩ / ٢٢) ح٦٩٣٤ ، من حديث سهل بن حنيف ، واللفظ لمسلم .

(٥) سبق تخريج الحديث ص ٣٢٨ .

(٦) مقالات الإسلاميين / للاشعري (١ / ١٧١-١٧٣) ، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين / اليافعي (ص٢٨) ، منهاج السُّنَّة / لابن تيمية ٣ / ٤٦٤) ط جامعة الإمام ، مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤٩١) ، نونية ابن القيم (١ /٢٨٥-٥٨٧) .

« جهَّال فارقوا السُّنَّة والجماعة عن جهل » (١) .

وقال ﷺ يصف جهلهم: « **سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم .....** » (٢).

[١٣] **السبئية** : سموا بذلك لموقفهم المشابه للسبئية الأوائل من الولاة وتأثرهم بتحريض السبئية على عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ومشايعتهم ضده ، ولوجود عبد الله ابن سبأ وجماعته في جيش الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ واعتراضهم عليه حين عزم على الرحيل وترك القتال فحاول ابن سبأ إغراءهم بقوله : « يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فإذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما يحبون، ويأتيهم ما يكرهون ، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه » (٣) .

وقال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ : « وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط ، قد أشرفوا على التهلكة وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على انتشاب الحرب في السر ، واستسروا بذلك خشية أن يفطن لهم بما حاولوا من الشر ، فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم ، انسلوا على ذلك الأمر انسلالاً وعليهم ظلمة مخرج ... فوضعوا فيهم السلاح ، فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم » (٤) .

---

(١) منهاج السُّنَّة / تحقيق : محمد رشاد سالم (٣ / ٤٦٤) ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، (٣ / ٤٦٤) ـ ط مؤسسة قرطبة ـ ط الأولى(١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

(٢) رواه البخاري : كتاب استتابة المرتدين ، باب قتل الخوارج (٩/ ٢١) ح ٦٩٣٠، ومسلم : كتاب الزكاة ، باب التحريض على قتل الخوارج (٢ / ٧٤٦ ، ٧٤٧) ح١٠٦٦ من حديث علي رضي الله عنه .

(٣) البداية والنهاية / لابن كثير (ج٧ / ٢٥٠) المجلد الرابع وتاريخ الطبري ـ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (ج٤ / ٤٩٣ ، ٤٩٤) ـ المجلد الثاني ـ دار سويدان ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

(٤) تاريخ الطبري ـ(ج٤ / ٥٠٦ ، ٥٠٧) المجلد الثاني ، طبعة مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر (ج٤ / ٥٦٣) المجلد الثاني ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

المبحث الثاني
أهم فرق الخوارج

يبدو أن الخوارج حين خرجوا على الخلافة الإسلامية خرجوا على أنفسهم وتفرقوا شيعاً ، وهذه من الأسباب التي أثرت عليهم وعلى قوتهم ولو اتحدوا لكانوا كارثة على المسلمين المخالفين لهم . وإن لم تقع بينهم حروب إلا نادراً ، والأمور التي كانت تميزهم كانت جزئية أحياناً . (١)

ومن أهم أسباب إخفاق حركات الخوارج وفشل توارثهم تفشي الخلافات داخل جماعتهم،وهي خلافات كان الباعث عليها في الغالب الاختلاف في المبدأ والراي . فقد تباينت آراؤهم في مسائل عدة ، وأدى ذلك إلى انقسامهم إلى فرق كثيرة (٢) .

ويقول الإمام الأشعري ـ رحمه الله ـ : « واصل قول الخوارج إنما هو قول الأزارقة والإباضية ، والصفرية والنجدية ، وكل الأصناف سوى الأزراقة والإباضية والنجدية فإنما تفرعوا من الصفرية » (٣) . كما يؤيده قول صاحب كتاب مسائل الإمامة : الذي يقول فيه : « الخوارج أربعة أصناف : الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق ، والنجدية أصحاب نجدة بن عامر الحنفي ، والإباضية أصحاب عبدالله بن إباض ، والصفرية أصحاب عبدالله بن صفار أو زياد بن الأصفر ومن هذه الأصناف تتشعب فرق الخوارج كلها » (٤) .

وكذلك نجد أن أصول فرق الخوارج التي ذكرها الإمام الشهرستاني ـ رحمه الله ـ ست فرق(٥) ، وقيل سبع بالمحكمة الأولى وغيرها تعتبر فروعاً منها . ولكن سنبين

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية / أبو زهرة (ص٧١) .
(٢) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ـ د: عامر النجار (ص٥٥ ، ٥٦) .
(٣) مقالات الإسلاميين / للاشعري (١ / ١٨٣) .
(٤) مسائل الإمامة / لابي العباس عبد الله بن محمد (٦٨) ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٩٧١م) .
(٥) الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ١٠٧) .

أهم فرق الخوارج ــ أي كبارها ــ والأصول منها .

أولاً : المحكمة الأولى :

يشار بالمحكمة الأولى ، إلى أولئك الذين خرجوا على الخليفة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ورفعوا شعار (لاحكم إلا لله) والتفوا حوله ، ويجمعهم تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم وصوَّب الحكمين أو أحدهما ، والخروج على السلطان الجائر ، هذا مع اختلافهم في تكفير مرتكب الكبيرة إذ أن النجدات لا يكفرون أصحاب الحدود من موافقهيم ، وقد أشرنا من قبل في الحكم على مرتكب الكبيرة عند الخوارج ، ومحاولتهم على اغتيال علي رضي الله عنه وكان عددهم اثنى عشر ألف رجل وقادوا عدة ثورات وحملات على عهد الخليفة معاوية ـ رضي الله عنه ـ .

ثم انفرط عقدهم إلى عدة جماعات غلا بعضها وتطرف ونهج بعض منها نهجاً معتدلاً (١) .

ثانياً : الأزارقة :

وهم أتباع أبي راشد نافع بن الأزرق بن قيس بن نهار بن انسان بن أسد بن صبرة بن ذهل بن الدول بن حنيفة الخارج بالبصرة في أيام عبدالله بن الزبير ، وكان نافع كما يُذكر على قدر كبير من الشجاعة مُقدَّماً في فقه الخوارج . وله مع عبد الله بن عباس مسائل كثيرة .

قالوا : كفر علي بالتحكيم ، وابن ملجم محق ، وكفرت الصحابة والقعدة عن القتال .وأن دار مخالفيهم دار كفر وأن من أقام بدار الكفر فهو كافر ، وتُحرم التقيه .

ويجوز قتل أولاد المخالفين ونسائهم ولا رجم على الزاني ولا حد للقذف إلا على النساء ، ويقطع السارق في القليل والكثير ، وأطفال المشركين في النار مع آبائهم ،

---

(١) الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ١٠٧) ، الفرق بين الفِرَق / للبغدادي (ص٥٤) ، الخطط / للمقريزي (٢ / ٣٥٤) ، المواقف في علم الكلام / للإيجي (ص٤٢٤) .

ومرتكب الكبيرة كافر[١] .

ثالثاً : النجدات :

لم يقل فيهم النجدية ليفرّق بينهم وبين من انتسب إلى بلاد نجد ، فهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي ، الخارج باليمامة وكان رأسا ذا مقالة مفردة وتسمى بأمير المؤمنين وبعث عطية بن الأسود إلى سجستان[٢] فأظهر مذهبه بمرو[٣] فعرفت أتباعه بالعطوية ومذهبهم أن الدين أمران :

أحدهما : معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله وتحريم دماء المسلمين وأموالهم .

والثاني : الإقرار بما جاء من عند الله تعالى جملة وما سوى ذلك من التحريم والتحليل وسائر الشرائع فإن الناس يعذرون يجهلها وأنه لا يأثم المجتهد إذا اخطأ وأن من خاف أن يعذب المجتهد المخطئ في الأحكام قبل قيام الحجة عليه فقد كفر . واستحلوا دماء أهل الذمة في دارا لتقية وقالوا من نظر نظرة محرّمة أو كذب كذبة أو أصرّ على صغيرة ولم يتب منها فهو كافر ، ومن زنى أو سرق أو شرب الخمر من غير أن يصر على ذلك فهو مؤمن غير كافر .

وتبنّى النجدات مبدأ العذر بالجهل في أحكام الفروع حتى سُمُّوا (العاذرية) ، فهم خالفوا الأزارقة في غير التكفير[٤] .

---

(١) الخطط / للمقريزي (٢ / ٣٥٤) ، الكامل في اللغة والأدب / للمبرّد (٢ / ١٣٧ -١٦٣ ، ١٦٤) مكتبة المعارف ـ بيروت ـ لبنان ـط بدون ، الفرق بين الفرَق / للبغدادي (ص٦٢ ، ٦٣) المواقف في علم الكلام / للإيجي(ص٤٢٤)،الملل والنحل /للشهرستاني (١ / ١١١- ١١٣-١١٥) ، مقالات الإسلاميين / للأشعري (١ /١٦٩، ١٧٠)،تاريخ المذاهب الإسلامية / لمحمد ابو زهره (٧١، ٧٢) .

(٢) سجستان هي :ناحية كبيرة وولاية واسعة ، ذهب بعضهم إلى ان سجستان إسم للناحية وأن إسم مدينتها زَرَبخ ، وبينها وبين هراة عشرة أيام ثمانون فرسخاً ، وهي جنوب هراة ، وأرضها كلها رملة سبخة . انظر : معجم البلدان / ياقوت الحموي (٣ / ١٩٠) .

(٣) مرو : هي من أشهر مدن خراسان . انظر : معجم البلدان / ياقوت الحموي (٥ / ١١٢) .

(٤) مقالات الإسلاميين / للاشعري١ / ١٧٤) ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة / لابي محمد اليمني (١ / ٣١) ، الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ١١٦-١١٩) ، الفرق بين الفرَق / للبغدادي (ص٦٦- ٦٩)، الخطط للمقريزي(٢ / ٣٥٤) ، المواقف في علم الكلام / للإيجي (ص٤٢٤) ، تاريخ المذاهب الإسلامية / لمحمد أبو زهرة (ص٧٢ ، ٧٣) .

فقد أنكر نجدة على الأزارقة إكفارهم للقعدة منهم ممن لم يهاجر إليهم ، وامتد الأمر إلى تكفير نافع بن الأزرق ومن قال بإمامته[١] . ويقال إن نجدة كتب كتاباً إلى نافع أخذ عليه فيه تكفيره القعدة مع أن الله عذرهم في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة : ٩١] ، وأنكر عليه أيضاً استباحته قتل الأطفال ، لنهي الرسول ﷺ عن ذلك ، ولقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [فاطر:١٨] ، وتبادلت الكتب بين نافع ونجدة ، ولكن لم يُقنع أحد منهما الآخر[٢] .

رابعاً : الصُفْرية :

وهم أصحاب زياد بن الأصفر ، يخالفون الأزارقة في تكفير القَعَدة إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد ، وفي إسقاط الرجم ، وفي أطفال الكفار ، ومنع التقية في القول ، وقالوا : التقية جائزة في القول دون العمل ، وقالوا : المعصية الموجبة للحد لا يسمى صاحبها إلا بها ، وما لا حد فيه لعظمه كترك الصلاة والصوم كفر ، وقيل تُزوّج المؤمنة من الكافر في دار التقية دون دار العلانية[٣] .

وكان عمران بن حِطّان[٤] ناسكاً شاعراً شديداً في مذهب الصفرية وبلغ من خبثه في بغض عليّ رضي الله عنه أنه رثى عبدالرحمن بن ملجم ، وقال في ضربه عليًا رضي الله عنه :

يا ضربة من منيب ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبهُ ... أو في البرية عند الله ميزانا

---

(١) الفرق بين الفِرَق / للبغدادي (ص٦٧) .

(٢) الكامل في اللغة والأدب / للمبرِّد (٢ / ٢٠٩-٢١٢) .

(٣) مقالات الإسلاميين / للأشعري (١ / ١٨٢ ، ١٨٣) ، الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ١٣٤) ، الفرق بين الفِرَق / للبغدادي (ص٧٠ ، ٧١) ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة / لابي محمد اليمني (١ / ٢٦) ، الخطط / للمقريزي ٢ / ٣٥٤ ، المواقف في علم الكلام / للإيجي (ص٤٢٤) .

(٤) هو عمران بن حِطّان بن ظبيان بن لوذان السدوسي ، أبو شهاب ، من رؤوس الخوارج توفي سنة ٨٤هـ . أنظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (٤ / ٢١٤-٢١٦) ،تقريب التهذيب / لابن حجر (١ / ٧٥١) برقم / ٥١٦٨ ، الأعلام / للزركلي (٥ / ٧٠) .

قال عبدالقاهر البغدادي - رحمه الله - وقد أجبناه عن شعره هذا بقولنا :

يا ضربة من كفور ما استفاد بها | إلا الجـزاء بما يصليـه نيـرانا
إنـي لألعنـه دينا وألعن من | يرجو له أبدا عفواً وغفرانا
وذاك ابنُ ملجمَ أشقى الناسِ كلهم | أخـفُّـهم عند ربِّ الناس ميزانا (١)

قال محمد أبو زهرة (٢) - رحمه الله - : « ومن أخبار الذين تولوا أمر هذه الطائفة من الخوارج نتبين أنها لا ترى إباحة دماء المسلمين ، ولا ترى أن دار المخالفين دار حرب ، ولا ترى جواز سبي النساء والذرية ، بل لا ترى قتال أحد غير معسكر السلطان » (٣) .

خامساً : العجاردة :

وهم أتباع عبدالكريم بن عجرد ، أحد أتباع عطية بن الاسود الحنفي الذي خرج على نجدة وذهب بطائفة من النجدات إلى سجستان ، وأنهم لهذا قريبون في منهاجهم من النجدات إذ هم انبعثوا من أصل نحلتهم (٤) .

زادوا على النجدات وجوب البراءة عن الطفل حتى يدعي الإسلام ، ويجب دعاؤه إليه إذا بلغ ، وأطفال المشركين في النار مع آبائهم ، وهم عشر فرق . وجملة آرائهم أنهم يتولون القعدة من الخوارج إن عرفوا بالتقوى ، فهم ليسوا كالأزارقة يرون وجوب الجهاد باستمرار،ولا يجيزون القعود عن القتال لقادر أياً كان سبب القعود ،

---

(١) الفرق بين الفِرَق / للبغدادي (ص٧٢) ، الملل والنحل / للشهرستاني (١/١١٤) .

(٢) هو محمد بن أحمد ابو زهرة ، اكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره ، ولد سنة ١٣١٦هـ بمدينة المحلة الكبرى ، وتربى بالجامع الأحمدي وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي ، عُين استاذاً محاضراً للدراسات العليا في الجامعة (١٩٣٥م)، وكان وكيلاً لكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، أصدر من تاليفه أكثر من ٤٠ كتاباً منها :(الخطابة ، تاريخ الجدل في الإسلام ، أصول الفقه ، تواريخ الأئمة الأربعة ، تاريخ المذاهب الإسلامية) وغير ذلك ، وتوفي سنة ١٣٩٤هـ . انظر : الأعلام / للزركلي (٦ / ٢٥) ، معجم المؤلفين / كحالة (٣ / ٤٣) برقم / ١١٥٦٠ .

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية / أبو زهرة (ص٧٤) .

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية / لابي زهرة (ص٧٥) ، الفرق بين الفِرَق / للبغدادي (ص٧٢) .

ولا يرون أن الهجرة من دار المخالفين واجبة بل يرونها فضيلة ، ولا يرون استباحة الأموال ، ولا يباح مال مخالف إلا إذا قتل ، ولا يقتل من لا يقاتل ، ويكفرون بالكبائر(١) .

سادساً : البيهسية :

وهم أصحاب أبي بيهس(٢) الهيصم بن جابر ، وهو أحد بني سعد بن ضبيعة ، وقد كان الحجاج(٣) طلبه أيام الوليد(٤) فهرب إلى المدينة فطلبه بها عثمان بن حيان المري(٥) ، فظفر به وحبسه ، وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ، ثم يقتله ، ففعل به ذلك . وهذه الفرقة تقول : الإيمان الإقرار والعلم بالله وبما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ ، فمن وقع فيما لا يعرف أحلال هو أم حرام فهو

---

(١) مقالات الإسلاميين/للأشعري(١ / ١٧٧)، الملل والنحل/للشهرستاني(١ / ١٢٤)، الفرق بين الفرق/للبغدادي (ص٧٢، ٧٣) ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة / لابي محمد اليمني (١ / ٢٩) ، الخطط / للمقريزي (٢ / ٣٥٤) المواقف في علم الكلام / للإيجي (ص٤٢٥) .

(٢) بيهس من أسماء الأسد ، والبيهسية : صنف من الخوارج نسبوا إلى بَيْهَس هَيْصَم بن جابر أحد بني سعد بن ضبيعة بن قيس . انظر : لسان العرب / لابن منظور(٦ /٣١) . مادة : بهس .

(٣) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي ، عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان ، فلما توفي عبد الملك وتولي الوليد أبقاه على ما بيده ، كان له في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يُسمع بمثلها ، وهو الذي قتل ابن الزبير وابن الأشعث ، وسعيد بن جبير ، ولد في الطائف (بالحجاز) سنة ٤٠هـ ، ومات بواسط سنة ٩٥هـ . انظر : وفيات الأعيان / لابن خلكان (٢ /٢٩-٥٥) برقم١٤٩ / سير أعلام النبلاء / للذهبي(٤ /٣٤٣) الأعلام / للزركلي (٢ /١٦٨) ، مروج الذهب / للمسعودي (٣ /١٣٢) دار الأندلس ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الخامسة (١٩٨٣م) . .

(٤) هو الخليفة أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي ، الدمشقي ، الذي أنشأ جامع بني أمية ، بويع بعهدٍ من أبيه للخلافة ، وكان مترفاً . . ، وكان قليل العلم نهمته في البناء ، افتتح الهند والأندلس ، مات سنة ٩٦هـ وله ٥١ سنة . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (٤ / ٣٤٧ ، ٣٤٨) ، الأعلام / للزركلي (٨ / ١٢١) .

(٥) هو عثمان بن حيان بن معبد المري ، أبو المغراء ، وال من الغزاة ، من أهل دمشق ، استعمله الوليد الأموي على المدينة سنة ٩٣هـ ، وكان في سيرته عنف ، فعزله سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦هـ ، وولي الصائفة سنة ١٠٣ ، وغزا قيصرة (من أرض الروم) سنة ١٠٤هـ وهو ثقة عند أهل الحديث مات سنة ١٥٠هـ . انظر : تهذيب التهذيب / لابن حجر (٧ / ١١٣) برقم / ٢٤٢ ، الأعلام / للزركلي (٤ / ٢٠٥) .

كافر لوجوب الفحص عليه . وقيل لا ، حتى يرفع إلى الإمام فيحده . وقيل لا حرام إلا ما في قوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ [الأنعام: ١٤٥] ، وقيل : إذا كفر الإمام كفرت الرعية حاضراً أو غائباً ، والأطفال كآبائهم إيماناً وكفراً . والسُكر من شراب حلال لا يؤخذ صاحبه بما قال وفعل. وقيل : هو مع الكبيرة كفر، ووافقوا القدرية[١] .

سابعاً : الإباضية :

هي إحدى فرق الخوارج ، وتنسب إلى مؤسسها : عبد الله بن إباض التميمي من بني مقاعس ، واسمه الحرث بن عمرو ويقال بل ينسبون إلى أُباض بضم الهمزة وهي قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجدة بن عامر ، وخرج عبد الله بن أباض في أيام مروان [٢] وكان من غلاة المحكمة[٣] .

ويؤكد هذا ما ورد في الرسالة التي يقال إن ابن إباض بعث بها إلى عبد الملك[٤] بن مروان وفيها يصف سلفه من الخوارج ؛ بانهم أصحاب عثمان الذين أنكروا عليه ما أحدث من تغيير السُنَّة ، وفارقوه حين أحدث ما أحدث وترك حكم الله وفارقوه حين عصى ربه . وهم أصحاب علي بن أبي طالب حتى حَكَّمَ عمرو بن العاص ، وترك حكم الله وأنكروه عليه وفارقوه فيه وأبوا أن يُقِرّوا الحكم لبشر دون حكم

---

(١) مقالات الإسلاميين / للاشعري (١ / ١٩١) ، الملل والنحل / للشهرستاني ١ /١٢١ -١٢٢) ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ابو محمد اليمني (١ /٢٨)، الخطط / للمقريزي (٢ / ٣٥٥) ، المواقف في علم الكلام / للإيجي (ص٤٢٤).

(٢) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن اميه ولد في السُنَّة ٢هـ(وقيل غير ذلك) ، شهد الجمل وصفين محارباً لعلي وتولى الخلافة بعد يزيد ، ومات سنة ٦٥هـ . انظر : سير اعلام النبلاء / للذهبي (٣/٤٧٦- ٤٧٨) ، الإصابة / لابن حجر (٣/٤٧٧) ترجمة رقم٨٣١٨ ، الأعلام / للزركلي ٢٠٧/٧ .

(٣) انظر : الخطط / للمقريزي (٢ / ٣٥٥) .

(٤) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن امية ، الخليفة الفقيه ، ابو الوليد الأموي ، كان من دهاة الرجال ولد بالمدينة سنة ٢٦هـ ، وتوفي بدمشق ٨٦هـ . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (٤ / ٢٤٦ وما بعدها) ، فوات الوفيات/ لمحمد شاكر الكتبي (٢ /٤٠٢) برقم ٣٠٥ ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج١ / ٩٧) المجلد الأول ، الأعلام/ للزركلي (٤ / ١٦٥) .

كتاب الله ... غير أنا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه من الناس ، لقد كانوا خرجوا حين خرجوا على الإسلام فيما ظهر ، ولكنهم ارتدوا عنه وكفروا بعد إيمانهم فنبرأ إلى الله منهم » (١) .

من هذا يتبين أن ابن إباض يعتبر نفسه وأتباعه امتداداً للمحكمة الأولى فكراً وعملاً وهذا ما يثبته الإباضية المعاصرون الذين يقولون : « بأن الإباضية يجمعهم مع الخوارج الآخرين إنكار الحكومة بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - بل إنهم يبررون الخروج ويفرقون بينه وبين الفتنة وحيث أن الفتنة ممنوعة ومنهي عنها ، فإن الخروج لرفع الظلم ورد العدوان وإزالة الحاكم الظالم المفسد أمر مشروع وواجب » (٢) .

وفرقة الإباضية يدعي أصحابها أنهم ليسوا خوارج (٣) ، وينفون عن أنفسهم هذه النسبة ، والحقيقة أنهم ليسوا من غلالة الخوارج كالأزارقة مثلاً ، لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة منها : أن عبدالله بن إباض يعتبر نفسه امتداداً للمحكمة الأولى من الخوارج كما أثبتنا سابقاً ممن ينسب إليهم ، فهم بهذا يكفرون علياً وأكثر الصحابة .

وجملة آراء الإباضية هي :

(أ) يتفقون مع الخوارج في تعطيل الصفات ، والقول بخلق القرآن ، وتجويز الخروج على أئمة الجور ، ومرتكب الكبيرة عندهم كافر كفر نعمة أو كفر نفاق ، ولا يمكن في حال معصيته وإصراره عليها أن يدخل الجنة إذا لم يتب

---

(١) انظر : العقود الفضية في أصول مذهب الإباضية / سالم بن محمد الحارثي العُماني الاباضي (ص١٣٥) دار اليقظة العربية ـ دمشق ، بيروت ـ ط بدون .

(٢) انظر : الإباضية بين الفرق الإسلامية / لعلي يحيى معمر (ص١٣٣ – ٣٧٨) مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م) ، الإباضية في موكب التاريخ / لعلي يحيى معمر (١ / ٣٣–٣٥) ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م) ، الإباضية تاريخاً وعقيدة / للدكتور : وليد مساعد الطبطبائي (ص٩٧ ، ..) فقد ذكر مطلباً بعنوان ((إشادة الإباضية بالخوارج وحطهم من قدر بعض الصحابة)) .

(٣) انظر : الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم / علي يحيى معمّر (ص٤٠) ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧) .

منها ، فإن الله لا يغفر الكبائر لمرتكبها إلا الذين تابوا منها قبل الموت .

(ب) عصاة الموحدين مخلدون في النار فلا شفاعة لهم حتى يخرجوا من النار .

(ج) أن مخالفيهم من المسلمين ليسوا مشركين ولا مؤمنين ، ويسمونهم كفاراً ويقولون عنهم أنهم كفار نعمة ، لا كفار في الاعتقاد ، وذلك لأنهم لم يكفروا بالله ولكنهم قصروا في جنب الله تعالى .

(د) دماء مخالفيهم حرام،ودارهم دار توحيد وإسلام إلا معسكر السلطان، ولكنهم لا يعلنون ذلك،فهم يسرّون في أنفسهم أن دار المخالفين ودماءهم حرام .

(هـ) لا يحل من غنائم المسلمين الذين يحاربون إلا الخيل والسلاح ، وكل ما فيه من قوة في الحروب ويردون الذهب والفضة .

(و) تجوز شهادة المخالفين ومناكحتهم ، والتوارث بينهم وبين الخوارج ثابت .

(ز) توقفوا في أولاد الكفار ، وفي النفاق أهو شرك[(١)] .

وقد جاء في كتاب الفرق بين الفرَق ذكر طائفة من أصل الإباضية غلوا في آرائهم ومعتقداتهم فأتوا بمبادئ تعد خروجاً على الإسلام وهي : اليزيدية التي تدعي بعثت رسول تنسخ شريعته الشريعة المحمدية [(٢)] .

فهذه طائفة من الإباضية شذت في آرائها ومعتقدها بخلاف ما عليه الإباضية أنفسهم من الاعتدال والقرب إلى الجماعات الإسلامية تفكيراً وفهماً .

يقول الشيخ محمد أبوزهرة ـ رحمه الله ـ : « الإباضية اتباع عبد الله بن إباض هم أكثر الخوارج اعتدالاً ، وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً ، فهم أبعدهم عن

---

(١) مقالات الإسلاميين / للاشعري (١ / ١٨٣-١٩٠) ، الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ١٣١ ، ١٣٢) ، الفرق بين الفرَق / للبغدادي (ص٨٢-٨٥) ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة / لابي محمد اليمني (١ / ٢٤) ، المواقف في علم الكلام / للإيجي(ص٤٢٥)، الكامل في اللغة والأدب / للمبرّد (٢ / ٢١٣ ، ٢١٤)، تاريخ المذاهب الإسلامية/ أبو زهرة (ص٧٦)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١ / ٦٢-٦٤) .

(٢) الفرق بين الفرَق / للبغدادي (ص٨٣) ، تاريخ المذاهب الإسلامية / أبو زهرة (ص٧٧) .

الشطط والغلو ، ولذلك بقوا » [١] فهم من فرق الخوارج إلا أنهم أكثر اعتدالاً .

« وعلى هذا فلا يخطئ من ألحْقَ تسميةَ الإباضية بالخوارج ، ويبقى ما امتاز به الإباضية من تسامح أو تسامح أغلبيتهم تجاه مخالفيهم قائماً وثابتاً لهم رغم ما يظهر أحياناً في بعض كتب[٢] الإباضية من الشدة والقسوة تجاه المخالفين لهم والحكم عليهم بالهلاك والخسران » [٣] .

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية / ابو زهرة (ص٧٦) .

(٢) مثل كتاب : الدليل لأهل العقول / للورجلاني الإباضي ـ نقلاً عن فرق معاصرة / غالب عواجي (١ / ٨٤) .

(٣) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان الإسلام منها / غالب بن علي عواجي (١ / ٨٤) .

المبحث الثالث

مصادر الخوارج في التلقي والاستدلال

إن الطريق الحق الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة تلقي الدين أصولاً وفروعاً من الكتاب والسُّنَّة والإجماع المبني عليهما كما سبق توضيح ذلك ، أما أهل الأهواء والبدع والافتراق فهم خلاف ذلك ، فإنهم من حيث المصدر لا يرتضون بالكتاب والسُّنَّة مصدرين أصليين ،وكل منهم له في ذلك طرائق ، فمنهم من يعول على الأوهام والفلسفة ويسميها العقليات كالفرق الكلامية، ومنهم من يعتمد على الرجال ويزعم لهم القداسة وعلم الغيب كالرافضة والصوفية ، ومنهم من يتلقى من مصادر شتى من أهل الكتاب والمجوس(١) والفلاسفة وغيرهم كالباطنية وكثير من فرق أهل الكلام(٢) والصوفية والرافضة ، فهم لا يستمدون دينهم من المصادر المعتمدة ، فهذا كان من أسباب إظهار البدع والافتراق(٣) .

والخوارج منذ بداية ظهورهم ظهر عندهم الغلو والشطط ، وجعلوا أنفسهم المؤمنين المؤحدين ، فكان في بداية أمرهم من مصادر التلقي والاستدلال عندهم هي في المطالب الآتية :

---

(١) المجوس : القائلون بالنور والظلمة وإن النور مصدر الخير والظلمة مصدر الشر ، فأثبتوا إلهين ، ومن عقائدهم عبادة النار ، والصلاة إلى الشمس . انظر : الملل والنحل / للشهرستاني (٢ / ٢٥٧) ، التبصير في الدين / لأبي المظفر الإسفرائيني / تحقيق : كمال يوسف الحوت (ص١٥٠) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / لفخر الدين الرازي ـ تعليق محمد المعتصم ب الله البغدادي (ص١٢٠) .

(٢) أهل الكلام : هم كل من تكلم في الله أو في العقيدة الإسلامية بما يخالف الكتاب والسُّنَّة وهم الذين ذمهم السلف ـ رحمهم الله ـ ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : ((فالسلف ذموا أهل الكلام الذين هم أهل الشبهات والأهواء ، ولم يذموا أهل الكلام الذين هم أهل كلام صادق ، ويتضمن الدليل على معرفة الله تعالى وبيان ما يستحقه وما يمتنع عليه)) . وعلى هذا يدخل في أهل الكلام كل من سلك المنهج الكلامي في أبواب العقيدة كالجهمية والمعتزلة ونحوهما ، انظر : درء تعارض العقل والنقل / لابن تيمية (١ / ١٧٨) ، (٧/ ١٨٣) دار الكنوز الأدبية .

(٣) انظر : دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها / د: ناصر بن عبد الكريم العقل (ص٢٩٨، ٢٩٩).

المطلب الأول

القرآن الكريم (١)

فقد تمسكت الخوارج بالقرآن الكريم وزعموا أنهم لا يحيدون عنه مثقال أنملة ، فبالغوا في ذلك وأفرطوا حتى تجاهلوا السُّنَّة النبوية مع أن الله ـ عز وجل ـ في كتابه الكريم يأمرهم باتباع السُّنَّة النبوية ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وقوله تعالى ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ** ﴾ [الحشر:٧] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ [النحل: ٤٤] ، فغالوا في التمسك بالقرآن فأدى ذلك إلى التفريط بدلاً من القيام به ، ففي بداية أمرهم كانوا يأخذون بألفاظ القرآن الصريحة خوفاً من الوقوع في التأويل والتحريف ، وعند التحقيق كانوا هم أول من استعمل التأويل الباطل ، حيث زعمت فرقة الصفرية منهم أن تأويل قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١)** ﴾ [الأنعام : ٧١] ، بأن المراد بالحيران في الآية هو عليّ رضي الله عنه وكذبوا في ذلك(٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « الخوارج الحرورية كانوا ينتحلون اتباع القرآن بآرائهم » (٣) .

---

(١) الخوارج تسلك مسلك المعتزلة في أن القرآن مخلوق إلا أن الأباضية تنقسم إلى قسمين : فريق يقول بعدم خلق القرآن وهم بعض أهل المشرق ، وفريق يقول بخلق القرآن وهم أهل المغرب . انظر : الكشف والبيان / لأبي عبد الله محمد القلهاني (١ / ٨٩) وزارة التراث القومي ـ عُمان ـ ط بدون (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ، الحق الدامغ / للخليلي (ص١٨٠) ـ مطابع النهضة بمسقط ـ عُمان ـ ط بدون (١٤٠٩هـ) .

(٢) عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١ / ٤٧) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤٩١) .

ومن التأويل الباطل عندهم قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [إبراهيم : ٢٨] ، فتقول الخوارج : إن من ارتكب كبيرة أوصغيرة كفر ، ولذلك يقول ابن عمر - رضي الله عنه - : « **انطلقوا إلى آيات الكفار فجعلوها في المؤمنين** » (١) .

فالخوارج يزعمون الاستدلال بأدلة القرآن الكريم في أحكامهم ومع ذلك أخطؤوا في تكفير المسلمين بالذنوب ، حيث أن الناس عندهم قسمان : مؤمن لا ذنب له ، وكافر لا حسنة له ، ويستدلون على تقسيمهم بالأدلة من القرآن الكريم ، والأدلة نفسها من القرآن الكريم تقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق بالخيرات ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [فاطر:٣٢] .

وهذه الآية تتحدث عن أصناف المؤمنين الذين هم في دائرة الإسلام ، وتبين أن الإنسان قد يكون مؤمناً مع عدم خلوه من الذنوب ، فليس قول الخوارج بصحيح تقسيم الناس إلى قسمين : إما مؤمن لا ذنب له ، أو كافر .

---

(١) رواه البخاري : كتاب : استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (٩ / ٢٠) .

المطلب الثاني
السُّنَّة النبوية وموقفهم منها

يعتمد الخوارج في تقرير أصولهم على ظواهر النصوص ويردون من السُّنَّة ما خالف بزعمهم ظاهر القرآن .

فلا يرون طاعة الرسول واتباعه فيما خالف ظاهراً عندهم ،وهذا ترك واجب ، فينتحلون إتباع القرآن بآرائهم ،ويدعون اتباع السنن التي يزعمون أنها تخالف القرآن[١] .

وجوزوا على الرسول ﷺ ان يجور ويضل في سنته ،ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السُّنَّة التي تخالف ـ بزعمهم ـ ظاهر القرآن[٢] .

فيعتبرون السُّنَّة مصدراً للتلقي والاستدلال في حالة موافقتها [٣] لظاهر القرآن الكريم[٤] . أما إذا كانت غير موافقة لظاهر القرآن الكريم فيردونها أو يؤلونها سواء كانت متواترة أو غير ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « الخوارج يرون اتباع الكتاب دون السُّنَّة التي تخالف ظاهر الكتاب وإن كانت متواترة » [٥] .

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ : « واصل مذهبهم ـ أي الخوارج ـ تعظيم القرآن وطلب اتباعه ، لكن خرجوا من السُّنَّة والجماعة ، فهم لا يرون اتباع السُّنَّة التي يظنون أنها

---

(١) مجموع الفتاوى / لابن تيمية (٢٠ / ١٠٤) ، (٢٨ / ٤٩١) .

(٢) المصدر السابق (١٩ / ٧٣) .

(٣) تزعم الخوارج أن من السُّنَّة ما يوافق القرآن ومنها ما يخالفه ، وهذا كلام باطل فالسُّنَّة جميعها المتواتر والآحاد موافق للقرآن لأنها وحي ، وما كان غير ذلك فإما حديث ضعيف او موضوع .

(٤) انظر : مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسُّنَّة /الجلال الدين السيوطي، وقدم له وخرج أحاديثه وعلق عليه / بدر البدر (ص٣٩-٤١) ـ دار الهدي النبوي ، مكتبة ابن تيمية ـ الكويت ـ ط بدون .

(٥) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٥٥) ، (٢٨ / ٤٩١) .

تخالف القرآن كالرجم ونِصاب السرقة .. »(١) .

وفي هذا رد صريح للقرآن أيضاً لأن الله أمرنا في القرآن الكريم بوجوب اتباع السُنَّة .

وقد ذكر الإمام الشافعي(٢) ـ رحمه الله ـ في كتابه الأم بياناً موسعاً لهذا(٣) .

ومن الأمثلة على رد السُنَّة المحمدية التي لا توافق القرآن الكريم أو تأويلها مايأتي :

قال ﷺ : **«لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مُدّ(٤) أحدهم ولا نصيفه»**(٥) ، فالحديث يثبت أن أفضل الخلق عند الله ـ عز وجل ـ بعد الأنبياء والرسل هم الصحابة ، فجاء هؤلاء الخوارج وكفروهم ولم يبلغ الحد عند الصحابة وإنما كفروا علياً بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ابن عم الرسول ﷺ ومن آل بيته والمقربين إليه ثم قاموا بقتله زاعمين التقرب إلى الله ـ عز وجل ـ فبالتالي أدى ذلك إلى ردّ سنّة الرسول ﷺ .

وكذلك ما فعلوه في حد الرجم والسرقة حيث لم يطبقوا الحدود التي جاءت في السُنَّة النبوية الصحيحة(٦) .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٠٨) ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٢ / ١٠٦٤) .

(٢) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي وهو أحد الأئمة الأربعة ، ولد في غزة بفلسطين عام ١٥٠هـ ، وحمل منها إلى بغداد وهو ابن سنتين ، وقد برع في الرمي والشعر واللغة وأيام العرب ، ثم أقبل على الفقه والحديث ، كان شديد الذكاء توفي في القاهرة عام ٢٠٤هـ ، له مصنفات ، منها : (كتاب الأم في الفقه ، المسند في الحديث ، الرسالة في أصول الفقه) وغير ذلك .
انظر : وفيات الأعيان / لابن خلكان (٤ / ١٦٣) برقم / ٥٥٨ ، تهذيب التهذيب / لابن حجر (٩ / ٢٥) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٠ / ٥ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي (٦ / ٢٦) .

(٣) انظر : الأم / للشافعي : كتاب جماع العلم ، باب حكاية قول الطائفة التي ردت الأخبار (٧ / ٤٦٠) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م) .

(٤) المُدّ : بضم الميم في الأصل ربع الصاع وإنما قدره به ، لأنه أقل ما كانوا يتصدقون به في العادة وهو رطل وثلث بالعراقي عند الشافعي وأهل الحجاز ، ورطلان عند أبي حنيفة وأهل العراق ، والنصيف : هو النصف كالعشير في العشر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر/ لابن الأثير (٤ / ٣٠٨ ، ٥ / ٦٥) .

(٥) رواه البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ (لو كنت متخذاً خليلاً) (٥ / ١٠) ح٣٦٧٣ من حديث أبي سعيد الخدري ، ومسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة (٤ / ١٩٦٧) ح٢٥٤٠ . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ للبخاري .

(٦) انظر الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ١١١-١١٥) ، الفرق بين الفرَق / للبغدادي (٦٢ ، ٦٣) ، المواقف في علم الكلام / للإيجي (ص٤٢٤) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «فإن الخوارج أصل بدعتهم أنهم لا يرون طاعة الرسول ﷺ واتباعه فيما خالف ظاهر القرآن عندهم، وهذا ترك واجب»(١).

وقال رحمه الله تعالى: « والخوارج جوزوا على الرسول ﷺ نفسه أن يجور ويضل في سنته ولم يوجبوا طاعته ومتابعته ، وإنما صدقوه فيما بلّغه من القرآن دون ما شرعه من السُّنَّة التي تخالف ـ بزعمهم ـ ظاهر القرآن » (٢) .

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ: « والخوارج لا يتمسكون من السُّنَّة إلا بما فسر مجملها دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم ، فلا يرجمون الزاني ، ولا يرون للسرقة نصاباً »(٣) .

وكذلك ردوا أحاديث رؤية الله ـ عز وجل ـ في الآخرة ، وكذلك النصوص المصرحة بمغفرة الذنوب والشفاعة مع كونها صريحة تخالف ما قرروه من تخليد مرتكب الكبيرة في النار ، وعدم جواز المغفرة له .

فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء : ٤٨] ، ومن ذلك أيضاً النصوص الصريحة المتواترة في الشفاعة لأهل الكبائر وإخراجهم من النار وإدخالهم الجنة ، لقوله ﷺ : « **يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع ، فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين** »(٤) وغيره من الأحاديث الصحيحة الصريحة في ذلك . ولكن إتباعاً للهواء والنصرة للمذهب والمعتقد الباطل تجدهم يردونها صراحة .

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: « وحقيقة الأمر أن كل طائفة تتأول ما يخالف نحلتها ومذهبها ، فالمعيار على ما يتاول وما لا يتأول هو المذهب الذي

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠ / ١٠٤) ..
(٢) مجموع الفتاوى (١٩ / ٧٣) ، مقالات الإسلاميين / للاشعري (١ / ٢٠٦) .
(٣) مجموع الفتاوى (١٣ / ٤٨) .
(٤) سبق تخريجه ص ١٧٠ .

ذهبت إليه والقواعد التي أصلتها ، فما وافقها أقروه ولم يتأولوه وما خالفها فإن أمكنهم دفعه وإلا تأولوه » [١] .

فمن أصول الوعيديه في الاعتقاد أن من دخل النار من أهل الكبائر لم يخرج منها أبداً فأولوا كل ما خالف أصولهم من الأحاديث الصحيحة الصريحة الواضحة المعنى وذلك انتصاراً منهم لمذهبهم ومعتقدهم .

فقد وقفوا من الأحاديث المثبتة للشفاعة عدة مواقف منها : القول بأن أحاديث الشفاعة غير صحيحة ، أو أنها منقولة بطريق الآحاد فلا توجب القطع ، بل تكون ظنية ، وهذه المسألة طريقها العلم ، فلا يمكن الاحتجاج بمثل هذه الأحاديث الآحاد في العقائد .

والأحاديث المصرحة بخروج قوم من النار متأولة عندهم ، وكذلك الأحاديث الواردة في الحياة البرزخية وعذاب القبر[٢] ، والميزان ، والصراط ، وتأويل الصفات الثابتة لله ــ عز وجل ــ .

فبهذا يتبين بأن السُنَّة مصدر عندهم عند موافقتها للقرآن الكريم ، وفي حالة عدم مصادمة الدليل لمعتقدهم . فإذا لم تكن كذلك فلا تكون عندهم مصدراً معتمداً يُحتج به .

---

(١) الصواعق المرسلة / لابن القيم (١ / ٢٣٠) .

(٢) اختلفت الإباضية في إثبات عذاب القبر ، فذهب قسم إلى إنكاره موافقين بذلك سائر فرق الخوارج ، وذهب قسم آخر إلى إثباته ، ويثبت الإباضية وجود الجنة والنار الآن ، ويثبتون الحوض ، وكذلك أنكروا الصراط إلا البعض منهم يثبتونه ، انظر: الإباضية عقيدة ومذهباً /للدكتور: صابر طعيمة (ص١٢٦) .

المطلب الثالث
الإجماع والرأي والعقل وموقفهم منها

الفرع الأول: الإجماع وموقفهم منه :

الإجماع لا يعتبر مصدراً للتلقي والاستدلال عند الخوارج ولا يقولون بحجيته إلا ما كان من إجماع للصحابة قبل حدوث الفتنة ، وأما بعدها فقالوا : الحجة في إجماع طائفتهم لا غير ، لأن العبرة بقول المؤمنين ولا مؤمن عندهم إلا من كان على مذهبهم وعقيدتهم .

إلا الإباضية فنجد مصادر التشريع عندهم هي : القرآن والسُّنَّة والإجماع فهم لا ينكرون الإجماع ويقولون الإجماع القولي حجة قطعية ، والإجماع السكوتي حجة ظنية(١) .

ولكن يقصدون بذلك أن الحجة في إجماع طائفتهم ويدل على هذا مخالفتهم لإجماع الأمة في كثير من مسائل الدين .

الفرع الثاني : الرأي والعقل وموقفهم منهما :

إن فرقة الخوارج كانت في بداية أمرها تزعم أن مصدرها ومنبعهامن القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الموافقة للقرآن ، وفي الحقيقة كانوا أبعد ما يكونون عنهما ، حيث فسروا وأولوا القرآن الكريم على حسب أهوائهم وشهواتهم الباطلة ، فنجد أن الرأي مصدر من مصادر التشريع عندهم ، حتى أنهم لا يعتبرون بحجية عمل أهل المدينة ولا بإجماعهم ولا بمذهب الصحابي بل يقدمون الرأي على ذلك (٢) .

فالخوارج من أول أمرها لم تتجاوز أصولها مسائل معدودة ولكن مع الزمن تجارت بهم الأهواء وتفرقت بهم السبل حتى أصبحت من الفرق الكلامية ، فقالت في

---

(١) انظر : الإباضية تاريخاً وعقيدة / للدكتور : وليد الطبطبائي (ص٩٠) .

(٢) انظر : دراسة في تاريخ الإباضية / لأبي الفضل البرادي ـ تحقيق د: محمود زينهم وآخر (ص٢٥) دار الفضيلة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

القرآن والرؤية بقول الجهمية ، وفي الصفات بقول المعتزلة . وخاضت في القدر والسمعيات والقول بعدم حجية الآحاد ، وتكلموا في مسائل علم الكلام ، فابتعدوا عن القرآن والسُّنَّة واتخذوا العقل والراي مصدراً لهم أصيلاً[١] .

فالسلف رضوان الله عليهم أجمعين لا يميلون لاستخدام الرأي إلا عند الضرورة[٢] ، والضرورة تقدر بقدرها ، فقد كانوا على هدى رسول الله ﷺ ، وسبيلهم هو سبيل المؤمنين وأرئهم هي السُّنَّة والطريق المستقيم .

يقول الإمام الأوزاعي - رحمه الله - : « وعليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول ، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم »[٣] .

---

(١) انظر : مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع / للدكتور : ناصر العقل)ص١٣٤) .

(٢) بشرط أن يكون الرأي موافقًا للدليل الشرعي ، ولم يكن مصادمًا له .

(٣) أورده الإمام الذهبي في تاريخ الإسلام ، تحقيق : الدكتور / عمر عبد السلام تدمري (ص١٤١ ، ١٦٠ ، ٤٩٠) دار الكتاب العربي- بيروت - لبنان - ط الأولى(١٤٠٩هـ) ، الآجري في الشريعة ص(٥٨) .

المبحث الرابع

موقف الخوارج من شفاعة الرسول ﷺ

وفيه:

المطلب الأول

موقفهم من الشفاعة عموماً

لقد أنكرت الخوارج جميع أنواع الشفاعة في الآخرة والتي أثبتها أهل السُّنَّة والجماعة ، ولم يثبتوا إلا شفاعة واحدة لأهل الإيمان والتقى .

قال صاحب كتاب فرق معاصرة : « وأما بالنسبة للشفاعة : فإن الإباضية يثبتونها ولكن لغير العصاة بل للمتقين وكأن المتقي في نظرهم أحوج إلى الشفاعة من المؤمن العاصي ، قيل في كتاب الأديان (والشفاعة حق للمتقين وليست للعاصين) وما الشفاعة إلا للتقي كما . قد قال رب العلا فيها وقد فصلا » (١) .

وهنا يظهر التناقض حيث أن المتقي لا يحتاج إلى الشفاعة ، بل إن الله أعد له جنة عرضها السموات والأرض ، ولكن من إكرام الله له أن النبي ﷺ يشفع في أهل الجنة لزيادة درجاتهم ورفعهم فيها وهذا تفضلٌ وإكرامٌ من الله عز وجل ـ لأهلها وإظهار النعيم لهم ، فبهذا يتبين أن الخوارج لا يثبتون أي نوع من أنواع الشفاعة وإنما يثبتونها للمتقين فقط في زيادة درجاتهم. قال الإمام السفاريني ـ رحمه الله ـ : « والشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة » وهذه لا تنكرها المعتزلة والخوارج(٢) .

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن الخوارج : « ولم ينفوا الشفاعة لأهل الثواب في زيادة الثواب » (٣) .

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام / غالب عواجي (١ / ١٠٢) .

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١١) ، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة / للقرطبي (ص٢٨٦) ، الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم / لعلي يحيى معمر (ص٥١) ، وفتح الباري / لابن حجر (١١ / ٤٣٦) .

(٣) مجموع الفتاوى (١ / ١١٦) .

المطلب الثاني

موقفهم من الشفاعة العظمى

هذا النوع من الشفاعة يثبته الخوارج لأنه في نظرهم لا يعتبر مفيداً للعصاة وإنما هو طلب الشفاعة لبدء الحساب وتعجيله وإدخال من كان من أهل الجنة ، فهي عبارة عن شفاعة لفصل القضاء بين الخلق مؤمنهم وكافرهم .

قال الإمام السفاريني ـ رحمه الله ـ: « شفاعته ﷺ لفصل القضاء بين الورى بعد التردد إلى الأنبياء وتدافعها بين أخيار الملأ إلى أن تصل لصاحب الحوض المورود وهي المقام المحمود . وقد عم العالم زيادة القلق وتصاعد العرق وقاسوا من ذلك ما يذيب الأكباد وينسي الأولاد وهذه مُجمع عليها لم ينكرها أحد »[(١)] .

فبين ـ رحمه الله ـ أن الفرق الإسلامية جميعها لم تنكرها ومنهم الخوارج ، لأنها لا تعارض معتقدهم فهي عبارة عن فصل القضاء بين الخلق جميعاً تقيّهم وشقيّهم.

فهم يثبتونها لأنها « كرامة من الله سبحانه لرسوله ﷺ، دون سواه من الأنبياء ، وهي شفاعته العظمى وذلك أن الخلق إذا فرغوا من الحساب ، استأذن المسلمون من يشفع لهم إلى الله سبحانه وتعالى .. وليست هذه الشفاعة لأهل الكبائر من أمته على ما زعمه القوم »[(١)] .

---

(١) لوامع الأنوار البهية(٢ / ٢١١)،وانظر: الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم / لعلي يحيى معمر (ص٥١).

(٢) الإباضية تاريخاً وعقيدة / وليد الطبطبائي (ص١٧١ ، ١٧٢) .

المطلب الثالث

موقف الخوارج من الشفاعة لأهل الكبائر

للخوارج عقيدتهم الغالية في مرتكب الكبيرة التي حاولوا أن يلووا نصوص القرآن الكريم لتكون سنداً لهم عليها ، فيعتقد الخوارج أن الكبيرة تخرج صاحبها من الإيمان وتدخله في الكفر فلا واسطة ـ لديهم ـ بين الإيمان والكفر .

فالإنسان في عقيدة الخوارج إما أن يكون مؤمناً وإما أن يكون كافراً ، ولا واسطة بينهما فليس هناك مؤمن عاص ، لأن المعصية تتنافى مع الإيمان وإذا كان الكافر مخلداً في النار، فإن صاحب الكبيرة مخلد في النار كذلك لأنه في عقيدتهم كافر .

فاعتقادهم في صاحب الكبيرة جعلهم ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر يوم القيامة، وزعموا أنه من دخل النار فإنه لا يخرج منها(١) .

وكان بداية هذا الإنكار في آخر عصر الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ (٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « وأما شفاعته ﷺ لأهل الذنوب من أمته ... أنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية(٣) ، وقال هؤلاء: من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها » (٤) .

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١١٦) ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١/ ٦٤) .

(٢) انظر : معارج القبول / لحافظ الحكمي (٢ / ٨٩٦) .

(٣) الزيدية هي : إحدى الفرق التي تنسب إلى التشيع ، وهم ينتسبون إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ﷺ ، فالزيدية تنتسب إليه ويعدونه الإمام الرابع لهم ، وأول الأئمة لديهم علي بن أبي طالب ، ثم الحسن ثم الحسين ثم زيد بن علي بن الحسين ثم كل من قام ودعا إلى نفسه وكان موصوفاً بالعدل والأمانة وهومن أولاد فاطمة ، وقد قامت لهم دولة في اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري على يد يحيى بن الحسين بن القاسم الملقب بالهادي واستمرت دولتهم بين مد وجزر وظهور وكمون إلى عام ١٣٨٢هـ وقد تبنى الزيدية لمذهب المعتزلة في العقائد .. قال الإمام المقبلي رحمه الله « الزيدية في هذا الجبل من اليمن هم معتزلة في كل الموارد إلا في شيء من مسائل الإمامة وهي مسالة فقهية ... » ، انظر : العلم الشامخ / للمقبلي (ص١١) ، مكتبة دار البيان ـ دمشق ـ سوريا ـ ط بدون ، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار / لابن أبي الخير العمراني (١ / ٧٠-٧٤) .

(٤) مجموع الفتاوى (١ / ١٤٨ ، ٣١٨) ، صحيح مسلم شرح النووي (ج٣ / ٣٥) المجلد الأول .

وقال الإمام السفاريني ـ رحمه الله ـ : « زعموا ـ أي الخوارج ـ أن من دخل جهنم يخلد فيها لأنه إما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة ، هذا رأيهم ورأي ومن وافقهم وهو رأي فاسد ومذهب باطل ترده الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة وإجماع أهل الحق أيدهم الله تعالى » [١] .

وقال الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ : « فأنكرها ـ أي الشفاعة ـ قوم وهم المعتزلة ، والخوارج ، .... واحتج المانعون بقول الله عز وجل : ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر : ٤٨] ، وبقوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ** ﴿١٩﴾ ﴾ [الإنفطار : ١٩] ، وغيرها » [٢] .

فيتفق الخوارج ومنهم الإباضية مع المعتزلة في اعتبار الشفاعة في الآخرة لغير أصحاب الكبائر بل هي « للمؤمنين المطيعين دون أهل الكبائر من العاصين والفاسقين لأن الله أخبر (كما يرى الإباضية) أن أهل الكبائر يخلدون في النار، فمن زعم أن الشفاعة لأهل الكبائر فقد زعم أنهم في الجنة وأن جميع الأمة في الجنة » [٣] .

وقال الخليلي [٤] من علماء الأباضية بعد ذكره للأحاديث المصرحة بحرمان مرتكب الكبيرة من الجنة وغيرها معلقاً على ذلك بقوله :« والروايات ـ كما قلت ـ في ذلك كثيرة ، تارة تدل على الخلود بالنص عليه ، وتارة بالجمع بينه وبين التأييد ، وأخرى بالتوعد بحرمان الجنّة أو حرمان شم ريحها ، ومحصلها واحد وإن اختلفت ألفاظها ، فإن حرمان الجنة ينافي دخولها في أي وقت من الأوقات ، كما أن نفي دخولها يعم جميع الأزمنة » [٥] .

وقال أحد علماء الإباضية : « الشفاعة لأهل المعاصي لا تصح بعد ما صاروا

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١٧) .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ١١١)

(٣) الإباضية تاريخاً وعقيدة / الدكتور : وليد الطبطبائي (ص١٧١) .

(٤) أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام بسلطنة عمان ، من علماء الاباضية المعاصرين .

(٥) الحق الدامغ / الخليلي (ص٢٢٥) ، الاباضية بين الفرق الإسلامية ، علي يحيى معمر (٢ / ١٤٠) ط الثالثة (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) .

أعداء الله فلا يكون فيهم مرضي فلأن الآخرة دار جزاء لا دار عمل ، وقد ثبت عقلاً أن الشفاعة للعاصي رضاءٌ بعصيانه وإغضاءٌ عن بطلانه وقبولٌ لعدوانه »[١] فعندهم : « أن من دخل النار فليس بخارج منها »[٢] ولما أنكر الخوارج الشفاعة أنكر عليهم الصحابة رضي الله عنهم ذلك ، وحدثوهم بما سمعوا من النبي ﷺ في ذلك[٣] .

ومن ذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي عاصم (محمد بن أبي أيوب) قال : حدَّثني يزيد الفقير ، قال : كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج ، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحجَّ ، ثم نخرج على الناس[٤] ، قال : فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبدالله يحدِّث القوم، جالسٌ إلى سارية عن رسول الله ﷺ ، قال : فإذا هو قد ذكر الجهنميين ، قال : فقلت له : يا صاحب رسول الله ، ما هذا الذي تُحدِّثون ؟ والله يقول : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾ [آل عمران : ١٩٢] ، وقوله : ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ [السجدة: ٢٠] ، فما هذا الذي تقولون ؟ قال . فقال : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم ، قال : فهل سمعتَ بمقام محمد ﷺ (يعني الذي يبعثه الله فيه)؟ ، قلت : نعم ، قال : فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج ، قال : ثم نعت وضع الصراط ومرَّ الناس عليه .. ، قال غير أنَّه قد زعم[٥] أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها ، .... ، فرجعنا قلنا : ويحكم أترون الشيخ يكذب[٦] على رسول الله ﷺ ؟

---

(١) انظر : تأملات في التراث العقدي للفرق الكلامية (فرقة الخوارج) الدكتور : عبد السلام محمد عبده (ص٢٤٥) ، الحق الدامغ / للخليلي (ص٢٢٦ ، ٢٢٧) .

(٢) كتاب الشريعة / للآجري (ص٢٩٦) ، مقالات الإسلاميين / للأشعري (١ /١٦٨) ، وفتح الباري / لابن حجر ١١ /٤٣٤).

(٣) شرح اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة / للإمام اللالكائي(٦ / ١٠٩٤) رقم / ٢٠٥١ ، فتح الباري / لابن حجر (١١ / ٤٣٤).

(٤) ثم نخرج على الناس : أي مظهرين مذهب الخوارج وندعو إليه ونحث عليه . صحيح مسلم بشرح النووي (ج٣ / ٥١) المجلد الأول .

(٥) زعم : يقصد بها هنا بمعنى قال . صحيح مسلم بشرح النووي (ج٣ / ٥١) المجلد الأول .

(٦) « أترون الشيخ يكذب » : يقصد به جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ .

فرجعنا[١] ، فلا والله ما خرج منَّا غير رجُلٍ واحدٍ »[٢] .

وكان احتجاج الخوارج على مذهبهم في نفي الشفاعة لأهل الكبائر بأدلة نقلية وردت في الكتاب والسُّنَّة[٣] وهي كالآتي :

أولاً : الإحتجاج بآيات الوعيد في القرآن الكريم الدالة على عموم تعذيب أصحاب الذنوب والمعاصي في النار ، وعدم إخراجهم منها ، وأنها تدل على عدم ثبوت الشفاعة يوم القيامة لأهل العذاب .

ثانياً : الإحتجاج بنصوص الوعيد في الكتاب والسُّنَّة الدالة على التصريح بالخلود في النار ، أو الحرمان من الجنة لمرتكبي بعض المعاصي ، وأن فيها دلالة على عدم إمكان الشفاعة لهم يوم القيامة .

ثالثاً : الإحتجاج بما جاء في القرآن الكريم من الآيات النافية للشفاعة ، وأنها لا تنفع العصاة يوم القيامة .

وسنفصل القول بعد ذلك بالأدلة والرد عليها بالأقوال والنقول الواردة عن السلف .

---

(١) « فرجعنا فلا والله ما خرج منَّا غير رجُلٍ واحدٍ » : معناه رجعنا من حجنا ولم نتعرض لرأي الخوارج بل كففنا عنه وتبنا منه إلا رجلاً منا فإنه لم يوافقنا في الإنكفاف عنه . صحيح مسلم بشرح النووي (ج٣ / ٥٢) المجلد الأول .

(٢) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١ / ١٧٩) ح١٩١ .

(٣) سنذكر أدلة الخوارج والمعتزلة ومن تبعهم ، وشبههم في إنكار الشفاعة لأهل الكبائر بالتفصيل والرد عليها في الفصل الخامس إن شاء الله تعالى .

الفصل الرابع

المعتزلة وموقفهم من الشفاعة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : المعتزلة لغةً واصطلاحاً وألقابهم ، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : المعتزلة لغةً واصطلاحاً .
- المطلب الثاني : ألقاب المعتزلة .

المبحث الثاني : مصادر المعتزلة في التلقي والاستدلال ، وفيه أربعة مطالب :

- المطلب الأول : القرآن والسُّنَّة والإجماع وموقفهم منها ، وفيه ثلاثة فروع :
  - الفرع الأول : القرآن الكريم وموقفهم منه .
  - الفرع الثاني : السُّنَّة النبوية وموقفهم منه .
  - الفرع الثالث : الإجماع وموقفه المعتزلة منه .
- المطلب الثاني : العقل .
- المطلب الثالث : الفلسفات وعقائد الأمم الأخرى .
- المطلب الرابع : الأهواء والنزعات الشخصية عند فرقهم وأفرادهم .

المبحث الثالث : موقف المعتزلة من شفاعة الرسول ﷺ ، وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : موقفهم من الشفاعة عموماً .
- المطلب الثاني : موقفهم من الشفاعة العظمى .
- المطلب الثالث : موقفهم من الشفاعة لأهل الكبائر .

الفصل الرابع

المعتزلة وموقفهم من الشفاعة

المبحث الأول

المعتزلة لغةً واصطلاحاً وألقابهم

من المعلوم أن المعتزلة جمعوا بين علم الكلام والجدل مما قادهم إلى المناظرات والمخاصمات وكثرة الكلام والخوض في أمور يجب التوقف فيها ، فأدى ذلك بهم إلى التجرؤ في صفات الله - عز وجل - فأخضعوها لقياساتهم العقلية وبحوثهم ومصطلحاتهم وتسمياتهم ، ثم استخدموا قياس الغائب على الشاهد بقياس الله على المخلوقات فأداهم ذلك إلى عدة مسائل أخذت بعضها برقاب بعض ومنها نفي القدر وخلق أفعال العباد ، والصالح والأصلح ، والتحسين والتقبيح العقليان (١) .

وأجمعت المعتزلة على أصولٍ خمسة تدور حولها عقائدهم وقضاياهم وهي :

التوحيد : ويقصدون به نفي صفات الله تعالى أو تأويلها تأويلاً فاسداً ويزعمون التنزيه لله عز وجل في نظرهم .

العدل : والمقصود به نفي القدر.

الوعد والوعيد : وهو زعمهم أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار إذا مات على كبيرته، أي إنفاذ الوعيد المستلزم تخليد أصحاب الكبائر في النار .

المنزلة بين المنزلتين : وهو أساس نشوء الاعتزال،وهو قولهم بأن الفاسق المِلّي مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر . بل في منزلة بينهما .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : والمقصود به الخروج على ولاة الأمر ، وإلزام

---

(١) المعتزلة بين القديم والحديث ، لمحمد العبده / طارق عبدالحليم (٥٦-٥٧) .

الناس بمقالاتهم وعقائدهم (١) .

ويختلف العلماء في وقت ظهور المعتزلة ، فبعضهم يرى أنها ابتدأت في قوم من أصحاب عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ اعتزلوا السياسية وانصرفوا إلى العقائد عندما تنازل الحسن بن علي (٢) ـ رضي الله عنه ـ عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، وفي ذلك يقول أبو الحسين الطرائفي في كتابه (أهل الأهواء والبدع) : وهم سموا أنفسهم معتزلة ، وذلك عندما بايع الحسن بن عليّ معاوية رضي الله عنهما وسلّم الأمر إليه ، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، ولزموا منازلهم ومساجدهم ، وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة .

والأكثرون على أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء (٣)، وقد كان ممن يحضرون مجلس الحسن البصري ـ رحمه الله ـ العلمي . فثارت تلك المسألة التي شغلت الأذهان في ذلك العصر ، وهي مسألة مرتكب الكبيرة، فقال واصل مخالفاً الحسن : أنا أقول أن صاحب الكبيرة ليس مؤمناً بإطلاق ،ولا هو كافر بإطلاق ،بل هو في منزلة بين المنزلتين ، ثم اعتزل مجلس الحسن البصري،واتخذ له مجلساً آخر في المسجد(٤) .

(١) انظر : الجهمية والمعتزلة / للدكتور : ناصر العقل (ص١٢٧) ـ دار الوطن ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) .

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف الهاشمي سبط رسول الله ﷺ وريحانته، ولد سنة ثلاث من الهجرة ، قال عنه رسول الله ﷺ واخيه الحسين (هما ريحانتاي من الدنيا) وقال عنه خاصة (وإن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين) كان أشبه الناس بالرسول عليه الصلاة والسلام ، تنازل بالخلافة لمعاوية حقناً لدماء المسلمين ، توفي سنة ٤٩ هـ بالمدينة ، وهو ابن ٤٧ عاماً ، انظر : الإصابة (٢ / ٢٤٢-٢٤٦) ترجمة رقم ١٧١٥ / مكتبة ابن تيمية ، أسد الغابة (٢ / ١٥-٢٢) ترجمة رقم ١١٦٥ / ، سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٤٥) وما بعدها ، فتح الباري (٧ / ١١٨-١٢٠) ، تقريب التهذيب (١ / ٢٠٦) رقم١٢٦٤ .

(٣) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المخزومي مولاهم البصري ، الغزّال ، ولد بالمدينة سنة ٨٠هـ وارتحل إلى البصرة واقام بها ، اعتزل عن مجلس الحسن البصري ـ رحمه الله ـ بسبب قوله في الفاسق بالمنزلة بين المنزلتين فسمي هو واتباعه معتزلة ، وتنسب إليه طائفة الواصلية من المعتزلة ، كانت له قدرة بيانية بحيث أنه كان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً فكان يتجنب حرف الراء ، لقب بالغزال لتردده على سوق الغزل ، توفي سنة ١٣١هـ . انظر: وفيات الأعيان / لابن خلكان (٦ / ٧-١١) برقم / ٧٦٨ ، ميزان الاعتدال / للذهبي (٤ / ٣٢٩) برقم / ٩٣٢٥ ، سير أعلام النبلاء (٥ / ٤٦٤ ، ٤٦٥) ، الأعلام / للزركلي (٨ / ١٠٨) .

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد أبو زهرة (ص١٢٤) .

المطلب الأول

المعتزلة لغة واصطلاحاً

أولاً: لغة: الإعتزال: مأخوذ من اعتزال الشيء، وتعزله بمعنى تنحى عنه.

ومنه تعازل القوم بمعنى: تنحى بعضهم عن بعض. وكنت بمعزل عن كذا وكذا: أي كنت في موضع عزلة منهم. واعتزلت القوم أي فارقتهم وتنحيت عنهم.

ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الدخان: ٢١]، أراد إن لم تؤمنوا بي فلا تكونوا عليّ، ومنه قول الأحوص:

يا بيت عاتكه الذي اتعزَّلُ حذر العِدى وبه الفؤادُ موكلُ

وقيل الأعزلُ: الذي لا رمح معه.

فالمعتزلة لغةً: تدل على التنحي والانفراد، والضعف والانقطاع، والحمق ومن لا سلاح معه [(١)].

ثانياً: المعتزلة اصطلاحاً:

فرقة من القدرية خالفوا قول الأمة في مسألة مرتكب الكبيرة، بزعامة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد [(٢)] زمن التابعي الجليل الحسن البصري

(١) تاج العروس/للزبيدي ـ تحقيق: ابراهيم الترزي (٨ / ١٦)، لسان العرب/ لابن منظور (١١/ ٤٤٠)، مجمل اللغة / لابن فارس ـ تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان (٣ / ٦٦٦) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، محيط المحيط (ص٥٩٩) ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٩٧٧م).

(٢) هو عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان البصري، ولد في بلخ سنة ٨٠هـ، كان جده من سبي كابل من جبال السند، كان ذا علم كثير، واعتبر من المحدثين والزاهدين، درس على الحسن البصري، قال ابن قتيبة: ((كان يرى القدر ويدعو إليه، واعتزل الحسن هو وأصحاب له فسموا المعتزلة))، وقال الذهبي: ((صحب الحسن ثم خالفه واعتزل حلقته فلذا قيل المعتزلي))، قال ابن معين: ((لا يكتب حديثه))، وقال النسائي: ((متروك الحديث، كان من أهل الورع والعبادة إلى أن احدث ما احدث من البدع))، توفي سنة ١٤٤هـ، بموضع يقال له مَرّان بين مكة والبصرة. انظر: ميزان الاعتدال / للذهبي (٣ / ٢٧٣ وما بعدها) برقم/ ٦٤٠٤، تهذيب التهذيب/لابن حجر (٨/ ٧٠-٧٥)، وفيات الأعيان / لابن خلكان (٣/ ٤٦٠-٤٦٢) رقم/ ٥٠٣ سير أعلام النبلاء / الذهبي (٦/ ١٠٤-١٠٥)، الأعلام / للزركلي (٥ / ٨١).

ـ رحمه الله ـ [١] .

فهو اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني ، وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية [٢] .

فسميت المعتزلة بهذا الإسم لاعتزال واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد مجلس الحسن البصري ، بعد أن نازعه واصل في مسألة مرتكب الكبيرة حيث سُئل عنها الحسن البصري فانبرى واصل وقال : أنا أقول بأنه لا مؤمن ولا كافر هو في المنزلة بين المنزلتين . فاختلف في ذلك مع الحسن ، فاعتزل مجلس الحسن (درسه) وانضم إليه عمرو بن عبيد وانحاز إليهما طائفة من الناس، وعقدوا حلقة في ناحية المسجد، فسموا : معتزلة [٣] .

وقيل سموا معتزلة : لأنهم اعتزلوا جماعة المسلمين وأئمتهم وخالفوهم ، ولا فرق بين القولين ، إذ أن المعتزلة حينما اعتزلوا مجلس الحسن فعلاً بسبب هذه المقولة إنما فعلوا ذلك لأنهم خالفوا جماعة المسلمين بعقائدهم هذه ، فاعتزلوهم معنىً وحساً .

والحسن البصري من أئمة المسلمين آنذاك ، ومخالفتهم له ليست مخالفة شخصية، إنما هي خروج عن عقيدة المسلمين واعتزال لجماعتهم [٤] .

---

(١) عقائد الثلاث والسبعين فرقة / لأبي محمد اليمني (١ / ٣٢٥) ، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار / لابن أبي الخير العمراني (١ / ٦٨ ، ٦٩) ، التنبيه والرد / للملطي (ص٤٩) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / للرازي (ص٣٤) ، ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين / لعبد الله أسعد اليافعي (ص٤٩) ، الفرق بين الفرق / للبغدادي (ص٩٨) ، شرح العقيدة الطحاوية ــ تحقيق الألباني (ص٥٢١) .

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة(١ / ٦٩)، الجهمية والمعتزلة، للدكتور : ناصر العقل (ص١٢٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ١٨٢ ، ١٨٣) ، المنية والأمل في شرح الملل والنحل / لابن المرتضى تحقيق / د: محمد مشكور (ص١٢٩) . الخطط / للمقريزي (٢ / ٣٤٥) ، المواقف في علم الكلام / للإيجي (ص ٤١٥) ، الفرق بين الفرق / للبغدادي (ص ٩٨) .

(٤) انظر : الجهمية والمعتزلة / للدكتور : ناصر العقل (ص١٢٨) .

فقد سماهم السلف بالمعتزلة على سبيل الذم لمخالفتهم الموقف الصحيح ولاعتزالهم للجماعة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « وأما المعتزلة فامتازوا بالمنزلة بين المنزلتين لما أحدثه عمرو بن عبيد ، وكان هو وأصحابه يجلسون معتزلين للجماعة »[١] .

(١) مجموع الفتاوى (٨ / ٢٢٨) .

المطلب الثاني
ألقـــاب المعتـــزلـــة

[١] **المعتزلة** : وذلك بسبب اعتزال واصل بن عطاء أول زعيم لهم ، حلقة الحسن البصري ، حينما ألقى رجل سؤالاً عن مرتكب الكبيرة فبادر واصل إلى الجواب قبل أن يجيب الحسن البصري ـ رحمه الله ـ فقال : « إنه في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ، وفي الآخرة هو مخلد في النار ، مخالفاً بذلك مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ، ومن ثم اعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري ـ رحمه الله ـ فسموا معتزلة » (١) .

[٢] **القدرية** (٢) : لقولهم بحرية الإرادة للإنسان ، وإنه خالق لافعاله خيرها وشرها ، فهم ينكرون القدر ويزعمون أن الإنسان مقدر أفعاله ، أو بعض أفعاله ، وأن الله لم يقدر أفعال العباد أو بعضها . وأول من نطق بتلك المقالة في الإسلام رجل نصراني من أهل البصرة يسمى سوسن (٣) ، فأخذ عنه معبد الجهني (٤) تلك المقالة ثم أخذها غيلان الدمشقي (٥) عن معبد .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ١٨٣) ، (٧ / ٤٨٤) ، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار / لابن أبي الخير العمراني (١ / ٦٨ ، ٦٩) .

(٢) الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ٦) ، الفرق بين الفرَق / للبغدادي (ص٩٨) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان / للسكسكي (ص٢٧) ، الإنتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار / لابن ابي الخير العِمراني (١ / ٦٨) .

(٣) هو رجل نصراني فاسلم وكان أول من نطق في القدر واخذ عنه معبد الجهني ، ثم تنصَّر سوسن مرة أخرى . انظر : سير أعلام النبلاء (٤ / ١٨٧) .

(٤) هو معبد بن عبد الله بن عكيم أو عويم ، وقيل عويمر الجُهني (نسبة إلى جُهينه) ، ضال مبتدع ، هو أول من تكلم في القدر بطريقة بدعية ، نهى الحسن البصري الناس عن مجالسته ، مات مقتولاً سنة ٨٠هـ ، قتله الحجاج صبراً لخروجه مع ابن الأشعث . انظر : ميزان الاعتدال / للذهبي (٤ / ١٤١) برقم / ٨٦٤٦ ، تهذيب التهذيب / لابن حجر (١٠ / ٢٢٥ ، ٢٢٦) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٤ / ١٨٥-١٨٧) ، الأعلام / للزركلي (٧ / ٢٦٤) .

(٥) هو غيلان بن مسلم الدمشقي القبطي ، اختلف في اسم ابيه ، تنسب إليه فرقة الغيلانية من المرجئة ، درس على الحسن بن محمد بن الحنفية في المدينة ، قال الذهبي : ((ضال مسكين)) كان مبشراً =

يقول الإمام الأوزاعي ـ رحمه الله ـ : « أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له : سوسن كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد » (١) .

فهؤلاء هم أوتاد القدرية الأوائل ومذهبهم في القدر (٢) يدور على أمرين :

(١) نفي علم الله سبحانه وتعالى بالأشياء قبل وقوعها .

(٢) نفي خلقه سبحانه وتعالى لأفعال العباد ، وأنها ليست واقعة بِقَدَرِة (٣) .

وعندما سئل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن أقوام (وهم غلاة القدرية) يزعمون أنه لا قدر وأن الأمر أنف (٤) فقال ـ رضي الله عنه ـ :« إنِّي بريء منهم وأنهم براء مني ، ثم أقسم بالله لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر » (٥) .

فغلوهم في القضاء والقدر جعلهم يضلون الطريق الحق والمعتقد الصحيح فيهما ، فبدلاً من أن ينزهوا الله ـ عز وجل ـ كما يزعمون وقعوا في نقيض القصد فوصفوه بأحط الصفات وكذا في سائر اعتقاداتهم الزاعمين فيها تنزيه الله ـ عز وجل ـ .

= حقيقياً بمذهب العدل الذي صار من أصول المعتزلة فيما بعد ، وكان مالك ينهى عن مجالسته، أخذ مقالته في القدر عن معبد الجهني، دعا عليه عمر بن عبدالعزيز ، وناظره الأوزاعي وأفتى بقتله ، فقتل ، وصلب في دمشق بعد سنة ١٠٥هـ في زمن هشام بن عبدالملك . انظر : ميزان الاعتدال / للذهبي (٣ / ٣٣٨) برقم / ٦٦٧٨ ، لسان الميزان / لابن حجر (٤ / ٤٩٢) برقم / ٦٥١١ ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١ / ٢٨٠) ، الأعلام / للزركلي (٥ / ١٢٤) .

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / للإمام اللالكائي (٤ / ٧٥٠) رقم / ١٣٩٨ ، كتاب الشريعة / للآجري (ص٢١٩) .

(٢) مذهب أهل السنة في القدر هو : الإيمان به ، وأن الله قدّر مقادير العباد قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وأنه خالق لافعال عباده لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات : ٩٦] ، ويؤمنون بأن القدر قسمين : ١– قدر كوني ٢– قدر شرعي .

(٣) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (١ / ١٤١ ، ١٤٢) .

(٤) وأن الأمر أنف : أي مستانف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى ، وإنما يعلمه بعد وقوعه ، صحيح مسلم بشرح النووي (ج١ / ١٥٦) المجلد الأول .

(٥) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الإسلام والإيمان (١ / ٣٦ – ٣٧)ح / ٨ .

[٣] **الجهمية**[١]:وذلك للتوافق بين الجهمية والمعتزلة في مسائل عقدية، فوافقوا جهماً في كثير من أصوله في التعطيل وغيره،ولأن صاروا – أي أهل السُّنَّة– يطلقون وصف الجهمية على كل من سلك منهج النفي والتعطيل والتأويل في الصفات والسمعيات ونحوها، فيصفون من قال : كلام الله مخلوق أو القرآن مخلوق (جهمي) ومن أنكر الرؤية (جهمي) ومن أنكر الاستواء (جهمي) وهكذا، وكل هذه من أصول المعتزلة [٢].

ولأن المعتزلة أحيوا آراء الجهمية ولذا أطلق شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مقولته: « إن كل معتزلي جهمي وليس كل جهمي معتزلي » [٣] .

[٤] **الوعيدية** : وسموا بذلك لقولهم بالوعد والوعيد وإنفاذه لا محالة، وإن الله تعالى لا يخلف في وعده ووعيده، فلابد من عقاب المذنب إلا أن يتوب قبل الموت ، فهم يقولون بتخليد مرتكب الكبيرة في النار إذا مات مصراً عليها [٤] .

[٤] **المعطلة** : لأنهم ينفون صفات الله تعالى وأفعاله ، فوافقوا الجهمية في نفي الصفات وتعطيلها وتأويلها ما لا يتوافق مع اعتقادهم من النصوص ، وهذا ما قال به الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « والتأويل إذا تضمن تكذيب صاحبه فحسبه ذلك بطلاناً ، وأكثر تأويلات القوم من هذا الطراز [٥] » [٦] .

وقد ألف كتابه (الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة) وكان قاصداً الأكثر الرد على المعتزلة الذين تأولوا الصفات ، كتأويل اليدين في قول الله تعالى :

---

(١) منهاج السنة النبوية / لابن تيمية ١/١٥٦) ـ مكتبة العروبة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١ / ١٥٦) ـ مؤسسة قرطبة ، درء تعارض العقل والنقل / لابن تيمية (٥/٢٤٥) ، مجموع الفتاوى (١١/٤٨٨) .

(٢) الجهمية والمعتزلة / للدكتور : ناصر بن عبدالكريم العقل (ص١٣٣) .

(٣) منهاج السنة النبوية / لابن تيمية (١ / ١٥٦) ـ مكتبة العروبة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون ، (٢ / ٦٠٤) ـ مؤسسة قرطبة ، (٢ / ٦٠٤) ـ مكتبة ابن تيمية .

(٤) التنبيه والرد / للملطي (ص٤٩) ، الفرق بين الفِرَق / للبغدادي (ص٩٨) ، الجهمية والمعتزلة / للدكتور : ناصر العقل (ص١٣٤) .

(٥) الطراز : أي النمط والشكل .

(٦) الصواعق المرسلة (١ / ١٩٢) ، الجهمية والمعتزلة / للعقل (ص١٣٤) .

﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥] ، بالنعمة وغيرها [١] .

[٦] **أهل الكلام** : لأن أسسهم التي بنوا عليها مقالاتهم كلامية لا أصل لها من الشرع [٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « ... المتكلمون كانوا يسمون بهذا الإسم قبل منازعتهم في مسألة الكلام ، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء أنه متكلم ، ويصفونه بالكلام ، ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام » [٣] .

[٧] **العقلانية** : لأنهم يغلون في تقديم العقل وتحكيمه ، ويجعلونه حاكماً على الشرع ، فما وافق العقل أخذوه وما تعارض معه ردوه [٤] .

[٨] **أهل العدل والتوحيد** : فالمعتزلة تسمي نفسها بأهل العدل والتوحيد ، وتعني بذلك نفي القدر ، والقول بأن الإنسان موجد أفعاله تنزيهاً لله تعالى أن يضاف إليه أي شر [٥] ـ على حسب زعمهم ـ ويعنون نفي صفات الله سبحانه

(١) انظر : الصواعق المرسلة (١ / ١٩٢ ، ١٩٣) .

(٢) الجهمية المعتزلة / للعقل (ص١٣٣) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ١٨٤) .

(٤) الجهمية المعتزلة / للعقل (ص١٣٣) .

(٥) الإيمان بالقدر يتعلق بمسائل هي :

(أ) قيام الحجة على الخلق : فلله الحجة البالغة على خلقه ويتضح ذلك بأمور هي :

[١] أن الله خلق للعباد قدرة وإرادة ومشيئة وفعلاً ، فبالقدرة يستطيعون القيام بالتكاليف المناطة بهم ، وبالإرادة والمشيئة يصح توجيه الخطاب إليهم بالأوامر والنواهي ، وعلى الفعل يقع الجزاء على الخير خيراً وعلى الشر شراً ، إلا أن يعفو الله جل وعلا ومن أدلة ذلك في إثبات القدرة للعبد قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝ ﴾ البلد : ٨-١٠ ، وفي إثبات المشيئة والإرادة للعبد قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ الإنسان : ٣٠ ، ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝ ﴾ التكوير : ٢٨ . وفي إثبات الفعل للعبد ومؤاخذته بفعله قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ ﴾ المدثر : ٣٨ . فالسلف يثبتون هذه الأمور مع إثباتهم للقدر بمراتبه الأربع وهي :

الأولى : الإيمان بعلم الله السابق بكل شيء فعلم الله جل وعلا ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون .

الثانية : الإيمان بأن الله عز وجل قد كتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة صغيراً أو كبيراً من أحوال بني آدم وأعمالهم .

وتعالى ، فهم يحبون الوسم بهذا اللقب لكونه يحمل معنيين من أصولهم الخمسة وهو أصل التوحيد ، وأصل العدل (١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « فنفاة الجهمية من المعتزلة وغيرهم سموا نفي الصفات توحيداً » (٢) .

[٩] **أهل الحق** : وهذه من الأسماء التي تسمت بها المعتزلة (أهل الحق والفرقة الناجية) ومرادهم إنطباق ما ورد في فضائل هذه الفرقة عليهم ، ويطلقون على أنفسهم لقب المنزهين لله ، لزعمهم أنهم ينزهون الله عند نفيهم للصفات (٣) .

[١٠] **المجوسية** : (**الثنوية**) (٤) : وهم ينفرون من هذا الاسم ، والذي يطلقه

الثالثة : الإيمان بعموم مشيئة الله عز وجل وأنها الموجبة لكل ما في الوجود فما وقع في الوجود من عمل فإنما وقع بمشيئة الله ، ومالم يقع فإن الله لم يشأ وقوعه ولو شاء وقوعه لوقع .

الرابعة: الإيمان بأن الله خالق كل شيء ومن ذلك العباد وأفعالهم ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦ ﴾ [الصافات : ٩٦] .

[٢] إرسال الرسل وإنزال الكتب والشرائع وترتيب الجزاء عليه .

[٣] عدم التكليف بما لا يطاق .

(ب) تنزيه الله جل وعلا عن الظلم .

(ج) إثبات الحكمة له جل وعلا في فعله وأمره .

(د) التلازم بين الإيمان بالقدر والتوحيد . عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « إن الله نظم القدر بالتوحيد فمن كذب بالقدر فقد نقض التوحيد » . شرح أصول الاعتقاد / للالكائي (٣ / ٦٢٣) برقم / ١١١٢ .

(١) الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ٤٠ ، ٤١ ، ٤٩)، شرح الأصول الخمسة / للقاضي عبد الجبار (ص١٢٨-١٣٣) ، مقالات الإسلاميين / للاشعري (١ / ٢٣٥) ، تاريخ المذاهب الإسلامية / لمحمد أبو زهرة (ص١٢٦ ، ١٢٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ٤٨٨) .

(٣) العلم الشامخ / للمقبلي (ص٣٠٠) ، ط الأولى – مصر – ١٣٢٨هـ – الجهمية والمعتزلة /د. ناصر العقل (ص١٣٤) .

(٤) الثنوية : يقولون : ان النور والظلمة أزليان ، ويزعمون أنه ثم إلهين وخالقين ، خالق للخير ، والنور والضياء ، وخالق للشر والظلمة والبلاء ، يقولون : إن الله لم يخلق الظلمة والبلاء والهوام والسباع وهم أربع فرق : المانوية ، الديصانية ، المرقونية ، المزدكية ، انظر : التنبيه والرد/للملطي (ص١٠٦-١١٠) ، والفرق بين الفرق / للبغدادي (ص٢٠٣) ، التبصير في الدين / للاسفاريني (ص١٣٥-١٣٦) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / الرازي (ص١٢١ - ١٢٣) .

عليهم أهل السُّنَّة والجماعة ، والسبب في تلقيبهم بهذا اللقب لقولهم بأن العبد يخلق أفعاله فتشابهوا بالثنوية والمجوس الذين يقررون وجود إلهين أحدهما للخير والآخر للشر [١] .

وقد ورد ذكر هذا اللقب في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « **لكل أمة مجوس ، والقدرية مجوس هذه الأمة** ، .... » [٢] ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « ولهذا كان المعتزلة ونحوهم من القدرية مجوس هذه الأمة » [٣] .

[١١] **الواردية** : سموا بذلك لقولهم بأن المؤمنين لا يدخلون النار وإنما يردون عليها ، ومن أُدخل النار لا يخرج منها قط [٤] .

[١٢] **المخيرة** : لقولهم بأن العبد يختار أفعاله دون الله عز وجل .

قال الإمام أبو محمد اليمني - رحمه الله - في كلامه مع المعتزلة القدرية :

« ..... فصح بادعائكم أنكم القدرية والمخيرة ، ونحن لا نقول بقولكم ، بل الحول والقول لله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد » [٥] .

---

(١) الملل والنحل / للشهرستاني (١/٥٧-٥٨) ، والفرق بين الفِرَق / للبغدادي (٩٥-٩٦) الخطط / للمقريزي (٢/٣٤٨) .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢/٨٦) وأبو داود في سُننه : كتاب السُّنَّ ، باب في القدر (٥/٦٧) ح٤٦٩١ ، ٤٦٩٢ ، من حديث عبد الله بن عمر ، وحذيفة بن اليمان ، ومشكاة المصابيح (١/٣٨) ح١٠٧ . وقال الألباني : الحديث حسن بطرقه . انظر : صحيح الجامع برقم /٥١٦٣ .

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/٢١٥) .

(٤) انظر : المصدر السابق (١١/٤٨٥-٤٩١) ، (١/١١٦) ، درء تعارض العقل والنقل (٥/٢٠) ط. جامعة الإمام ، مذاهب الإسلاميين / للدكتور: عبد الرحمن بدوي (١/٥٨) ، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - ط الثالثة (١٩٨٣م) .

(٥) عقائد الثلاث والسبعين فرقة / لأبي محمد اليمني (١/٣٥٤) .

المبحث الثالث

مصادر المعتزلة في التلقي والإستدلال

يعتمد المعتزلة في إثبات العقيدة على العقل دون النقل ويجعلون العقل وحده أصل علمهم ويفردونه ويجعلون القرآن والإيمان تابعين له ، والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن (١) .

وبسبب اعتمادهم على هذا الأصل أصبح بعضهم يتجرأ على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ ويتكلم بكلام يؤدي بصاحبه إلى التهلكه، فهذا عمرو بن عبيد المعتزلي يذكر حديث النبي ﷺ ويقول : ((لو سمعت رسول الله ﷺ لرددته ، وقال : إن كانت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① ﴾ في اللوح المحفوظ ، فما لله على ابن آدم حجةٌ)) (٢) .

وبهذا يعرف الغلو في طرح النصوص الشرعية إذا خالفت عقولهم وأقوالهم.

لذا كان من نتائج هذا المنهج أنهم تحكموا في نصوص الوحي بعقولهم ، فما وافق عقولهم أثبتوه وما خالفها نفوه ،ومن هنا أتوا بأقوال في مسائل الاعتقاد خالفوا فيها إجماع السلف وحرفوا بسببها نصوص الوحي الكريم ويزعمون أنه تأويل ، وضعفوا الأحاديث التي لا توافق عقولهم بحجة أنها أخبار آحاد أو منسوخة أو نحو ذلك من الأقوال .

وبهذا نعرف أن المعتزلة كغيرها من سائر أصحاب الأهواء والبدع لا تكتفي بمصادر الحق التي هي مصادر التلقي والإستدلال عند السلف أهل السُّنَّة والجماعة ولكن يعتبرون المصادر الأساسية تبعاً لما جعلوها عندهم مرتكزاً لمصادر التلقي والإستدلال نبينها في المطالب الآتية :

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٣٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء / للذهبي (٦ / ١٠٤ ، ١٠٥) .

المطلب الأول

القرآن والسُنّة والإجماع وموقفهم منها

الفرع الأول : القرآن الكريم وموقفهم منه :

يجعلونه مصدراً في أخذ الآيات التي تنص على العموم كآيات الوعيد فيجعلونها دليلاً على تخليد أهل الذنوب والمعاصي من أهل الكبائر وإن كانوا ماتوا على التوحيد .

وكون الآيات القرآنية قطعية الثبوت فلجؤا إلى طريق التأويل وفتحوا بابه ، فحرّفوا الكلم بغية السلوك في منهجهم وعقيدتهم ، فيرون حكم إنفاذ الوعيد عقلاً ، ويقولون في قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء : ٤٨-١١٦] ، إنه يغفر للمجتنبين الكبير الصغير .

يقول القاسم الرسي ـ رحمه الله ـ : « يغفر للمجتنبين الكبير الصغير وهو أيضاً دون الشرك وإن كان صغيراً ،.. وقد يغفر لمن تاب منه فيكون قوله تعالى : ﴿ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي لمن تاب من الكبائر »[١] .

فهم يسلكون طريق التأويل حتى يستقيم لهم القول في إظهار آرائهم الاعتقادية « فمنهجهم في تقرير مسائلهم الاعتقادية والاستدلال عليها أن يعتنقوا الآراء بعقولهم ثم ينظروا في كتاب الله فإذا وجدوه ينقض ما قاسوا ويبطل ما أسسوا طلبوا له أنواع التأويلات »[٢] .

الفرع الثاني : السُنّة النبوية وموقفهم منها :

ما كان موافقًا لمعتقداتهم أخذوه وما عارضها أولوه.إن كان متواتراً ، وتقديم

---

(١) كتاب العدل والتوحيد / للقاسم الرسي (ضمن رسائل العدل والتوحيد) قدم لها / سيف الدين الكاتب (ص٢٨٠) .

(٢) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة / لابن قتيبة الدينوري (ص١٥) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

الحكم العقلي عليه فهو الذي يستحسن مايراه حسناً ويستقبح ما يراه قبيحاً (١) .

وإن كان خبر آحاد فإنهم يقدمون الحكم العقلي عليه مطلقاً سواء في العقائد أو في الشرائع العملية ، بل إنهم ردّوا أخبار الآحاد في العقائد جملة بدعوى أن العقيدة يجب أن تثبت بطريق قطعي يقيني لا بطريق ظني كخبر الواحد ، ولم يفرقوا بين ما هو صحيح من الأحاديث أو غيره من درجات الحديث ، بل يكفي مخالفته لما ادعوه معقولاً لردّه وعدم العمل به ، بل والقدح في رواته بغاية الجرأة والوقاحة (٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « والمعتزلة أيضاً تفسق من الصحابة والتابعين طوائف وتطعن في كثير منهم ، وفيما رووه من الأحاديث التي تخالف آراءهم وأهواءهم » (٣) .

وكان من جراء ذلك أن ردّ المعتزلة الكثير من العقائد الثابتة عن رسول الله ﷺ كعذاب القبر(٤) ، وكالإيمان بالحوض والصراط والميزان والشفاعة ، وكذلك رؤية الله تعالى في الآخرة ، وكل هذا بدعوى مناقضتها للعقل ، أو تعارضها مع الكتاب ، أو أحاديث أخرى بزعمهم (٥) .

قال الإمام الشاطبي- رحمه الله-: « وذهبت طائفة إلى نفي أخبار الآحاد جملة ،

---

(١) انظر : الفرق بين الفرَق / للبغدادي (ص٩٣-١١٠) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / للفخر الرازي (ص٤٠ ، ٤١) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان / للسكسكي (ص٥٥ ، ٥٦) ، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين / لعبد الله أسعد اليافعي (ص٥٦ ، ٥٧) .

(٢) المعتزلة بين القديم والحديث / لمحمد العبده ، طارق عبدالحليم (ص٨٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (٤ / ١٥٤) .

(٤) الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ٤٣) ، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٩٧ ، ٩٨) ، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة / للقاضي عبدالجبار وآخرون / تحقيق : فؤاد سيد (ص٢٠٢) ـ الدار التونسية ـ تونس ـ ط (١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م) .

(٥) الاعتصام/ للشاطبي ـ تحقيق سليم الهلالي (١ / ٢٩٤) ـ دار ابن عفان ـ الخبر ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ، المعتزلة بين القديم والحديث / لمحمد العبده / طارق عبدالحليم (ص٨٣) .

والاقتصار على ما استحسنته عقولهم في فهم القرآن .. ولما ردُّوها بتحكم العقول ، كان الكلام معهم راجعاً إلى أصل التحسين والتقبيح » (١) .

فقد قرر هذا المعنى أهل الكلام في كثير من كتبهم ، وردوا به أحاديث صحيحة مشهورة ، بل أحاديث متواترة زعموا أنها آحاد ، وأنها ظنية ، فلا يؤخذ بها في العقيدة .

فمن المعتزلة الذين سطروا هذا المعنى القاضي عبدالجبار ، فقد قال : « وأما ما لا يعلم كونه صدقاً ولا كذباً ، فهو كأخبار الآحاد ، وما هذه سبيله يجوز العمل به إذا ورد بشرائطه ، فأما قبوله فيما طريقه الاعتقادات فلا » (٢) .

وبهذا المنهج خالفوا منهج السلف في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة وأخذ الاعتقاد منهما (٣) .

ويقول القاضي أيضاً وهو يعارض ويرد على من يثبت رؤية الله تعالى : « .... إن جميع ما رووه وذكروه أخبار آحاد ولا يجوز قبول ذلك فيما طريقه العلم لأن كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط .. وإنما يعمل بأخبار الآحاد في فروع الدين ، وما يصح أن يتبع العمل به غالب الظن ، فأما ما عداه فإن قبوله فيه لا يصح ، ولذلك لا يرجع إليه في معرفة التوحيد والعدل وسائر أصول الدين.. » (٤) .

فبناء على هذه القاعدة التي سار عليها القاضي عبدالجبار المعتزلي وجماعته من المعتزلة رُدت أحاديث الرؤية والشفاعة وغيرها (٥) .

الفرع الثالث : الإجماع وموقف المعتزلة منه :

إن المعتزلة بجميع فرقها ترد الإجماع ، وأما ما روي عنهم بقبوله فهومن باب

(١) الإعتصام / للشاطبي (١ / ٢٩٥) .
(٢) شرح الأصول الخمسة(ص٧٦٩) .
(٣) انظر : الفرقان بين الحق والباطل / لابن تيمية ـ تحقيق الأرناؤوط (ص١٧) .
(٤) المغني في أبواب التوحيد والعدل / للقاضي عبدالجبار ـ تحقيق الدكتور : محمود محمد قاسم (٤ / ٢٢٥) .
(٥) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص٢٦٩ ، ٦٧٢ ، ٦٩٠) .

التمويه . فالقاضي عبدالجبار يقر بحجية الإجماع ، ولكن الإجماع عنده بخلاف إجماع أهل السُّنَّة والجماعة وهو ما أجمعت عليه الأمة ، بل الإجماع عنده لا يرتبط بالعدد بقدر ما يرتبط بطاعة الله ، فهو عنده ينطبق حتى على الفرد الواحد (١) ، ولكن الواحد لا يمكن أن يكون إجماعاً ، فالإجماع عنده والحجة تكون بقول الإمام المعصوم عنده ولابد أن يكون من المعتزلة أنفسهم ، فهنا يظهر تداخل الشيعة والمعتزلة بعضها مع البعض ، فإن موقف المعتزلة من الإجماع في غاية الوضوح حيث إن النظام (٢) كان أول من رد الإجماع في الأمة ، وجوَّز إجماع الأمة في جميع الأعصار على الخطأ ، وفي الواقع هو الذي وقع في الخطأ وليس إجماع المسلمين ، فقد خالف إجماع الأمة في كثير من الأمور (٣) .

---

(١) انظر : فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة / للقاضي عبدالجبار وآخرين / تحقيق : فؤاد سيد (ص١٨٦) ، شرح الأصول الخمسة (ص٥٤) .

(٢) هو إبراهيم بن سيّار بن هانئ البصري ، أبو إسحاق النظام ، من أئمة المعتزلة ، تبحر في علوم الفلسفة والكلام ، وانفرد بآراء خاصة ، وقد تابعته فرقة من المعتزلة، سميت (النظامية) نسبة إليه ، وكان سيء السيرة ، خالط الثنويه والمجوس والفلاسفة وأخذ عنهم الكثير ، توفي سنة ٢٣١هـ . انظر : لسان الميزان / لابن حجر (١ / ٥٩) برقم / ١٧٤ ، الوافي بالوفيات للصفدي (١ / ١٢-١٥) ، النجوم الزاهرة / للاتابكي (٢ / ٢٣٤)، سير أعلام النبلاء/للذهبي (١٠ / ٥٤١ ، ٥٤٢) ، الأعلام / للزركلي (١ / ٤٣) عقائد الثلاث والسبعين فرقة / لابي محمد اليمني (١ / ٣٣٠) .

(٣) انظر : تأويل مختلف الحديث / لابن قتيبه (ص١٨ ، ١٩) ط المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

المطلب الثاني
العقل

من مصادرهم الرئيسية المعتمدة هي (العقل أو العقليات أو القواعد العقلية) :

يعتبر المعتزلة من أشهر الفرق الكلامية الذين عارضوا صحيح المنقول بشبهاتهم التي سموها معقولات وقد زادت معارضتهم لصحيح المنقول بعد ترجمة الكتب اليونانية في عهد الخليفة المأمون ، حيث درسوا الفلسفة فأحدثت في حياتهم إنقلاباً خطيراً في المعتقد والفكر (١) .

فأوهام العقول وظنونها أو ما يسمونه العقليات أو القواعد العقلية جعلوها هي الأصل في تقرير العقيدة وأصول الدين،وقدّموها على نصوص الكتاب والسُّنَّة، وجعلوا التخرصات العقلية هي المحكَّمة،ونصوص الشرع هي المحكوم عليها ، فصار العقل عندهم هو الخصم للشرع وهو الحكم على كلام الله ـ عز وجل ـ وكلام رسوله ﷺ (٢) .

وبسبب اعتماد المعتزلة على العقل ، واعتبار حجيته الحجة القاطعة ، وطرح ما لا يوافق عقولهم من نصوص الوحي ، أصبح بعضهم يتجرأ على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ ، ويتكلم بكلام يؤدي بصاحبه إلى التهلكة، فهذا عمرو بن عبيد ، وهومن رواد المعتزلة يذكر حديث الصادق المصدوق ، فيقول : « لو سمعت الأعمش (٣) يقول هذا لكذَّبته ، ولو سمعت زيد (٤) بن وهب يقول هذا ما أجبته ولو سمعت

---

(١) انظر : الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ٢٣) .

(٢) انظر : الجهمية والمعتزلة / للدكتور : ناصر العقل (ص١٦٥) .

(٣) هو سليمان بن مِهْران الأسدي محمد الكاهلي المشهور بالأعمش ، أبو محمد ، مقرئ ومحدث ، ولد بقرية (امُه) من أعمال طبرستان سنة ٦١هـ ، وتوفي سنة ١٤٨هـ بالكوفة . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (٦/ ٢٢٦-٢٤٨) ، تهذيب التهذيب / لابن حجر (٤ /٢٢٢) ، الأعلام / للزركلي (٣ / ١٣٥) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج١ / ٢٢٠) المجلد الأول .

(٤) هو أبو سليمان زيد بن وهب الجهني الكوفي ، الإمام ، الحجة ، سمع من بعض الصحابة وقرأ على ابن مسعود ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ، توفي في حدود سنة ٨٣هـ . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (٤ / ١٩٦) ، تهذيب التهذيب / لابن حجر (٣ / ٤٢٧) .

عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قبلته،ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله تعالى يقول هذا لقلت له: ليس على هذا أخذت ميثاقنا »(١).

ويقول واصل بن عطاء رأس المعتزلة: « إن كل خبر لا يمكن التواطؤ والتراسل والاتفاق على غير التواطؤ فهو حجة ، وما يصح ذلك فيه فهو مطرح... »(٢).

وقد فاق أبو الهذيل العلاف(٣) شيخه واصل في ردّ الأخبار واعتبار الحجة في المعقولات حيث اشترط شروطاً في قبول حجية النقل بأن يكون متواتراً ، وأن يكون أحد رواته من أهل الجنة .

قال عبدالقاهر البغدادي - رحمه الله -: « ما أراد أبو الهذيل باعتباره عشرين في الحجة من جهة الخبر إذا كان فيهم واحدٌ من أهل الجنة إلا تعطيل الأخبار،...، وأرادوا بواحد من أهل الجنة من كان في نحلته من الاعتزال... »(٤).

وهذا الشرط الذي اشترطه أبو الهذيل العلاف إنما مراده من ذلك إسقاط حجية النقل ، وتقديم حجج المقاييس العقلية الفاسدة عليه ، ويؤكد ذلك قوله : « .... الرواية ريبة ، والحجة في المقاييس »(٥).

وادّعى النظام أن الأحاديث متناقضة ، وأن حجية العقل قد تنسخ الأخبار ، فقد

---

(١) ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢ / ١٧٢) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٦ / ١٠٤ ، ١٠٥).

(٢) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة / للقاضي : عبدالجبار وآخرين (ص٢٣٤).

(٣) هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي ، المعروف بالعلاف ، ولد في البصرة سنة ١٣١هـ ، وقيل ١٣٥هـ ، شيخ البصريين في الاعتزال ، ومن أكبر علمائهم ، وصاحب المقالات في مذهبهم ، أخذ الاعتزال عن عثمان الطويل تلميذ واصل بن عطاء ، كان له إطلاع كبير على الفلسفة ، توفي سنة ٢٣٥هـ . انظر : تاريخ بغداد / للخطيب (٣ / ٣٦٦) برقم / ١٤٨٢ ، وفيات الأعيان / لابن خلكان (٤ / ٢٦٥) برقم / ٦٠٦ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٠ / ٥٤٢ ، ٥٤٣) ، لسان الميزان / لابن حجر (٥ / ٤٦٨) برقم / ٨١٥٠ ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٢ / ٨٥) المجلد الأول .

(٤) الفرق بين الفرَق (ص١١٠) بتصرف يسير .

(٥) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة / للقاضي عبدالجبار وآخرين (٢٥٩).

ذكر ابن قتيبة [١] عن النظام ، بأن له أقاويل في أحاديث يدَّعى عليها أنها مناقضة للكتاب ، وأحاديث أخرى يستبشعها من جهة العقل ، وذكر أن جهة العقل قد تنسخ الأخبار ، وأحاديث ينقض بعضها بعضاً [٢] .

فقد اشتد تمسك المعتزلة بمنهجهم العقلي الذي أخذ في التولي عن الأدلة النقلية رويداً رويداً حتى بلغ القمة على يد النظام ، فبقدر ما يقربون من الفكر الفلسفي المترجم بقدر ما يبتعدون عن الأدلة النقلية ، فلما تعانق الفكر المعتزلي والفلسفي على يد النظام ، استوت مقالة واصل بن عطا على سوقها بعد أن اشتد عودها على يد أبي الهذيل العلاف .. ونمت مقالة المعتزلة على ثلاث مراحل :

الأولى : اطراح جميع الأخبار مالم يتقرر عدم إمكان التواطؤ.

الثانية : الأخبار ريبة والحجة في المقاييس .

الثالثة : الحجة قد تنسخ الأخبار [٣] .

ويذكر القاضي عبدالجبار أنواع الدلالات ويقدم عليها حجة العقل فيقول في ذلك : « إعلم أن الدلالات أربع : حجية العقل ، والكتاب ، والسُّنَّة ، والإجماع ، ومعرفة الله لا تنال إلا بالعقل » [٤] .

ويرى أن الأخبار في الاعتقادات عموماً تنظر ، فإن كانت موافقة لحجج العقول

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، الإمام ، العالم ، الكاتب ، الأديب ، اللغوي ، قال عنه الإمام أبو بكر الخطيب البغدادي : ((كان ثقة ، ديناً ، فاضلاً)) ، ولد ببغداد سنة ٢١٣هـ من مصنفاته : (تأويل مختلف الحديث ، غريب القرآن ، الشعر والشعراء) وغير ذلك ، توفي سنة ٢٧٠هـ وقيل ٢٧٦هـ . انظر : تاريخ بغداد / للخطيب (١٠ / ١٧٠) برقم / ٥٣٠٩ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي(١٣ / ٢٩٦-٣٠١) ،الاعلام / للزركلي(٤ / ١٣٧) .

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث / لابن قتيبة ـ تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا (ص٤٧، ٦٤) ـ دار الكتب الإسلامية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٤٠٢هـ) .

(٣) انظر : معالم طريق السلف في أصول الفقه ـ الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية ـ للدكتور : عابد محمد السفياني (ص١٨٦-١٨٧) ـ مكتبة المنارة ـ مكة المكرمة ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ) .

(٤) شرح الأصول الخمسة / للقاضي عبدالجبار (ص٥٤) .

قبلت واعتقد وجوبها، ولكن لا لأنها حجة، ولا لمكانها ، بل للحجة العقلية ، وإن لم تكن موافقة لها ففيها مسلكان ، إما التأويل ، أو الرد والحكم بأن النبي ﷺ لم يقلها ، وإن قالها فإنما قالها على طريق الحكاية عن غيره [١] .

ويصرح القاضي عبدالجبار بمنهجه تجاه العقل والنقل فيعتبر ما يزعمه العقل أصلاً والنقل فرعاً تابعاً له ، ولا يمكن أن يستدل بصحيح المنقول في معظم مسائل الاعتقاد ولا سيما فيما يسميه المعتزلة من أصولهم التوحيد ، ويعلل عدم استدلاله على ذلك بالأدلة النقلية قائلاً : « ... ولو استدللنا بشيء منها على الله لكنا مستدلين بفرع الشيء على أصله وذلك لا يجوز » [٢] .

ومما سبق يتبين لنا أن المعتزلة بنوا أصول دينهم على ما اعتبروه عقليات ، وقدموه على نصوص الكتاب والسُّنَّة ، وطرحوا الأخبار التي لا توافق عقولهم ، واعتبروا الحجة في أصولهم الفلسفية ومقاييسهم المبنية على قواعد المنطق ، وزعموا أن معقولاتهم تنسخ الأخبار .

وأنها الحجة القاطعة المقدمة على صحيح المنقول .

ونقول : إن منهج السلف أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك تقديم النقل على العقل وعدم إهمال العقل فالنقل الصحيح يوافق العقل الصريح الخالي من الشبهات ولا يحصل بينهما تعارض إلا عند فساد أحدهما .

وأن منهج السلف مبني على التسليم لوحي الله تعالى عن علم وفقه ودراية ، ولا يتصور عقلاً أن يسلم لوحي الله إلا من اتفق عنده صحيح المنقول مع صريح المعقول .

وكذلك الدليل الشرعي قد يكون سمعيّاً وقد يكون عقلياً [٣] ، وبهذا يتم توافق صحيح المنقول مع صريح المعقول .

وقد وفق كثير من السلف للمنهج الوسط، فقالوا : إن العقل الصريح موافق للنقل

---

(١) المصدر السابق (ص٧٦٨–٧٧٠) .

(٢) المصدر السابق (ص٨٨) .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١ / ١٩٨) .

الصحيح ، واستدلوا بأدلة القرآن السمعية والعقلية التي ترشد العقل وتوجهه إلى الحق باقرب الطرق وأيسرها ، فجمعوا بين طريقي السمع والعقل ، لمعرفتهم أن دلالة الكتاب والسُّنَّة على أصول الدين ليست خبرية محضة كما تصور المتكلمون ، بل الكتاب والسُّنَّة دلاّ الخلق وهدياهم إلى الآيات والبراهين والأدلة العقلية الموافقة لصريح المعقول (١) .

وقد اتفق صريح المعقول مع صحيح المنقول على أن كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ تفيدان اليقين والعلم ، ويهديان إلى صراط الله المستقيم ، وأن مقدّموا العقل على النقل مضطربون متناقضون .

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : « إن أرباب هذا القانون الذي منعهم استفادة اليقين من كلام الله ورسوله مضطربون في العقل الذي يعارض النقل أشد اضطراب » (٢) .

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ : « وهذه العقول المضطربة المتناقضة إنما تفيد الشكوك والحيرة والريب والجهل المركب فإذا تعارض النقل وهذه العقول أخذ بالنقل الصريح ورمي بهذه العقول تحت الأقدام وحطت حيث حطها الله وحط أصحابها » (٣) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « ما عُلِم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة ، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط » (٤) .

وأصل الشرع ثابت في نفسه سواء علمه العبد بعقله أم لم يعلم فالعقل تابع لا متبوع ، يقول شيخ الإسلام رحمه الله : « فإن الشرع المنزل من عند الله ثابت في نفسه سواء علمنا بعقولنا أم لم نعلمه ، فهو مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا

---

(١) انظر : معارج الوصول / لابن تيمية (ضمن مجموع الرسائل الكبرى (١ /١٧٨) دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط / بدون .

(٢) الصواعق المرسلة (٢ / ٧٨١) .

(٣) المصدر السابق (٢ / ٧٩١) .

(٤) درء تعارض العقل والنقل / لابن تيمية(١ / ١٤٧) ، والصواعق المرسلة / لابن القيم (٣ / ٨٣٠) .

ولكن نحن محتاجون إليه وإلى أن نعلمه بعقولنا ، فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع في نفسه صار عالماً به.. ولو لم يعلمه لكان جاهلاً ناقصاً »[١] ، وقال أيضاً :

« فثبوت الرسالة في نفسها وثبوت صدق الرسول وثبوت ما أخبر به في نفس الأمر ليس موقوفاً على وجودنا فضلاً عن أن يكون موقوفًا على عقولنا أو على الأدلة التي نعلمها بعقولنا ، وهذا كما أن وجود الرب تعالى وما يستحق من الأسماء والصفات ثابت في نفس الأمر سواء علمناه أو لم نعلمه فتبين بذلك أن العقل ليس أصلاً لثبوت الشرع في نفسه ولا معطياً له صفة لم تكن له، ولا مفيداً له صفة كمال ، إذ العلم مطابق للمعلوم المستغني عن العلم ، تابع له ليس مؤثراً فيه »[٢] .

فلذلك يعلم أهل السُّنَّة والجماعة أن القول بمعارضة العقل للنقل أو جعله المصدر الرئيسي هو قول محدث مبتدع من علماء الكلام الذين تأثروا بالفلاسفة بداية في أواخر عصر التابعين .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل / لابن تيمية (١ / ٨٩) .

(٢) المصدر السابق (١ / ٨٨) ، (٥ / ٢٤٤ ، ٢٤٥) .

المطلب الثالث

الفلسفات وعقائد الأمم الأخرى

من مصادر التلقي والاستدلال عند المعتزلة (الفلسفات وعقائد الأمم الأخرى) :

كالفلسفة اليونانية ، وأخذوا عن فلاسفة الصابئة [١] والسمنية [٢] والمجوسية والجهمية [٣] .

فأخذهم عن الفلاسفة أثَّر في مصادرهم حتى عدوها مصدراً للتلقي والاستدلال، فالمعتزلة مع إعطائهم العقل الحرية الكاملة ليستدل بنفسه على مسائل الاعتقاد فإنهم استخدموا في استدلالهم في مسائلهم الاعتقادية أدلة وشبهات فلسفية كدليل الجواهر والأعراض الذي استدلوا به على وجود الله ، وكاستدلالهم بأصولهم وشبهاتهم كلفظ الجسم والعرض والتركيب والحيز والجهة ونحوها والتي أدت بهم إلى تحريف معاني الآيات القرآنية الواردة في إثبات صفات الله تعالى حيث عارضوها بهذه الشبهات ، كما حكموا على الأحاديث النبوية الواردة في الصفات بأنها ظنية ولا سيما أخبار الآحاد حيث اعتبروها ظنية الثبوت والدلالة ولا يجوز الاستدلال بها

---

(١) الصابئة : الصابي ، لغة هو : الخارج من دين إلى دين ، وهم الذين بعث فيهم إبراهيم الخليل - عليه السلام - كانوا يسكنون (حران) وكانوا يعظمون الكواكب السبعة ويقولون إنها مدبرة هذا العالم . وهم قسمان : مشركون ،وهم عبدة الكواكب ، وصابئة حنفاء ، وقد جاء ذكرهم في القرآن مع الأمم التي تنقسم كل أمة منهم إلى مؤمن وكافر ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [البقرة : ٦٢] ، والحنفاء هم قوم إبراهيم - عليه السلام - وهم أهل دعوته ، وكانوا يسكنون حران ، انظر : لسان العرب (١ / ١٠٧) ، انظر : الملل والنحل (٢ / ٢٨٩وما بعدها) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان / للسكسكي (ص٩٢) ، الموسوعة الميسرة (٢ / ٧٢٤) .

(٢) السمنية : هم بعض فلاسفة الهند وهم يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات ، يقولون بالتناسخ وقدم العالم ،وإبطال النظر والاستدلال ، أنكروا المعاد والبعث بعد الموت . انظر : الفرق بين الفرق / للبغدادي (ص٢٠٣) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط / بدون ، التبصير في الدين / للاسفرائيني (ص١٤٩) .

(٣) الجهمية والمعتزلة / للدكتور : ناصر العقل (ص١٦٥) .

في مسائل الاعتقاد عندهم [١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ رداً على الطرق الكلامية ومنهج الفلاسفة : « لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن إقرأ في الإثبات ﴿ **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ۝ ﴾ [طه : ٥] .. » [٢] .

وقال ـ رحمه الله ـ : « فإنه لا يوجد في كلام النبي ﷺ ، ولا أحد من الصحابة والتابعين ، ولا أحد من الأئمة المتبوعين أنه علق بمسمى لفظ الجوهر والجسم والتحيُّز والعرض ونحو ذلك شيئاً من أصول الدين ، لا الدلائل ولا المسائل » [٣] .

فيزعم أهل البدع أن العلوم الإلهية غامضة خفية ، ولا يمكن معرفتها إلا عن طريق المنطق والفلسفة لذلك كانت من مصادرهم في التلقي [٤] .

وقال الإمام الأشعري ـ رحمه الله ـ وهو يتكلم عن نفي المعتزلة لصفات الله ـ عز وجل ـ : « .وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً لم يزل ، ليس بعالم ولا قدير ولا حيّ ولا سميع ... » [٥] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : «ودخل بعض أهل الكلام والجدل من المنتسبين إلى الإسلام من المعتزلة ونحوهم إلى بعض مقالة الصابئة والمشركين »[٦] .

فالأخذ عن أهل الكتاب وأصحاب الملل الأخرى كالمجوس والصابئة والفلاسفة

---

(١) انظر : منهج السلف والمتكلمين في العقل والنقل / لجابر ادريس علي أمير (٢ /٤٤٨) ، ودراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها / للدكتور : ناصر العقل (ص٣٠٤) ـ مركز الدراسات والإعلام ـ دار أشبيليا ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م) .

(٢) بيان تلبيس الجهمية (نقض تاسيس الجهمية) (١ / ١٢٩) ، وذكر ابن تيمية أيضاً هذا الكلام عن الفخر الرازي في مجموع الفتاوى (٤ /٧٢ ، ٧٣) .

(٣) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١ / ٥٥) .

(٤) انظر: تهافت الفلاسفة / لأبي حامد الغزالي ـ تحقيق / سليمان دنيا (ص٨٤) ـ دار المعارف ـ ط٦ .

(٥) مقالات الإسلاميين / للاشعري (٢ / ١٧٧) .

(٦) مجموع الفتاوى (١٢ / ٢٧) .

وغيرهم ، سواء بقراءة كتبهم أو السماع عنهم أو نحو ذلك في غاية الخطأ .

وقد حذر النبي ﷺ أمته من الوقوع في ذلك ، ومنه مارواه جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة فقال : يارسول الله ، هذه نسخة من التوارة ، . . . فسكت ، فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغير ، فقال أبو بكر : ثكلتك الثواكل ، ما ترى بوجه رسول الله ﷺ ؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ فقال : أعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسول الله ، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، فقال رسول الله ﷺ : « **والذي نفس محمد بيده ، لو بدأ لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل ، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لا تبعني** » (١) .

فالأصل في ذلك المصادر اليقينية مصادر أهل السُّنَّة والجماعة وعدم الاعتماد على المصادر الظنية التي يتطرق إليها الشك .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣ / ٤٧١) ، والدارمي في سننه : باب ما يتقي من تفسير حديث النبي وقول غيره عند قوله ﷺ (١ / ١١٥ ، ١١٦) ج٤٤١ ، جامع بيان العلم وفضله / لابن عبدالبر (٢ / ٤٢) ، وقال الألباني : الحديث حسن بكثرة طرقه . انظر : مشكاة المصابيح (١ / ٦٣) ح١٧٧ ، (١ / ٦٨) ح١٩٤ .

المطلب الرابع
الأهواء والنزعات الشخصية عند فرقهم وأفرادهم

من مصادر التلقي والاستدلال عند المعتزلة (الأهواء والنزعات الشخصية عند فرقهم وأفرادهم) :

فقد استمد بعض المعتزلة أن صفات الله ـ عز وجل ـ هي هو ، وأخذ هذا أبو الهذيل عن أرسطا طاليس [١] .

وذلك أن أرسطا طاليس قال في بعض كتبه : إن الباريءَ علمٌ كله ، قدرةٌ كله ، حياةٌ كله ، سمعٌ كله ، بصرٌ كله ، فحسن اللفظ عند نفسه ، وقال : علمه هو هو ، وقدرته هي هو .

وكان يقول : إن لمقدورات الله ومعلوماته مما يكون ومما لا يكون كلاً وغايةً وجميعاً ، كما أن لما كان كلاً وجميعاً ، وإن أهل الجنة تنقطع حركاتهم فيسكنون سكوناً دائماً لا يتحركون ، وكان يقول بانقطاع الأكل والشرب والنكاح ، يعني نعيم أهل الجنة [٢] .

فهذه مصادر التلقي والاستدلال عند المعتزلة ، فينبغي أن تُعلم ويكون المقياس والميزان في ذلك المصدرين الرئيسيين ، الكتاب والسُّنَّة ، والإجماع المبني عليهما ، وترك ما سواها عند مخالفته .

فقد خرجت المعتزلة عن السُّنَّة والجماعة والمنهج الصحيح الصافي في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال ، فهم يقدمون التخرصات العقلية والأوهام والظنون على

(١) هو فيلسوف يوناني تتلمذ على أفلاطون ، كان يلقي الدروس ماشياً فسمي هو وأتباعه المشاؤون ، من مؤلفاته (الأورغانون في المنطق) مات قبل الميلاد بـ ٣٢٢ سنة . انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١ / ١١٧) ـ إشراف محمد شفيق غربال ـ دار النهضة للطباعة والنشر - بيروت ـ لبنان- ط بدون (١٤٠١هـ) ، موسوعة العلوم السياسية (٣٢٢ - ٣٢٤) .

(٢) مقالات الإسلاميين/ للاشعري (٢ /١٧٨) ، الجهمية والمعتزلة / للدكتور :ناصر العقل (ص١٦٥ ، ١٦٦) .

النصوص الشرعية الثابتة ، ويسمونه تقديم العقل على النقل .

وبذلك أنكروا كثيراً من الأحاديث الصحيحة الصريحة في أبواب العقائد ومنها أحاديث الشفاعة وغيرها ، أو تأوّلوها تأويلاً يتناسب مع منهجهم العقدي في الوعد والوعيد .

المبحث الرابع
موقف المعتزلة من شفاعة الرسول ﷺ

وفيه

المطلب الأول
موقفهم من الشفاعة عموماً

لقد تبع المعتزلة الخوارج في مسألة الشفاعة في الآخرة ووافقوهم في الإنكار في عموم أنواع الشفاعات إلا الشفاعة لأهل الإيمان والتقى .

قال الإمام السفاريني - رحمه الله - : « والشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة وهذه لا تنكرها المعتزلة ... » (١) .

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله - في ذكره لأنواع الشفاعة: « الخامسة : في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها . قال القاضي عياض : وهذه الشفاعة لا تنكرها المعتزلة » (٢) .

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - عن المعتزلة : « ولم ينفوا الشفاعة لأهل الثواب في زيادة الثواب » (٣) .

وقال ابن الأمير - رحمه الله - : « شفاعته ﷺ لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجتهم ، وهذه مما لم ينازع فيها أحد » (٤) .

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١١) بزيادة يسيرة .

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٢٨٦) .

(٣) مجموع الفتاوى (١ / ١١٦) ، مقالات الإسلاميين / للاشعري (٢ / ١٦٦) ، صحيح مسلم بشرح النووي (ح٣ / ٣٦) المجلد الأول .

(٤) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة (ص٤٤٥) .

وذكر الإمام الزمخشري(١) في تفسيره قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر : ١٨] ، قوله : « لأن الشفاعة لا تكون إلا في زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته وإنما هم أهل الثواب »(٢) .

وقال عند قوله تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر:٤٨] : «وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لأنها تزيد في درجات المرتضين »(٣) .

فهكذا المعتزلة تقول أن الشفاعة لا تكون إلا في زيادة التفضل ، وقد ذهب الأكثر من الزيدية إلى مثل ما ذهب إليه المعتزلة في أن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين المستحقين للثواب،وفائدتها الزيادة في المنافع على القدر الذي قد استحقوه تفضلاً ، وذهب أبو الهذيل إلى أنها إنما تكون لأهل الصغائر ليرد الله ما انحبط من ثوابهم(٤) .

وقال الإمام ابي سعيد الجشمي البيهقي: « إن الشفاعة ثابتة لرسول الله ﷺ يوم الحشر ولكن يشفع للمؤمنين فيكون له رتبة ويزيد درجة المؤمن »(٥) .

وذكر القاضي عبدالجبار ـ رحمه الله ـ قصر الشفاعة على المطيعين والتائبين لرفع الدرجات وزيادة المثوبات(٦) .

---

(١) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، جار الله ، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) سنة ٤٦٧هـ ، وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله ، عالم في التفسير ، واللغة ، والأدب ، لكنه من متكلمي المعتزلة ، قوي في مذهبه الاعتزالي ، مفتخر به ، قال عنه الإمام الذهبي ــ رحمه الله ــ « داعية إلى الاعتزال » ، توفي سنة ٥٣٨هـ في جرجانية (من قرى خوارزم) ، له مصنفات منها : (الكشاف في التفسير ، أساس البلاغة (وغير ذلك . انظر : وفيات الأعيان / لابن خلكان (٥ / ١٦٨) برقم / ٧١١ ، وسير أعلام النبلاء / للذهبي (٢ / ١٥١-١٥٦) ، الأعلام / للزركلي (٧ / ١٧٨) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٤ / ١١٨ ، ١١٩) المجلد الثاني .

(٢) الكشاف / للزمخشري (٣ / ٣٦٦) – دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان ــ ط / بدون .

(٣) المصدر السابق (٤ / ١٦٢) .

(٤) مفتاح السعادة الجامع للمهم من مسائل الاعتقاد .. / لعلي بن محمد العجري ــ ت ١٤٠٧هـ – تحقيق : عبد الله بن حمودا لعزي (٦ / ٣٦٠٥) ــ مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ـ صنعاء ــ ط الأولى (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣) ، وانظر : كتاب العقد الثمين في معرفة رب العالمين / للامير الحسين بن بدر الدين المتوفي ٦٦٣هـ / تحقيق : عبدالكريم الفضيل (ص٦٢) ــ منشورات دار مكتبة الحياة ــ بيروت ــ لبنان ــ ط / بدون .

(٥) تحيكم العقول في تصحيح الأصول / لابي سعيد الجشمي البيهقي ــ تحقيق عبدالسلام الوجيه (ص٢٢٣) .

(٦) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص٦٨٩) .

المطلب الثاني
موقفهم من الشفاعة العظمى

هذا النوع من الشفاعة يثبته المعتزلة كغيرهم من الفرق لأنها شفاعة لفصل القضاء بين الخلائق جميعاً . قال الإمام السفاريني ـ رحمه الله ـ : « وهذه مجمع عليها لم ينكرها أحد » [(١)] .

وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : « لا تنكر (المعتزلة) شفاعة الحشر الأول » [(٢)] ، فبهذا يتبين أن نفاة الشفاعة من الوعيدية (الخوارج والمعتزلة) يقرون بنوعين من أنواع الشفاعة .

أولاً : شفاعة الحشر الأول وهي الشفاعة العظمى المعطاه لسيد المرسلين محمد ﷺ وهي لجميع الخلائق مؤمنهم وكافرهم .

ثانياً : الشفاعة في زيادة ثواب أهل الجنة وينفون ما سواهما نفياً قاطعاً ويجعلون الآيات النافية للشفاعة الخاصة بالكفار على من مات على معصية .

ذكر الإمام ابن حجر في الفتح عن القاضي عياض قوله :« أثبتت المعتزلة الشفاعة العامة في الإراحة من كرب الموقف ، ... والشفاعة في رفع الدرجات وأنكرت ما عداهما » [(٣)] ، ومثلهما الخوارج .

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١١) .

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٢٨٦) ، صحيح مسلم بشرح النووي (ج٣ / ٣٦) المجلد الأول .

(٣) فتح الباري : كتاب الرقاق (١١ / ٤٣٦) .

المطلب الثالث

موقف المعتزلة من الشفاعة لأهل الكبائر

ثبوت الشفاعة بالنصوص الصحيحة والصريحة المتواترة تمنع أن يُحمل الوعيد على إطلاقه ، ولكن من لم يثبتوا الشفاعة قالوا إنه يجب حمل الوعيد على إطلاقه وبهذا استوى عندهم وعيد الله ـ عز وجل ـ للكافرين الجاحدين مع المسلمين العاصين فحكموا بتخليدهم في نار جنهم .

ولهذا نجد أن المعتزلة وكثيراً من الزيدية لا تثبت الشفاعة لأهل الكبائر من المسلمين لأنهم حكموا عليهم بحكم الخوارج وهو التخليد في النار .

« فإنكار المعتزلة للشفاعة في أهل الكبائر كان بدايته في عصر التابعين »(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « وأما شفاعته ﷺ لأهل الذنوب من أمته .. أنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية ... »(٢) .

وذكر الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ بقوله : « فأنكرها ـ أي الشفاعة ـ قوم وهم المعتزلة والخوارج ... »(٣) .

وقال الإمام الآجري ـ رحمه الله ـ : « اعلموا رحمكم الله، أن المنكر للشفاعة يزعم أن من دخل النار فليس بخارج منها ، وهذا مذهب المعتزلة ، يكذبون بها ، ....لا يلتفتون إلى سنن رسول الله ﷺ ،ولا إلى سُنن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وإنما يعارضون بمتشابه القرآن ، وبما أراهم العقل عندهم »(٤) .

ومما يثبت ذلك أقوالهم فيها ، فقد أطبقوا على نفي الشفاعة لأهل الكبائر ، وقد

---

(١) معارج القبول / لحافظ الحكمي (٢ / ٨٩٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ١٤٨ ، ٣١٨) ، صحيح مسلم بشرح النووي (ج٣ / ٣٥) المجلد الأول .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل / لابن حزم ـ تحقيق : عبدالرحمن عميره (٤ / ١١١) مقالات الإسلاميين / للاشعري (٢ / ١٦٦) .

(٤) كتاب الشريعة / للآجري (ص٢٩٦) .

صرح القاضي عبدالجبار بالقطع : « على أن أصحاب الكبائر يفعل بهم ما يستحقونه، وأنه تعالى لا يغفر لهم إلا بالتوبة والإنابة » [١] .

وقال أيضاً مقرراً مذهب المعتزلة في الشفاعة : « لا خلاف بين الأئمة في أن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة ، إنما الخلاف في أنها تثبت لمن ؟ فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين ، وعند المرجئة [٢] أنها للفساق من أهل الصلاة » [٣] .

وقال عن حديث النبي ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي : إن هذا الخبر لم تثبت صحته أولاً ، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبي ﷺ ، ومسألتنا طريقها العلم فلا يصح الاحتجاج به » [٤] .

وقال القاسم الرسي « فلا يغتر مغتر ، ولا يتكل متكل على قول من يقول من الكاذبين على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى أهله : أن قوماً يخرجون من النار بعدما يدخلونها ، يعذبون بقدر ذنوبهم ، هيهات أبى الله جلّ ثناؤه ذلك » [٥] .

وقال الإمام أحمد بن يحيى [٦] المرتضى : « ولا يسقط العقاب بالشفاعة

---

(١) شرح الأصول الخمسة (ص٦٧٨) ، العدل والتوحيد / للقاسم الرسي (ضمن رسائل العدل والتوحيد) (ص٢٨٣) .

(٢) يقصد أهل السنة .

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص٦٨٨) .

(٤) المصدر السابق (٦٩٠) ، وانظر : العقل والحرية : دراسة في فكر القاضي عبدالجبار / للدكتور : عبدالستار الراوي (ص٣٨٨ – ٣٩١) ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى(١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) .

(٥) كتاب العدل والتوحيد / للقاسم الرسي (ضمن رسائل العدل والتوحيد) (ص٢٨٤) ، وانظر : مقدمة المحقق لمجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي (١ / ١٢٠) دار الحكمة اليمانية ـ صنعاء ـ اليمن ـ ط الأولى (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م) .

(٦) هو أحمد بن يحيى المرتضى الملقب بالمهدي لدين الله ، ولد سنة ٧٧٥هـ في ذمار ، زيدي المذهب ، معتزلي المعتقد ، اعتمد على كتب الحاكم الجشمي الكلامية اعتماداً كلياً حتى لا تكاد تلمح أدنى اختلاف بين آرائهما ، لذلك كان من اشهر شيوخ المعتزلة، توفي سنة ٨٤٠هـ ، له مصنفات منها (البحر الزخار ، والمنية والأمل في شرح الملل والنحل) وغيرها . انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / لمصطفى عبد الله حاجي خليفة (١ / ٢٢٤) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م) ، البدر الطالع / للشوكاني (١ / ١٢٢)، الأعلام/ للزركلي (١ / ٢٦٩) .

خلاف المرجئة لنا ، ﴿ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨] » (١) .

وقال صاحب ينابيع النصيحة : « وعندنا أن شفاعة النبي ﷺ لا تكون لأهل الكبائر المصرين عليها حتى يأتيهم الموت ، وإنما تكون لأهل الكبائر الذين تابوا وماتوا على التوبة ، ولمن استوت حسناته وسيئاته فيبقى غير مستحق للثواب ولا للعقاب ، فيشفع له ، ليرقى درجةً أعلا من درجات الصبيان والمجانين ، ويرفع إلى منزلة عالية لم يكن لينالها إلا بالشفاعة . فأما العصاة المصرُّون على معاصيهم حتى يأتيهم الموت على غير توبةٍ فلا شفاعة لهم » (٢) .

ويقول أبو سعيد الجشمي البيهقي : « فأما المستحق للنار فلا شفاعة له ، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [آل عمران : ١٩٢] ، ولو كانت الشفاعة لهم لكانت أعظم نصرة ، وقال تعالى حاكياً عن الملائكة الذين هم حملة العرش : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [غافر : ٧] فسألوا المغفرة للتائبين » (٣) .

ويقول الإمام الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ « إعلام بأن من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها » (٤) ، وقال في قوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر:٤٨] مقرراً إنكار الشفاعة لعصاة المؤمنين وغيرهم ما عدا الشفاعة في رفع الدرجات في الجنة :

---

(١) البحر الزخار / لأحمد بن يحيى المرتضى (١ / ٨٠) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٣٩٤هـ - ١٩٧٥م) .

(٢) ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة / الحسين بن بدر الدين ت ٦٦٣ تحقيق : المرتضى المحطوري (ص٥٠٩) ـ مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع ـ صنعاء ـ اليمن ـ ط الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) .

(٣) تحكيم العقول في تصحيح الأصول (ص٢٢٣) ، وانظر : كتاب العقد الثمين في معرفة رب العالمين / للأمير حسين بدر الدين المتوفي / ٦٦٣هـ - تحقيق : عبدالكريم الفضيل (ص٦٢) ، مفتاح السعادة الجامع للمهم من مسائل الاعتقاد ... / لعلي العجري (٦ / ٣٦٠٦) .

(٤) الكشاف (١ / ٢٣٧) .

« لو شفع لهم الشافعون جميعاً من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم، لأن الشفاعة لمن ارتضاه الله ، وهم مسخوط عليهم ... » (١) .

وهكذا يصرح المعتزلة ومن وافقهم من الزيدية بكذب أحاديث الشفاعة لأهل الكبائر ، والتي بلغت مبلغ التواتر ، وإذا أرادوا أن يلطفوا العبارة قالوا : إنها آحاد لا يؤخذ بها في العقائد ، أو إنها معارضة بأخبار الوعيد ، أو إن المقصود بها الشفاعة للتائبين ، وغير ذلك من التأويلات البعيدة (٢) .

وكعادة المعتزلة حملوا كل الآيات الواردة في نفي الشفاعة عن الكفار على عصاة المسلمين ، فليس عندهم أحدٌ يخرج من النار بعد دخولها .

يقول القاضي عبدالجبار: « .... لأنه ليس في الآخرة إلا الفريقان فريق في الجنة وفريق في السعير لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار » (٣) .

ويقول أيضاً : « لا خلاف بينهم أن وعيد الله بالعقاب حق لا يجوز عليه الإخلاف ولا الكذب، كما أن وعده بالثواب حق ، ولا خلاف بينهم في أن مرتكب الكبائر من أهل النار ، وأن من يدخل النار يكون مخلداً فيها كالكافر وإن كان حاله في العقاب دونه » (٤) . فنجد أن أهل الاعتزال قديماً وحديثاً يعتقدون بعدم ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر ، وفي نظرهم لو أثبتوا شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر لأبطلوا مبدأهم المسمى بالوعد والوعيد ، وهذا باطل لأنهم بنوا أصولهم على دلائل عقلية .

---

(١) المصدر السابق (٤ / ١٦٢) .

(٢) انظر : شرح الأصول الخمسة / للقاضي عبدالجبار.(ص٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٩٠ ، ٦٩١) .

(٣) المنية والأمل / لابن المرتضى ـ تحقيق : محمد جواد مشكور (ص١٢٣) ، الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ٤٣) .

(٤) فضل الاعتزال (ص٣٥٠) ، وانظر شرح الأصول الخمسة (ص١٣٥-١٣٦) ، وانظر : كتاب معرفة الله عز وجل (ضمن مجموعة رسائل) / ليحيى بن الحسين بن القاسم ـ تحقيق عبد الله بن محمد الشاذلي (ص٥٢)ـ مؤسسة الإمام زيد بن علي ـ عمّان ـ الأردن ـ ط الثانية (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) ، الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ٤٣) .

وقد احتج المعتزلة على مذهبهم في نفي الشفاعة لأهل الكبائر بما استدل به الخوارج .

أولاً : من الأدلة النقلية وهي كالآتي [١] :

[١] الاحتجاج بآيات الوعيد في القرآن الكريم الدالة على عموم تعذيب أصحاب الذنوب والمعاصي في النار ، وعدم إخراجهم منها .

[٢] الاحتجاج بنصوص الوعيد في الكتاب والسُّنَّة الدالة على التصريح بالخلود في النار ، أو الحرمان من الجنة لمرتكبي بعض المعاصي .

[٣] الاحتجاج بما جاء في القرآن الكريم من الآيات النافية للشفاعة ، وأنها لا تنفع العصاة يوم القيامة ، وإنما تختص بزيادة درجات أهل الجنة الذين ارتضاهم الله تعالى .

ثانياً : الأدلة العقلية وهي :

[١] عدم ثبوت الأحاديث أوردها كونها آحاداً لا يحتج بها في العقائد .

[٢] إن ثبتت الأحاديث فيكون المقصود بها لمن تاب .

[٣] أن قبول الشفاعة في العاصي قبيح عندهم وفيه إخلاف لوعيده سبحانه وتعالى .

[٤] اتفاق الأمة على القول بالدعاء لنيل الشفاعة فلو كان الأمر جارٍ في الشفاعة لأهل الكبائر ، لكان يجب أن يكون هذا الدعاء « اللهم اجعلنا من أهل الشفاعة » دعاء لأن يجعلهم الله تعالى من الفساق وذلك خلاف [٢] .

وسيتم عرض أدلتهم وشبههم في إنكار الشفاعة لأهل الكبائر النقلية منها والعقلية بالتفصيل مع الرد عليها بعد هذا مباشرة .

---

(١) سيأتي ذكرها بالتفصيل والرد عليها في الفصل الخامس .

(٢) انظر : شرح الأصول الخمسة / للقاضي : عبدالجبار (ص٦٩٢) .

الفصل الخامس

أدلة منكري الشفاعة والرد عليها

وفيه تمهيد وستة مباحث :

تمهيـــد :

المبحث الأول : آيات الوعيد الدالة على عموم التعذيب .

المبحث الثاني: الرد على استدلال وشبه منكري الشفاعة بآيات العموم، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول : الجواب العـام .
- المطلب الثاني : الجواب التفصيلي .

المبحث الثالث:نصوص الوعيدمن الآيات المصرحة بالخلود في النار، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول : الآيات القرآنية المصرحة بالخلود في النار .
- المطلب الثاني :الرد على شبههم واستدلالهم بالآيات المصرحة بالخلود في النار .

المبحث الرابع: نصوص الوعيد من الأحاديث المصرحة بالخلود في النار أو نفي الإيمان وغيرها ، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول :استدلال الوعيدية بأحاديث تثبت عدم وقوع الشفاعة لأهل الكبائر.
- المطلب الثاني : الرد على شبههم واستدلالهم بالأحاديث السابقة .

المبحث الخامس : الاحتجاج بالآيات النافية للشفاعة والرد على استدلالهم شبههم

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : استدلالهم بالآيات النافية للشفاعة .
- المطلب الثاني :الرد على وجه استدلالهم وشبههم في هذه الآيات، وفيه فرعان :
  - الفرع الأول : الرد الإجمالي .
  - الفرع الثاني : الرد على الشبه على سبيل التفصيل .

المبحث السادس: الشبه العقلية عند الوعيدية في إنكار الشفاعة والرد عليها:

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول : الشبة العقلية في إنكار الشفاعة .
- المطلب الثاني : الرد على شبه الوعيدية العقلية في إنكار الشفاعة .

الفصل الخامس

أدلة منكري الشفاعة والرد عليها

تمهيد :

لقد ذكرنا فيما سبق موقف الوعيدية (الخوارج والمعتزلة) من الشفاعة لأهل الكبائر ومن عصاة المسلمين وقد استدل ـ الخوارج والمعتزلة ـ بأدلة نقلية ، كما استدل ـ المعتزلة ـ بأدلة عقلية فعند ذلك تجدهم أثناء تحرير مذهبهم في الوعيد وتقريره ينظرون من أربع جهات رئيسية :

الأولى : حكم إنفاذ الوعيد عقلاً : فلا يجوز عند الكثير منهم العفو عن أصحاب الكبائر عقلاً، ويجب على الله أن يفعل بهم ما يستحقونه لا محالة (١) .

الثانية : وجوب إنفاذ الوعيد سمعاً : فيوجب الوعيدية من خوارج ومعتزلة إنفاذ الوعيد سمعاً ، ويرون أنه يجب أن يفعل بصاحب الكبيرة ما يستحقه من العقاب إذا لقي الله ـ تعالى ـ على غير توبة ، وحجتهم النصوص الواردة في الوعيد (٢) .

الثالثة : إثبات الوعيد المؤبد: فقد قطعوا بإنفاذ الوعيد وإثباته على صفة الدوام ، فقالوا إن صاحب الكبيرة إذا لقي الله على غير توبة فهو خالد في النار ، ولا يخرج منها أبداً (٣) .

واستدلوا بأدلة عقلية كلعن الفاسق، وقوة الزجر بالعقاب الدائم، وكذلك احتجوا بعموم نصوص الوعيد المشعرة بخلود العصاة في النار ، دون فرق بين المشرك وغيره .

---

(١) انظر مثلاً : شرح الاصول الخمسة / للقاضي عبدالجبار (ص٦٤٤ ، ٦٤٥) ، البحر الزخار / لاحمد بن يحيى المرتضى (١ / ٧٨ ، ٧٩) .

(٢) انظر : متشابه القرآن / للقاضي عبدالجبار / تحقيق : عدنان زرزور(١ /٣١٧) ـ دار التراث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط / بدون .

(٣) انظر : مشارق أنوار العقول / لعبد الله بن حميد السالمي ـ تعليق / أحمد بن محمد الخليلي (ص٢٩٩) ، (ص٣٨٤) .

الرابعة : القدح في نصوص الوعد : لكي تستقر للوعيدية أصولهم في مرتكبي الكبائر عمدوا إلى الطعن فيما يخالف مذهبهم من نصوص الوعد بمطاعن متعددة ترجع إلى أمرين رئيسيين هما :

الأمر الأول : القدح في دخول الفاسق الملي في عمومات الوعد :

يقول الإمام التفتازاني - رحمه الله - : « المشهور من مذهب الوعيدية أن من آمن وعمل صالحاً وآخر سيئاً واستمر على الطاعات والكبائر كما يشاهد من الناس أنه من أهل الخلود في النار إذا مات قبل التوبة » (١) .

فهم يقولون بأن الحسنات تبطل بالكبائر وتحبطها جميعاً (٢) .

الأمر الثاني : القدح في نصوص انقطاع عذاب الفاسق الملي :

فقد اصطدم الوعيدية بنصوص كثيرة بعضها يدل على عدم تحقق وعيد بعض أهل الكبائر ، وبعضها الآخر يدل على عدم استمرار عذاب من أنفذ وعيده منهم ، ولكي تطرد أصولهم في الوعيد عمدوا إلى القدح في هذه النصوص من ثلاث جهات رئيسية هي :

الأولى : إنكار الشفاعة في أصحاب الكبائر .

فيقولون : « شفاعة نبينا محمد ﷺ مقصورة على التقي من المكلفين ، والتقي هو من جانب المحرمات وأدى الواجبات فلا شفاعة لغيره من الأشقياء » (٣) .

ويقول القاضي عبدالجبار : « **الشفاعة ثابتة للمؤمنين دون الفساق من أهل الصلاة خلاف ما تقوله المرجئة** » (٤) .

الثانية : الطعن في نصوص الشفاعة .

وذلك بعدم التسليم بصحتها ، أو أنها منقولة بطريق الآحاد ، أو معارضتها

(١) شرح المقاصد / للتفتازاني (٥ / ١٤٢) بتصرف .
(٢) انظر : متشابه القرآن / للقاضي عبدالجبار (١ / ١٣٦) .
(٣) مشارق أنوار العقول لابن حميد السالمي الإباضي (٢٨٧)،(٣٧٤) الإباضية / لعلي يحيى معمر (ص٥١) .
(٤) شرح الأصول الخمسة (ص٦٩٠) ، فضل الاعتزال (ص٢٠٧) .

بأخبار الوعيد الدالة على خلود أهل الكبائر في النار ، أو تأويلها بما يوافق نصوص الوعيد .

الثالثة : تأويل نصوص العفو والغفران .

وذلك بما يستقيم مع أصولهم في الوعيد وقد تركز تأويلهم لها على أن المقصود بها أصحاب الصغائر و التائبين من الكبائر قبل الموت .

وبعد هذا التوضيح في بيان مذهبهم وتقريره في نصوص الوعيد نذكر أدلتهم بالتفصيل ونرد عليها ، وتقسم إلى ستة مباحث :

المبحث الأول

آيات الوعيد الدالة على عموم التعذيب

تسلك الوعيدية (الخوارج والمعتزلة) إلى الاحتجاج بآيات الوعيد في القرآن الكريم الدالة على عموم تعذيب أصحاب الذنوب والمعاصي في النار،وعدم إخراجهم منها ، وأن هذا يدل على عدم ثبوت الشفاعة يوم القيامة لأهل العذاب ـ على حسب زعمهم ـ وقد انبنى هذا على مذهبهم المشهور في تخليد أصحاب الكبائر في النار إذا ما توا من دون توبة ، فمما استدل به الخوارج والمعتزلة ما يلي :

[١] قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [النساء : ١٠] ، يقول القاضي عبدالجبار : « يدل على أن الفاسق من أهل الصلاة متوعد بالنار ، وأنه سيصلاها لا محالة مالم يتب ، لأن الذي يأكل أموال اليتامى ليس هو الكافر ، فلا يصح حمله عليه ، ويجب كونه عاماً في كل من هذه حاله ، والأغلب ممن يوصف بذلك أن يكون من أهل الصلاة ، وأقل أحواله أن يدخل الجميع فيه ، فيجب أن يقال بعمومه » [١] .

[٢] وقول الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] ، فالخوارج يقولون بأنها نص في أن كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر ، وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله ، فوجب أن يكون كافراً [٢] .

فقد احتجوا بهذه الآية ونحوها على تكفير أهل الكبائر ، ومن كان كافراً فمصيره النار .

[٣] وقول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا

---

(١) متشابه القرآن / للقاضي عبدالجبار (١ / ١٧٨)،وانظر:المعالم الدينية في العقائد الإلهية / ليحيى بن حمزة (١٠٥ ، ١٠٦).

(٢) تأملات في التراث العقدي للفرق الكلامية (فرقة الخوارج) / للدكتور : عبدالسلام محمد عبده (ص٢٠٦) ، وانظر : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) / للإمام الرازي (ج١٢ / ٣) المجلد السادس .

هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الانفطار:١٤-١٦] ، استدل بها المعتزلة على أن من مات مصراً على فجوره فهو مخلد في النار ، يقول القاسم الرسي : « ومن لم يتب فليس منها بخارج - أي النار - ومن لزمه الفسق والفجور من كان فهو من أهل النار ، إلا أن يتوب لقول الله جل ثناؤه : ﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٥] »(١) .

[٤] وقول الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الزمر :١٩] .

قال القاضي عبدالجبار: « دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام ، فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي ﷺ ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ ﴾ »(٢) .

وذكر في موضع آخر مبيناً وجه استدلالهم بهذه الآية أن هذه الآية تدل على أنه ﷺ لا يشفع للفجار والفساق لأنه لو شفع لهم لوجب أن يكون منقذاً من النار ، وقد نفى الله تعالى عنه ذلك(٣) .

[٥] وقول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [آل عمران : ١٩٢] .

قال القاضي عبدالجبار : « تدل الآية على أن الظالم لا تلحقه شفاعة رسول الله ﷺ ، ولا يتخلص من النار إذا مات على ظلمه وإصراره »(٤) .

وقد استدل الخوارج بهذه الآية على أنها أفادت أن من يدخل النار فهو مخزي، ولاشك أن العصاه سيدخلون النار فهم إذن مخزيون ، ونظموها مع قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [النحل:٢٧] ، وهي أفادت أن كل مخزي

---

(١) العدل والتوحيد / للقاسم الرسي(ضمن رسائل العدل والتوحيد)(ص٢٨٣)،متشابه القرآن / للقاضي عبدالجبار(٢ / ٦٨٢).

(٢) شرح الأصول الخمسة (٦٨٩) .

(٣) متشابه القرآن للقاضي عبدالجبار (٢ / ٥٩٢) .

(٤) متشابه القرآن (١ / ١٧٧) .

كافر وذلك عن طريق الحصر أي حصر المسند إليه المعرف بأل في الخبر (١) .

[٦] وقول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ [السجدة : ٢٠] .

قال القاضي عبدالجبار: « لو كان الفاسق يخرج من النار إما بانقطاع ما يستحقه من النار ، أو بالشفاعة لما صح ما ذكره الله تعالى من أنه كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها » (٢) .

واستدل الخوارج بهذه الآية في الاستنكار على جابر بن عبد الله عند ذكره لحديث الجهنميين (٣) .

فيقولون: الفاسق العاصي مأواه النار فيكون مكذباً بعذاب النار فيصير كافراً .

[٧] وقول الله تعالى : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴾ [المعارج: ١١] .

قال القاضي عبدالجبار: « تدل الآية على نزول العذاب بكل مجرم ، وعلى أنه لا مخلص له ذلك اليوم من العذاب ، لأنه لو خلص منه بشفاعة أو غيرها لما جاز أن يوصف بهذه الصفة التي تقتضي القياس من التخلص من العقاب » (٤) .

[٨] وقول الله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزمر : ٥٤] .

قال القاضي عبدالجبار مبيناً وجه الاستدال بهذه الآية على مذهبهم : « إن من جاءه العذاب لا يكون له ناصر ، وفي هذا إبطال القول بالشفاعة » (٥) .

---

(١) انظر : تأملات في التراث العقدي (فرقة الخوارج) / عبدالسلام محمد عبده (٢٢٨) .
(٢) متشابه القرآن (٢ / ٥٦١) ، وانظر : مشارق أنوار العقول / للسالمي (ص٢٩٧) .
(٣) انظر : صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١ /١٧٩) ج/ ١٩١ .
(٤) متشابه القرآن (٢ / ٦٦٥) .
(٥) متشابه القرآن (٢ / ٥٩٧) .

المبحث الثاني

الرد على استدلال وشبه منكري الشفاعة بآيات العموم

يرد على هذه الشبه بأمرين هما :

(أ) الجواب العام عن احتجاجهم بآيات العموم السابقة المصرحة بتعذيب أصحاب الذنوب والمعاصي في النار وعدم إخراجهم منها .

(ب) جواب تفصيلي عن كل آية هنا استدل بها منكروا الشفاعة وبيان الحق فيها ، ونقسمه إلى مطلبين هما :

المطلب الأول

الجواب العام

يرد على هذه الشبه من عدة وجوه وهي :

الوجه الأول : أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر الأئمة يقرون بما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أن الله يخرج من النار قوماً من عصاة المؤمنين بعد أن يعذبهم الله ما شاء أن يعذبهم ، ويخرجهم بشفاعة محمد ﷺ ، ويخرج آخرين بشفاعة غيره ، ويخرج قوماً بلا شفاعة بل برحمة أرحم الراحمين (١) . وقد ذكرنا جملة من هذه الأحاديث ضمن الباب الثاني منها قوله ﷺ : « **يخرج قومٌ من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنَّة يُسمّون الجهنّميين** » (٢) .

وقوله ﷺ : « **لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني**

---

(١) مجموع الفتاوى / لابن تيمية (١ / ١٤٩) ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / اللالكائي (٦ / ١٠٨٩) .. ، شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٥٢٤) ، الشريعة / للآجري (ص٣٠١ ، ..) .

(٢) سبق تخريج الحديث ص ١٧٠ .

اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله ، من مات من أمتي لا يُشرك بالله شيئاً » (١) .

فمذهب أهل السُّنَّة والجماعة أن أهل الكبائر ممن ماتوا على الإيمان لا يخلدون في النار .

وقد « اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثال ذرة من إيمان » (٢) ، وذلك لأن أهل السُّنَّة لا يكفرون مرتكب الكبيرة كالخوارج ، ولا يخرجونه من الإيمان كالمعتزلة ، بل إن مرتكب الكبيرة عندهم مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فلا يعطى الاسم المطلق ، ولا يسلب مطلق الإسم (٣) . وأنه في الآخرة إن مات من دون توبة فهو تحت مشيئة الله تعالى .

قال الإمام الصابوني - رحمه الله - : « ويعتقد أهل السُّنَّة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة ، صغائر وكبائر ، فإنه لا يكفر بها . وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ، ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله - عز وجل - إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً ، غير مبتلى بالنار ، ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار ، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار ، وإذا عذبه لم يخلده فيها ، بل أعتقه منها إلى نعيم دار القرار » (٤) .

الوجه الثاني: إن من أهم ما يُرد عليهم به الاستدلال عليهم بآيات الوعد والرجاء والترغيب في مقابل استدلالهم بآيات الوعيد : « فآيات الوعيد وأخبار الوعيد التي احتج بها المعتزلة والخوارج ، فإنها لا يجوز أن تُخص بالتعلق بها دون آيات العفو وأحاديث العفو التي احتج بها من أسقط الوعيد ، .... ، بل الواجب جمع جميع

---

(١) سبق تخريج الحديث ص ٨٦ .

(٢) الإيمان / لابن تيمية (٢٠٩) ، عقيدة السلف (أصحاب الحديث) / للصابوني (٨٦ ، ٨٧) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٢) .

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث / للصابوني (ص٨٦) ، انظر : كتاب البعث والنشور / للبيهقي (ص٦٥ ، ..) .

تلك الآيات وتلك الأخبار وكلها حق وكلها من عند الله وكلها مجملٌ ؛ تفسيرُها بآيات الموازنة، وأحاديث الشفاعة التي هي بيان لعموم تلك الآيات، وتلك الأخبار ، وكلها من عند الله » (١) .

وقال الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ : « فلو كانت كل سيئة أو كبيرة توجب الخلود في جهنم ، وتحبط الأعمال الحسنة ، لكانت كل سيئة ، أو كل كبيرة كفراً ولتساوت السيئات كلها وهذا خلاف النصوص » (٢) .

الوجه الثالث : أن الآيات التي احتج بها المنكرون للشفاعة خاصة بالكفار فقط ، أما من مات على التوحيد فمصيره الجنة بإذن الله تعالى .

قال الإمام الآجري ـ رحمه الله ـ : « إن المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأً فاحشاً ، خرج به عن الكتاب والسُّنَّة ، وذلك أنه عمد إلى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر ، أخبر الله عز وجل أنهم إذا دخلوا النار فهم غير خارجين منها ، فجعلها المكذب بالشفاعة في الموحدين ، ولم يلتفت إلى أخبار رسول الله ﷺ في إثبات الشفاعة : أنها إنما هي لأهل الكبائر ، والقرآن يدل على هذا » (٣) .

وقال الإمام البيهقي ـ رحمه الله ـ : « وآيات التخليد كلها في الكفار ، وما ورد منها في أهل الإسلام فالمراد به أن ذلك جزاؤه ، إذا أراد الله تعالى أن يعفو عن جزائه فعل ، والعفو عما ورد به الوعيد لا يكون خُلفاً » (٤) .

وقال الإمام الآمدي ـ رحمه الله ـ : « وما ذكروه من الآيات والظواهر السمعيات محمولة على الكافرين المستحلين لما يأتونه المستوجبين لما يقترفونه ، دون العصاة من المؤمنين ، ومن أذنب ذنباً من المسلمين . ودليل التخصيص في ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨-١١٦] ،

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل / لابن حزم (٤ / ٨٤) ـ بتصرف يسير .
(٢) المصدر السابق (٤ / ٨٧) .
(٣) الشريعة / للآجري (ص٢٩٨) .
(٤) كتاب البعث والنشور / للبيهقي (ص٧٥) .

ومع قيام الدليل المخصص لها يمتنع القول بتعميمها »(١) .

وقال الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ : « جميع هذه الآيات وما كان بمعناها يراد به أهل الكفر والجحد والتكذيب »(٢) .

الوجه الرابع : أن كل آيات الوعيد وخبر الوعيد أخذ بها المتمسكون بالقول بتخليد المذنبين في نار جهنم ، وهم أول من يخالف تلك النصوص عند توبة مرتكب الكبيرة في إسقاط الوعيد عنه. وقد رد عليهم بهذا الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ بقوله : « فإن كل آية وعيد ، وخبر وعيد ، تعلق به من قال بتخليد المذنبين ، فإن المحتجين بتلك النصوص هم أول مخالف لها ، لأنهم يقولون إن من أتى بتلك الكبائر ثم تاب سقط عنه الوعيد ، فقد تركوا ظاهر تلك النصوص ، فإن قالوا : إنما قلنا ذلك بنصوص أخر أوجبت ذلك ، قيل لهم : نعم ، وكذلك فعلنا نحن بنصوص أخر ، وهي آيات الموازنة ، وأنه تعالى لا يضيع عمل عامل من خير أو شر ولا فرق .... فسقط قول من قال بالتخليد ، وقول من قال بإسقاط الوعيد ، ولم يبق إلا قول من أعمل جواز المغفرة ، وجواز العقاب »(٣) .

ومن ردوده عليهم ـ رحمه الله ـ ردّه على دعواهم استحالة اجتماع الولاية والعداوة والحمد والذم في الشخص الواحد ، لذلك من عمل الكبيرة والسوء فقد صار عدوًا لله ، وليس وليًا وهكذا .

قال ـ رحمه الله ـ رداً على هذه الدعوى : « ثم يقال لهم : ما تقولون إن عارضتكم المرجئة بكلامكم نفسه، فقالوا : من المحال أن يكون إنسان واحد محموداً مذموماً محسناً مسيئاً عدواً لله ولياً له معاً ، ثم أرادوا تغليب الحمد والإحسان والولاية ، وإسقاط الذم والإساءة والعداوة ، كما أردتم أنتم بهذه القضية نفسها تغليب الذم والإساءة والعداوة ، وإسقاط الحمد والإحسان والولاية ... فإن قالت

---

(١) غاية المرام في علم الكلام / لسيف الدين الآمدي (ص٣٠٦) .

(٢) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل / للباقلاني (ص٤٢٤) .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل / لابن حزم (٤ / ٨٨) .

المعتزلة : إن الشرط في حمده وإحسانه وولايته أن تُجتنب الكبائر ، قلنا لهم : فإن عارضتكم المرجئة فقالت : إن الشرط في ذمه وإساءته ولعنه وعداوته ترك شهادة التوحيد ، فإن قالت المعتزلة : إن الله قد ذمَّ المعاصي وتوعد عليها ، قيل لهم فإن المرجئة تقول لكم : إن الله تعالى قد حمد الحسنات والتوحيد ووعد عليها ، وأرادوا بذلك تغليب الحمد ، كما أردتم تغليب الذم ، فإن ذكرتم آيات الوعيد ذكروا آيات الرحمة ، وهذا ما لا مخلص للمعتزلة منه ، ولا للمرجئة أيضاً ... وأن الحق هو جمع كل ما تعلقت به كلتا الطائفتين من النصوص ... والموازنة تقضي على كل ذلك ، ولا يحبط الأعمال إلا الشرك » (١) .

إذاً كل شبهة ودعوى يتعلق بها الوعيدية ، فبنفس دعواهم ومنطقهم يُرد عليهم .

الوجه الخامس : أن ترجيح عمومات الوعد أولى ، لأنه ثبت في النصوص الصحيحة ، أن رحمة الله غلبت غضبه أو سبقت غضبه ، لقوله ﷺ :« **لما خلق الله الخلق كتب في كتابٍ ، فهو عنده فوق العرش إنّ رحمتي تغلب غضبي** » وفي رواية « **سبقت غضبي** » (٢) .

ولأنها أدل على الجود والكرم من عمومات الوعيد (٣) .

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « وإخلاف الوعيد لا يذم ، بل يمدح ، والله تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد ، ولا يجوز عليه خُلْف الوعد ، والفرق بينهما أن الوعيد حقه فإخلافه عفو وهبة وإسقاط ، وذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه ، والوعد حق عليه ، أوجبه على نفسه ، والله لا يخلف الميعاد » (٤) .

---

(١) المصدر السابق (٣ / ٢٧٧ ، ٢٧٨) .

(٢) رواه البخاري: كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [الصافات : ١٧١] ح٧٤٥٣ .

(٣) انظر : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) / للرازي (ج٣ / ١٤٠) المجلد الثاني .

(٤) مدارج السالكين / لابن القيم (١ / ٣٩٦) .

الوجه السادس: النصوص المتواترة التي تدل على انقطاع عذاب عصاة الموحدين، كالإخبار بأن الجنة مآل من مات على التوحيد ، والإخبار بخروج عصاة الموحدين من النار بالشفاعة أو بعفو أرحم الراحمين ، أو التصريح بأن العذاب الدائم مختص بالكفار ، كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ** ﴾ [طه: ٤٨]، وقوله: ﴿ **إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [النحل:٢٧] ، وقوله: ﴿ **لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦)** ﴾ [الليل: ١٥-١٦] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: « الصلي هنا هو الصلي المطلق، وهو المكث فيها والخلود على وجه يصل العذاب إليهم دائماً » [١] .

والدليل على هذا قوله ﷺ : « **أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأماتهم إماتة ، حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة ، ....** » [٢] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦ / ١٩٧) .

(٢) سبق تخريجه ص ١٧٠ .

المطلب الثاني
الجواب التفصيلي

وأما الآيات التي سبق إيرادها والتي استدل بها الخوارج والمعتزلة فيقال فيها :

❁ أما قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ⑩ ﴾ [النساء : ١٠] ، فليس في ذلك دليل على تخليد آكل مال اليتيم في النار وعدم خروجه منها ، بل هي من آيات الوعيد ، فكل من أكل مال اليتيم ظلماً فهو متوعَّد بالصلي بالسعير ، والصلي هو التسخين بقرب النار ، أو بمباشرتها ، والسعير :الجمر المشتعل، ومن عذب منهم بذلك فإنه لا يخلد في النار، بل يخرج منها إما بشفاعة الشافعين ، أو برحمة أرحم الراحمين ، كما تواترت النصوص بذلك [١] .

❁ وأما قوله تعالى : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة : ٤٤] ، فليس فيها دليل على ما تقوله الخوارج من تكفير أهل الكبائر ، أو تكفير كل من حكم بغير ما أنزل الله .

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية ما يدل على أن الكفر فيها ليس الكفر المخرج من الملة ، بل هو كفر دون كفر ، وفي هذا يقول ابن عباس : « أنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه ، إنه ليس كفراً ينقل عن الملة ، ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ ، كفر دون كفر » [٢] .

قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ : قوله تعالى : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ**

---

(١) انظر : المحرر الوجيز / لابن عطية (٤ / ٣٢ ، ٣٣) ـ تحقيق المجلس العلمي بفاس ـ ط بدون .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن / للطبري (٤ / ٥٩٦) ، فتح القدير / للشوكاني (٢ / ٥٧) ، بدائع التفسير / لابن القيم (٢ / ١١٢) ، معالم التنزيل / للبغوي (٣ / ٦١) ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير (٢ / ٦٣) .

﴿ فأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، « لفظ ﴿ مَنْ ﴾ مِنْ صيغ العموم فيفيد أن هذا غير مختص بطائفة معينة بل بكل من ولي الحكم ، وقيل أنها مختصة بأهل الكتاب ، وقيل بالكفار مطلقاً لأن المسلم لا يكفر بإرتكاب الكبيرة، وقيل هو محمول على أن الحكم بغير ما أنزل الله وقع استخفافاً ، أو استحلالاً ، أو جحداً ، والإشارة بقوله : ﴿ أُولَئِكَ ﴾ إلى ﴿ مَنْ ﴾ ، والجمع باعتبار معناها ، وكذلك ضمير الجماعة في قوله : ﴿ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ » (١) .

قال ابن مسعود والحسن رضي الله عنهما : « هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار ، أي معتقداً ذلك ومستحلاً له . فأما من فعل ذلك (أي من المسلمين) وهو معتقد أنه مرتكبٌ محرَّمًا فهو من فساق المسلمين وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له » (٢) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد فعل فعلاً يضاهي أفعال الكفار » (٣) .

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكُفرين ، الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم . فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصياناً ، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة ، فهذا كفر أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب ، وأنه مخير فيه ، مع تيقنه حكم الله فهذا كفر أكبر . وإن جهله وأخطأه فهذا مخطئ ، له حكم المخطئين » (٤) .

فلهذا عُلم بطلان استدلال الخوارج بهذه الآية، بأن مرتكب الكبيرة يكفر ليسهل عندهم إنكار الشفاعة وغيرها ، وبطلان تكفير كل من حكم بغير ما أنزل الله مطلقاً

---

(١) فتح القدير / للشوكاني (٢ / ٥٤) .
(٢) أضواء البيان / للشنقيطي (٢ / ٩١) ، وانظر : تفسير القرآن العظيم / لابن كثير (٢ / ٦٣) .
(٣) المصدر السابق (٢ / ٩١) .
(٤) بدائع التفسير / لابن القيم (٢ / ١١٢) ، وانظر : الحكم بغير ما أنزل الله / للدكتور : عبد الرحمن ابن صالح المحمود (ص٣٣٠) . رسالة تحكيم القوانين / محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص٥ – ٧) ــ مطابع شركة الصفحات الذهبية ــ ط الثانية ١٤٠٣هـ .

فلكل مقامٍ مقال ، فمن حكم بغير ما أنزل الله ، لهوى في نفسه ، أو غرض من الأغراض مع اعتقاده بوجوب الحكم بما أنزل الله ، وأنه عاص بفعله ذلك ، فهذا يقال فيه : كفر دون كفر ، أي كفر أصغر لا يخرج من الملة .

وأما من اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير ملزم أو غير مناسب لهذا العصر ، أو أنه وغيره سواء ، ونحو ذلك ، فهذا كفر أكبر مخرج من الملة .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الانفطار:١٤-١٦] ، فليس فيها دليل على خلود أهل الكبائر في النار ، وليس فيها ذكر لأهل الكبائر ، ولفظ الفجار عام ، فيحمل هنا على الكفار ، لأنه ذكرهم في مقابل الأبرار .

وقد ذكر الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ قولين في المراد بالفجار :

أحدهما : أنهم المشركون ، والآخر : أنهم الظَّلمة ، ثم ذكر أن قول الله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ دال على تخليد الكفار (١) .

وعلى كل حال فالآية لا تدل على تخليد مرتكبي الكبائر من أهل التوحيد في النار ، بل الكفار هم المتوعدون بالخلود في النار ، بخلاف عصاة الموحدين ، فقد وردت نصوص كثيرة تجعلنا نقطع بعدم خلودهم فيها .

وأما قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الزمر:١٩] .

المراد بكلمة العذاب هنا هي قول الله تعالى لإبليس ـ لعنه الله ـ ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [ص:٨٥] ، ومعنى الآية التسلية لرسول الله ﷺ لأنه كان حريصاً على إيمان قومه فأعلمه الله أن من سبق عليه القضاء وحقت عليه كلمة الله لا يقدر رسول الله ﷺ أن ينقذه من النار ، بأن يجعله مؤمناً .

قال بعض السلف : المراد أبو لهب وولده ، ومن تخلف من عشيرة الرسول ﷺ

---

(١) زاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي (٩ / ٤٩) .

عن الإيمان ، وفي الآية تنزيل لمن يستحق العذاب ممن قد صار فيه ، وتنزيل دعائه إلى الإيمان منزلة الإخراج له من عذاب النار (١) .

وقال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ : « المعنى : أفأنت تهدي يا محمد من قد سبق له في علم الله أنه من أهل النار إلى الإيمان فتنقذه من النار بالإيمان ، لست على ذلك بقادر » (٢) .

فبهذا يبطل استدلال المنكرين للشفاعة بهذه الآية في عدم خروج الفاسق من النار بشفاعة النبي ﷺ .

وأما قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) ﴾ [آل عمران: ١٩٢] ، فمعناها : ربنا إنك من تدخل النار من عبادك فتخلده فيها فقد أخزيته ، ولا يُخزى مؤمن مصيره إلى الجنة وإن عُذِّب بالنار بعض العذاب ، وقد رُوي معنى هذا عن جماعة من السلف منهم أنس بن مالك رضي الله عنه ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ـ رحمهم الله تعالى ـ (٣) .

قيل للحسن البصري ـ رحمه الله ـ : « أرأيت ما تذكر من الشفاعة ، حق هو ؟ قال : نعم حق ، وقيل له : أرأيت قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾ وقوله: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ﴾ [المائدة: ٣٧] .

فقال ـ رحمه الله ـ : « إنك والله لا تسطوا علي بشيء ، إن للنار أهلاً لا يخرجون منها ، كما قال الله .فقيل له: يا أبا سعيد، فيمن دخلوا ثم خرجوا ؟ قال: كانوا أصابوا ذنوباً في الدنيا فأخذهم الله بها ، فأدخلهم بها ثم أخرجهم بما يعلم في قلوبهم من الإيمان والتصديق به » (٤) .

---

(١) فتح القدير، للشوكاني (٤ / ٥٦٦) ، وانظر : أيسر التفاسير/الجزائري (٤ / ٤٧٧) ـ ط الأولى الخاصة بالمؤلف (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن / للطبري (١٠ / ٦٢٦) .

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (٣ / ٥٥٢) ، الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي (٤/ ٣١٦) .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن / للطبري (٣ / ٥٥٢) ح ٨٣٥٨ .

فهذه الآية خاصة بمن لا يخرج من النار ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ أي الكفار (١) .

وقال آخرون منهم جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ معنى الآية : إنك من تدخل النار من مخلد فيها وغير مخلد فيها، فقد أخزي بالعذاب وإن خرج من النار، وذلك الخزي هو هتك ستر المخزى وفضيحته، ومن عاقبه ربه في الآخرة على ذنوبه فقد فضحه بعقابه إياه(٢) .

وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : « فخزي المؤمنين ـ أي أصحاب الكبائر ـ يومئذ استحياؤهم في دخول النار مع سائر أهل الأديان إلى أن يخرجوا منها » (٣) .

وعلى أي حال فهذه الآية ليس فيها ما يدل على تخليد كل من أدخل النار ، أو على نفي الشفاعة ، لأن المقصود بالظالم فيها هو الكافر .

✿ وأما قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠) ﴾ [السجدة : ٢٠] .

ويُردّ على استدلالهم بهذه الآية : بأن الفسق في الآية ليس عاماً لكل فاسق حتى يكون الكل مكذباً بعذاب النار بدليل أن كثيراً من العصاة مصدق بعذاب الآخرة وإن كان فاسقاً وبناءً عليه فإن المراد بالفسق في الآية الفسق الخاص بالكافر . فقد أجمع المفسرون على أن المراد بالذين فسقوا هم الذين كفروا وفارقوا طاعته (٤) .

✿ وأما قوله تعالى : ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) ﴾ [المعارج : ١١] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي (٤ / ٣١٦) ، أيسر التفاسير / للجزائري (١ / ٤٢٧) .
(٢) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن / للطبري (٣ / ٥٥٢)، فتح القدير / للشوكاني (١ / ٥١٧) ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير (١ / ٤٤٨) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي (٤ / ٣١٦) .
(٤) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن / للطبري (١٠ / ٢٤٥) ، الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي (١٤ / ١٠٧)، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير (٣ / ٤٧٠) فتح القدير / للشوكاني (٤ / ٣١٥) ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) / للرازي (ج٢٥ / ١٥٩) ، المجلد الثالث عشر ، تفسير البحر المحيط / لأبي حيان (٧ / ١٩٨) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ، أيسر التفاسير / للجزائري (٤ / ٢٣٢) .

فهم يقولون بأن كل عاص مجرم، ويستدلون أيضاً بقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر: ٤٠-٤٦]، ويقولون بأن المجرم مكذب وكل مكذب كافر.

ويُرَد على استدلالهم بهذا: بأن المجرمين هنا في هذه الآيات هم الكافرون ولا يصح أن يكون الإجرام عاماً حتى يشمل عصاة المؤمنين لأنهم غير مكذبين بيوم الدين.

فمعنى ذلك: يود الكافر يومئذ ويتمنى أن يفتدي نفسه من عذاب الله إياه ذلك اليوم، لو وجد إلى ذلك سبيلاً بأحب الناس إليه كان في الدنيا وأقربهم إليه نسباً، وذلك من عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء (١).

قال الإمام ابن عطيه (٢) - رحمه الله -: « المجرم في هذه الآية الكافر بدليل شدة الوعيد وذكر لظى وقد يدخل مجرم المعاصي فيما ذكر من الافتداء » (٣).

وإن كان المجرم يشمل الكافر والعاصي من المسلمين فقد ورد تخصيص المسلم بأن الله - عز وجل - يفدي كل مسلم بكافر ويقول هذا فكاكك من النار (٤).

وأقوى من ذلك ما تواتر من الأحاديث في إخراج الموحدين من النار بشفاعة النبي ﷺ وغيره.. فيخصص المسلم العاصي الموحد في إخراجه من النار دون غيره.

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن / للطبري (١٢ / ٢٣٠)، الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي (١٨ / ٢٨٦)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) / للرازي) ج٣٠ / ١١٢) المجلد الخامس عشر، معالم التنزيل / للبغوي (٨ / ٢٢٢).

(٢) هو أبو محمد عبدالحق ابن أبي بكر غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربي الأندلسي الغرناطي المالكي، الإمام العلامة، شيخ المفسرين، كان إماماً في الفقه والتفسير والعربية، ذكياً مدركاً، له كتاب (المحرر الوجيز في التفسير) ولد في سنة ٤٨١هـ، توفي سنة ٥٤١هـ وقيل ٥٤٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء / للذهبي ١٨ /٥٨٧ وما بعدها)، الأعلام / للزركلي (٣ /٢٨٢).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / لابن عطيه (١٦ /١١١).

(٤) انظر صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل.. (٤ /٢١١٩) ح ٢٧٦٧) عن أبي موسى الأشعري، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٣ / ٣٦٩، ٣٧٠) ح١٣٨١.

وأما قوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزمر : ٥٤] .

فالمراد بذلك : ارجعوا إلى ربكم بالطاعة ، واستجيبوا إليه بتوحيده وإفراده بالألوهية وإخلاص العبادة له ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ﴾ أي في الدنيا من عند الله على كفركم به ﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ أي لا تُمنعون من عذابه النازل بكم [١] .

قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ : « وقوله : ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ﴾ أي عذاب الدنيا كما يفيده قوله : ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ﴾ فليس في ذلك ما يدل على ما زعمه الزاعمون وتمسك به القانطون المقنطون والحمد لله رب العالمين »[٢] .

وأما استدلال القاضي عبدالجبار بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ « بقوله : إن من جاءه العذاب لا يكون له ناصر ، وفي هذا إبطال القول بالشفاعة »[٣] .

« فالشفاعة لأهل الكبائر ليست من حقيقة النصر المنفي وهذه الفقرة ﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ أكثر حظًا فيها هو حظ المشركين »[٤]، وأن المشركين إذا حلَّ بهم العذاب فلا ناصر لهم .

فتبين بهذا بطلان استدلال المنكرين للشفاعة بهذه الآية الكريمة ، ودفع شبهتهم فيها، وأن المراد بالعذاب هنا العذاب في الدنيا ، كما ذكر المفسرون وليس عذاب الآخرة .

---

(١) جامع البيان في تاويل القرآن / للطبري (١١ / ١٧ ، ١٨) ، الجامع لاحكام القرآن / للقرطبي (١٥ / ٢٦٩ ، ٢٧٠) .

(٢) فتح القدير / للشوكاني (٤ / ٥٨٣) .

(٣) متشابه القرآن / للقاضي عبدالجبار (٢ / ٥٩٧) .

(٤) انظر: تفسير التحرير والتنوير/ لمحمد الطاهر ابن عاشور (ج٢٤ / ٤٤) ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ ط/ بدون (١٩٨٤م) .

المبحث الثالث

نصوص الوعيد من الآيات المصرحة بالخلود في النار

من أدلة المنكرين للشفاعة الاحتجاج بنصوص الوعيد في الكتاب والسُّنَّة الدالة على التصريح بالخلود في النار ، أو الحرمان من الجنة لمرتكبي بعض المعاصي أو نفي الإيمان أو التسمية بالكفر أو التصريح بالبراءة من مرتكبي بعض المعاصي، وأن في هذا دلالة على حسب زعمهم على عدم إمكان الشفاعة لهم يوم القيامة .

المطلب الأول

الآيات القرآنية المصرحة بالخلود في النار

[١] قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) ﴾ [النساء :٩٣] .

يقول الزمخشري في كلامه على هذه الآية : « فإن قلت : هل فيها دليل خلود من لم يتب من أهل الكبائر ؟ قلت : ما أبين الدليل وهو تناول قوله : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ ﴾ أي قاتل كان من مسلم أو كافر ، تائب أو غير تائب، إلا أن التائب أخرجه الدليل ، فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله »(١) .

وذكر أحمد بن حمد الخليلي في معرض استدلاله بهذه الآية على خلود صاحب الكبيرة في النار بقوله : « ووجه الاستدلال بالآية أن الله تعالى توعد فيها قاتل المؤمن ـ فيما توعده به ـ بالخلود في النار مع أن القتل كبيرة دون الشرك »(٢) .

[٢] وقال الله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

(١) الكشاف / للزمخشري (١ / ٢٩١) .
(٢) الحق الدامغ / لأحمد الخليلي الإباضي (ص٢١٣) .

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٨١] .

فقد استدلوا بهذه الآية على تخليد أصحاب المعاصي في النار وقالوا : « إنه لا أمل للعاصي ـ الذي يموت على معصيته ـ في رحمة الله » (١) .

فاعتبروها دليلاً على أن من كسب كبير من الكبائر ، وأحاطت به كبيرة ، بمعنى أنه لم يتخلص منها بالتوبة على قول لهم (٢) .

يقول القاضي عبدالجبار : « دل بذلك على أن من غلبت كبائره على طاعاته ... هو من أهل النار » (٣) .

[٣] وقال الله تعالى : ﴿ **فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

فهم يقولون إن الله أوعد بالخلود أكلة الربا ، وهم غير مشركين ، لأن الآية في معرض التحذير من أكل الربا بعد تحريمه (٤) .

ويقول الزمخشري في هذه الآية : « وهذا دليل بين على تخليد الفساق » (٥) .

[٤] وقال الله تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء: ١٤] ، وقوله : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ﴾ [الجن : ٢٣] .

يقول القاضي عبدالجبار عن الآية الأولى : « فالله تعالى أخبر أن العصاة يعذبون بالنار، ويخلدون فيها، والعاصي اسم يتناول الفاسق والكافر جميعاً ، فيجب حمله عليهما ، لأنه تعالى لو أراد أحدهما دون الآخر لبيّنه » (٦) ، وذكر نحو هذا الكلام

---

(١) الإباضية في موكب التاريخ / لعلي يحيى معمر (١ / ١٣٣) .

(٢) انظر : الكشاف للزمخشري (١ / ٧٨) ، مشارق أنوار العقول / للسالمي (ص٢٩٦) ، الحق الدامغ / لأحمد بن حمد الخليلي (ص٢٠٢) .

(٣) متشابه القرآن (١ / ٩٧) .

(٤) انظر : الحق الدامغ / لأحمد للخليلي (ص٢٠٧) .

(٥) الكشاف (١ / ١٦٦) .

(٦) شرح الأصول الخمسة (ص ٦٥٧) ، وانظر : الحق الدامغ / لأحمد الخليلي الإباضي (ص٢١٣) .

في الآية الثانية (١) .

[٥] وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) ﴾ [الزخرف : ٧٤] .

يقول القاضي عبدالجبار : « يدل على الوعيد والخلود ، لأنه لم يخص مجرماً من مجرم ،وبين أنهم خالدون في النار ، والخلود هو الدوام الذي لا انقطاع له » (٢) .

[٦] وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) ﴾ [يونس:٢٧] .

فقد وجه الوعيدية هذه الآية بأن السيئات جمع سيئة وهي عامة في كل كبيرة ثم ذكروا أن الآية ذيلت نفسها بما يثبت به جزاء هؤلاء الذين يرتكبون الكبائر فذكرت اسوداد الوجه والخلود في النار (٣) .

ويقول القاضي عبدالجبار : « وهذه الآية تدل على قولنا في الوعيد ، لأنه تعالى بين فيمن اكتسب السيئات أنه لا عاصم له من الله ، ولو كان يقبل فيه الشفاعة لم يصح ذلك ، ثم ذكر من بعد أنه تعالى يخلدهم في النار ، فدل به على أنه لا ينقطع عنهم العذاب » (٤) .

وهناك آيات أخرى استدل بها الخوارج والمعتزلة على تخليد من مات مصراً على كبيرة في النار ، وقالوا في قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] أنها متأوله على أحد معنيين :

أحدهما : أن المغفرة المذكورة في الآية متناولة للصغائر دون الكبائر .

---

(١) انظر : متشابه القرآن (٢ / ٦٦٨) .

(٢) متشابه القرآن (١ / ٦٠٩) ، شرح الأصول الخمسة (ص٦٦٠ ، ٦٦١) .

(٣) انظر: تأملات في التراث العقدي للفرق الكلامية (فرقة الخوارج) (ص٢١٠)، الحق الدامغ/ لأحمد الخليلي (ص٢٢٠).

(٤) متشابه القرآن (١ / ٣٦٣) .

الثاني : أنها خاصة بمن تاب من الذنب ، لا من مات مصراً عليه .

وربما استدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [النساء : ٣١] .

فقالوا : إن هذا يدل على أن من لم يجتنب الكبائر لا تكفر سيئاته ، وأن من أرتكب الكبائر فهو في النار (١) .

---

(١) انظر : متشابه القرآن للقاضي عبدالجبار (١ / ١٨٣) ، شرح الأصول الخمسة (ص٦٧٦ - ٦٨٣) ، الحق الدامغ/ لأحمد الخليلي (ص٢١٨) .

المطلب الثاني

الرد على شبههم واستدلالهم بهذه الآيات

لقد أجاب العلماء عن شبه الوعيديه باستدلالهم بهذه الآيات بما يلي :

أولاً : أن الآية المبينة جزاء القاتل العمد وهي قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ .

[النساء : ٣١] .

فنقول رداً على الوعيدية في استدلالهم بهذه الآية على الخلود لصاحب الكبيرة بالآتي:

[١] أن أهل السُّنَّة من سلف هذه الأمة وأتباعهم ، لم يختلفوا في أن أصحاب الكبائر التي هي دون الشرك بالله ـ عز وجل ـ أن أصحابها لا يخلدون في النار ، بل قولهم في ذلك واحد لا يختلف ، وهو عدم تخليد أصحاب المعاصي دون الشرك بالله في النار ، معتصمين في ذلك بالنصوص من كتاب الله الكريم وسُنَّة نبيه ﷺ المتواترة في ذلك .

[٢] وأما استدلالهم بهذه الآية الكريمة التي ورد فيها هذا الوعيد الشديد لقاتل المؤمن عمداً فإن أهل السُّنَّة يعطون هذا النص حقه ويبينون عظمه تحذيراً من مخالفته ، فإن مرتكبه يعرض نفسه لسخط الله وغضبه وعقابه ، ومع بيانهم لذلك فإنهم يبنون الحق فيه بالنصوص الأخرى (١) .

فهذه الآية تفسرها نصوص غيرها صريحة في عدم خلود الموحدين في النار ، كنصوص الشفاعة وغيرها مما سبق إيراده، منها حديث الشفاعة الطويلة: قوله ﷺ : « .... **فيقال :انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيره من إيمان ،**

---

(١) انظر : الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ / د: علي الفقيهي (ص٤٢٩ ، ٤٣٠) ـ دار المآثر ـ المدينة المنورة ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م) .

فأنطلق فأفعل ..... فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة ، أو خردلة من إيمان ، فأنطلق فأفعل .... فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل .. ، فأقول يارب ، ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله ، فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله » (١) .

وقوله ﷺ : « **يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع ، فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين »** (٢) .

وقوله ﷺ : « أتاني جبريل - عليه السلام - فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قال أبو ذر : وإن زنى وإن سرق ؟ قال ﷺ : وإن زنى وإن سرق ... » (٣) .

وعن جابر رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ رُجُل فقال : يارسول الله : ما الموجبتان (٤) فقال : « **من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات يُشرك بالله شيئاً دخل النار »** (٥) .

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن مرتكبي الكبيرة غير الكفر والشرك ليس بخالد في النار ، ولهذا يجب حمل الخلود في الآية على معنى البقاء مدة طويلة .

« فيكون قوله - خالداً - إذا كانت في المؤمن بمعنى باق مدة طويلة على نحو دعائهم للملوك بالتخليد ونحو ذلك ، ويدل على هذا سقوط قوله - أبداً - فإن

---

(١) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة ( ) ح / ٧٥١٠ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١ / ١٧٠) ح١٨٣ واللفظ للبخاري ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند البخاري ، وأبو سعيد الخدري عند مسلم .

(٢) سبق تخريج الحديث ص ١٧٠ .

(٣) رواه مسلم : كتاب الإيمان / باب من مات لا يشرك ب الله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار (١ / ٩٤) ح٩٤ ، من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٤) الموجبتان : معناه الخصلة الموجبة للجنة والخصلة الموجبة للنار .

(٥) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة (١ / ٩٤) ح ٩٣ ، وأحمد في مسنده (١ / ٣٨٢ ، ٤٢٥) (٣ / ٧٩ ، ٣٩١) (٤ / ٣٢٢ ، ٣٤٦ ، ٤٠٤) (٥ / ١٦٦) .

التابيد لا يقترن بالخلود إلاّ في ذكر الكفار » [(١)] .

وقال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « وبتقدير دخول القاتل في النار، . . .فليس بمخلد فيها أبداً،بل الخلود هو المكث الطويل وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان. . . . . » [(٢)] .

وقال الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ : « أن خلوده إنما هو مقام مدة ما » [(٣)] .

وقال ابن عاشور [(٤)] **ـ رحمه الله ـ :** « وقوله ﴿ **خَالِدًا فِيهَا** ﴾ مَحْمَلهُ عند جمهور علماء السُّنَّة على طول المكث في النار لأجل قتل المؤمن عمداً ، لأن قتل النفس ليس كفراً بالله ورسوله ، ولا خلود في النار إلا للكفر ، . . . . . ، فتعيّن تأويل الخلود بالمبالغة في طول المكث » [(٥)] .

وقال الإمام البغوي ـ رحمه الله ـ : « وليس في الآية متعلق لمن يقول بالتخليد في النار بارتكاب الكبائر ،لأن الآية نزلت في قاتلٍ هو كافر ، وهو مقيس بن صبابة ، وقيل : إنه وعيد لمن قتل مؤمناً مستحلاً لقتله بسبب إيمانه ، ومن استحل قتل أهل الإيمان لإيمانهم كان كافراً مخلداً في النار ، وقيل في قوله تعالى : ﴿ **فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا** ﴾ معناه :هي جزاؤه إن جازاه ولكنه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له بكرمه ،

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / لابن عطية (٤ / ٢١٥) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (١ / ٥٥٠) ، وانظر : تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (١ / ٢٣١) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط. الأولى (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) ، تفسير القاسمي / لمحمد جمال الدين القاسمي (٣/ ٣٦٨) .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل – تحقيق : عميرة (٤ / ٨٧) .

(٤) هو محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتيين المالكيين بتونس ، وشيخ جامع الزيتونه ، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة ، ولد سنة ١٢٩٦هـ بتونس ، كان مفسراً حكيماً . . . توفى سنة ١٣٩٣هـ، وقيل ١٣٩٤هـ بتونس، له عدة مصنفات ، منها (أصول الإنشاء والخطابة ، مقاصد الشريعة ، تفسير التحرير والتنوير) ، انظر : الأعلام / للزركلي (٦ / ١٧٤) ، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين / د. محمد رجب البيومي (٥ / ٢٨٠–٢٩٣) دار القلم – دمشق – سوريا – ط. الأولى (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) .

(٥) تفسير التحرير والتنوير (٥/ ١٦٤) .

فإنه وَعَدَ أن يغفر لمن يشاء » (١) .

فالعرب لا تعد الإخلاف في الوعيد خلفاً وذماً ، وإنما تعد إخلاف الوعد خلفاً وذماً وقول القائل (٢) :

وإنّي وإن أوعَدْتُهُ أو وعَدْتُهُ — لمخلف إيعادي ومُنْجِزُ مَوْعِدِي (٣)

فأهل السُّنّة يخصصون هذه الآية بالتوبة ، وبنصوص الوعد الأخرى ، وبنصوص خاصّة في أن القاتل تحت المشيئة .

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : « ليس الأخذ بظاهر الآية بأولى من الأخذ بظاهر قوله : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود:١١٤] ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [التوبة:١٠٤] ،وقوله ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء:٤٨] ، والأخذ بالظاهرين تناقض فلا بد من التخصيص » (٤) .

وممّا يدل على التخصيص حديث عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في مجلس فقال: « **تبايعوني على ألاّ تشركوا بالله شيئاً ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق . فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به ، فهو كفارة له ، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه ، فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه** » (٥) .

---

(١) معالم التنزيل/ للبغوي (٢ /٢٦٧) ، وانظر : أيسر التفاسير / للجزائري (١ /٥٢٥) ، فتح البيان في مقاصد القرآن / لصديق حسن خان (٢ /٣٤٢-٣٤٣) – مكتبة ابن تيمية – الناشر : أم القرى للطباعة والنشر – القاهرة – مصر – ط. بدون ، فتح القدير/ للشوكاني (١ /٦٢٩) ، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد / للبيهقي – تحقيق أبو العينين (ص٢٤٤) .

(٢) هو عامر بن الطفيل .

(٣) معالم التنزيل/ للبغوي (٢ /٢٦٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٣٣٤) ، لوامع الأنوار / للسفاريني (١ / ٣٧٠)، مدارج السالكين / لابن القيم (١ /٣٩٦) ، كتاب البعث والنشور/ للبيهقي (ص٧٦-٧٧) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٣٣٣ ، ٣٣٤) .

(٥) رواه البخاري : كتاب : الإيمان ، باب مناقب الأنصار (٥ / ٧٠) ح ٣٨٩٢ – ٣٨٩٣ ومسلم : كتاب الحدود ، باب الحدود كفارات لأهلها (٣ /١٣٣٣) ح ١٧٠٩ ، واللفظ لمسلم .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : « قوله ﷺ :ومن أصاب شيئاً من ذلك . . . ، المراد به سوى الشرك وإلا فالشرك لا يغفر له ، . . والدلالة لمذهب أهل الحق أن المعاصي غير الكفر لا يقطع لصاحبها بالنار إذا مات ولم يتب منها، بل هو بمشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه » (١) .

وقال الإمام المروزي (٢) ـ رحمه الله ـ تعليقاً على هذا الحديث : « ففي هذا الحديث دلالتان على أن السارق ، والزاني ومَنْ ذكر في هذا الحديث غير خارجين من الإيمان بأسره ، إحداهما : قوله فمن أصاب من ذلك شيئاً ، فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، والحدود لا تكون كفارات إلا للمؤمنين ، ألا ترى قوله : « ومن ستر الله عليه فأمره إلى الله إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه » هو نظير قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ .. وأن يغفر مادون ذلك الشرك لمن يشاء ممن مات وهو غير تائب ، ولا جائز أن يغفر له ويدخله الجنة إلا وهو مؤمن » (٣) .

وقال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسير أية قتل العمد بعد أن استعرض الأقوال في تفسيرها : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه إن جازاه جهنم خالداً فيها ، ولكنه يعفو ويتفضّل على أهل الإيمان به وبرسوله فلا يجازيهم بالخلود فيها ، ولكنه عز ذكره إما أن يعفو بفضله فلا يدخله النار ، وإما أن يدخله إيّاها ثمّ يخرجه منها بفضل رحمته ، لما

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (ج١١ / ٢٢٣ ، ٢٢٤)-المجلد الرابع ـ بتصرف يسير .

(٢) هو محمد بن نصر بن الحجاج المروزي ، أبو عبد الله ، الإمام الفقيه الحافظ ، ولد سنة ٢٠٢ هـ) ببغداد وكان إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة ، من تصانيفه : (كتاب تعظيم قدر الصلاة ، وكتاب القسامة) وغيرها ، وتوفي سنة ٢٩٤هـ . انظر : تذكرة الحفاظ / للذهبي (٢ /٦٥٠-٦٥٣) ، تقريب التهذيب/ لابن حجر (٢ / ١٤٠) برقم / ٦٣٧١ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٤ /٣٣-٣٩) ، الأعلام / للزركلي (٧/ ١٢٥) .

(٣) تعظيم قدر الصلاة / للإمام المروزي ـ تحقيق د: عبدالرحمن الفريوائي ٢ /٦١٦-٦١٧ـ مكتبة الدار بالمدينة المنورة ـ السعودية ـ ط الأولى ١٤٠٦هـ) .

سلف من وعده عباده المؤمنين بقوله : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الزمر:٥٣] »(١) .

فقَيْدُ المشيئة قائم في الذنوب كلّها ماعدا الشرك ، وأيضاً فإن قوله : ﴿ فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ إن جازاه الله ولم يعف عنه ، فآية الخبر عن الشرك خبر لا يقع فيه الخلف ، وآية قتل العمد وعيد يرضى فيه العفو ، فاستحقاق الوعيد لا يلزم تنفيذه .

ثانياً : وأما قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٨١] ، يرد استدلال الوعيدية بهذه الآية بأن هذه الآية تحدثنا عن الخطيئة المحيطة ، والخطيئة المحيطة هي الكفر بالله ، والشرك به ، وليست تعني قط أي كبيرة قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] ، وهذا هو الذي يرجح رأي من يرى أن هذه الآية نزلت في اليهود حين حادوا عن سبيل الله وأشركوا به مالم ينزل به سلطاناً .

كما أن الآية تفيد أن كسب الخطيئة لا يؤدي إلى الخلود في النار إلا إذا كانت خطيئة محيطة وليست مجرد خطيئة كما يزعم الوعيدية ، فالآية ـ إذن ـ دليل عليهم وليست دليلاً لهم .

فلهذا ذهب أهل السُّنَّة والجماعة إلى أنّ الخلود في النار إنما هو للكفار والمشركين لما ثبت في السُّنَّة تواتراً من خروج عصاة الموحدين من النار . فيتعين تفسير السيئة والخطيئة ، في هذه الآية بالكفر والشرك ، ويؤيد ذلك كونها نازلة في اليهود .

روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن معنى هذه الآية : من كفر حتى يحيط به كفره فلا تقبل له حسنة ، وهذا التأويل أولى ، لما ثبت في السُّنَّة المتواترة من خروج عصاة الموحدين من النار(٢) .

---

(١) جامع البيان في تاويل القرآن (٤ / ٢٢٣) .

(٢) انظر : فتح القدير / للشوكاني (١ / ١٣٦) ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير (١ / ١٢٣) ، فتح البيان في مقاصد القرآن / لصديق حسن خان (١ / ١٧١ ، ١٧٢) .

وقال الإمام البيهقي ـ رحمه الله ـ في هذه الآية : « أخبر أن التخليد في النار إنّما هو لمن أحاطت به خطيئته والمؤمن صاحب الكبيرة أو الكبائر لم تُحط به خطيته، لأنّ رأس الخطايا هو الكفر ، وهو غير موجود منه ، فصحّ أنّه لا يخُلّد في النار ، .... ذلك وإنما افترقا ـ أي صاحب الكبيرة التائب وغير التائب ـ في أن التائب مغفور له من غير تعذيب ، والمصرّ قد يعذّب بذنبه مدةً ، ثم يدخل الجنّة لأن خبر الصادق بذلك ورد » [1] .

ويقول عبدالرحمن [2] السعدي ـ رحمه الله ـ : « ولكن ﴿ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ وهو نكرة في سياق الشرط فيعم الشرك فما دونه ، والمراد به الشرك هنا بدليل قوله : ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ اي : أحاطت بعاملها فلم تدع له منفذاً ، وهذا لا يكون إلا الشرك ، فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطئيته ، .... وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك ، وهكذا كل مبطل يحتج بآية أو حديث صحيح على قوله الباطل فلابد أن يكون فيما أحتج به حجة عليه » [3] .

وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً .. ﴾ « السيئة الشرك .... ودل قوله : ﴿ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ على أن المعلّق على شرطين لا يتم بأقلهما » [4] .

وقال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ : « المراد بالسيئة هنا السيئة العظيمة وهي الكفر بدليل العطف عليها بقوله : ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ .. فلذلك لم تكن في هذه

---

(١) شعب الإيمان / للبيهقي ـ تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول (١/ ٢٤٧) .

(٢) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي التميمي من كبار علماء نجد المعاصرين ولد بعنيزة سنة ١٣٠٧هـ ، له مؤلفات نافعة في التفسير والفقه والعقيدة، توفي سنة ١٣٧٦هـ . انظر:الاعلام/للزركلي (٣ / ٣٤٠)، عُلماء نجد خلال ثمانية قرون/لعبد الله البسام (٣/ ٢١٨) ـ (دار العاصمة للنشر والتوزيع- الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤١٩هـ).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ج١ / ٥٨) المجلد الاول .

(٤) الجامع لاحكام القرآن (٢ / ١٢) ـ بتصرف، وانظر : مثلاً نحوه : تفسير القاسمي (١ / ١٧٧) .

الآية حجة للزاعمين خلود أصحاب الكبائر من المسلمين في النار إذ لا يكون المسلم محيطة به الخطيئات بل هو لا يخلو من عمل صالح وحسبك من ذلك سلامة اعتقاده من الكفر وسلامة لسانه من النطق بكلمة الكفر الخبيثة » (١) .

فهذا بيان واضح على أن المؤمن لا تحيط به خطيئته لوجود بعض الإيمان .

وقد ذكر الإمام الطبري كلاماً طويلاً في ذلك وخلاصته : أن الآية وإن كانت عامّة إلا أنها مختصة بالأخبار المتواترة الدالة على عدم خلود من يدخل النار من أهل الكبائر ، ومّما يؤكد ذلك أنها لا تشمل مرتكب الصغائر باتفاق الجميع ، لذلك يقال لهؤلاء الوعيدية : إذا قلتم لماذا أخرجتم مرتكب الكبائر من هذا العموم ؟ قلنا لكم ، ولماذا أخرجتم مرتكب الصغائر ؟ فإن قالوا : للنصوص الدالة على تكفير الصغائر باجتناب الكبائر ، وفعل الحسنات ، قلنا : ونحن أخرجنا الكبائر للنصوص الدالة على أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار (٢) .

وفي هذا بيان واضح على أن المؤمن لا تحيط به خطيئته لوجود بعض الإيمان عنده، ولا يخلد في النار إلا إذا أحاطت به خطيئته بالكفر أو الشرك بالله عز وجل .

ثالثاً : وأما قوله تعالى : ﴿ **فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة: ٨١] .

« فمن عاد يعني إلي فعل الربا والقول : ﴿ **إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا** ﴾ ، وإن قدرنا الآية في كافر فالخلود خلود تأبيد حقيقي ، وإن لحظناها في مسلم عاص فهذا خلود مستعار على معنى المبالغة ، كما تقول العرب : مُلك خالد ، عبارة عن دوام ما ، لا على التأبيد الحقيقي » (٣) .

---

(١) تفسير التحرير والتنوير / لابن عاشور (١ / ٥٨١) .

(٢) انظر : جامع البيان في تاويل القرآن / لابن جرير الطبري (١ / ٤٢٨ ، وما بعدها) .

(٣) المحرر الوجيز / لابن عطية (٢ / ٣٤٧) ، وانظر : الجامع لاحكام القرآن / للقرطبي (٣ / ٣٦٢) ، فتح القدير / للشوكاني(١ / ٣٧٤)،البحر المحيط /لابي حيان (٢ / ٣٤٩) ، فتح البيان في مقاصد القرآن /لصديق حسن خان (١ / ٤٥٨).

وقال ابن عاشور - رحمه الله -: «وجُعل العائد خالداً في النار إما لأن المراد العود إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ أي عاد إلى استحلال الربا وذلك نفاق، فإنّ كثيراً منهم قد شق عليهم ترك التعامل بالربا، فعلم الله منهم ذلك وجعل عدم إقلاعهم عنه أمارة على كذب إيمانهم، فالخلود على حقيقته. وإما لأن المراد العود إلى المعاملة بالربا، وهو الظاهر من مقابلته بقوله: ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ﴾ والخلود طول المكث» (١).

والمصير إلى هذا التأويل واجب للأحاديث المتواترة القاضية بخروج الموحدين من النار، فيتم الجمع بين أدلة الكتاب والسُّنَّة (٢).

وقال الإمام الرازي - رحمه الله -: «أما قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فالمعنى: ومن عاد إلى استحلال الربا حتى يصير كافراً» (٣).

فمن استحل شيئًا محرمًا بعد ورود دليل تحريمه عليه فقد فعل أمرًا عظيماً موصلاً إلى الكفر.

وذكر ابن الجوزي - رحمه الله - في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ..﴾ «قال ابن جبير: من عاد إلى الربا مستحلاً محتجاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾» (٤).

وقال الإمام البغوي - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ..﴾ بعد التحريم إلى أكل الربا مستحلاً له ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٥).

وقال عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية: «في هذا أن الربا موجب لدخول النار والخلود فيها، وذلك لشناعته مالم يمنع من الخلود مانع

(١) تفسير التحرير والتنوير (٣ / ٩٠).
(٢) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن / لصديق حسن خان (١ / ٤٥٨).
(٣) التفسير الكبير (ج٧ / ٨٢) المجلد الرابع، وانظر: جامع البيان / للطبري (٣ / ١٠٤)، تفسير القاسمي (٢ / ٣٦٩).
(٤) زاد المسير في علم التفسير (١ / ٣٣١).
(٥) معالم التنزيل (١ / ٣٤٣).

الإيمان، وهذا من جملة الأحكام التي تتوقف على وجود شروطها وانتفاء موانعها ، وليس فيها حجة للوعيدية كغيرها من آيات الوعيد ، فالواجب أن تصدق جميع نصوص الكتاب والسُّنَّة ، فيؤمن العبد بما تواترت به النصوص من خروج من في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من الإيمان من النار ، ومن استحقاق هذه الموبقات لدخول النار إن لم يتب منها » (١) .

فما ورد من الوعيد بالخلود في النار محمول على من استحل ذلك ، فإنه يصير باستحلاله كافراً أما من فعلها معتقداً تحريمها فلا يلحقه هذا الوعيد ، أي وعيد الخلود المؤبد ، ولكن قد يلحقه وعيد الدخول في النار دون تخليد الكافرين ، ولكن خلوده دوام مكثه لا تأبيده إذا كان من أهل التوحيد لورود الأدلة في ذلك المصرحة بخروج الموحدين بالشفاعة وبرحمة الله عز وجل .

رابعاً : وأما قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ⦗١٤⦘ ﴾ [النساء: ١٤] وكذلك قوله : ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً** ﴾ [الجن : ٢٣] .

فهذه ليس فيها دليل على تخليد أهل الكبائر في النار ، لأن المراد بالمعصية في الآيتين : المعصية الكفرية التي فيها رد التوحيد والاعتراض على شرع الله ، وعدم الرضا به ، ونحو ذلك (٢) ، فالأمر بالتوحيد ولم يؤمن لأن السياق فيه ولا يمكن حملها على عموم المعاصي للنصوص الأخرى التي تبين أن ما دون الشرك من المعاصي لا يخلد صاحبها في النار ، بل يعذب ـ إن عذب ـ بقدر ذنبه ، ثم يخرج منها ويدخل الجنة .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ج١ / ١٩٠) المجلد الاول .

(٢) انظر : معالم التنزيل / للبغوي (٨ / ٢٤٤) ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير (١ / ٤٧٢) ، (٤ / ٤٦١) ، فتح القدير / للشوكاني (٥ / ٣٨٥) ، أيسر التفاسير / للجزائري (٥ / ٤٥٣) ، المحرر الوجيز / لابن عطيه (١٦ / ١٤٢) ، فتح البيان في مقاصد القرآن / لصديق حسن خان (١٠ / ١٠٠) ، (٢/ ٢٢٥ – ٢٢٦) .

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ في آية النساء السابقة : « إذا جمع إلى معصيتهما في ذلك شكاً في أن الله فرض عليه ما فرض على عباده . . . ، أو علم ذلك فحادَّ الله ورسوله في أمرهما ، على ماذكر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قول من قال حين نزل على رسول الله ﷺ قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١١] ، أيورَّث من لا يركب الفرس ولا يقاتل العدوَّ ولا يحوز الغنيمة ، نصف المال أو جميع المال ؟ استنكاراً منهم قسمة الله ما قسم من ميراث أهل الميراث بينهم على ما قسمه في كتابه ، وخالف حكمه في ذلك وحكم رسوله ، استنكاراً منه حكمهما ، كما استنكره الذين أمرهم ابن عباس ممن كان بين أظْهُرِ أصحاب رسول الله ﷺ من المنافقين الذين فيهم نزلت وفي أشكالهم هذه الآية ، فهو من أهل الخلود في النار ، لأنه باستنكاره حُكم الله في تلك يصير بالله كافراً ، ومن ملة الإسلام خارجاً » (١) .

وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : « والعصيان إن أريد به الكفر فالخلود على بابه ، وإن أريد به الكبائر وتجاوز أوامر الله تعالى فالخلود مستعار لمدة ما . كما تقول : خلّد الله ملكه .

وقال زهير :

ألا لا أرى على الحوادث باقيا ولا خالداً إلا الجبال الرواسيا » (٢)

وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ أيضاً في تفسير آية الجن : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ « في التوحيد والعبادة ﴿ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ . . دليل على أن العصيان هنا هو الشرك . وقيل : هو المعاصي غير الشرك ، ويكون معنى ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ إلا أن أعفو أو تلحقهم شفاعة ، ولا محالة إذا خرجوا من

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٣ / ٦٣٣) ، (١٢ / ٢٧٥) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٨٢) ، وانظر : المحرر الوجيز / لابن عطية (٢ /٣٤٧) ، تفسير التحرير والتنوير / لابن عاشور (٤ /٢٦٨) .

الدنيا على الإيمان يلحقهم العفو » (١) .

وقال عبدالرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ : « يدخل في اسم المعصية الكفر فما دونه من المعاصي، فلا يكون فيها شبهة للخوارج القائلين بكفر أهل المعاصي، فإن الله تعالى رتب دخول الجنة على طاعته وطاعة رسوله ، ورتب دخول النار على معصيته ومعصية رسوله ،فمن أطاعه طاعة تامة دخل الجنة بلا عذاب ، ومن عصى الله ورسوله معصية تامة يدخل فيها الشرك فما دونه دخل وخلد فيها ، ومن اجتمع فيه معصية وطاعة كان فيه من موجب الثواب والعقاب بحسب ما فيه من الطاعة والمعصية . وقد دلت النصوص المتواترة على أن الموحدين الذين معهم طاعة التوحيد غير مخلدين في النار ، فما معهم من التوحيد مانع الخلود فيها » (٢) .

وقال رحمه الله تعالى عند تفسيره لآية الجن : « وهذا المراد به المعصية الكفرية كما قيدتها النصوص الأخرى المحكمة ، وأما مجرد المعصية فإنه لا يوجب الخلود في النار كما دلت على ذلك آيات القرآن والأحاديث عن النبي ﷺ ، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمة هذه الأمة » (٣) .

فعند ذلك نجد أنه لا دليل في الآيتين للمعتزلة وغيرهم على أن العصاة والفساق من أهل الإيمان يخلدون في النار (٤) .

خامساً : وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

[الزخرف : ٧٤] .

فالمقصود بالمجرمين فيها هم الكفار لما ورد في تفسيرها بذلك .

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ : « هم الذين اجترموا في الدنيا الكفر بالله ،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩ / ٢٧) ، وانظر : زاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي (٨ / ٣٨٥) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل / للبيضاوي (٢ / ٥٣٦) ، تفسير التحرير والتنوير / لابن عاشور (٢٩ / ٢٤٥) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ج٢ / ٢١) المجلد الأول .

(٣) المصدر السابق (ج٨ / ٢١٤) المجلد الرابع ، وانظر : البحر المحيط / لأبي حيان (٨ / ٣٤٧) .

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن / لصديق حسن خان (٢ / ٢٢٦) .

فاجترموا به في الآخرة »[١] .

وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ عند معرض تفسير هذه الآيات في قوله تعالى :﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الزخرف:٧٦] ، « أنفسهم بالشرك »[٢] .

وقال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ « يعني الكافرين »[٣] .

وقال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ : « قوله ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي أهل الإجرام الكفرية ، كما يدل عليه إيرادهم في مقابلة المؤمنين الذين لهم ما ذكره الله سبحانه قبل هذا »[٤] .

وقال الإمام الرازي ـ رحمه الله ـ : « ما قبل هذه الآية وما بعدها ، يدل على أن المراد من لفظ المجرمين هنا الكفار ،أما ما قبل هذه الآية فلأنه قال :﴿ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الزخرف : ٦٨-٦٩] ، فهذا يدل على أن كل من آمن بآيات الله وكانوا مسلمين ، فإنهم يدخلون تحت قوله ﴿ الآية ﴾ والفاسق من أهل الصلاة آمن بالله تعالى وبآياته وأسلم ،فوجب أن يكون داخلاً تحت الوعد ، ووجب أن يكون خارجاً عن هذا الوعيد ، وأما بعد هذه الآية فهو قوله : ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الزخرف:٧٨] والمراد ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ هاهنا إما الإسلام وإما القرآن ، والرجل المسلم لا يكره الإسلام ولا القرآن ، فثبت أن ما قبل هذه الآية وما بعدها

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (١١ / ٢١٢) ، وانظر : تفسير القاسمي (٨/ ٣٥٤) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦ / ١١٥) ، وانظر : معالم التنزيل / للبغوي (٧/ ٢٢٢) .
(٣) زاد المسير في علم التفسير/لابن الجوزي (٧/ ٣٢٩) ، وانظر انوار التنزيل وأسرار التأويل/ للبيضاوي (٢ / ٣٧٧) .
(٤) فتح القدير / للشوكاني (٤ / ٦٩٩) ، وانظر : تيسير الكريم الرحمن / للسعدي (ج٧ / ١٤٩) المجلد الرابع .

يدل على أن المراد من المجرمين الكفار »(١) .

وقال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ في المجرمين « والمراد بهم هنا : المشركون المكذبون للنبي ﷺ لأن السياق لهم ، ولأن الجملة بيان لإجمال وعيدهم في قوله : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الزخرف :٦٥] ،ولأن جواب الملائكة نداءهم بقوله : ﴿ **لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** ﴿٧٨﴾ ﴾ [الزخرف :٧٨] ، لا ينطبق على غير المكذبين ، أي كارهون للإسلام والقرآن ، فذكر المجرمين إظهار في مقام الإضمار للتنبيه على أن شركهم إجرام »(٢) .

سادساً : وأما قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴿٢٧﴾ ﴾ [يونس : ٢٧] .

« فقوله ﴿ **وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ** ﴾ تعم السيئات هاهنا الكفر والمعاصي ، فمثل سيئة الكفر التخليد في النار ، ومثل سيئة المعاصي مصروف إلى مشيئة الله تعالى »(٣) .

وقيل : « إن الآية في الكفار لا شتمال السيئات على الكفر والشرك ولأن الذين أحسنوا يتناول أصحاب الكبيرة من أهل القبلة فلا يتناولهم قسيمة »(٤) .

وذكر ابن الجوزي قول ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ** ﴾ « قال ابن عباس : عملوا الشرك »(٥) .

وقال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ : « والموصول مراد به خصوص المشركين لقوله

---

(١) التفسير الكبير/ للرازي (ج٢٧ / ١٩٤)، المجلد الرابع عشر ، وانظر : المحرر الوجيز / لابن عطية (١٤ / ٢٧٦) .

(٢) تفسير التحرير والتنوير (٢٥ / ٢٥٧ ، ٢٥٨) .

(٣) المحرر الوجيز / لابن عطية (٩ / ٣٤) .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التاويل / للبيضاوي (١ / ٤٣٤) .

(٥) زاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي (٤ / ٢٥) .

بعده ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، فإن الخلود في النار لا يقع إلا للكافرين كما دلت عليه الأدلة المتظافرة خلافاً للمعتزلة والخوارج » (١) .

وإن كانت الآية عامة للكافر والعاصي مرتكب الكبيرة فالخلود مقيد بما ورد من نصوص الوعد من آيات وأحاديث متواترة في ذلك .

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - : « وإطلاق الخلود هنا مقيد بما تواتر في السُّنَّة من خروج عصاة الموحدين » (٢) .

فقد يدخلها بعض عصاة المؤمنين فيعاقبون على ما اجترحوا من السيئات ثم يخرجون منها (٣) .

سابعاً : وأما تأويلهم لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨ - ١١٦] .

على أن الآية متناولة للمغفرة للتائبين فقط ، أو أنها خاصة بمغفرة الصغائر ، فهذا التأويل باطل لأمور هي :

(أ) لا يجوز أن تكون الآية خاصة بالتائبين ، لأن التائب يغفر له حتى الشرك ، والآية خصت المغفرة بما دون الشرك لمن شاء الله المغفرة له ، فدل على أنها في حق غير التائبين ، وأنها في الذنوب كلها خلا الشرك .

(ب) وحكمة الله تعالى تقتضي عدم التسوية بين الشرك والكبائر في الخلود في النار ، لأن الفرق بينهما ثابت من عدة وجوه ، منها :

[١] أن الشرك بالله - تعالى - أعظم الجنايات ، لمناقضته حكمة الله - تعالى - في خلقه وأمره ، فكان من الحكمة تخصيصه بأعظم العقوبات وهي الخلود في النار دون الكبائر التي تقل عن مفاسد الشرك بكثير .

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (١١ / ١٤٨) .

(٢) فتح القدير (٢ / ٥٤٤) ، وانظر فتح البيان في مقاصد القرآن / لصديق حسن خان (٤ / ٢٥٨) .

(٣) انظر : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار / لمحمد رشيد رضا (١١ / ٣٥٢) ، دار المعرفة - بيروت - لبنان - ط / بدون (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) .

[٢] أن المشرك ليس له توحيد ولا أعمال صالحة بخلاف الفاسق الملي الذي له توحيد وأعمال صالحة ، فكان من ا لحكمة التفريق بينهما في عقوبة الخلود .

[٣] أن المشرك ليس عنده من الأحوال ما عند الفاسق الملي أثناء فعل المعصية ، فالفاسق قل أن يخلو عن خوف عقاب ورجاء ثواب ، ورغبة في المغفرة ، والكافر لا يقوم بقلبه شيء من ذلك ، لأنه يعتقد الكفر حقاً ، فلا يرجو ما يرجو صاحب الكبيرة .

[٤] أن الشرك ملة وعقيدة ثابتة فكان من الحكمة تخصيصه بالعقوبة الدائمة دون الكبيرة التي تزول بزوال الهوى والشهوة (١) .

(جـ) وعدل الرب ـ تبار وتعالى ـ يقتضي إثابة أهل التوحيد على إيمانهم وأعمالهم الصالحة ولو كانوا أهل كبائر ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ [آل عمران : ١١٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء : ٤٠] .

وقال تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٠] .

وتحقق وعد الله في هذه الآيات متوقف على انقطاع عذاب أصحاب الكبائر ضرورة ، لأن من شاء الله عقابه منهم لابد أن يتأخر ثوابه عن عقابه ، لأن ثواب الجنة لا عقاب بعده إجماعاً (٢) .

فعند ذلك يتبين أن الآية في حق غير التائبين وأنها في الذنوب كلها خلا الشرك .

يقول الإمام ابن عبد البر في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾

---

(١) انظر : شرح المقاصد / للتفتازاني (٥ / ١٥٥) ، فتح المجيد / عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب تحقيق : الأرنؤوط (ص٧٩ ، ٨٠) ـ مكتبة دار البيان ـ دمشق ـ سوريا ـ ، بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م) .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل / لابن حزم (٤ / ٨٦ ، ٨٧) ، شرح العقائد النسفية / للتفتازاني (١ / ١٧٥) ـ مطبعة كردستان العلمية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط (١٣٢٩هـ) .

« ومعلوم أن هذا بعد الموت لمن لم يتب ، لأن الشرك ممن تاب منه قبل الموت وانتهى عنه غفر له ، كما تغفر الذنوب كلها بالتوبة جميعاً »[١] .

وقال الإمام البيهقي ـ رحمه الله ـ تعليقاً على هذه الآية : « يعني ما دون الشرك لمن يشاء بلا عقوبة ، وقد يعاقب بعضهم على ما اقترف من الذنوب ، ثم يعفو عنه ويدخل الجنة »[٢] ، ومما يوضح هذا المعنى ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا ﷺ يقول : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ وأنه قال : « **إني ادخرت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة** »[٣] قال : فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا ونطقنا به ورجونا »[٤] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « وأما آيتا النساء[٥] ، قوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ ، فلا يجوز أن تكون في حق التائبين كما يقوله من يقوله من المعتزلة، فإن التائب من الشرك يغفر له الشرك أيضاً بنصوص القرآن واتفاق المسلمين ، وهذه الآية فيها تخصيص وتقييد . . خص فيها الشرك بأنه لا يغفره ، وما عداه لم يجزم بمغفرته بل علّقه بالمشيئة »[٦] .

كما لا يصح تخصيص المغفرة بالصغائر ، لأن هذا تخصيص بلا مخصص ، والآية عمت المغفرة في كل شيء دون الشرك ،ومعلوم أن مادون الشرك شامل للصغائر والكبائر .

ثم إن هذا الزعم يقتضي بطلان تخصيص الشرك بنفي الغفران ، وتخصيص

---

(١) التمهيد / لابن عبدالبر تحقيق : سعيد احمد اعراب ، وآخر (١٧ / ١٦) ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ السعودية ـ ط بدون .
(٢) الإعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد / للبيهقي (ص٢٣٧) .
(٣) سبق تخريجه ص ٨٦ .
(٤) الإعتقاد والهداية / للبيهقي (ص٢٤٥) .
(٥) النساء : ٤٨ – ١١٦ .
(٦) مجموع الفتاوى (١٦ / ١٨) .

الشرك بنفي الغفران هو صريح الآية [١] .

قال الإمام التفتازاني ـ رحمه الله ـ : « فإن المغفرة بالتوبة تعم الشرك وما دونه، فلا تصح التفرقة بإثباتها لما دونه ، وكذا تعم كل أحد من العصاة ، فلا تلائم التعليق بمن يشاء المفيد للبعضية وكذا مغفرة الصغائر ، على أن في تخصيصها إخلالاً بالمقصود » [٢] .

ثامناً : وأما استدلالهم بقوله تعالى : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١] ، وقول القاضي عبد الجبار في معناها : « إن من لم يجتنب الكبائر لا تكفر سيئاته ، وأن من ارتكب الكبائر فهو في النار » [٣] .

فيقال فيه :

الآية صريحة في أن من اجتنب الكبائر كفرت عنه سيئاته ، وهي الصغائر [٤] .

ولكن القول بأن من لم يجتنب الكبائر لا تكفر سيئاته غير صحيح ، إذ أن تكفير السيئات كما يحصل باجتناب الكبائر فإنه يحصل بغيرها كذلك ، كالتوبة ، والاستغفار ، والحسنات الماحية ، والدافع للعقاب كدعاء المؤمنين في صلاة الجنازة وما يعمل للميت من أعمال البر ، وشفاعة النبي ﷺ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة ، والمصائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا ، وما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة فإن هذا مما يكفر به الخطايا ، وأهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها ، ورحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد [٥] .

وكذلك الزعم بأن من ارتكب الكبائر فهو في النار حتماً غير صحيح ، وليس في

---

(١) انظر : المصدر السابق (١٠ / ٣٢٢) .

(٢) شرح المقاصد (٥ / ١٤٩ ، ١٥٠) .

(٣) متشابه القرآن (١ / ١٨٣) ، وانظر : شرح الأصول الخمسة (ص٦٧٦ - ٦٨٣) .

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم / لابن كثير (١ / ٤٩٢) ، فتح القدير / للشوكاني (١ / ٥٧٦) .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى (٧ / ٤٨٧ - ٥٠١) .

الآية دليل على ذلك ، وإنما فيها وعد لمن اجتنب الكبائر بتكفير السيئات وإدخاله مدخلاً كريماً ، وأما من لم يجتنب الكبائر فليس من أهل هذا الوعد ، ومع هذا فلا يمتنع أن تكفر عنه سيئاته بأسباب أخرى كما أوضحنا سابقاً .

وهذا الزعم فهمه القاضي عبدالجبار بناءً على عقيدتهم في أن مرتكب الكبيرة لابد له من دخول النار والخلود فيها .

وأحاديث الشفاعة ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء : ٤٨-١١٦] تبطل هذا الزعم .

يقول الإمام البيهقي ـ رحمه الله ـ : « إن المعاصي التي هي دون الشرك وإن عظمت لا تبلغ مبلغ الشرك ، ولا توجب لصاحبها التخليد في النار » [١] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بعد ذكره الأسباب العشرة لمغفرة الذنوب : « فإذا ثبت أن الذم والعقاب قد يدفع عن أهل الذنوب بهذه الأسباب العشرة كان دعواهم أن عقوبات أهل الكبائر لا تندفع إلا بالتوبة مخالف لذلك »[٢] .

وقال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « هذه النصوص وأمثالها ـ أي نصوص الوعيد ـ مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة ، ولا يلزم من وجود مقتضي الحكم وجوده . فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء ما نعه .

وغاية هذه النصوص : الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ومقتضى لها ، وقد قام الدليل على ذكر الموانع ، فبعضها بالإجماع ، وبعضها بالنص ، فالتوبة مانع بالإجماع ، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا مدفع لها . والحسنات العظيمة الماحية مانعة ،والمصائب الكبار المكفرة مانعة ، وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص .

ولا سبيل إلى تعطيل هذه النصوص، فلا بد من إعمال النصوص من الجانبين، ومن هنا قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات اعتباراً بمقتضى العقاب ومانعه

---

(١) كتاب البعث والنشور / للبيهقي (ص٧٥) .
(٢) مجموع الفتاوى (٧ / ٥٠١) .

وإعمالاً لا رجحها » (١) .

فهذه أقوال علماء التفسير من السلف وأتباعهم في تفسير هذه الآيات المصرحة بالخلود في النار، فهم لا يضربون نصوص الكتاب الكريم بعضها ببعض، وإنما يقولون بها جميعاً ، ويأخذون تفسيرها وبيانها ممن جعل الله البيان لما أنزله إليه وهو رسول الهدى ﷺ ، ومما جاء عن رسول الله ﷺ ما تواترت به النصوص من إخراج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، وأنه لا يخلد من مات على التوحيد في النار ، وإنما يخلد فيها الكافر والمشرك والمنافق النفاق الاعتقادي .

وبهذا يتضح بطلان تأويل الوعيدية واستدلالهم بما سبق من الآيات .

والأمر الواضح أن الجمع بين النصوص من الكتاب والسُّنَّة لابد منه ليسلك المسلم مسلكاً صحيحاً في معتقده ومنهجه ويسلم من ضرب النصوص بعضها ببعض .

(١) مدارج السالكين (١ / ٣٩٦ ، ٣٩٧) .

المبحث الرابع
نصوص الوعيد من الأحاديث المصرحة بالخلود في النار أو نفي الإيمان وغيرها

من أدلة المنكرين للشفاعة الاحتجاج بنصوص الوعيد من السُّنَّة النبوية المصرحة بالخلود في النار أو بالحرمان من الجنة لمرتكبي بعض المعاصي أونفي الإيمان أو التسمية بالكفر أو التصريح بالبراءة من مرتكبي بعض المعاصي .

المطلب الأول
استدلال الوعيدية بأحاديث تثبت عدم وقوع الشفاعة لأهل الكبائر

لقد استدل الوعيدية بأحاديث وردت في الصحيحين وغيرهما على عدم وقوع الشفاعة لأهل الكبائر في الآخرة أخذاً منهم بظاهر النص ،أو عدم الالتفات إلى غيره للجمع بينهما ، منها :

[١] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يديه يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها** » (١) .

[٢] وماجاء في الصحيحين عن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة قاطع رحم** » (٢) .

[٣] وقوله ﷺ : « **لا يدخل الجنة مدمن خمر** » (٣) ، ومثله : « **من شرب**

---

(١) رواه البخاري : كتاب الطب ، باب شرب السم والدواء به (٧ / ١٨١) ح ٥٧٧٨ . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١ / ١٠٣ ، ١٠٤) ح١٠٩ .

(٢) رواه البخاري : كتاب الأدب ، باب إثم القاطع (٨ / ٦) ح٥٩٨٤ . ومسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطعها (٤ / ١٩٨٤) ح٢٥٥٦ .

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣ / ١٤ ، ٨٣) عن أبي سعيد الخدري ، وانظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة / للألباني (٢ / ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥) برقم / ٦٧٣ ، ٦٧٥ ، ٦٧٨ ، غاية المرام برقم / ٢٩١ للألباني (ص١٧٧) .

الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة إلا أن يتوب »(١) .

[٤] وقوله ﷺ : « لا يدخل الجنة نمام »(٢) .

[٤] وقوله ﷺ : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه »(٣) .

[٤] وقوله ﷺ : « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة »(٤) .

[٤] وقوله ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن »(٥) .

[٨] وقوله ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »(٦) .

---

(١) رواه البخاري : كتاب الأشربه ، باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ (٧/١٣٥) ح٥٥٧٥ . ومسلم : كتاب الأشربه ، باب عقوبة من شرب الخمر إذا لم يتب منها، بمنعه إياها في الآخرة (٣ / ١٥٨٨) ح٢٠٠٣ وما بعدها ، واللفظ لمسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه البخاري : كتاب : الأدب ، باب ما يكره من النميمة (٨ / ٢١) ح٦٠٥٦ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان غلظ تحريم النميمة (١ / ١٠١) ح١٠٥ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم .

(٣) رواه البخاري : كتاب الأدب ، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (٨ / ١٢) ح٦٠١٦ من حديث أبي شريح رضي الله عنه، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان تحريم إيذاء الجار (١ / ٦٨) ح٤٦ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم .

(٤) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة النار ١ /١٢٢ ح١٣٧من حديث ابي أمامة رضي الله عنه .

(٥) رواه البخاري: كتاب المظالم ، باب النهبئ بغير إذن صاحبه (٣ / ١٧٨) ح٢٤٧٥ ، وكتاب الحدود ، باب ما يحذر من الحدود . ومسلم : كتاب الإيمان / باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرداة نفي كماله (١ / ٧٦) ح ٥٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) رواه البخاري : كتاب العلم ، باب الإنصات للعلماء (١ / ٤١) ١٢١ ، وكتاب الفتن ، باب قوله ﷺ : (لا ترجعوا بعدي كفاراً ..) (٩ / ٦٣) ح٧٠٧٧ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان قوله ﷺ : (لا ترجعوا بعدي كفاراً) (١ / ٨١ ، ٨٢) ح٦٥ من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه .

[٩] وقوله ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » (١) .

[١٠] وقوله ﷺ : « من غشّنا فليس منا » (٢) .

[١١] وقوله ﷺ : « من حمل علينا السلاح فليس منا » (٣) .

وغير ذلك من أحاديث الوعيد الكثيرة التي استدلوا بها وأمشوها على حسب أصولهم في الوعيد .

---

(١) رواه البخاري : كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ « لا ترجعوا بعدي كفاراً .. » (٩ / ٦٣) ح٧٠٧٦ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان النبي ﷺ « سباب المسلم فسوق » (١ / ٨١) ح٦٤ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : « من غشنا فليس منا » (١ / ٩٩) ح١٠١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري : كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ من حمل علينا السلاح .. (٩ / ٦٢) ح٧٠٧٠ ، ٧٠٧١ . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : « من حمل علينا السلاح فليس منا » (١ / ٢٢- ٩٨ - ٩٩) من حديث عبد الله بن عمر وأبو هريرة وأبو موسى رضي الله عنهم .

المطلب الثاني

الرد على شبههم واستدلالهم بهذه الأحاديث

لقد وردت نصوص الوعيد في السُّنَّة النبوية بصيغ متعددة ، فبعضها فيه التصريح بالخلود في النار ، أو بعدم دخول الجنة ، وبعضها بدخول النار ، وبعضها بالكفر أو النفاق أو الشرك ، أو البراءة عند فعل شيء محرم أو غير ذلك من عبارات الوعيد .

فأهل السُّنَّة ينظرون إلى جميع الأدلة والأحاديث إذا ثبتت في مسألة معينة فيضمون بعضها إلى بعض ، وكأنها دليل واحد ، أو حديث واحد فيحمل مطلقها على مقيدها ليحصل الاعتقاد والعمل بجميع مافي مضمونها [١] .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ عند كلامه على حديث إيذاء الجار وهو قوله ﷺ : « **لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه** » [٢] « ففيها جوابان :

أحدهما: أنه محمول على من يستحل الإيذاء مع علمه بتحريمه فهذا كافر لا يدخلها ـ أي الجنة ـ أصلاً .

ثانياً : معناه جزاؤه أن لا يدخلها وقت دخول الفائزين إذا فتحت أبوابها لهم ، بل يؤخر ثم قد يجازى وقد يُعفى عنه فيدخلها أولاً [٣] »،وكذا ما شابه هذا الحديث .

وقال الإمام السفاريني ـ رحمه الله ـ : « فقالت فرقة : الوعيد في حق المستحل لها لأنه كافر ، وأما من فعلها غير مستحلها لم يلحقه وعيد الخلود وإن لحقه وعيد الدخول .

---

(١) انظر : المختار من كنوز السنة / للدكتور : محمد عبد الله دَراز (ص٩٥) ـ دار الأنصار ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٣٩٨هـ) .

(٢) سبق تخريج الحديث ص ٤٣٩ .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (ج٢ / ١٧) ، (ج٢ / ٥٢ ، ١٦١) المجلد الأول ، وانظر : مجموع الفتاوى / لابن تيمية (٧ / ٦٧٨ ، ٦٧٩) .

وقد أنكر الإمام أحمد - رحمه الله - هذا القول وقال : لو استحل ذلك ولم يفعله كان كافراً ، والنبي ﷺ إنما قال من فعل كذا وكذا »[1] .

وقال رحمه الله : « والحاصل والله أعلم كون المذنب الملّي وإن كثرت ذنوبه وعظمت خطاياه في مشيئة مولاه إن شاء عذبه وإن شاء عافاه ، وعلى كل حال خلود أهل التوحيد في النار من المحال ... »[2] .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « فهذا وعيد ، وإخلاف الوعيد لا يذم بل يمدح ، والله تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد ، ولا يجوز عليه خُلْف الوعد ، والفرق بينهما أن الوعيد حقه فإخلافه عفو وهبه ، وذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه ، وأن الوعد حق عليه أوجبه على نفسه ، والله لا يخلف الميعاد »[3] .

وقد جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له ، ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار** »[4] .

وجاء عمرو بن عبيد المعتزلي إلى أبي عمرو[5] بن العلاء فقال : يا أبا عمرو . ويخلف الله ما وعده ؟ قال : لا ، قال : أفرأيت من أوعده الله على عمل عقاباً ،

---

(١) لوامع الأنوار البهية (١ / ٣٧٠) .

(٢) المصدر السابق (١ / ٣٧١) .

(٣) مدارج السالكين (١ / ٣٩٦) ، وانظر : كتاب البعث والنشور / للبيهقي (ص٧٦ ، ٧٧) ، ولوامع الأنوار البهية / للسفاريني (١ / ٣٧٠) .

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦ / ٦٦) ح٣٣١٦ ، والسنة لابن أبي عاصم (٢ / ٤٦٦) ح٩٦٠ ، والحجة في بيان المحجة / للأصبهاني (٢ / ٧١) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢١١) ، وقال : رواه أبويعلى ، والطبراني في الأوسط ، وفيه سهيل بن أبي حزام وقد وثق على ضعفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح . قال الألباني : الحديث مع ضعف سنده فهو ثابت المتن عندي ، فإن شطره الأول يشهد له آيات كثيرة ، وأما الشطر الآخر فيشهد له حديث عبادة ابن الصامت . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥ / ٥٩٥ - ٥٩٦) برقم ٢٤٦٣ .

(٥) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان المازني البصري القاري النحوي ، قيل اسمه كنيته وقيل العريان وقيل غير ذلك ، أحد القراء المعروف بفضله وعلمه ، ثقة ، كان من أعلم الناس بالقرآن والعربية وفنونها ، ولد في نحو سنة ٧٠هـ وتوفي سنة ١٥٤هـ . انظر : وفيات الأعيان / لابن خلّكان (٣ / ٤٦٦-٤٧٠) برقم ٥٠٥ ، فوات الوفيات / للكتبي (٢ / ٢٨) برقم / ١٥٦ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٦ / ٤٠٧ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي (٣ / ٤١) .

أيخلف الله وعده فيه ؟ فقال أبو عمرو بن العلاء : من العجمة أتيت يا أبا عثمان ، إن الوعد غير الوعيد ، إن العرب لا تُعدُّ عاراً ولا خُلفاً أن تعد شراً ثم لا تفعله ، بل ترى ذلك كرماً وفضلاً ، وإنما الخُلْف أن تَعِدَ خيراً ثم لا تفعله . قال : فأوجدني في كلام العرب ؟ ، قال : نعم ، أما سمعت إلى قول الأول :

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي [(١)]

وقال يحيى بن معاذ [(٢)] : « الوعد والوعيد حق ، فالوعد حق العباد على الله ، ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا ، ومن أولى بالوفاء من الله ، والوعيد حقه على العباد ، قال : لا تفعلوا كذا فأعذبكم ، ففعلوا فإن شاء عَفَا ، وإن شاء أخذ لأنه حقه ، وأولاهما بربنا تبارك وتعالى العفو والكرم إنه غفور رحيم » [(٣)] .

وقال الإمام الخطابي [(٤)] - رحمه الله - : « وقوله ﷺ : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) فإنما هو على أن يستبيح دمه ، ولا يرى أن الإسلام قد عصمه منه ، وحرّمه عليه ...... وقد يتأوّل هذا الحديث وما جاء في معناه من الأحاديث على وجه التشبيه لأفعالهم بأفعال الكفار من غير تحقيق للحكم فيه ..... وهذا لا يوجب أن يكون من فعل ذلك كافراً به خارجاً من الملة ، وإنما فيه مذمّة هذا الفعل وتشبيهه بالكفر ، على وجه التغليظ لفاعله ، ليجتنبه فلا يستحله ، ومثله في الحديث كثير » [(٥)] .

---

(١) البيت لعامر بن الطفيل .

(٢) هو يحيى بن معاذ الرازي، أبو زكريا ، من الزهاد، وله كلام كثير في الوعظ والزهد، توفي سنة ٢٥٨هـ . انظر : تاريخ بغداد / للخطيب (١٤ /٢٠٨-٢١٢) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٣ / ١٥) ، وفيات الأعيان / لابن خلكان (٦ / ١٦٥) ، برقم / ٧٩٤ ، الأعلام / للزركلي (٨ / ١٧٢) .

(٣) الحجة في بيان المحجة / للأصفهاني (٢ / ٧٣ ، ٧٤) .

(٤) هو حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطّابي ـ أبو سليمان ـ شافعي المذهب ، كان إماماً في الفقه والحديث واللغة ، له تصانيف منها كتاب غريب الحديث، ومعالم السنن ، وكتاب الغنية عن الكلام وأهله ، شرح الأسماء الحسنى، وغيرها ، ولد سنة ٣١٩هـ ، توفي ببست سنة ٣٨٨هـ . انظر : طبقات الشافعية / للسبكي (٣ / ٢٨٢ ، ٢٨٣) .وفيات الأعيان / لابن خلكان (٢ / ٢١٤) برقم / ٢٠٧ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٧ /٢٣ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي (٢ /٢٧٣) .

(٥) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري /للخطابي ،تحقيق :الدكتور محمد بن سعد آل سعود (ص١٧٨ – ١٧٩) ـ ط الأولى (١٤٠٩هـ) ، وانظر : الإيمان / لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص ٩٣-٩٦) .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - « في تأويل الحديث (**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**) أقوال : أحدها : أنه في المستحل ، والثاني : أن المراد كفر الإحسان والنعمة وأخوة الإسلام لا كفر الجحود ،والثالث : أنه يؤول إلى الكفر بشؤمه ، والرابع : أنه كفعل الكفار » (١) .

فمذهب أهل السُّنَّة في النصوص التي فيها إطلاق الكفر والشرك على بعض المعاصي ، أنها كفر دون كفر ، وأن المقصود بذلك أن مرتكب الكبيرة قد تشبه بالكافرين والمشركين بفعله ذلك . وأوّلوا بعضها بكفر النعمة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « فإنا نطلق القول بنصوص الوعد والوعيد والتكفير والتفسيق ، ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له » (٢) .

وكذلك نجد أن هذه المسائل مثل [سباب المسلم - الحلف بغير الله - النياحة - الطيرة - ..] قد وردت نصوص أخرى تدل على أنها وقعت من البعض ولم يكفر صاحبها ، بل حذر الرسول ﷺ منها . مثل قوله ﷺ : « **لا تحلفوا بآبائكم** ......» (٣) ، وقوله ﷺ : « **إنك امرؤ فيك جاهلية** » (٤) ، حيث لم يرتب عليها كفراً .

وأما حديث : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...** » (٥) فقد أجمع أهل السُّنَّة على أن المنفي هنا كمال الإيمان أو الإيمان الواجب جمعاً بين هذا النص وغيره من النصوص .

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (ج ٢ / ٥٤) المجلد الاول .
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٠١) .
(٣) رواه البخاري : كتاب الايمان والنذور ، باب لاتحلفوا بآبائكم (٨ / ١٦٤) ح٦٦٤٨ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (٣ / ١٢٦٧) ح١٦٤٦ . من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
(٤) رواه البخاري :كتاب الادب ، باب ما يُنهى عن السِّباب واللعن (٨ / ١٩) ح٦٠٥٠ ، ومسلم : كتاب الأيمان ، باب إطعام المملوك برقم / ٢٢٦١ .
(٥) سبق تخريجه ص ١٨٨ .

قال الإمام ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ تعليقاً على هذا الحديث : « ... وهو مؤمن . يريد مستكمل الإيمان ، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر ـ إذا صلوا للقبله ، وانتحلوا دعوة الإسلام ـ من قرابتهم المؤمنين الذين آمنوا بتلك الأحوال ، وفي إجماعهم علي ذلك مع إجماعهم على أن الكافر لا يرث المسلم ، أوضح الدلائل على صحة قولنا أن مرتكب الكبيرة ناقص الإيمان بفعله ذلك »(١) .

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : « فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان ، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة .... »(٢) .

وقال الإمام المروزي ـ رحمه الله ـ : « فالذي صح عندنا معنى قول النبي ﷺ : (**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**) وما روي عنه من الأخبار مما يشبه هذا أن معنى ذلك كله أن من فعل تلك الأفعال لا يكون مؤمناً مستكمل الإيمان ، لأنه قد ترك بعض الإيمان ، ونفيُ الإيمان عنه يريد به الإيمان الكامل .. وإقامة الحدود عليه دليل على أن الإيمان لم يزل كله عنه ، ولا اسمه ، ولولا ذلك لوجب استتابته ، وقتله ،وسقطت عنه الحدود »(٣) .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ـ رحمه الله ـ : « وإن الذي عندنا في هذا الباب كله أن المعاصي والذنوب لا تزيل إيماناً ولا توجب كفراً ، ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله ، واشترطه عليهم في مواضع من كتابه فقال : ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [التوبة : ١١١] ، فلما خالطت هذه المعاصي هذا الإيمان المنعوت

---

(١) التمهيد / لابن عبدالبر (٩ / ٢٤٣ ، ٢٤٤) .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (جـ٢ / ٤١) المجلد الاول .

(٣) تعظيم قدر الصلاة / للمروزي (٢ / ٥٧٦) ، وانظر : فتح الباري : كتاب الحدود ، باب ما يحذر من الحدود (١٢ / ٦١) ، مجموع الفتاوى / لابن تيمية (١٠ /٣٢٩) .

بغيرها ، قيل ليس هذا من الشرائط التي أخذها الله على المؤمنين ، ولا الأمانات التي يعرف بها أنه الإيمان ، فنفت عنهم حينئذ حقيقته ولم يزل عنهم اسمه » [١] .

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أن ما ورد في الحديث من سلب الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر والمنتهب ، كما في قوله ﷺ : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** .. » أن هذا ليس معناه سلب الإيمان بالكلية ، فمن ارتكب شيئاً من ذلك لم يعدم الإيمان الذي به يستحق أن لا يخلد في النار ، وبه ترجى له الشفاعة والمغفرة ، وبه يستحق المناكحة والموارثة ، لكن عُدِمَ الإيمان الذي به يستحق النجاة من العذاب ، ويستحق تكفير السيئات وقبول الطاعات وكرامة الله ومثوبته ، وبه يستحق أن يكون محموداً مرضياً [٢] .

فبهذا يتضح أن المنفي في الحديث . كمال الإيمان أو الإيمان الواجب وليس أصل الإيمان ، لأنّا لو قلنا إن المنفي أصل الإيمان لوقعنا في تناقض ولضربنا بعض النصوص ببعض ، إذ يلزم من هذا القول إسقاط الحدود ، وردّ الأحاديث المصرحة بخروج الموحدين من النار ودخولهم الجنة ، وإن زنى وإن سرق ، إلا إذا كان مستحلاً فباستحلاله يصير كافراً فيكون من أهل النار .

وقد ذكر الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في مسألة الأسماء والأحكام تحقيقًا ، بيّن فيه أن الأعمال التي يوصف فاعلها بالكفر أو الشرك أو النفاق أو الفسوق أو الظلم أو الجهل ، تنقسم إلى قسمين : فبعضها يكون فيه هذا الوصف للأكبر المخرج من الملة ، وبعضها يكون للأصغر الذي لا يخرج من الملة ، فيكون كفراً دون كفر ، وشركاً دون شرك .. وهكذا .

وقد ضرب لذلك أمثلة واستدل على كل وصف بأدلة،وبسط الكلام في ذلك[٣] .

ثم قال ـ رحمه الله ـ : « وهاهنا أصل آخر ، وهو : أن الرجل قد يجتمع فيه

---

(١) الإيمان / لأبي عبيد (صـ٨٩) .

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٦٧٣ – ٦٧٦) .

(٣) انظر : كتاب الصلاة وحكم تاركها / لابن القيم (ص٢٥-٢٨) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٢هـ) .

كفر وإيمان ، وشرك وتوحيد ، وتقوى وفجور ، ونفاق وإيمان ، وهذا من أعظم أصول أهل السُّنَّة ، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية .

ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وعدم تخليدهم فيها مبنية على هذا الأصل ، وقد دل عليه الكتاب والسنّة والفطرة وإجماع الصحابة » (١) .

واستدل - رحمه الله - على ذلك ببعض الأدلة الشرعية ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٦] ، فأثبت لهم إيماناً به سبحانه مع الشرك ، ولكنه قد يكون نوعًا من الإيمان الذي لا ينفع صاحبه كإيمان المشركين بتوحيد الربوبية ، مع عبادتهم لغير الله سبحانه .

وكذلك قوله ﷺ : « .... **ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق ....** » (٢) ، فدل على أنه يجتمع في الرجل نفاق وإسلام .

وقال رحمه الله : « وقد بينا أن المعاصي كلها شعب من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها شعب من شعب الإيمان ، وقد يسمى بتلك الشعبة مؤمناً ، وقد لا يسمى ، كما أنه قد يسمى بشعبة الكفر كافراً ، وقد لا يطلق عليه هذا الاسم . وهاهنا أصل آخر وهو : أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمناً وإن كان ما قام به إيماناً ، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافراً وإن كان ما قام به كفراً ... فمن صدر منه خلة من خلال الكفر فلا يستحق اسم كافر على الإطلاق ، وكذا يقال لمن ارتكب محرماً إنه فعل فسوقاً ، وإنه فسق بذلك المحرم ، ولا يلزم اسم فاسق إلا بغلبة ذلك عليه .

وهكذا الزاني والسارق والشارب والمنتهب لا يسمى مؤمناً - أي حال فعل المعصية - ،وإن كان معه إيمان،كما أنه لا يسمى كافراً وإن كان ما أتى به من خصال الكفر وشعبه » (٣) .

---

(١) المصدر السابق (ص٢٨) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الإيمان ، باب علامات المنافق (١ / ١٥) ح٣٤ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق (١ / ٧٨) ح٥٨ .. من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، واللفظ للبخاري .

(٣) كتاب الصلاة وحكم تاركها / لابن القيم (ص٢٩ ، ٣٠) ـ باختصار .

وهذا كلام محقق لموضوعه غاية التحقيق .

أما النصوص التي فيها براءة النبي ﷺ ومنها :

قوله ﷺ : « **من حمل علينا السلاح فليس منا** » [١] ، « **من غشنا فليس منا** » [٢] وغيرها .

يقول الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله - تعليقاً على هذا النوع :

« لا نرى شيئاً منها يكون معناه التبرؤ من رسول الله ﷺ ولا من ملته ، إنما مذهبه عندنا أنه ليس من المطيعين لنا ، ولا من المقتدين بنا ، ولا من المحافظين على شرائعنا » [٣] .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : « أن من حمل السلاح على المسلمين بغير حق ولا تأويل ، ولم يستحله فهو عاص ولا يكفر بذلك ، فإن استحله كفر . فأما تأويل الحديث فقيل هو :

(أ) محمول على المستحل بغير تأويل فيكفر ويخرج من الملة .

(ب) وقيل معناه : ليس على سيرتنا الكاملة وهدينا » [٤] .

وأما وما ورد من نصوص فيها تشبيه ذنب بآخر مثال :

قوله ﷺ : « **شارب الخمر كعابد وثن** » [٥] ، وقوله ﷺ : « **لعن المؤمن كقتله** » [٦] ، وغيرها . فالمقصود تساويهما في النهي لا في الإثم والعقوبة .

---

(١) سبق تخريج الحديث ص ٤٤٠ .

(٢) سبق تخريج الحديث ص ٤٤٠ .

(٣) الإيمان / لأبي عبيد (ص٩٣) .

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم (ج٢ / ١٠٨) المجلد الأول .

(٥) رواه ابن ماجه في سننه : كتاب الأشربه ، باب مدمن الخمر (٢ / ١١٢٠) ح٣٣٧٥ ، واحمد في مسنده (١ / ٢٧٢) بلفظ : ((مدمن الخمر إن مات لقى الله كعابد وثن)) ، وقال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح : (مجمع الزوائد) (٥ / ٧٤) ، والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع / للألباني برقم / ٣٧٠١ . عن أبي هريرة وابن عباس وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم .

(٦) رواه البخاري : كتاب الادب ، باب ما ينهى عن السباب واللعن (٨ / ١٩) ح٦٠٤٧ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١ /١٠٤) ح١١٠ . عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه .

قال أبو عبيد ـ رحمه الله ـ بعد ذكره لأحاديث ورد فيها تشبيه ذنب بآخر :

« نهى الله عنهما معاً في مكان واحد فهما في النهي متساويان ، وفي الأوزار والمآثم متفاوتان ... ألا ترى السارق يُقطع في ربع دينار فصاعداً ، وإن كان دون ذلك لم يلزمه قطع ؟ فقد يجوز في الكلام أن يقال هذا سارق كهذا ، فيجمعهما في الإسم وفي ركوبهما المعصية ، ويفترقان في العقوبة علىٰ قدر الزيادة في الذنب ، وكذلك البكر والثيب يذنبان فيقال هما لله عاصيان معاً ، وأحدهما أعظم ذنباً وأجل عقوبة من الآخر ، وكذلك قوله ﷺ : « **لعن المؤمن كقتله** » إنما اشتركا في المعصية حين ركباها،ثم يلزم كل واحد منهما من العقوبة في الدنيا بقدر ذنبه » (١) .

وعلى ضوء ما تقدم يمكن توجيه نصوص الوعيد بما يتوافق مع بقية نصوص الشرع في حكم مرتكب الكبيرة ، وبهذه التوجيهات نعلم أنه لا تعارض بين وصف مرتكب الكبيرة بأنه غير مؤمن ، ووصفه بالإيمان ، وبقاء أصل الإيمان ، كما أنه لا تعارض بين وعيده بالنار ، وعدم خلوده فيها ، ولا تعارض بين الإخبار بعدم دخوله الجنة ، ودخوله فيها ، ولا بين وصفه بالكفر أو الشرك أو الفسوق ووصفه بالإسلام .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « فليس لنا أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض ،وليس الاعتناء بمراده في أحد النصين دون الآخر بأولى من العكس .... » (٢) .

وخلاصة توجيهات العلماء في نصوص الوعيد هي :

[١] لا يدخل الجنة في الوقت الذي يدخلها من لم يرتكب هذا الذنب ، أولا يدخلها ابتداءً ، أو الجنة عليه حرام ابتداءً ونحو ذلك .

[٢] لا يدخل الجنة ـ أي بعض الجنان ـ التي هي أعلى وأشرف وأكثر نعيماً ، لا أنه لايدخل شيئاً من تلك الجنان .

[٣] أن في الكلام شرطاً ، أو استثناء مقدراً ، والتقدير : لا يدخل الجنة ابتداءً

(١) الإيمان / لأبي عبيد (ص١٠٠-١٠١) .
(٢) كتاب الإيمان (ص٣٣) .

إن عذبه أو لا يدخل الجنة إلا أن يغفر له ، والمقصود بالنفي هنا : نفي الدخول الأوّلى ، أي : الذي لم يسبقه عذاب .

[٤] أن هذا الوعيد في حق المستحل لذلك فعله أم لم يفعله .

[٥] أن هذه النصوص ونحوها تطلق على العموم ، ولا يخص شخص بعينه ، حتى يقوم فيه المقتضي الذي لا معارض له ، فلا يلزم من وجود مقتضي الحكم وجوده ، فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء مانعه ، وغاية هذه النصوص الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ومقتضى لها ، وقد قامَ الدليل على ذكر الموانع، كالتوبة ، والتوحيد، والحسنات العظيمة الماحية ، والمصائب الكبار المكفرة ، وإقامة الحدود ونحوها (١) .

[٦] أن هذا جزاء من فعل شيئاً من تلك الذنوب،ولكن الله تكرم على الموحدين فأخرجهم من النار إلى الجنة بتوحيدهم .

[٧] النصوص التي فيها نفي الإيمانَ عن مرتكب الكبيرة فالمقصود بها نفي كمال الإيمان أو الإيمان الواجب .

[٨] النصوص التي فيها إطلاق الكفر والشرك على بعض المعاصي فالمقصود بها كفر دون كفر ، وشرك دون شرك ، وإن المقصود بذلك أن مرتكب هذه المعصية قد تشبه بالكافرين والمشركين بفعله ذلك . وأوّلوا بعضها بكفر النعمة .

[٩] أما النصوص التي فيها براءة النبي ﷺ - فمعناها ليس من المقتدين بنا بفعله هذا ، ولا من المطيعين ، ولا من المحافظين على شرائعنا .

[١٠] وأما النصوص الوارد فيها تشبيه ذنب بآخر فالمقصود بها تساويهما في النهي لا في الإثم والعقوبة .

وبهذا يظهر تمييز مذهب أهل السُّنّة في الجمع بين النصوص وعدم ضرب بعضها ببعض فيجعلونها كالنص الواحد ويعملون بها جميعاً .

---

(١) انظر : مدارج السالكين (١ / ٣٩٦) .

المبحث الخامس

الاحتجاج بالآيات النافية للشفاعة
والرد على وجه استدلالهم وشبههم

وفيه مطلبان :

المطلب الأول

استدلالهم بالآيات النافية للشفاعة

احتج الوعيدية على مذهبهم في الوعيد بإنكار الشفاعة في الآخرة للمذنبين بما جاء في القرآن الكريم من الآيات النافية للشفاعة ، وأنها ـ على حسب زعمهم ـ لا تنفع العصاة يوم القيامة، وإنما تختص بزيادة درجات أهل الجنة الذين ارتضاهم الله عز وجل.

ومن الآيات التي استدلوا بها ما يلي :

[١] قول الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر : ٤٨] .

قال الزمخشري عند هذه الآية مقرراً إنكار الشفاعة لعصاة المؤمنين وغيرهم ما عدا الشفاعة في رفع الدرجات في الجنة ، بقوله : « لو شفع لهم الشافعون جميعاً من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم ، لأن الشفاعة لمن ارتضاه الله ، وهم مسخوط عليهم ، وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لأنها تزيد في درجات المرتضين »(١) .

[٢] وقول الله تعالى : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨] .

قالوا : فالله تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع البتة (٢) . وقالوا : أصحاب الكبائر ظالمون (٣) .

(١) الكشاف (٤ / ١٦٢) .
(٢) شرح الأصول الخمسة / للقاضي عبدالجبار (ص٦٨٩) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي (١ / ٣٧٩) .

[٣] وقول الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨) ﴾ [البقرة: ٤٨] .

قالوا : فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة ، لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقاً أخلّت به من فعل أو ترك ، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع ، والآية واردة فيمن يستحق العذاب في ذلك اليوم ، لأن هذا الخطاب لا يليق إلا بهم (١) .

[٤] وقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤) ﴾ [البقرة: ٢٥٤] .

لقد أشار الزمخشري عند هذه الآية إلى نفي الشفاعة عن عصاة المؤمنين بقوله:

« إن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم حط الواجبات ، لأن الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير » (٢) .

[٥] وقول الله تعالى : ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

قال القاضي عبدالجبار: « يدل على أن الشفاعة لا تكون إلاّ لمن كانت طرائقه مرضية ، وأن الكافر والفاسق ليسا من أهلها » (٣) .

---

(١) انظر : متشابه القرآن / للقاضي عبدالجبار (١ / ٩٠) ، الكشاف / للزمخشري (١ / ٦٧) .
(٢) الكشاف (١ / ١٥٢) .
(٣) متشابه القرآن (٢ / ٤٩٩) ، وانظر : الكشاف / للزمخشري (٣ / ٩) .

المطلب الثاني

الرد على وجه استدلالهم وشبههم في هذه الآيات

يرد على منكري الشفاعة من الوعيدية الذين استدلوا بآيات الشفاعة المنفية بما يلي :

الفرع الأول : الرد الإجمالي وهو :

أن ما ورد من شبه في الاستدلال بما جاء في القرآن الكريم من آيات الشفاعة المنفية يتعلق بالكفار فقط ، بخلاف عصاة الموحدين ، فإن الشفاعة ثابتة لهم ، كما دلت عليه النصوص الشرعية من القرآن والسُّنَّة ، المثبتة للشفاعة .

قال الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ : « قد صحت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فصح يقيناً أن الشفاعة التي أبطلها الله ـ عز وجل ـ هي غير الشفاعة التي أثبتها ـ عز وجل ـ وإذ لا شك في ذلك فالشفاعة التي أبطل ـ عز وجل ـ هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار . . فإذ لا شك فيه فقد صح يقيناً أن الشفاعة التي أوجب الله ـ عز وجل ـ لمن أذن له واتخذ عنده عهداً ورضي قوله ، فإنما هي لمذنبي أهل الإسلام ، وهكذا جاء الخبر الثابت »(١)

وأما الشفاعة في زيادة درجات أهل الجنة فهذه لا خلاف عليها ، لكن لا يعني هذا تأويل جميع نصوص الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات ، فهذا باطل ، وألفاظ النصوص الشرعية في الشفاعة صريحة في بطلان ذلك(٢) .

وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ بعد ذكره لبعض آيات الشفاعة المنفية : « وإنما المراد بها الكافرون دون المؤمنين بدليل الأخبار الواردة في ذلك »(٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « وجواب أهل السُّنَّة أن هذا

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ١١٢ ، ١١٣) .
(٢) انظر : شرح النووي لصحيح مسلم (ج٣ / ٣٥) المجلد الأول .
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١ / ٣٧٩) .

يراد به شيئان : أحدهما : أنها لاتنفع المشركين ، كما قال تعالى في نعتهم : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [المدثر:٤٢] فهؤلاء نفى عنهم نفع شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفاراً . والثاني : أنه يراد بذلك نفي الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ، ومن شابههم من أهل البدع »(١) .

وقال الإمام الآمدي ـ رحمه الله ـ: « وما ذكروه في الآيات، والظواهر السمعيات، فمحمول على الكافرين والمستحلين لما ياتونه المستوجبين لما يقترفونه، دون العصاة من المؤمنين ، ومن أذنب ذنباً من المسلمين »(٢) .

الفرع الثاني : الرد على الشبه على سبيل التفصيل ، وهي كما يلي :

[١] قول الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر: ٤٨] ، المراد بهذه الآية الكفار ، حيث لا تنفعهم الشفاعة يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[المدثر: ٤٢-٤٨] .

قال الإمام أبو بكر الآجري ـ رحمه الله ـ بعد أن ساق هذه الآيات : « هذه كلها أخلاق الكفار ، فقال الله ـ عز وجل ـ ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ فدل على أن لابد من شفاعة ، وأن الشفاعة لغيرهم لأهل التوحيد خاصة ، وقال الله ـ عز وجل ـ ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحجر:١-٢] ، وإنما ود الكفار أن لو كانوا مسلمين عندما رأوا معهم في النار قوماً موحدين ، فعيروهم وقالوا: ما أغنى عنكم إسلامكم وأنتم معنا في النار ، فحزنوا من ذلك ، فامر الله ـ عز وجل ـ الملائكة والأنبياء وسائر المؤمنين أن يشفعوا ، فشفعوا فيهم فشُفِّعوا ، فاخرج من النار أهل التوحيد ، ففقدهم أهل الكفر ، فسألوا

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١٤٩) .
(٢) غاية المرام في علم الكلام / للآمدي (ص٣٠٦) .

عنهم فقيل: شفع فيهم الشافعون لأنهم كانوا مسلمين، فعندها ودوا لو كانوا مسلمين حتى تلحقهم الشفاعة،وأيقنوا أن ليس لهم شافع يشفع لهم، ولا صديق حميم يغني عنهم من عذاب الله شيئاً ،قال الله ـ عز وجل ـ في أهل الكفر لما نضجوا بالعذاب، وعلموا أن الشفاعة لغيرهم قالوا: ﴿**فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقال عز وجل: ﴿**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١)**﴾[الشعراء: ٩٤-١٠١] »[١].

وقد روى الآجري باسناده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قول الله عز وجل: ﴿**رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢)**﴾، قال: « **لا تزال الرحمة والشفاعة حتى يقال: ليدخلن الجنة كل مسلم، قال: فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** »[٢].

وقال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ عند آية المدثر: « فما يشفع لهم الذين شفعهم الله في أهل الذنوب من أهل التوحيد، فتنفعهم شفاعتهم. وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن الله – تعالى ذكره – مشفع بعض خلقه في بعض »[٣].

وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: « فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)**﴾، قيل له: لا تنفع في الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة »[٤].

وقال ـ رحمه الله ـ في هذه الآية: « هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين، وذلك أن قوماً من أهل التوحيد عُذبوا بذنوبهم، ثم شُفِعَ فيهم، فرحمهم الله

(١) كتاب الشريعة / للآجري (ص٢٩٩-٣٠٠) بتصرف، وانظر: جامع البيان / للطبري (٧ / ٤٨٩).
(٢) أخرجه الآجري في كتاب الشريعة (ص٣٠٠)، والطبري في تفسيره(٧ / ٤٩٠) برقم / ٢١٠١١ .
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (١٢ / ٣١٩).
(٤) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٢٨٧).

بتوحيدهم والشفاعة ، فأخرجوا من النار ، وليس للكفار شفيع يشفع فيهم »(١) .

وقال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لآيات المدثر: « من كان متصفاً بمثل هذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلاً ، فاما من وافى الله كافراً يوم القيامة فإنَّ له النار لا محالة خالداً فيها »(٢) .

وقال الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ في آية المدثر: « لم يَعْنِ بهذا الوعيد أحداً من أهل الإسلام والتصديق »(٣) .

[٢] وأما قول الله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر:١٨] .

« فالمراد بالظالمين الكفار ، فإن الظالم على الإطلاق هو الكافر »(٤) .

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ مبيناً معنى الآية : « ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله ،ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم ، فيطاع فيما شفع ، ويُجاب فيما سأل »(٥) .

وقال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم ، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير »(٦) .

وقال الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ : « لا شفاعة للظالمين بالكفر والشرك الذين لا طاعة معهم ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣]، ولم يُرد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩ / ٨٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٤٧٦) .

(٣) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ص٤٢٤) .

(٤) لوامع الأنوار البهية / للسفاريني (٢ / ٢١٧) .

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن (١١ / ٥٠) ، وانظر : زاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي (٧ / ٢١٣) ، المحرر الوجيز / لابن عطية (١٤ / ١٢٥) .

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٨٢) ، وانظر تيسير الكريم الرحمن/ للسعدي (ج٧ / ٦٦) المجلد الرابع .

أهل التوحيد » (١) .

وقال الإمام التفتازاني ـ رحمه الله ـ : « إن الظلم المطلق ـ هو الكفر » (٢) .

[٣] وأما قول الله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢] ، فنفي النصرة لا يستلزم نفي الشفاعة، قال الإمام السفاريني ـ رحمه الله ـ : « ونفي النصرة لايستلزم نفي الشفاعة لأنها طلب مع خضوع ،والنصرة ربما تبنى على المدافعة والممانعة والاستعلاء » (٣) .

[٤] وأما قول الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨)﴾ [البقرة: ٤٨] .

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ : « قوله تعالى : ﴿ وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ، إنما هي لمن مات على كفر غير تائب إلى الله عز وجل » (٤) .

وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : « أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ، النفس الكافرة لا كل نفس » (٥) .

ومما يؤيد أن هذه الآية خاصة بالكفار أنها نزلت رداً لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم .

وقال الإمام السفاريني ـ رحمه الله ـ : « أن المراد بقوله تعالى : ﴿ لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ ، الكفار للآيات الواردة والأخبار الثابتة في الشفاعة ، ... والآية نزلت رداً لما كانت اليهود تزعم أن أباءهم تشفع لهم » (٦) .

---

(١) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ص٤٢٤) .

(٢) شرح المقاصد (٥ / ١٥٧) .

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢ / ١٢٧) ، وانظر : شرح المقاصد : للتفتازاني (٥/١٥٧) .

(٤) جامع البيان في تاويل القرآن (١ / ٣٠٧) ، وانظر : تفسير القرآن العظيم / لابن كثير (١ / ٩٣) .

(٥) الجامع لاحكام القرآن (١ / ٣٧٩) ، وانظر : زاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي (١ / ٧٦) .

(٦) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١٧) ، وانظر : جامع البيان / للطبري (١/ ٣٠٦) ، أنوار التنزيل وأسرار التاويل / للبيضاوي (١/ ٦٠) .

وقال محمد جمال الدين القاسمي [١] **- رحمه الله -:** « أنها خاصة بالكفار، ويؤيده أن الخطاب، معهم كما قال: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾، وكما قال عن أهل النار: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ فمعنى الآية أنه تعالى لا يقبل فيمن كفر به فدية ولا شفاعة، ولا ينقذ أحداً من عذابه منقذٌ ولا يخلص منه أحد ... وليس في الآية دليل لمنكريها » [٢].

وقال الإمام الإيجي - رحمه الله - في المواقف جواباً على المعتزلة عند احتجاجهم بهذه الآية على نفي الشفاعة: « أنه لا عموم له في الأعيان، لأن الضمير لقومٍ معينين فلا يلزم أن لا تنفع الشفاعة غيرهم، ولا في الأزمان، لأنه لوقت مخصوص فلا يلزم عدم نفعها في غير ذلك الوقت » [٣].

[٥] وأما قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وكذلك نجد أن أقوال المفسرين لهذه الآية تنص على أن الشفاعة المنفية هنا تتعلق بالكفار.

قال الإمام الطبري - رحمه الله -: « هذه الآية مخرجها في الشفاعة عام، والمراد بها خاص، وإنما معناه: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾، لأهل الكفر بالله، لأن أهل ولاية الله والإيمان به يشفع بعضهم لبعض.

ثم روى عن قتادة - رحمه الله - قوله في هذه الآية: قد علم الله أن أناساً يتحابون في الدنيا ويشفع بعضهم لبعض، فأما يوم القيامة فلا خُلة إلا خُلة المتقين » [٤].

---

(١) محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم، من سلالة الحسين السبط، إمام الشام في عصره، علماً بالدين، وتضلعاً من فنون الأدب، مولده في دمشق سنة ١٢٨٣هـ، كان سلفيُّ العقيدة، لا يقول بالتقليد، له مصنفات كثيرة، منها: " محاسن التأويل في التفسير، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دلائل التوحيد " وغيرها، توفي في دمشق سنة ١٣٣٢هـ. انظر: الأعلام / للزركلي (٢ / ١٣٥).

(٢) محاسن التأويل المعروف (بتفسير القاسمي) (١ / ١٢١).

(٣) المواقف في علم الكلام / عبدالرحمن الإيجي (ص٣٨٠).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن (٣ / ٥).

وقال - رحمه الله -، في قوله- تعالى ذكره- في هذا الموضع : « ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، دلالة واضحة على صحة ما قلناه ،وأن قوله : ﴿ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ ﴾ ، إنما هو مرادٌ به أهل الكفر ، فلذلك أتبع قوله ذلك : ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . فدل بذلك على أن معنى ذلك : حرمنا الكفار النصرة من الأخلاء ، إذ كان ذلك جزاءً منّا لما سلف منهم من الكفر بالله في الدنيا ، بل الكافرون هم الظالمون أنفسهم بما أتوا من الأفعال التي أوجبوا لها العقوبة من ربهم »[(١)] .

[٦] وأما قول الله تعالى : ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ، فالمرضي عنه هو من كان على التوحيد ومبتعد عن الشرك المحرم عليه الجنة وقد ذكر الأئمة بيان ذلك ، منها :

قال الإمام ابن حزم - رحمه الله - رداً على من احتج بهذه الآية على إنكار الشفاعة، وقصرها على المحسنين فقط :« لا حجة لهم فيها، لأن من أذن الله في إخراجه من النار وأدخله الجنة ، وأذن للشافع في الشفاعة له في ذلك فقد ارتضاه »[(٢)] .

وقد روى الطبري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ يقول : « الذي ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله »[(٣)] .

وقال الإمام الرازي - رحمه الله - : « واعلم أن هذه الآية من أقوى الدلائل لنا في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر وتقريره هو أن من قال لا إله إلا الله فقد ارتضاه تعالى في ذلك . . »[(٤)] ، فتوحيد العبد يستلزم أن يكون مرضيًّا عنه وإن لم يكن كلياً .

وقال الإمام السفاريني - رحمه الله - عند رده على هذه الشبهة لمنكري الشفاعة : « على أنّا نقول لا يُسلَّم لهم زعمهم أن الفاسق غير مرضي مطلقاً ، بل هو مرضي من جهة الإيمان والعمل الصالح ، وإن كان مبغوضاً من جهة الذنوب والعصيان وارتكاب القبائح ، بخلاف الكافر، فإنه ليس بمرضي مطلقاً ، لعدم

---

(١) المصدر السابق (٣ / ٦) ، وانظر : زاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي (١ / ٣٠٢) .
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ١١٣) .
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (٩ / ١٨) ، وانظر : فتح القدير / للشوكاني (٣/ ٥٠٥) .
(٤) التفسير الكبير (ج٢٢ / ١٣٩) المجلد الحادي عشر .

الأساس الذي تبنى عليه الحسنات والاعتداد بالكمالات وهو الإيمان » (١) .

وقال الإمام الباقلاني - رحمه الله -: « والفاسق معه طاعات وبّر وقرب وتصديق وتوحيد ، وذلك أجمعُ مرتضىً منه ، وإنما تدل هذه الآية على أنه لا شفاعة لكافر ، لأن الكافر لا طاعة معه » (٢) .

وهكذا فإن ما ورد في القرآن الكريم من الشفاعة المنفية فالمراد به نفي الشفاعة عن الكفار والمشركين بالله تعالى، كما تقدم في الآيات السابقة ، وقد يكون المراد ببعض آيات الشفاعة المنفية نفي الشفاعة التي لم تستكمل الشروط التي سبق بيانها ، كأن تكون بغير إذن الله تعالى للشافع،قال الله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة:٢٥٥] ، أو تكون بغير رضاه تبارك وتعالى عن المشفوع له، كالكافر ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ ، ونحو ذلك .

وبهذا يتضح أن المنكرين للشفاعة سلكوا مسلكين رئيسيين عند إستدلالهم بالآيات النافية للشفاعة على إنكار الشفاعة ، وهما :

الأول: تنزيل الآيات من كتاب الله الكريم التي نزلت في نفي الشفاعة عن الكفار، على الموحدين .

الثاني: أنهم لم يلتفتوا للسنّة الثابتة عن رسول الله ﷺ في إخراج عصاة الموحدين من النار .

وكفى بمن حرَّف نصوص الكتاب الكريم عن دلالتها ، وترك سُنَّة المصطفى ﷺ الموضحة والمبينة لما في كتاب الله ، ضلالاً وبعداً عن قول الحق والصواب .

وكل ما سبق (٣) يُعتبر من أبرز الشبه النقلية التي تعلق بها منكروا الشفاعة في عصاة المؤمنين ، وقد أوضحناها وفندناها بأقوال ونقول واردة عن أئمة الهدى ، والمؤمنين بشفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من امته .

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١٧ ، ٢١٨) ، وانظر : شرح المقاصد / للتفتازاني (٥ / ١٦٠) ، الجامع لأحكام القرآن (١ / ٣٧٩) .

(٢) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (٤٢٣) .

(٣) أي من مباحث في الفصل الخامس من الباب الثالث .

المبحث السادس

الشبه العقلية عند الوعيدية في إنكار الشفاعة والرد عليها

المطلب الأول

الشبه العقلية في إنكار الشفاعة

هناك شبه أخرى أيضاً عدا ما تقدم تعلق بها منكروا الشفاعة ولا سيما المعتزلة وهي شبه عقلية ، وقد أورد هذه الشبهات أحد كبار المعتزلة ، وهو القاضي عبدالجبار عند كلامه عن الشفاعة في كتابه (شرح الأصول الخمسة) وغيره . فالوعيدية جميعاً متفقون على تخليد صاحب الكبيرة الذي مات مصراً عليها في النار ، وأنه لا تنفعه شفاعة شافع .

وقد وقفوا من الأحاديث المثبتة للشفاعة عدة مواقف ، وهي ما يلي :

[١] القول بأن أحاديث الشفاعة غير صحيحة .

[٢] أنها لو صحت فإنها منقولة بطريق الآحاد ، فلا توجب القطع ، بل تكون ظنية ، وهذه المسألة طريقها العلم ، فلا يمكن الاحتجاج بمثل هذه الأحاديث .

[٣] أنها معارضة بأخبار الوعيد ، وبالآيات النافية للشفاعة ، كقوله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨)** ﴾ [البقرة : ٤٨] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ** ﴾ [غافر: ١٨] ، وغيرها من الآيات .

[٤] أن الأحاديث المصرحة بخروج قوم من النار متأولة على معنى : يخرج من عمل أهل النار قوم ، ونظير ذلك في الكتاب قوله تعالى : ﴿ **وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] يعني : على عمل من استحق ذلك .

[٥] أن المراد بها التبعيد والمنع من خروجهم من النار ، فهو كقوله : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف : ٤٠] .

[٦] وقالوا : المراد بقوله ﷺ : « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** » أي : إذا تابوا فيكون معنى الشفاعة راجعاً إلى نفع التفضل على المشفوع له (١) .

[٧] ومن شبه الوعيدية العقلية ، ما ذكره القاضي عبدالجبار بقوله : « الرسول إذا شفع لصاحب الكبيرة فلا يخلو : إما أن يُشفَّع أولا ، فإن لم يُشفع لم يجز لأنه يقدح بإكرامه، وإن شُفِّع لم يجز أيضاً لأنّا دللنا على أن إثابة من لا يستحق الثواب قبيح وأن المكلف لا يدخل الجنة تفضلاً » (٢) .

وقال أبو علي الجبائي : « إن من كان من أهل النار فهو يستحق اللعن والغضب والسخط ، فكيف يجوز للرسول ﷺ أن يشفع لهم ، ومن حق الشافع أن يكون محباً لمن يشفع له راضياً عنه ، وهذا يوجب إن كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يشفع لهم أن يكون راضياً عمن سخط عليه ولعنه ، وذلك لا يصح » (٣) .

[٨] ومن شبههم العقلية قول القاضي عبد الجبار : « اتفقت الأمة على هذا القول : اللهم اجعلنا من أهل الشفاعة ، فلو كان الأمر على ما ذكرتموه ـ أي أهل السُّنَّة ـ لكان يجب أن يكون هذا الدعاء دعاء لأن يجعلهم الله تعالى من الفساق ، وذلك خلف » (٤) .

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي / عبدالجبار المعتزلي (ص٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٨٩ ، ٦٩١) ، فضل الاعتزال / للقاضي عبدالجبار وآخرين (ص٢١٠ ، ٢١١) .

(٢) شرح الأصول الخمسة (ص٦٨٩) ، وانظر : مشارق أنوار العقول / للسالمي الإباضي (٢٨٨) .

(٣) فضل الاعتزال / للقاضي عبدالجبار وآخرين (ص٢٠٨) ، والكشاف / للزمخشري (٣ / ٤٢١) .

(٤) شرح الأصول الخمسة (ص٦٩٢) .

المطلب الثاني

الرد على شبه الوعيدية العقلية في إنكار الشفاعة

أما موقف الوعيدية من أحاديث الشفاعة كما تم تلخيصها من كلام القاضي عبدالجبار وغيره فيما سبق . فيرد على مزاعمهم بما يلي :

(أ) أما الزعم بأن أحاديث الشفاعة غير صحيحة فباطل ، لأنها رواها الأئمة في الصحاح كما سبق إيرادها ، بل هي متواترة .

قال الإمام الباقلاني - رحمه الله - : « والأخبار في الشفاعة أكثر من أن يؤتى عليها ، وهي كلها متواترة » (١) .

وذكر شيخ الإسلام بأن الحديث الصحيح أنواع : « .... ومنه ما تواتر معناه كأحاديث الشفاعة .... » (٢) .

وقال شارح العقيدة الطحاوية - رحمه الله - : « شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ، ممن دخل النار فيخرجون منها ، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث ، وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة ، فخالفوا في ذلك ، جهلاً منهم بصحة الأحاديث ، وعناداً ممن عَلِمَ ذلك واستمر على بدعته » (٣) .

(ب) وأما القول بأنها على فرض صحتها فإنها آحاد لا توجب علماً ، وما كان كذلك فلا يؤخذ بها في العقيدة ، لأنها ظنية ، فمنهج أهل السُّنَّة والجماعة الأخذ بأخبار الآحاد في العقيدة ، سواء قيل إنها قطعية أو ظنية .

ولا شك أن رد أخبار الآحاد وعدم الأخذ بها في العقيدة له آثار سيئة كثيرة ، منها :

[١] أن الطعن في رواة هذه الأخبار ورواياتهم يلزم منه الطعن في الشريعة

---

(١) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ص٤١٨) .
(٢) مجموع الفتاوى (١٨ / ١٦) .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، والتركي (١ / ٢٩٠) ..

وذهاب الدين ، لأن رواة هذه الأخبار رواة الأحكام ، وعليهم الاعتماد في بيان الحلال والحرام في الدين .

يقول الشنقيطي - رحمه الله - بعد أن قرر وجوب الأخذ بأخبار الآحاد الصحيحة في العقيدة : « وبهذا تعلم أن ما أطبق عليه أهل الكلام ومن تبعهم من أن أخبار الآحاد لا تقبل في العقائد ، ولا يثبت بها شيء من صفات الله ، زاعمين أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين،وأن العقائد لا بدل لها من اليقين ، باطل لا يعول عليه ، ويكفي في ظهور بطلانه أن يستلزم رد الروايات الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ بمجرد تحكيم العقل » (١) .

[٢] أن رد أخبار الآحاد الصحيحة والتشكيك في صحتها وضبط رواتها فيه مخالفة لحكم الحفاظ بالصحة ، وعلى رواتها بالإتقان والعدالة ، وما كان مخالفاً لأقوال أئمة الحديث فيجب اطراحه وعدم التعرج عليه .

[٣] أن رد أخبار الآحاد الصحيحة في مجال العقيدة ، وقبولها في مجال الشريعة ، تناقض في المنهج ، ثم على فرض أن الآحاد لا يؤخذ بها في العقيدة فإن أحاديث الشفاعة متواترة ، وليست آحاداً كما تزعم الوعيدية كما بيّنّا سابقاً .

(جـ) وأما القول بأنها معارضة لأخبار الوعيد ، فليس بصحيح ، بل هي مبينة لها ، وموضحة لمعناها ، كما أسلفنا ذلك في توجيه العلماء لها .

(د) وأما استدلالهم على إبطال الشفاعة بالآيات النافية لها ، كقوله تعالى : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر:١٨] ، ونحو ذلك من الآيات ، فلا حجة فيه ، لأن الشفاعة المنفية في الآيات هي في حق الكفار (٢) ، وأما أهل الكبائر من الموحدين فتنالهم الشفاعة ،ويخرجون من النار كما بينت ذلك السُّنّة النبوية .

---

(١) مذكرة في أصول الفقه / الشنقيطي (ص١٠٥) ــ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ــ ط بدون .

(٢) انظر : تمهيد الأوائل / للباقلاني (ص٤٢٤) ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير(٤ / ٨٢) ، وجامع البيان / للطبري(١١ / ٥٠)، زاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي (٧ / ٢١٣) ، المحرر الوجيز / لابن عطية (١٤ / ١٢٥) .

(هـ) وأما تأويل أحاديث الشفاعة وخروج قوم من النار على معنى : يخرج من عمل أهل النار قوم .. ، وكذلك القول بأنها للتبعيد ، فكل هذا تأويل بعيد باطل ، زيّنه الهوى ، والشبهات ، وإلا فكيف يصح هذا التأويل مع صراحة الأحاديث في إخراج قوم من النار ، كما في الحديث الصحيح أن الله يقول لنبيّه ﷺ : « ...... انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان ، فانطلق فافعل .... » ويكرر ذلك مراراً إلى أن قال في آخر الحديث : « .... **وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله** » [١] .

وغير ذلك من الأحاديث الصريحة في الإخراج من النار ، وأنه حقيقة ، وليس معناه يخرج من عمل أهل النار قوم ، ولا هو للتبعيد كما زعمه القاضي عبدالجبار المعتزلي ، وغيره .

(و) وأما صرف حديث : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » إلى أن المراد بذلك إذا تابوا ، فيكون معنى الشفاعة راجعاً إلى التفضل ورفع الدرجات ، فهذا التأويل تبطله النصوص السابقة والمصرحة بأن الشفاعة تنال قوماً دخلوا النار بذنوبهم، فيشفع لهم فيخرجون من النار، ويدخلون الجنة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، فلا يدخل النار ،ولا يعاقب على ذنبه الذي تاب منه،وحصْر الشفاعة في رفع الدرجات والتفضل على المشفوع له بزيادة النعيم فحسب تحكم ظاهر، تبطله نصوص الشفاعة في إخراج من دخل النار من أهل الكبائر من الموحدين [٢] .

وقد غضب الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ على المعتزلة بسبب تأويلاتهم البعيدة الباطلة لأخبار الشفاعة ، حتى قال :« ولولا العناد والميل إلى سبيل الضالين ووساوس المردة والشياطين ، لم يعدلوا عن إثبات الشفاعة المذكورة في نصّ الكتاب والمأثور في الأخبار إلى الترهات وطريق التأويلات ، وتلفيق الجهل والضلالات » [٣] .

---

(١) سبق تخريج الحديث صـ ٨٧ .
(٢) انظر : موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة / سليمان الغصن (٢ / ٦٨٣) .
(٣) تمهيد الأوائل (ص٤٢٨) .

(ز) وأما قولهم « إن لم يُشفّع لم يجز لأنه يقدح بإكرامه ، وإن شُفع لم يجز أيضاً لأنّا دللنا على أن إثابة من لا يستحق الثواب قبيح ، وأن المكلف لا يدخل الجنة تفضلاً » (١) .

ففحوى هذه الشبهة للوعيدية نفي الشفاعة لصاحب الكبيرة بناءً على رأيهم في مسالة الوعد والوعيد ، حيث قطعوا بذلك ، وأن هذا من مقتضى عدل الله تعالى .

فإثابة العبد بما لا يستحقه قبيح عندهم ، « فالله تعالى موف بوعده ، منجز لوعيده حتماً ، لأنه صادق ولا مبدل لكلماته » (٢) .

بل زعموا أن الله تعالى لا يقدر على خلاف ذلك ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فيرد على هذه الشبهة من عدة وجوه ، هي :

[١] ما تقدم من أن إخلاف الوعيد لا يذم ، بل يمدح ، وأن الله تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد ، فهو حقه ، وإخلافه عفو وهبة ، وهو موجب كرمه وإحسانه.

[٢] لا يصح الاقتصار على نصوص الوعيد فقط ، كما تفعل الخوارج والمعتزلة ، ولا الإقتصار على نصوص الوعد كما تفعل المرجئة، بل لا بد من الجمع بينهما معاً ، وهذا هو مذهب الوسط الذي سلكه أهل السُّنَّة والجماعة .

[٣] وجود التناقض بين قول المعتزلة : « إثابة من لا يستحق الثواب قبيح » وبين إثباتهم للشفاعة في رفع الدرجات في الجنة ، فهؤلاء قد أثيبوا برفع درجاتهم في الجنة فوق ما يستحقونه .

[٤] عدم صحة ما ذهبوا إليه « من أن المكلف لا يدخل الجنة تفضلاً » لما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «**سددوا وقاربوا وأبشروا** ،

(١) كتاب المعتزلة / لزهدي حسن جار الله (ص٥١) ـ مطبعة مصر ـ القاهرة ـ ط بدون (١٣٦٦هـ) ، وانظر : شرح الأصول الخمسة / للقاضي عبدالجبار (ص٦٨٩) ، مشارق أنوار العقول / للسالمي الإباضي (ص٢٨٨) .

(٢) كتاب المعتزلة (ص١٠٦) .

فإنه لا يُدخل أحداً الجنة عمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ، قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة » (١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « فنفي بهذا الحديث ما قد تتوهم النفوس من أن الجزاء من الله عز وجل على سبيل المعاوضة والمقابلة ، كالمعاوضات التي تكون بين الناس في الدنيا » ، ثم أبان رحمه الله غلط هذا التوهم من عدة وجوه (٢) .

وأما ما قد يحتج به المعتزلة من قول الله تعالى : ﴿**وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف:٤٣] ، وأمثالها ، فلا ريب أن العمل الصالح سبب لدخول الجنة ، والباء هنا للسبب ، لكن من المعلوم أن السبب لا يستقل بالحكم ، وكذلك فإن الله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات ، فرجع الكل إلى محض فضل الله تعالى ورحمته (٣) .

والمنفي من الحديث هي باء الثمنية،فإن العبد لو عُمِّر عمر الدنيا وهو يعمل الطاعات لم يقابل كل عمله عشر معشار أصغر نعمة من نعم الله عليه الظاهرة والباطنة .

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « إن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر ، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية ..... » (٤) .

---

(١) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل (٨ / ١٢٣) ح٦٤٦٧ ، ومسلم : كتاب صفات المنافقين واحكامهم ، باب لن يدخل احد الجنة بعمله ، بل برحمة الله (٤ / ٢١٦٩ ، ٢١٧٠) ح٢٨١٦ . واللفظ للبخاري .

(٢) انظر : جامع الرسائل / لابن تيمية ـ تحقيق / محمد رشاد سالم (١/ ١٤٧ ، ..) دار المدني ـ جده ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤٠٥هـ) .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ـ تحقيق : شعيب الأرناؤوط (٢ /٦٤٢ - ٦٤٣) وحادي الأرواح / لابن القيم (ص٦١) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، وأعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي (ص١٤٧) .

(٤) حادي الأرواح (ص٦١) ، وانظر : أعلام السنة / لحافظ الحكمي (ص١٤٧) .

(ح) وأما قولهم : « اتفقت الأمة على هذا القول : اللهم اجعلنا من أهل الشفاعة ، فلو كان الأمر على ما ذكرتموه ـ أي أهل السُّنَّة ـ لكان يجب أن يكون هذا الدعاء دعاء لأن يجعلهم الله تعالى من الفساق ، وذلك خلف »(١) .

فيجاب على هذه الشبهة بما نقل عن القاضي عياض ـ رحمه الله ـ أنه قال : « قد عُرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ شفاعة نبينا ﷺ ورغبتهم فيها ـ ثم قال ـ وعلى هذا لا يلتفت إلى قول من قال : إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى أن يرزقه شفاعة محمد ﷺ لكونها لا تكون إلا للمذنبين ، فإنها قد تكون ـ كما قدمنا ـ لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات ، ثم كل عاقل معترف بالتقصير ومحتاج إلى العفو، غير معتدّ بعمله ، مشفق منه أن يكون من الهالكين ، ويلزم هذا القائل ألا يدعو بالمغفرة والرحمة ، لأنها لأصحاب الذنوب أيضاً ، وهذا كله خلاف ما عُرف من دعاء السلف والخلف »(٢) .

وقد أجاب الإمام القرطبي عن تلك الشبهة بما يوافق الجواب الثاني عنها للقاضي عياض ، حيث قال ـ رحمه الله تعالى ـ : « إنما يطلب كل مسلم شفاعة الرسول ـ ﷺ ـ ويرغب إلى الله في أن تناله ، لإعتقاده أنه غير سالم من الذنوب ولا قائم لله سبحانه بكل ما افترض عليه ، بل كل واحد معترض على نفسه بالنقص ، فهو لذلك يخاف العقاب ويرجو النجاة »(٣) .

---

(١) شرح الأصول الخمسة / للقاضي عبدالجبار (ص٦٩٢) .
(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي (١٠ / ٣١٠) ، وشرح النووي لصحيح مسلم (ج٣ / ٣٦) المجلد الأول .
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١ / ٣٨٠) ، وانظر : شرح المقاصد / للتفتازاني ٥/ ١٦١) .

الفصل السادس

الشيعة وموقفهم من الشفاعة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث :

تمهيـــد :

المبحث الأول : تعريف الشيعة لغةً واصطلاحاً ، وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : الشيعة لغةً .
- المطلب الثاني : الشيعة اصطلاحاً .
- المطلب الثالث : مناقشة التعاريف وتوضيح الأرجح .

المبحث الثاني : فرق الشيعة وألقابها ،وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : فرق الشيعة .
- المطلب الثاني : ألقاب الشيعة .

المبحث الثالث : مصادرهم في التلقي والاستدلال وموقفهم من مصادر أهل السُّنَّة ، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : مصادرهم في التلقي والاستدلال ، وفيه أربعة فروع :
  - الفرع الأول :أئمتهم ورجالهم .
  - الفرع الثاني : العقـــل .
  - الفرع الثالث : الروايات والآثار الضعيفة أو الموضوعة .
  - الفرع الرابع : التلقي عن الأمم الضالة والفرق الهالكة .
- المطلب الثاني : موقفهم من مصادر التلقي عند أهل السُّنَّة

وفيه ثلاثة فروع :

- الفرع الأول : القرآن الكريم وموقفهم منه .
- الفرع الثاني : السُّنَّة النبوية وموقفهم منها .
- الفرع الثالث : الإجماع وموقفهم منه .

المبحث الرابع : موقف الشيعة الإثنى عشرية من الشفاعة، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : موقفهم من شفاعة الرسول ﷺ .
- المطلب الثاني : موقفهم من شفاعة غيره ﷺ .

الفصل السادس

الشيعة وموقفهم من الشفاعة

تمهيد :

إن من سمات أهل الأهواء والبدع المبالغة فيما يتبعونه رغم عدم موافقته للحق الذي جاء به الرسول ﷺ ، وكذلك الغلو في المعتقد الذي يعتقدون به ، ومن ذلك غلو الشيعة في موالاة آل البيت حتى جاوزوا الحدود ، وأسس غلاة الشيعة مذهبهم على أساس هذه المبالغة حتى صار مذهباً مستقلاً يُعرف بانحرافه ومخالفته لما جاء به الرسول ﷺ ، واخترعوا روايات كاذبة ، واختلقوا أحاديث موضوعة وقالوا : إنه لا دين إلا لموالي علي وأله ومحبيهم،ولكن نجد عند التحقيق أن الشيعة خاصة غلاتهم لم يتابعوا ولم يناصروا آل البيت على الحقيقة، بل هم مخالفون ومجافون لطريقتهم، فعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قد أخبر بنحو ثمانين وجهاً عن خير هذه الأمة بعد نبيها فقال ـ رضي الله عنه ـ :« ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر »(١) .

وكان يقول ـ رضي الله عنه ـ « لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري »(٢) .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١ / ١٠٦)، (١ / ٣٠٣) ح٤٠٥ ، وكذلك برقم / ٨٣٣ . وقال شعيب الأرنؤوط إسناده حسن ، وبرقم / ٨٣٤ . وقال شعيب الأرنؤوط إسناده قوي ، برقم / ٨٣٦ . وقال شعيب الأرنؤوط صحيح ، برقم / ٨٣٧ . وقال شعيب إسناده قوي ، برقم / ٨٧٨ . وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير وهب بن بقية فمن رجال مسلم ، برقم / ١٠٣١ . وقال شعيب إسناده صحيح ، وابن ماجه في مسنده (١ / ٣٩) ح١٠٦ ، والطبراني في المعجم الكبير (١ /٦٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٣ /٣٠٦-٣٠٧) ، وابن أبي عاصم في السُنَّة(٢ / ٥٧١) ح٢٠٣ ، وقال الألباني إسناده حسن ، منهاج السُنَّة / لابن تيمية (١ /١٣) مكتبة ابن تيمية .

(٢) مجموع الفتاوى (٤ / ٥١٩) .

وهم يجعلونهما الجبت والطاغوت ، فأين المتابعة والمناصرة (١) ، ولكن كلمة شيعة أصبحت اسم علم يعم جميع الفرق التي تظاهرت بزعم التشيع ، وإلا فقد يُعترض على تسمية غلاة الشيعة الروافض بالشيعة ، بحجة عدم صدقهم لأهل البيت ، لأنهم أعداء أهل بيت رسول الله ﷺ وليسوا شيعتهم لأن غلاة الشيعة الروافض إنما عرفوا بهذا الاسم ـ أي روافض ـ حينما أطلقها عليهم زيد (٢) بن علي ابن الحسين ـ رضي الله عنهما ـ .

ويرى الشيعة الروافض : أن « أول الفرق الشيعية فرقة عليّ بن أبي طالب، المسمون شيعة علي في زمان النبي ﷺ وبعده ، معروفون بانقطاعهم إليه ، والقول بإمامته ، ومنهم: المقداد بن الأسود (٣)، وسلمان

(١) انظر : التنبيه والرد / للملطي (ص٢٩-٤٨) ، الفرق بين الفرَق (ص٢٢-٥٤) ، التبصير في الدين / للأسفرائيني (ص٢٧-٤٣) ، ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين / اليافعي (ص٧١-٨٨) ، منهاج السُّنَّة / لابن تيمية (١/ ٧ ، ٨) ، (٤/ ١٣٧) ـ ط جامعة الإمام .

(٢) زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، أبو الحسين العلوي الهاشمي ، ولد سنة ٧٩هـ وقيل ٨٠هـ ، قال أبو حنيفة : « ما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً » . كانت إقامته بالكوفة ، وقرأ على واصل بن عطاء ، واقتبس منه علم الاعتزال ، حصل مع زيد ما حصل مع الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، حيث قدم الكوفة فخذله أهلها بعد مبايعتهم له ، ويرى المؤرخون أن السبب في تخاذل أهل الكوفة عنه هو مذهبه الرئيسي في الإمامة وهو جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل ، قتله يوسف بن عمر الثقفي والي الكوفة سنة ١٢٢هـ ، وقيل غير ذلك . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (٥ / ٣٨٩ وما بعدها) ، فوات الوفيات / لمحمد شاكر الكتبي (٢/٣٥-٣٨) ، مروج الذهب/ للمسعودي (٣ / ٢٠٦)، مقالات الإسلاميين / للأشعري ١/ ٨٩) الأعلام / للزركلي (٣/ ٥٩)

(٣) المقداد بن الأسود الكندي ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن مالك بن مطرود البَهْراني وقيل الحضرمي ، أصاب والده دماً من قومه فلحق بحضرموت وتزوج بها ، فولد له المقداد ، ووقع بينه وبين أبي شمران حجرا لكندي مخالفة فضرب رجله بالسيف وهرب إلى مكة ، فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري وكتب إلى أبيه فقدم عليه فتبنى الأسود المقداد ، فصار يقال له المقداد بن الأسود واشتهر بذلك ، حتى نزل قوله تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٥] ، فقيل له المقداد بن عمرو ، وكان يُكنى أبا الأسود ، أسلم قديماً وتزوج ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب ابنة عم الرسول عليه الصلاة والسلام ، هاجر الهجرتين وشهد بدراً وما بعدها ، مات سنة ٣٣هـ وهو ابن ٧٠ سنة ، انظر : الإصابة (٣ / ٤٥٤ ، ٤٥٥) ترجمة رقم / ٨١٨٣ ، أسد الغابة ٥/ ٢٦٥- ٢٦٧) ترجمة رقم٥٠٦٩ ، سير أعلام النبلاء (١/ ٣٨٥ وما بعدها) تقريب التهذيب (٢ / ٢١٠) رقم / ٦٨٩٣ .

الفارسي[١] ، وأبو ذر ، وعمار[٢] »[٣] .

وفي هذا الإطار يقول الخميني[٤] : « بعد وفاة النبي اختلفت الشيعة مع أهل السُّنَّة »[٥] ، وهذا القول باطل ، فالشيعة ليس لها ذكر في عهد النبي ﷺ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « ففي خلافة أبي بكر وعمر

---

(١) أبو عبد الله : سلمان الفارسي ، يقال له سلمان ابن الإسلام ، وسلمان الخير ، خرج في طلب العلم والإسلام ، فاسر وبيع في المدينة فاشتغل بالرق ، كان أول مشاهده الخندق وما بعدها ، وقيل شهد بدراً وكان عالماً زاهداً ، آخى الرسول ﷺ بينه وبين أبي الدرداء ، مات سنة ٣٣هـ وقيل غير ذلك وعمره ٢٥٠ عاماً ، انظر الإصابة (٢ / ٦٢ ، ٦٣) ترجمة رقم / ٣٣٥٧ ، أسد الغابة (٢ / ٤٨٧-٤٩٢) ترجمة رقم / ٢١٥٠ ، سير أعلام النبلاء (١ /٥٠٥ وما بعدها) ، تهذيب التهذيب (٤ /١٣٧ - ١٣٩) .

(٢) عمّار بن ياسر بن مالك بن كنانة العنسي أبو اليقظان ، حليف بني مخزوم وأمه سمية مولات لهم ، أسلم قديماً هو وأبوه ، عُذّب في الله فصبر ، وهاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها ، وشهد اليمامة في عهد أبي بكر ، ثم ولاه عمر رضي الله عنه الكوفة ، وكتب إليهم ، من النجباء ، وقد كان من السبعة السابقين للإسلام ، نزل فيه قول الله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ . واخبر الرسول ﷺ أن عمّار تقتله الفئة الباغية ، فقُتل مع علي في صفين سنة ٣٧هـ في ربيع وله ٩٣ سنة رضي الله عنه ، انظر : الإصابة (٢ /٥١٢-٥١٣) ترجمة رقم ٥٧٠٤ /، أسد الغابة (٤ /١٣٩ - ١٤٥) ترجمة رقم ٣٧٩٨ /سير أعلام النبلاء (١ /٤٠٦) وما بعدها) ، تقريب التهذيب (١ / ٧٠٨) رقم / ٤٨٥٢ .

(٣) المقالات والفرق / لسعد بن عبد الله القمّي ـ تحقيق : محمد جواد مشكور (ص١٥) ـ مكتبة حيدري ـ طهران ـ إيران ـ ط بدون (١٩٦٣م) .

(٤) هو المسمى روح الله بن مصطفى الموسوي الخميني ، ولد في مدينة (خُمين) عام ١٣٢٠هـ ، تلقى تعليمه على علماء الشيعة ، فترعرع وقلبه مشحون بالغل والحقد على أهل السُّنَّة والجماعة ، طُرد من إيران إلى العراق ، حاول أن يضلل المسلمين بأنه يسعى إلى فكرة التقريب بين أهل السُّنَّة والجماعة وبين الشيعة عن طريق القضاء على الخرافات الشيعية ، فلذا وصفت حركته فترة من الزمن بأنها حركة إسلامية ، إلى أن أظهر الله الحقيقة حيث إنه كان شيعيًا غاليًا محترفًا ، توفي عام (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م). انظر : كتاب ماذا في إيران / هاشم يحيى الملاح (ص٥٣-٦٤) البصرة ـ ط ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ، ترجمة عربية لبعض أحداث بلاد فارس (لفهمي هويدي (ص٤٠-٤٧) ط. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، تتمّة الأعلام للزركلي / لمحمد خير رمضان يوسف (١ /١٨٥) دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)

(٥) كشف الأسرار / للخميني ـ تقديم : د: محمد أحمد الخطيب (ص١٢٨) ـ دار عمّار للنشر والتوزيع ـ عمّان ـ الأردن ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) .

وعثمان لم يكن أحد يسمى بالشيعة ، ولاتضاف الشيعة إلى أحد » [١] .

وهذا ما يشهد له كتب التاريخ ، فلا يوجد كتاب يثبت وجود هذه التسمية طيلة عهد الخلفاء الثلاثة إثباتاً علمياً ، ونجد أن بعض الروافض سلّم بعدم وجود الشيعة في هذا الوقت المبكر، فقال : « إن لفظ الشيعة قد أهمل بعد أن تمت الخلافة لأبي بكر ، وصار المسلمون فرقة واحدة ، إلى أواخر عهد الخليفة الثالث » [٢] .

ويقول الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ : « وبموته ـ أي عثمان ـ حصل الاختلاف ، وابتدأ أمر الرّوافض » [٣] .

ولكن نجد أن الشيعة باعتبارها عقيدة لم تولد فجأة ، بل إنها أخذت أطواراً زمنية متوالية ، فظهرت بدايات العقيدة الشيعية ، وجذورها الأولى على يد ابن سبأ [٤] اليهودي الذي بدأ حركته في أواخر عهد الخليفة الراشد عثمان ـ رضي الله عنه ـ ويعتبر ابن سباء أول من أحدث القول بالعصمة لعلي بن أبي طالب ، وبالنص عليه في الخلافة ، وقال بالوصية التي نقلها من اليهودية ، فكما أن يوشع بن نون وصي موسى ـ عليه السلام ـ فكذلك علي وصي الرسول ﷺ ولكل نبي وصي ، ومعنى هذه النظرية السبائية أن روح النبي ﷺ انتقلت بوفاته إلى عليّ ـ رضي الله عنه ـ مباشرة ، وهي باقية في سلالة علي واحداً بعد واحد في شكل تناسخي منظم ، لكن الخلفاء قبله

---

(١) منهاج السُّنّة النبوية/لابن تيمية (٢ / ٩٥) ـ مكتبة ابن تيمية ، ومؤسسة قرطبة ، (٢ / ٦٤) ط مكتبة الرياض الحديثة.

(٢) الشيعة في التاريخ/لمحمد حسين العاملي (ص ٣٩-٤٠) دار الآثار ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٣٩٩هـ).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢ / ٢١٦) .

(٤) عبد الله بن سبأ : رأس الطائفة السبئية ، كان يهودياً ثم أظهر الإسلام ، وأصله من اليمن ، ثم رحل إلى الحجاز فالبصرية فالكوفة ، دخل دمشق فاخرجه أهلها ، فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته . من معتقداته الباطلة القول برجعة النبي ﷺ ، وإن علياً إله وانه موجود في السحاب وإن الرعد صوته . قال ابن حجر : ((ابن سبأ من غلاة الزنادقة ، أحسب أن علياً حرقه بالنار)) . انظر ميزان الاعتدال / للذهبي (٢/٤٢٦) برقم٤٣٤٢ ، لسان الميزان / لابن حجر (٣/٣٥٨- ٣٦٠) برقم ٤٥٨٩، الأعلام / للزركلي٤ /٨٨) .

اغتصبوا الخلافة من علي وآله ، وهو أول من قرر مبادئ القول بالرجعة (١) .

فلما بلغ الإمام عليًا ـ رضي الله عنه ـ ذهب التشيع وأنهم غلوا فيه ـ رضي الله عنه ـ أنكره وحرّق بالنار جماعة ممن غلا فيه وأنشد ، بقوله :

لما رأيت الأمـر أمـراً منكراً أجـجت ناراً ودعـوت قنبـراً (٢)

وكان قصد عبد الله بن سبأ إفساد الدين الإسلامي ، كما أفسد بولص دين النصارى (٣) . ولما وجد بعض الشيعة أن أوصاف عبد الله بن سبأ المدونة في كتب التاريخ تكشف عن حقيقتهم بما لا يدع مجالاً للشك في نفوس المطلعين عليها عمدوا إلى التشكيك في حقيقة ابن سباء ، فنفى بعضهم وجوده أصلاً ، وأن قصته تمثل كذبة تاريخية (٤) .

والشيعة كطائفة ذات أفكار وآراء غلب عليهم هذا الاسم وهم من أكذب الفرق على أئمتهم ، ومن أخطرها على المسلمين ، خاصة غلاة الشيعة (الرافضة) (٥) ،

---

(١) انظر : (مجموع الفتاوى (٤/٥١٨) ، الملل والنحل / للشهرستاني (١/١٧٧)، الفرق بين الفرَق / للبغدادي (ص٢٢٣-٢٢٦) ، مباحث في علم الكلام والفلسفة / لعلي الشابي (ص٥١) ـ دار بو سلامة ـ تونس ـ ط بدون (١٩٧٧م) ، فرق الشيعة / للنوبختي (ص٢٣) ـ دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤٠٤هـ) ، مقالات الإسلاميين/ للاشعري (١/٨٦) ، التنبيه والرد / للملطي (ص٢٩) ، التبصير في الدين / للاسفرائيني (ص ٧٢) ، المواقف في علم الكلام / للأيجي (ص٤١٩) .

(٢) الخطط / للمقريزي (٢ / ٢٥٦ ، ٢٥٧) ـ مكتبة المثنى - بغداد ـ العراق . ط بدون ، انظر : التنبيه والرد / للملطي (ص٢٩) ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة / لأبي محمد اليمني (١ / ٤٦٠) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى / لابن تيمية (٤ / ٥١٨) (١٣/٣٣) (٢٨/٤٨٣) .

(٤) انظر:كتاب باسم (عبد الله بن سبأ) لمرتضى العسكري (ص٦-٢٥) ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٣٨١هـ) ،كتاب : عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام/ للدكتور : سليمان ابن حمد العودة .

(٥) **أصول الضلال العشرة عند الرافضة الإمامية الأثني عشرية هي :**

[١] المغالاة في الإمامة وجعلها من أصول الاعتقاد .

[٢] المغالاة في الإمام عليّ ـ رضي الله عنه ـ وأولاده من بعده .

[٣] بغض الصحابة والإنتقاص من قدرهم .

[٤] المغالاة في آل البيت ، والكذب والإفتراء عليهم مما يؤدي إلى الانتقاص من قدرهم .

[٥] التشكيك في حفظ وصيانة القرآن الكريم .

وذلك بسبب ما يلي :

[١] استعمالهم التقية المرادفة للكذب .

فهم من أعظم الطوائف كذباً وجهلاً، وقد شهد العلماء بأن الرافضة أكذب الناس، ودينهم يدخل على المسلمين كل زنديق ومرتد، كما دخل فيهم طوائف الباطنية ؛ فإنهم يعمدون إلى خيار الأمة يعادونهم،وإلى أعداء الله من اليهود والنصارى والمشركين يوالونهم،ويعمدون إلى الصدق الظاهر المتواتر يدفعونه،وإلى الكذب المختلق الذي يعلم فساده يقيمونه، فهم وصفوا بأنهم (لو كانوا من البهائم لكانوا حمراً، ولو كانوا من الطير لكانوا رخماً) ولهذا كانوا من أبهت الناس وأشدهم فرية (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ واصفاً الرافضة: « الرافضة أكذب وأفسد ديناً »(٢) والمرء إن يكذب ويشعر بالذنب فهذا ـ على خطورته ـ أهون بكثير من رجل يكذب ويرى أن الكذب يُقربه إلى الله تعالى، أما الخطر الداهم والطامة الكبرى ففي رجل يكذب في الدين وعلى الدين ويتقول على الله ويحرف دينه القيّم القويم ،ثم هو في نفس الوقت يرى أنه بذلك يتعبد لله ويتقرب إليه بأفضل القربات. وهذا الأخير هو حال علماء الرافضة الأثني عشرية ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .

[٢] تظاهرهم بنصرة آل البيت ، حيث انخدع بهم كثير من عوام المسلمين .

[٣] بغضهم لأهل السُّنَّة بسبب تعاليم خاطئة وضعها بعض كبرائهم نتج عنها نفور الشيعة وعدم الوصول بعد محاولات كثيرة من جانب أهل السُّنَّة إلى التقارب .

= [٦] إنكار السُّنَّة النبوية المطهرة .

[٧] بغض أهل السُّنَّة والجماعة .

[٨] وقوع الرافضة في أعمال الشرك والبدعة .

[٩] وقوع الرافضة في مسالك الكفر والزندقة .

[١٠] وقوع الرافضة في مسالك التدسية (عكس التزكية) وسوء الأخلاق .

(١) انظر : مجموع الفتاوى / لابن تيمية (٤ / ٤٧١ ، ٤٧٢) .

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية (٢ / ٦٣) ـ مكتبة ابن تيمية .

[٤] ولأن الشيعة أيضاً لا يتحرون النصوص الصحيحة ، ولا يهتمون بإيصال السند إلى النبي ﷺ ، ولهذا فإن أكثر أحاديثهم رويت عن الأئمة .

[٥] ولأنهم كذلك أهل عاطفة نحو أهل البيت - فيما يظهرون للناس - فلذا يكفي لتوثيق الشخص عندهم وعلى زعمهم أن يكون ظاهره الغلو في أهل البيت ، ويكون بذلك من الثقات الأثبات (١) .

ومن ادَّعى حب آل البيت وهو مخالف لسيرتهم ومنتهك لحرمات الله الظاهرة في الكتاب والسُّنَّة فهي دعوى باطلة .

ومن عقيدة أهل السُّنَّة حب آل محمد ﷺ بما فيهم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بل أن النبي ﷺ قال في حب علي: «لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق...»(٢)، ولكن يقصد بذلك الحب المشروع والاتباع الصحيح الموافق للكتاب والسُّنَّة .

وبعد هذه المقدمة لابد من تعريف الشيعة ، وما ورد من استعمال كلمة (شيعة) في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المطهرة ، وذلك للتبيين والتوضيح .

---

(١) انظر : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها / لغالب عواجي (١ / ١٢٨ ، ١٢٩) .

(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان... (١ / ٨٦) ح٧٨ ، وأحمد في مسنده (٦ / ٢٩٢) ، والترمذي في سننه (٥ / ٦٠١) ح٣٧٣٦. عن علي وأم سلمة رضي الله عنهما .

المبحث الأول
تعريف الشيعة لغةً واصطلاحاً

المطلب الأول
الشيعة لغةً

أولاً : كلمة الشيعة في اللغة :

أطلقت كلمة الشيعة على الأتباع ، والأنصار ، والأعوان ، والخاصة ، والمطاوعة ، والمتابعة ، والمعاونة ، والمصاحبة ،والاجتماع على الأمر ، والممالأة عليه ، ثم غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل البيت (١) .

ثانياً : ورد لفظ الشيعة في القرآن على وجوه :

الأول : الفرقة أو الجماعة من الناس :

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩) ﴾ [مريم :٦٩] ، أي من كل فرقة وجماعة وأمة (٢) .

ومن الآيات كذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:١٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ (١٠) ﴾ [الحجر:١٠] .

---

(١) جمهرة اللغة / لابن دريد (٣ / ٦٣) ، تهذيب اللغة / للازهري (٣ / ٦١) ، الصحاح / للجوهري (٣ / ١٢٤٠) _تحقيق: احمد عبدالغفور ، تاج العروس / للزبيدي (٢١/ ٣٠٢-٣٠٣) ، لسان العرب / لابن منظور (٨ /١٨٨-١٩٢) مادة (شيع) ، القاموس المحيط / للفيروز أبادي (ص٩٥٠) .

(٢) انظر : جامع البيان في تاويل القرآن / للطبري (٨ / ٣٦٣) ، تفسير غريب القرآن / لعبد الله بن مسلم بن قتيبة _ تحقيق السيد : احمد صقر (ص٣٢٩) _ دار الكتب العلمية _ بيروت _ لبنان _ ط بدون ، مجاز القرآن / لأبي عبيده تعليق : محمد فؤاد سزكين (١ / ١٩٤)_ دار الفكر _ مكتبة الخانجي _ القاهرة _ مصر _ ط الثانية (١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م) ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير (٣ / ١٣٨) ، تفسير القرآن الحكيم المشهور بـ(تفسير المنار) / لمحمد رشيد رضا (٨ / ٢١٤) .

الثاني : المتابع ، الموالي ، والمناصر ، والأهل ، والنسب ، والجيش :

قال تعالى : ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [القصص: ١٥] ، أراد من أهله في النسب إلى بني إسرائيل (١) ، أو المتابع والموالي والمناصر وغير ذلك.

الثالث : الأمثال - النظائر - أهل الملة :

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ [مريم :٦٩]، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [القمر :٥١] ، وقوله تعالى: ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ [سبأ :٥٤]، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الصافات:٨٣] (٢) .

الرابع : الأهواء المختلفة :

قال الله تعالى: ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ [الأنعام : ٦٥] (٣) .

الخامس : الإشاعة :

لقول الله تعالى﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور :١٩] ، أي تفشوا الفاحشة (٤) .

وذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ إلى أن لفظ الشيعة والأشياع غالباً ما يستعمل في الذم ، واستشهد بأدلة من القرآن الكريم حيث قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ

---

(١) انظر : جامع البيان في تاويل القرآن / للطبري (١٠ / ٤٣) ، تفسير غريب القرآن (ص٣٢٩) ، فتح القدير / للشوكاني (٤ / ٢٠٢) .

(٢) جامع البيان في تاويل القرآن / للطبري (١٠ / ٣٩٢) ـ (١٠ / ٤٩٩) ، روح المعاني في تفسير القرآن / للالوسي (١٢ / ٩٩ ، ١٠٠) - (١٤/٩٤-٩٥) .

(٣) انظر : جامع البيان / للطبري (٥ / ٢١٨) ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير (٢ / ١٤٨) ، فتح القدير / للشوكاني (٢ / ١٥٨) .

(٤) نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر / لابن الجوزي ـ تحقيق / محمد عبدالكريم (ص٣٧٦ ، ٣٧٧) ـ مؤسسة الرسالة ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤٠٥هـ) ، بدائع الفوائد / لابن القيم (١ /١٥٥) دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾ [مريم :٦٩] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ [سبأ : ٥٤] .

فيقول ـ رحمه الله تعالى ـ : « وذلك والله أعلم لما في لفظ الشيعة من الشياع والإشاعة التي هي ضد الائتلاف والاجتماع ولهذا لا يطلق لفظ التشيع إلا على فرق الضلال لتفرقهم واختلافهم » (١) .

ثالثاً : لفظ الشيعة في السنّة المطهرة ومعناه :

ورد لفظ الشيعة في السُّنَّة المطهرة بمعنى الأتباع كما في حديث النبي ﷺ في ذي الخويصرة التميمي أصل الخوارج الذي قال للنبي ﷺ : (لم أرك عدلت . . .) قال فيه عليه الصلاة والسلام: « **سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه . . .** » (٢) .

وكذلك قوله ﷺ في المكذبين بالقدر : « . . . . . . **وهم شيعة الدجال** » (٣) .

فالشيعة هنا مرادفة للفظ الأصحاب ، والأتباع ، والأنصار . ولم يرد استعمال لفظ الشيعة على الفرقة المعروفة بهذا الاسم إلا ما جاء في بعض الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة (٤) .

---

(١) بدائع الفوائد (١ / ١٥٥ ، ١٥٦) .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢ / ٢١٩) عن عبد الله بن عمرو ، وقال عبد الله بن الإمام أحمد ولهذا الحديث طرق في هذا المعنى صحاح . وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح ، انظر : مسند الإمام أحمد بشرح أحمد شاكر رقم الحديث : ٣٠٣٨ . ورواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢ / ٤٥٤) ، وقال الألباني إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات .

(٣) رواه أحمد في مسنده (٥ / ٤٠٧) عن حذيفة بن اليمان ، وأبو داود في سننه : السُّنَّة ، باب القدر (٥ / ٦٧) ح ٤٦٩٢ ، وقال المنذري: وفي إسناده عمر مولى غُفْرة لا يحتج بحديثه ، ورجل من الأنصار مجهول ، انظر : مختصر أبي داود للمنذري برقم / ٤٦٩٢ وقال الألباني : الحديث بطرقه حسن دون قوله ((هم شيعة الدجال)) فإنها ضعيفة . انظر : مشكاة المصابيح (١ / ٣٨) ح / ١٠٧ ، السُّنَّة لابن أبي عاصم (١ / ١٤٥) ح٣٢٩ ، ضعيف سنن أبي داود (ص٤٦٧) برقم / ١٠١٠ .

(٤) انظر : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية / للدكتور : ناصر القفاري (١ / ٤٢ ، ٤٣) . دار الرضا للنشر والتوزيع ـ الجيزة ـ مصر ـ ط الثانية ـ (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م) .

المطلب الثاني
تعريف الشيعة اصطلاحاً

أولاً : وردت عدة تعريفات للشيعة في الاصطلاح عند أصحاب المقالات من أهل السُنّة منها :

[١] **يقول أبو الحسن الاشعري عن الشيعة :** « إنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا علياً ـ رضوان الله عليه ـ ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ » (١) .

[٢] **ويقول ابن حزم :** « من وافق الشيعة في أن علياً ـ رضي الله عنه ـ أفضل الناس ، بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون ، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً » (٢)

[٣] **ويقول الشهرستاني :** « الشيعة هم الذين شايعوا علياً ـ رضي الله عنه ـ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً وإما خفياً ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم من غيره أو تقية من عنده ، وقالوا ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم ، بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم السلام ـ إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله ، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص ، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر ، والقول بالتولي والتبرئ قولاً وفعلاً وعقداً إلاّ في حال التقية ، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك » (٣) .

---

(١) مقالات الإسلاميين (١ / ٦٥) .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢ / ١٠٧) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٣٩٥هـ) .

(٣) الملل والنحل (١ / ١٤٤ ، ١٤٥) .

ثانياً : وقد عرف الشيعة لفظ (الشيعة) بتعاريف عدة منها :

[١] يقول النوبختي (١) : « الشيعة هم شيعة علي بن أبي طالب ، أو هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمن النبي ﷺ وبعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته » (٢) .

[٢] ويقول المفيد (٣) : « الشيعة هم اتباع أمير المؤمنين صلوات الله عليه ــ على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله ــ بلا فضل ، ونفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة ، وجعله في الاعتقاد متبوعاً لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء » (٤) .

[٣] ومن تعاريفهم للفظ الشيعة : « أن الشيعة الذين إذا اختلف الناس عن رسول الله أخذوا بقول علي ، وإذا اختلف الناس على علي أخذوا بقول جعفر

---

(١) هو الحسن بن موسى النوبختي ، ابو محمد ، الشيعي المتفلسف ، عاش في القرن الثالث ، كانت المعتزلة تدعيه والشيعة تدعيه ولكنه إلى حيّز الشيعة ، من اهل بغداد ، نسبته إلى جده (نوبخت) من تصانيفه : (فرق الشيعة ، والآراء والديانات ، والفرق والمقالات ، والإمامة) وغير ذلك ، توفي سنة ٣١٠هـ . انظر : لسان الميزان / لابن حجر (٢ / ٣١٨) برقم ٢٥٩٨ / ، الفهرست / لابن النديم (ص٢٥١-٢٥٢) . سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٥ / ٣٢٧) ، الاعلام / للزركلي (٢ / ٢٢٤)، معجم المؤلفين / كحالة (١ / ٥٩٥) برقم / ٤٤٧٤ .

(٢) فرق الشيعة / للحسن بن موسى النوبختي (ص١٥-١٧) .

(٣) هو محمد بن محمد بن النعمان بن عبدالسلام العكبري الملقب بالمفيد البغدادي الشيعي ، ويعرف بابن المعلّم ويكنى ابو عبد الله ، ولد سنة ٣٣٦هـ في عكبرا من نواحي بغداد ، قال الخطيب البغدادي : ((كان أحد ائمة الضلال ، هلك به خلق من الناس إلى ان اراح الله المسلمين منه)) ، وله من المؤلفات ما يقرب من مائتي مصنف منها (أوائل المقالات في المذاهب) ، كان كثير الصدقات عظيم الخشوع كثير الصلاة والصوم حسن اللباس ، توفي في بغداد سنة ٤١٣هـ وشيعه ٨٠ ألف من الرافضة والشيعة . انظر : تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي (٣ / ٢٣١) برقم / ١٢٩٩ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي ١٧ / ٣٤٤) المنتظم في تاريخ الملوك والامم / لابن الجوزي ١٥ / ١٥٧) برقم ٣١١٤، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٣ / ١٩٩-٢٠٠) المجلد الثاني ، الاعلام / للزركلي (٧ / ٢١) .

(٤) أوائل المقالات / للمفيد (ص٣٩) مكتبة الدوري ــ قم ــ إيران ــ ط بدون ، وطبعة بتعليق / فضل الله الزنجاني (ص٣٣) .

ابن محمد [١] » [٢] .

[٤] **ومنها :** « الشيعة من اتقى الله وأطاعه ، وعرفوا بالتواضع والتخشع والأمانة » [٣] .

[٥] **ومنها :** « الشيعة من أطاع الله عز وجل » [٤]

(١) هو أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، المعروف بجعفر الصادق ، ولد سنة ٨٠هـ بالمدينة قال عنه الإمام الذهبي :((أحد الأئمة الأعلام ، بَرٌّ صادق)) ، وقال عنه أبو حاتم : ((ثقة لا يسال عن مثله)) لكن الشيعة كذبوا عليه كغيره من آل البيت ، ونسبوا إليه أقوالاً هو منها بريء ، وزعموا أنه أحد أئمتهم الأثنى عشر ، توفي سنة ١٤٨هـ بالمدينة . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (٦/ ٢٥٥ وما بعدها) ، ميزان الاعتدال / للذهبي (١ / ٤١٤ ، ٤١٥) ، وفيات الأعيان / لابن خلكان (١ / ٣٢٧) برقم / ١٣١ ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج١ / ٢٢٠) المجلد الأول ، الأعلام / للزركلي (٢ / ١٢٦) .

(٢) رجال النجاشي(ص٩)ـ نقلاً عن أصول مذهب الشيعة الإمامية الأثنى عشرية/ القفاري (١ /٥٧) .

(٣) المصدر السابق (١ / ٥٧ ، ٥٨) .

(٤) انظر أصول الكافي / لمحمد بن يعقوب الكليني ، تصحيح وتعليق / علي أكبر الغفاري (١ / ٧٣) ـ دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ إيران ـ ط الثالثة (١٣٨٨هـ) ، وانظر : كتاب رجال النجاشي (ص٩) نقلاً عن أصول الشيعة الاثني عشرية / د: ناصر القفاري (١ /٥٧) .

المطلب الثالث
مناقشة التعاريف وتوضيح الأرجح

أولاً: تعريف الإمام الأشعري ـ رحمه الله ـ اقتصر على من فضل علياً على أبي بكر وعمر وسائر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والشيعة لا تكتفي بمجرد التفضيل، بل لا بد من الاعتقاد بأن خلافة علي منصوص عليها بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام (١) .

ثانياً: تعريف ابن حزم ـ رحمه الله ـ اقتصر على أن الشيعي هو من وافق علياً وأنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده، والصحيح عند الشيعة أنهم يرون أن الإمامة أهم مطالب أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين، وأنها منصوص عليها بالقرآن والسُّنَّة النبوية .

ثالثاً: وأما تعريف الشهرستاني ـ رحمه الله ـ فقد جمع فيه المشايعة لعلي والإمامة والنص عليها، وعدم خروجها عنه وعن أولاده إلا عن طريق الظلم أو التقية، مع إثبات العصمة للأولياء والولاية المطلقة لهم، فلذا فإنه أشمل التعاريف وهذا ما أيده شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بقوله : « ثم تطور المصطلح وأخذ طوراً زمنياً فأصبح كفكرة وعقيدة أخذت أصولاً معينة على يد عبد الله بن سبأ الذي قال برجعة علي ـ رضي الله عنه ـ واختصاص الأئمة بالرجعة والعصمة » (٢) .

فلذا يوضح أن التشيع المتضمن لهذه الأصول الغالية (٣) هو المراد بفرقة الشيعة أو الرافضة المخالفة لما كان موجوداً في عهد علي ـ رضي الله عنه ـ فيقول ـ رحمه الله ـ : « أما التشيع المتوسط الذي مضمونه تفضيل علي وتقديمه على غيره ونحو ذلك فلم يكن هذا من إحداث الزنادقة بخلاف دعوى النص فيه والعصمة فإن الذي ابتدع

(١) منهاج السُّنَّة / لابن تيمية (١ / ٧٣ ، ٧٤) ـ طبعة جامعة الإمام .
(٢) الفتاوى (٢٠ / ٤٦٦) ، منهاج السُّنَّة (١ / ٢١٩) ـ ط / مكتبة الرياض الحديثة .
(٣) انظر: التنبيه والرد/للملطي (ص٢٩-٣١ - ١٦٧ - ١٦٨) ، التبصير في الدين / للاسفرائيني (٢٧-٢٨) .

ذلك كان منافقاً زنديقاً » (١) .

« ومن هذا التعريف يتضح كذلك أن جميع فرق الشيعة ـ ما عدا بعض الزيدية ـ يتفقون على وجوب اعتقاد الإمامة ، والعصمة ، والتقية ، ومن ذلك الاثنا عشرية يقولون بعقائد أخرى كالغيبة ، والرجعة ، والبداء ... وغيرها .

كما ينبغي أن يلاحظ أن الإمام زيداً وأتباعه لا يحكمون بعصمة الإمام ، ولا يمنعون الأمة من تعيين من تختاره للإمامة ، ولذا يجوِّز الإمام زيد إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، ولا يقول بالتقية ، وكان الإمام الشهرستاني يشير إلى ذلك بقوله : (ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك) على أن هناك من الزيدية من يقول بعصمة فاطمة ، وعلي ، والحسين (٢) ، ومن يقول بالنص على إمامة الثلاثة : عليّ وولديه . وأكثر الزيدية على خلاف ذلك » (٣) .

رابعاً : وأما تعريفات علماء الشيعة للفظة (الشيعة) فمردودة لأمور منها :

[١] أن تعريف النوبختي لا يشير إلى أي أصل من أصول الشيعة من القول بالإمامة والنص عليها والتقية من أجلها ، كما أنه يحاول أن يشير إلى أن التشيع وجد في عهد الرسول ﷺ ، وهذا ما تزعمه الرافضة من أن الرسول ﷺ هو الذي وضع بذرة التشيع ، ولهذا يحاول الشيعة في القديم والحديث إثبات هذا القول وتأييده بالأدلة الكاذبة (٤)، وقولهم مردود لا دليل ولا إثبات حيث إن كلمة الشيعة أول ما ظهرت في عهد ـ علي بن أبي طالب ـ وأطلقت على من يقدم عليًّا على عثمان فقط ، وهم وإن سموا بالشيعة فهم من أهل السُّنَّة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « أجمع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧ / ٤٤٦) ، ١٣ / ٣١ ، منهاج السُّنَّة (١ / ٢١٩)ـ ط مكتبة الرياض الحديثة ـ مؤسسة قرطبة ، مكتبة ابن تيمية .

(٢) العلم الشامخ / للمقبلي (ص٣٨٦) ـ ط الأولى (١٣٢٨هـ) .

(٣) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية / للدكتور : ناصر القفاري (١ / ٦٢) .

(٤) انظر : المقالات والفِرَق / للقمي (ص١٥) ، مقدمة ابن خلدون ـ تحقيق د: علي عبدالواحد الكافي (٢ / ٥٢٧) .

تقديم عثمان في البيعة ، مع أن بعض أهل السُّنَّة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلّي - رضي الله عنهما - بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما افضل، فقدّم قوم عثمان وسكتوا ، أوْ ربعوا بعلي ، وقدّم قوم علياً ، وقوم توقفوا ، لكن استقر أمر أهل السُّنَّة على تقديم عثمان وإن كانت هذه المسألة ـ مسألة عثمان وعلّي رضي الله عنهما ، ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السُّنَّة لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة » (١) .

وقال - رحمه الله تعالى - : « ففي خلافة أبي بكر وعمر لم يكن أحد يسمى من الشيعة ولا تضاف الشيعة إلى أحد » (٢) .

[٢] تعريف المفيد قصر التشيع على اتباع علي واعتقاد إمامته ، ولم يذكر أولاده ولا اعتقاد الشيعة في التنصيص على الإمامة ، وتعريفه يؤدي إلى وصف علي - رضي الله عنه - بالنفاق والمداهنة مع الكذب حيث استمر في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان تابعاً لهم فقط في الظاهر دون الباطن، وهذه من صفات المنافقين ، فهم مع زعمهم بحب علّي وآله يقعون في نقيض قصدهم فيصفونه بالجبن والكذب، وتعريفه يؤدي إلى الإساءة إلى الخلفاء الثلاثة وإلى الأمة بأكملها التي وافقت على خلافتهم ، فيؤدي ذلك إلى القول بإجماع الأمة على الضلال وحاشاهم من ذلك ، ولأن تعريفه يجعل الشيعة أتباع علّي ، فقوله يوجب أن علياً كان شيعياً ، وكان يرى ما يراه الشيعة ، وعلّي ـ رضي الله عنه ـ بريء مما تعتقده الشيعة سواء فيه أو في بنيه ،ولذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - يسميهم : « الرافضة المنسوبون إلى شيعة علي» (٣) ، فهم أيضاً ليسوا على منهج شيعة علي - رضي الله عنه - المتبعين له ، بل هم أدعياء ورافضة .

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٣)، منهاج السُّنَّة (٢ / ٦٠) ـ ط مكتبة الرياض الحديثة، (١ / ٥٣٢ ، ٥٣٣) ـ مؤسسة قرطبة ومكتبة ابن تيمية .

(٢) منهاج السُّنَّة (٢ / ٦٤) ـ ط مكتبة الرياض الحديثة ، (٢ / ٩٥) ـ مكتبة ابن تيمية ومؤسسة قرطبة .

(٣) منهاج السُّنَّة (٢ / ١٠٦) ـ ط مكتبة الرياض الحديثة .

[٣] وأما تعريف الشيعة بقولهم :« هم الذين إذا اختلف الناس عن رسول الله ﷺ أخذوا بقول علّي ـ رضي الله عنه ـ وإذا اختلف الناس عن علي ـ رضي الله عنه ـ أخذوا بقول جعفر بن محمد » ، فمردود من جهة ومقبول من جهة أخرى وبيان ذلك فيما يأتي :

(أ) مردود من حيث زعمهم أن الناس إذا اختلفوا عن رسول الله ﷺ أخذوا بقول علّي ـ رضي الله عنه ـ والصحيح أن المسلمين لا يختلفون مع رسول الله ﷺ أبداً بل متبعون لسنته من أقوال وأفعال وتقريرات ، فالمسلم لا يقدِّم على كلام الله وكلام رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أحداً لا عليًّا ولا غيره ، فيكون الشيعة بفعلهم ومعتقداتهم رادين لسنة الرسول ﷺ وبذلك يستحقون لفظ الشيعة ، ومن وجوه الرد لهذا التعريف أن قولهم يؤدي إلى عدم الإقرار بخلافة الخلفاء الثلاثة ، وعدم طاعتهم وإتباعهم ، وإلى أن جعفراً أفضل من الرسول ﷺ ، ولعل ذلك تابع من تفضيلهم الولي علّى النبي ، وأيضاً فإن التعريف يناقض ما عليه الشيعة من تفضيل علي وأولاده على غيرهم .

(ب) وقد يكون التعريف مقبولاً من جهة أخرى حيث إن غلاة الشيعة يقرون بأنفسهم على اختلافهم مع رسول الله ﷺ ، وعلى تفضيلهم لعلّي وجعفر على رسول الله ﷺ ، وإن كانوا في الحقيقة قد خالفوا الرسول عليه الصلاة والسلام وعلياً وجعفراً ولم يتبعوا إلا أهواءهم وشهواتهم .

[٤] وأما التعريف للشيعة بأنهم : « أهل الطاعة لله ـ عز وجل ـ والتواضع والتخشع والأمانة »، فهو تعريف مردود ، لأن غلاة الشيعة أبعد ما يكونون عن طاعة الله ـ عز وجل ـ أو الاتصاف بوصف الأمانة والخشوع والتواضع ، بل إنهم خانوا الأمانة وحرفوا القرآن والسُّنَّة وحاربوها وعادوا الصحابة الذين هم خيرة خلق الله بعد الأنبياء والرسل ، فأين هم من صفات الخشوع والتواضع .

وعند التحقيق فإن أقوال الشيعة في تعاريفهم متضاربة ومتفاوتة ، ولم يعرِّف واحد من مؤلفيهم معنى التشيع تعريفاً واضحاً جلياً ، وجامعاً مانعاً .

وخلاصة القول: أنه لابد من وضع قيد واحتراز في التعريف رفعاً للإبهام ، فيقال : هم الذين يزعمون اتباع علي ، حيث إنهم لم يتبعوا علياً على الحقيقة ، وليس أمير المؤمنين على ما يعتقدون .

أو يقال: بأنهم المدعون التشيع لعلّي ، أو الرافضة كما عبر عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : « الرافضة المنسوبون إلى شيعة علي »(١)، وهذا تحرز من الخلط والالتباس ، فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده ، ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعياً إلا من قدّم علياً على عثمان - رضي الله عنهما - وهم في الحقيقة من أهل السنّة كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية (٢) .

وذكر صاحب مختصر التحفة: « أن الذين كانوا في وقت خلافة الأمير - رضي الله عنه - من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان كلهم عرفوا له حقه ، وأحلوه من الفضل محله ، ولم ينتقصوا أحداً من إخوانه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فضلاً عن إكفاره وسبه » (٣) .

ولكن لم يظل التشيع هكذا ، بل تغير ، وظهر غلو في التشيع في طور آخر فاصبح الشيعي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير، وطلحة، ومعاوية، وطائفة ممن حارب علّياً - رضي الله عنه - وتعرض لسبهم .

وأصبح الشيعي الغالي في زمننا وعُرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ، ويتبرأ من الشيخين فهذا ضال مفتر ، ومن سلك هذا فهو رافضي (٤) .

---

(١) منهاج السنّة (٢ / ١٠٦) ط مكتبة الرياض الحديثة .
(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٣) .
(٣) مختصر التحفة الاثنى عشرية / لشاه عبدالعزيز الدهلوي ـ اختصار / محمود شكري الالوسي ـ تحقيق : محب الدين الخطيب (ص٣) ـ المطبعة السلفية ـ ط الثانية ١٣٨٧هـ) .
(٤) انظر:ميزان الاعتدال/للذهبي ـ تحقيق: علي محمد البجاوي (١/ ٦) .

المبحث الثاني
فرق الشيعة وألقابها

المطلب الأول
فرق الشيعة

حفلت كتب المقالات والفرق بذكر فرق الشيعة وطوائفهم ، والملفت للنظر هو كثرة هذه الفرق ، وتعددها بدرجة كبيرة حتى تكاد تنفرد الشيعة بهذه السمة ، أو قُل : بهذا البلاء ، فبعد وفاة كل إمام من الأئمة عند الشيعة تظهر فرق جديدة ، وكل طائفة تذهب في تعيين الإمام مذهباً خاصاً بها ، وتنفرد ببعض العقائد والآراء عن الطوائف الأخرى ، وتدعي أنها هي الطائفة المحقة (١) .

قال الإمام المقريزي (٢) : « ثم اختلفوا ـ أي الشيعة ـ في الإمامة اختلافاً كثيراً حتى بلغت فرقهم ثلاثمائة فرقة » (٣) .

وقد ذكر المسعودي (٤) : « أن فرق الشيعة بلغت ثلاثاً وسبعين فرقة » (٥) .

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية / للقفاري (١ / ١١٠) .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن عليّ بن عبد القادر بن محمد المقريزي ، إمام ، مؤرخ ، محدّث ، ولد في القاهرة سنة ٧٦٦هـ ، أصله من بعلبك ، ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك في أيامه) ولي في القاهرة الحسبة والخطابة ، والإمامة مرات ، من مصنفاته : « تجريد التوحيد المفيد ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » وغيرها ، توفى في القاهرة سنة ٨٤٥هـ . انظر : شذرات الذهب / لابن العماد (ج٧ / ٢٥٤-٢٥٥) ، المجلد الرابع ، الضوء اللامع / للسخاوي (ج٢ / ٢١) ، المجلد الأول ، الأعلام / للزركلي (١ / ١٧٧) ، معجم المؤلفين / كحالة (١ / ٢٠٤) برقم / ١٥٢٦ .

(٣) الخطط / للمقريزي (٢ / ٣٥١) .

(٤) هو أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي ، من ذرية ابن مسعود ، مؤرخ ،رحالة، بحاثة، من أهل بغداد ، أقام بمصر وتوفى فيها سنة ٣٤٥هـ أو ٣٤٦هـ ، قال الذهبي : « عداده في أهل بغداد، ونزل بمصر مدة وكان أخباريًا ، صاحب مُلح وغرائب وعجائب وفنون ، وكان معتزليًا »، وقال ابن حجر: « كتبه طافحه بأنه كان شيعيًا معتزليًا » ، من تصانيفه: «مروج الذهب» ، وغيرها ، انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٥ / ٥٦٩) ، لسان الميزان /لابن حجر (٤ / ٢٥٨) ، فوات الوفيّات / للكتبي (٣ / ١٢-١٣) ، برقم / ٣٣٦ ، النجوم الزاهرة / للاتابكي (٣ / ٣١٥-٣١٦) ، الأعلام/ للزركلي (٤ / ٢٧٧) .

(٥) مروج الذهب / للمسعودي – تحقيق : محي الدين عبد الحميد (٣ / ٢٢١) – دار الفكر ، بيروت ، لبنان – ط الخامسة (١٣٩٣هـ)، (٣ / ٢٠٩)،دار الأندلس – بيروت – لبنان – ط الخامسة(١٩٨٣م) .

والسبب في عدم اتفاق العلماء على عدد فرق الشيعة هو أن فكرة التشيع قد جذبت إليها كثيراً من أهل الأهواء والأغراض، وهؤلاء بدأوا يُدخلون في الإسلام ما لا يتفق مع الإسلام بل بما يتفق مع هواهم، فاضافوا إلى الفكر الشيعي أفكاراً جديدة أسهمت في كثرة تفرق من ينتسب إلى التشيع. وهذه الكثرة والظهور المتتابع جعلت العلماء لا يتفقون في عددهم، ومن هنا بدأ علماء الفرق يسجلون ما يصل إليهم عن عدد فرق الشيعة ، فجاء عدّهم غير منضبط لتجدد الأفكار الشيعية وتقلبها (١).

ومع كثرة فرقها وتشتتها إلا أنها أنحصرت في ثلاثة اتجاهات أو أصول للفرق الشيعية ، وقد أشار إلى ذلك كثير من أصحاب المقالات ، منها :

قول الإمام ابن حزم - رحمه الله - وهو يتكلم عن شنع الشيعة : « أهل الشنع من هذه الفرقة ثلاث طوائف: أولها الجارودية (٢) من الزيدية ، ثم الإمامية من الرافضة ، ثم الغالية » (٣).

وذكر الإمام الأشعري - رحمه الله - أن أصول فرق الشيعة ثلاث فرق : الغالية ، والرافضة « الإمامية » ، والزيدية (٤).

وذكر البغدادي أربعة أصناف وهي: « زيدية ، وإمامية ، وكيسانية (٥) ، وغلاة ،

---

(١) انظر : فرق معاصرة / لغالب عواجي (١ / ١٤٢) .

(٢) الجارودية: هي فرقة من فرق الشيعة ، أصحاب أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي الهمذاني الخراساني ، يقولون بان الرسول عليه الصلاة والسلام نص على إمامة علي رضي الله عنه بصفته لا باسمه ، ويسوقون الإمامة إلى الحسين رضي الله عنه ثم بعد ذلك سوى بينهم ، كفروا الصحابة لتركهم بيعة علي رضي الله عنه ، اختلفوا في الإمام المنتظر. انظر : التنبيه والرد / للملطي (ص٣٥) ، الفرق بين الفرق / للبغدادي (ص٢٢ ، ٢٣) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان / لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي (ص٦٦ ، ٦٧) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / للرازي (ص٦١ ، ٦٢) .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥ / ٣٥) .

(٤) مقالات الإسلاميين (١ / ٦٦ ، ٨٨ ، ١٤٠) .

(٥) الكيسانية: من غلاة الشيعة، تقول بإمامة محمد بن الحنفية، وسميت بالكيسانية نسبة للمختار بن أبي عبيد الثقفي ، لأن لقبه " كيسان "، وكذلك تسمى بالمختارية عند بعض أصحاب الفرق ، وقد أدعى المختار نزول الوحي عليه ، وقال بالبداء ، وضلالات أخرى ، وقيل إن الكيسانية سميت بذلك نسبة إلى رجل يقال له : كيسان ، وهو مولى لبطن من بجيلة في الكوفة ، وقيل : مولى لعلي بن أبي طالب ... والكيسانية فرق بلغت عند الأشعري إحدى عشرة فرقة . ويرجع محصّلها ـ كما يرى البغدادي ـ إلى =

وافترقت الزيدية فِرقاً ، والإمامية فِرقاً ، والغلاة فِرقاً، كل فرقة منها تكفر سائرها، وجميع فرق الغلاة منهم خارجون عن فِرَق الإسلام » (١) .

وسار على منهج الإمام الأشعري في تقسيم فِرَق الشيعة الرئيسية إلى ثلاث ، طائفة من كُتاب الفِرَق وغيرهم مثل الإمام الرازي حيث سماها زيدية ، وإمامية ، وكيسانية (٢) .

ومثل الإمام الاسفراييني (٣) في كتابه التبصير في الدين، وكذلك ابن المرتضى حيث قال : « والشيعة ثلاث : زيدية ، وإمامية ، وباطنية » (٤) .

وقال الإمام الإيجي : « أصولهم ـ أي الشيعة ـ ثلاث فرق : غلاة ، وزيدية ، وإمامية » (٥) .

وشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الذي صنف الشيعة إلى ثلاث درجات ، شرها الغالية ، وهم الذين يجعلون لعلي ـ رضي الله عنه ـ شيئاً من الألوهية ، أو يصفونه

= فرقتين : فرقة تقول : إن محمد بن الحنفية لم يمت وهو المهدي المنتظر ، وفرقة أخرى ينقلون الإمامة بعد موته إلى غيره ، ويختلفون بعد ذلك في المنقول إليه. انظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة / لأبي محمد اليمني (٢ / ٤٨١) ، الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ١٤٥) مقالات الإسلاميين/ للأشعري (١ / ٩١) الفرق بين الفرق / للبغدادي (ص٢٨) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل / لابن حزم (٥ / ٣٥ ، ٣٦) ، المنية والأمل / لأحمد بن المرتضى (ص٩٠)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / للرازي (ص٩٣-٩٥) ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ مصر ط بدون (١٣٩٨هـ) .

(١) الفرق بين الفرَق (١٥ ، ١٦) .

(٢) اعتقادات فرَق المسلمين والمشركين(ص٧٧) ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١٣٩٨هـ).

(٣) هو أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني ،ثم الطوسي الشافعي وقيل كان اسمه : (شهفور بن طاهر ابن محمد) فقيه ، أصولي ، متكلم على طريقة الأشاعرة ، من مصنفاته : « التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الهالكين » وغيره ، توفي سنة ٤٧١هـ بطوس. انظر: سير أعلام النبلاء/ للذهبي (١٨ / ٤٠١) ، طبقات الشافعية/ للسبكي (٥ / ١١) برقم/ ٤٢٠ ، الأعلام/ للزركلي (٣ / ١٧٩)، (٣ /٢٢٣) معجم المؤلفين / كحالة (١ /٨٢١) برقم / ٦٠٧٣ .

(٤) المنية والأمل في شرح الملل والنحل / لأحمد بن يحيى المرتضى ـ تحقيق : محمد جواد مشكور (ص٢٣) .

(٥) المواقف في علم الكلام (ص٤١٨) .

بالنبوة ، والدرجة الثانية وهم الرافضة ، والدرجة الثالثة المفضلة من الزيدية وغيرهم الذين يفضلون علياً - رضي الله عنه - على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، ولكن يعتقدون إمامتهما وعدالتهما ويتولونهما (١) .

فبهذا يتبين أن فرق الشيعة الكثيرة هي متفرعة من أصولها الثلاثة المنحصرة فيها وهي :

[١] الاثنا عشرية : (٢)

وهي فرقة الإمامية الرافضة ، وهي أكبر هذه الطوائف اليوم كما كانت تمثل أكثرية الشيعة وجمهورها في بعض فترات التاريخ .

وقد وصفهم طائفة من علماء الفرق (بجمهور الشيعة) ، وممن نعتهم بهذا :

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣ / ٣٣ ، ٤٣) .

(٢) الإثنا عشرية نسبة إلى الأئمة الذين يتخذهم الشيعة الإمامية أئمة لهم ، ويتسلسلون على النحو التالي :

[١] علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويلقبونه بالمرتضى (ت : ٤٠هـ) .
[٢] الحسن بن علي رضي الله عنهما ، ويلقبونه بالمجتبى (ت: ٥٠هـ) .
[٣] الحسين بن علي رضي الله عنهما، ويلقبونه بالشهيد (ت : ٦١هـ) .
[٤] علي زين العابدين بن الحسين ، ويلقبونه بالسَّجَّاد (ت : ٩٥هـ) .
[٥] محمد الباقر بن علي زين العابدين ، ويلقبونه بالباقر (ت : ١١٤هـ) .
[٦] جعفر الصادق بن محمد الباقر ، ويلقبونه بالصادق (ت : ١٤٨هـ) .
[٧] موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، ويلقبونه بالكاظم (ت : ١٨٣هـ) .
[٨] علي الرضا بن موسى الكاظم ، ويلقبونه بالرضي (ت : ٢٠٣هـ) .
[٩] محمد الجواد بن علي الرضا ، ويلقبونه بالتقي (ت : ٢٢٠هـ) .
[١٠] علي الهادي بن محمد الجواد ، ويلقبونه بالنقي (ت : ٢٥٤هـ) .
[١١] الحسن العسكري بن علي عبدالهادي ، ويلقبونه بالزكي (ت : ٢٦٠هـ) .
[١٢] محمد المهدي بن الحسن العسكري ، ويلقبونه بالحجة القائم المنتظر ، وهو الذي يزعمون أنه في سرداب سامراء كذباً وافتراءاً وتضليلاً . أخزاهم الله .

بينما الإسماعيلية يفترقون مع الإمامية من بعد الإمام السادس ويقولون بولاية : إسماعيل بن جعفر . انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١ / ٥٥ ، ٥٦) .

الإمام الأشعري [١] ، والمسعودي [٢] ، وعبدالجبار الهمداني [٣] ، وابن حزم [٤] ، وغيرهم .

وقد ذكر الإمام الأشعري ـ رحمه الله ـ أن الرافضة الإمامية افترقت أربعًا وعشرين فرقة [٥] .

ونجد أن مصادر الاثني عشرية الإمامية في الحديث والرواية قد استوعبت معظم آراء الفرق الشيعية التي خرجت في فترات التاريخ المختلفة إن لم يكن كلها فأصبحت هذه الطائفة هي الوجه المعبر عن الفرق الشيعية الأخرى ، ومصطلح الشيعة في زماننا إذا أطلق فيقصد به طائفة الاثنى عشرية الإمامية الرافضة .

فقد أصبحت الواجهة الرئيسية والوجه البارز للتشيع في عصرنا الحاضر ، وهم القائمون على نشر هذا المذهب الرافضي والممول له بشتى الطرق والأساليب وقد تحقق لهم الكثير مما أرادوه في العالم الإسلامي وذلك لما يبذلونه من مساعدات مادية ومعنوية .

فتعتبر هذه الطائفة أشهر فرق الشيعة ، وأكثرها انتشاراً في العالم ، وإليها ينتمي أكثر الشيعة في إيران والعراق وباكستان وغيرها من البلدان التي وصلت إليها العقيدة الشيعية ، ولهم نشاط ملموس في كثير من البلدان في الآونة الأخيرة حيث توغلوا إلى أماكن من بلدان المسلمين ما كان لهم فيها ذكر .

وهم مجموعة من الطوائف المختلفة الآراء بعضها معلن وبعضها مستتر ويجمعهم هدف عام وهو علو المذهب الاثني عشري الجعفري الذي زعم الخميني أن أتباعه يبلغون ٢٠٠ مليون شيعي كان النواة الأولى فيها لمذهب التشيع ، هو الرسول ﷺ

---

(١) مقالات الإسلاميين (١ / ٩٠) .
(٢) مروج الذهب (٤ / ١٩٩) .
(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج٢٠) ـ القسم الثاني في الإمامة (ص١٧٦) .
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥ / ٣٨) ، (٤ / ١٥٨) .
(٥) مقالات الإسلاميين (١ / ٨٨) .

- على حسب زعمه - وعلي ابن أبي طالب وخديجة ، حيث بدأ الرسول ﷺ - حسب زعمه - يدعو للتشيع من نقطة الصفر [١] .

وهذا كذب وافتراء منه ، ومن كل شيعي يقول هذا أو يعتقده .

[٢] غالية الشيعة :

وإنما سموا الغالية لأنهم غلو في علّي - رضي الله عنه - وقالوا فيه قولاً عظيماً ، وهم خمس عشرة فرقة [٢] .

وهذه الغالية هم طائفة الإسماعيلية،ومن الاسماعيلية أنبثق فرق الباطنية جميعها .

[٤] الزيـــديـــة :

وهذه الفرقة هي أقرب الفرق الشيعية إلى أهل السُّنَّة إذ أنها لا تقول بكل مقالات الشيعة سواء الغلاة أو الإمامية الرافضة، بل بينهم خلافات حادة في كثير من الآراء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « فالزيدية خير من الرافضة : أعلم وأصدق وأزهد وأشجع » [٣] ، وقال الشيخ محمد أبو زهرة - رحمه الله - في الزيدية - : « هذه الفرقة هي أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية وأكثر اعتدالاً وهي لم ترفع الأئمة إلى مرتبة النبوة ، بل لم ترفعهم إلى مرتبة تقاربها ، بل اعتبروهم كسائر الناس ، ولكنهم أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ .

ولم يكفروا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ،وخصوصاً من بايعهم علّي - رضي الله عنه - واعترف بإمامتهم » [٤] .

وهذا يعتبر في الحكم العام على الزيدية ،فإن بعضهم أصبحوا رافضة إمامية، وقد قسم أبو زهرة الزيدية من حيث الاعتقاد إلى قسمين هما :

---

(١) انظر : كتاب ولاية الفقيه (ص ١٣٦-١٣٧) ، نقلاً عن فرق معاصر تنتسب إلى الإسلام / لغالب علي عواجي (١/ ١٦٧) .

(٢) مقالات الإسلاميين / للاشعري (١ / ٦٦) .

(٣) منهاج السُّنَّة النبوية (٢ / ٩٦) ـ مكتبة ابن تيمية .

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية (٤٢) .

[١] المتقدمون منهم ، المتبعون لاقوال زيد ، وهؤلاء لا يعدون من الرافضة ، ويعترفون بإمامة الشيخين أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ .

[٢] وقسم من المتأخرين منهم ، وهؤلاء يعدون من الرافضة وهم يرفضون إمامة الشيخين ويسبونهما ويكفرون من يرى خلافتهما [١] .

وهذا يحتاج من الزيدية إعادة نظر ليتقاربوا مع إخوانهم أهل السُّنَّة ، وإلا أصبحوا في صف الإمامية الرافضة ، وعموماً فإن مذهبهم في الإمامة يحصرونه في أولاد فاطمة فقط من غير تحديد بأحد منهم ، وإنما يشترطون أن يكون كل فاطمي اجتمعت فيه خصال الولاية من الشجاعة والسخاء والزهد ، وخرج ينادي بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن ، أو الحسين [٢]، عكس الأثنى عشرية الذين حصروا الأئمة في أولاد الحسين فقط [٣] .

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية (ص٤٦) .

(٢) الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي ، سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، ولد سنة أربع من الهجرة ، وشهد الجمل وصفين مع أبيه ، وقاتل معه الخوارج وبقي معه حتى قُتل ، ثم رجع المدينة وبقي فيها حتى ارسل إليه اهل العراق بيعتهم بعد موت معاوية فخرج إليهم وكان من أمر مقتله ، ذكر البخاري ان الحسين قتل بكربلاء ودفن حيث قتل ، وكان مقتله سنة ٦١هـ وعمره ٥٦ عاماً ، انظر الإصابة (٢/٢٤٨-٢٥٣) ترجمة رقم / ١٧٢٠ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ، أسد الغابة (٢/٢٥-٣٠) ترجمة رقم / ١١٧٣ ، سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٨٠وما بعدها)،فتح الباري(٧/١١٨-١٢٠)، مجموع الفتاوى (٤/٥٠٧ ـ ٥٠٩) ، تهذيب التهذيب(١/٢١٦) رقم ١٣٣٩ .

(٣) انظر : الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ١٥٣ ، ١٥٤) ، فرق الشيعة / للنوبختي (ص٤٣) .

المطلب الثاني
ألقاب الشيعة

[١] **الشيعة** : وذلك لمشايعتهم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ والشيعة ترغب أن تُلقب نفسها بهذا الاسم اعتماداً على ما جاء في القرآن الكريم من مدح ، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الصافات:٨٣] فيقولون : إن المراد من الآية أن إبراهيم عليه السلام من شيعة علي،وهو نابغ من عقيدتهم بتفضيل الأئمة على الأنبياء، مع أن المراد من الآية أن إبراهيم من شيعة نوح عليهما السلام [١]، وعلى منهاجه وسنته ، وهنا يظهر التناقض عندهم ووقوعهم في نقيض القصد فهم يزعمون أن القرآن الموجود بين أيدينا ليس هو القرآن المنزل من عند الله – أي أنه حُذِفَ منه أشياء –، فكيف يستدلون به على قواعدهم وأصولهم؟،ولذا كان السلف ـ رحمهم الله ـ يتجنبون إطلاق لفظ التشيع على أنفسهم بالمعنى اللغوي [٢].

[٢] **الإمامية** : وذلك لقولهم بوجوب الإمام والحاجة إليه في أمر الدين والدنيا ، أو لقولهم بأن رسول الله ﷺ قد نص على الخليفة الإمام من بعده بالإسم ، أو لقولهم بالإمامة عموماً بأنها ركن الدين وقاعدة الإسلام ، وأنها من العقائد، وأن الإمام يعتمد في تنصيبه على النص والتعيين لا على البيعة والاختيار.

قال الإمام الأشعري ـ رحمه الله ـ في تسميتهم بالإمامية : « وهم يُدْعَون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب » [٣] .

ومن أصحاب المقالات : من قال بأن « تسميتهم الإمامية » لأنهم يزعمون أن

(١) انظر : أصول الدين / للبغدادي (ص٢٩٨) ، منهاج السُّنَّة / لابن تيمية (١/١٧٧) ، ط. مكتبة الرياض الحديثة ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير (٤/١٤) ، فتح القدير / للشوكاني (٤/٤٩٦)، روح المعاني في تفسير القرآن / للألوسي (١٢/١٠) .
(٢) منهاج السُّنَّة (٢ / ٦٧) ط مكتبة الرياض الحديثة .
(٣) مقالات الإسلاميين (١ / ٨٩) .

الدنيا لا تخلو من إمام إمّا ظاهراً مكشوفاً، وإما باطناً موصوفاً [١] ، ويقول أيضاً ابن المرتضى : والإمامية « سميت بذلك لجعلها أمور الدين كلها إلى الإمام وأنه كالنبي ولا يخلو وقت من إمام إذ يحتاج إليه في الدين والدنيا وهم يرضون هذا الاسم ويختارونه لأنفسهم » [٢] .

وقال الإمام الشهرستاني ـ رحمه الله ـ : « الإمامية هم القائلون بإمامة علّي رضي الله عنه نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين » [٣] .

فغلاة الشيعة تجعل قول الإمام كقول الله سبحانه وتعالى ، فما رواه الإمام عندهم يجوز أن يقول الراوي عنه قال الله تعالى ، فلذا غلب عليهم التسمي بهذا الاسم ، وقيل سموا بالإمامية لقولهم بالإمام المنتظر [٤] .

[٣] **الرافضة** [٥] : وسموا بهذا الاسم لرفضهم لإمامة أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وقيل لرفضهم مقالة زيد بن علي ـ رضي الله عنهما ـ حيث والى أبا بكر وعمر، وذلك أن جماعة منهم أتوا إليه فقالوا له: ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيراً ، فقالوا : كيف وقد نازعوكم أمركم ؟ ، قال : ما سمعت أحداً من أهل بيتي يذكرهما إلا بخير ، فرفضوا مقالته وتفرقوا عنه ، فلما أدبروا رفع يده إلى السماء فقال : اللهم اجعل اليوم لعنتي ولعنة أبائي عليهم فإنهم رفضوني كما رفضت الخوارج علّي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فسموا بذلك رافضة .

ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ تسميتهم بالرافضة لرفضهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وعندنا لتحقيق فهم لم يرفضوا زيداً إلا لأنه

---

(١) المنية والأمل / لابن المرتضى (ص٨٩) .
(٢) المصدر السابق (ص١٠٠) .
(٣) الملل والنحل (١ / ١٦٣) .
(٤) أصول الكافي / للكليني (١ / ٥٣) .
(٥) فرق الشيعة / للنوبختي (ص٦٢ ، ٦٣) ، مقالات الإسلاميين / للاشعري (١ / ٨٩) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / للرازي (ص٥٩-٦٠) ، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة / لابي محمد اليمني (١ / ٤٤٦) ، منهاج السُّنَّة / لابن تيمية (٢ / ٩٦) مكتبة ابن تيمية .

أثنى خيراً على الشيخين ـ رضي الله عنهما ـ وقيل إنهم سموا رافضة لتركهم محبة الصحابة ، ولرفضهم دين الإسلام (١) .

[٤] **الإثنا عشرية** : ظهر هذا الاسم للشيعة بعد وفاة الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ حيث إنه قبل وفاة الحسن لم يكن أحد يقول بإمامة المنتظر الثاني عشر ، ولا عرف من زمن علي ودولة بني أمية أحد ادعى إمامة الاثنى عشر (٢) .

فسموا بهذا الاسم لزعمهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ (٣) .

[٥] **أصحاب الانتظار** : لقولهم بالإمام المنتظر الغائب وأنه سوف يخرج ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، ولذا فإن من عاداتهم أن يخرجوا ويضربوا الطبول والبوقات ، ويقرؤا أمام المشاهد والقبور مطولات أطلقوا عليها إسم الزيارات التي توضح معتقد الشيعة في قيام الإمام المنتظر المزعوم ، حيث يقفون ويقولون باسم الله يا صاحب الزمان ، باسم الله اخرج فقد ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا أوان خروجك فيفرق الله بك بين الحق والباطل (٤) .

[٦] **القطعية والواقفية** : وسموا بذلك لقطعهم بموت موسى (٥) بن جعفر

---

(١) مقالات الإسلاميين / للأشعري (١ / ٨٩ ، ٩٠) ، الملل النحل / للشهرستاني (١ / ١٥٥) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / للرازي (ص٥٩-٦٠) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان / للسكسكي (ص٣٦) ، المنية والأمل / لابن المرتضى (ص١٠٠ ، ١٠١) ، منهاج السُنّة / لابن تيمية (٢ / ١٣٠) ـ ط مكتبة الرياض الحديثة ، (٢ / ٩٦) ـ مكتبة ابن تيمية .

(٢) انظر : منهاج السُنّة / لابن تيمية (٤ / ٢٠٩) ط مكتبة الرياض الحديثة .

(٣) أصول الكافي / الكليني (١ / ٤٥٢) ، مقالات الإسلاميين / للأشعري (١ / ٩٠-٩١) ، الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ١٦٩-١٧٠-١٧١) ، الفرق بين الفِرَق (ص٤٧) ، مختصر التحفة الاثنى عشرية / لشاه عبدالعزيز الدهلوي ـ تحقيق: محب الدين الخطيب(ص٢١) ـ الرياسة العامة لإدارة البحوث ـ الرياض ـ السعودية ـ ط بدون (١٤٠٤هـ).

(٤) فرق الشيعة / للنوبختي (ص١٠٢ ، ١٠٣) التبصير في الدين / للأسفرائيني (ص٣٧) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / للرازي (ص٦٨ ، ٦٩) .

(٥) هو أبو الحسن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ولد سنة ١٢٨هـ بالأبواء قرب المدينة ، ثقة صدوق ، إمام من أئمة المسلمين ، =

الصادق ، وهو أبو المهدي المنتظر في زعمهم ، وقيل لقولهم بتوقف الإمامة بموت الإمام ثم القطع برجعة المهدي (١) .

[٧] **الجعفرية:** نسبة إلى جعفر بن محمد الصادق، وهذا الاسم من أحب الأسماء إليهم لزعمهم أن مذهب الجعفرية من أحسن المذاهب وأوسعها، وفي الحقيقة أن الإمام جعفر يتبرأ من أقوالهم وأفعالهم،وما ينسبونه إليه كذباً وزوراً (٢).

[٨] **الرجعية** : وذلك لقولهم بموت الإمام ورجعته (٣) .

[٩] **السبئية** : لأن عبد الله بن سبأ وأصحابه ، هم أول من غالى في حق علي ـ رضي الله عنه ـ حيث قالوا له : أنت أنت قال : ومن أنا ؟ قالوا الخالق الباري ، فاستتابهم فلم يرجعوا ، فأوقد لهم ناراً وأحرقهم وقال مرتجزاً :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً   أججت ناري ودعوت قنبراً

فلذلك يعتقدون أن علياً لم يمت حتى أنهم عندما جاءهم نعي علي ـ رضي الله عنه ـ قالوا : لو أتيتمونا بدماغه في سبعين قارورة لم نصدق بموته ، ويزعمون أنه في السحاب (٤) .

وغلوا فيه حتى قالوا بإلهيته وفسروا قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ

صالحاً ، عابداً ، جواداً ، حليماً ، كبير القدر ، نسب إليه الشيعة روايات باطلة كاذبة ، وهو يتبرأ منها ، يعده الشيعة الرافضة الإمامية سابع الأئمة الاثني عشر ، مات سنة ١٨٣هـ ببغداد مسجوناً . انظر : وفيات الأعيان / لابن خلكان (٥ /٣٠٨-٣١٠) برقم/ ٧٤٦ ، ميزان الاعتدال / للذهبي (٤ / ٢٠١) برقم / ٨٨٥٥ ، الأعلام / للزركلي (٧ / ٣٢١) .

(١) مقالات الإسلاميين / للاشعري (١ / ٩٠ ، ٩١) ، الملل والنحل/ للشهرستاني (١ / ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١) ، التبصير في الدين / الاسفرائيني (ص٣٩) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٦٦ ، ٦٧)، الفرق بين الفرَق / البغدادي (ص٤٧)، والمنية والأمل / لابن المرتضى (ص١٠٢) .

(٢) انظر : الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ١٦٦ ،١٦٧) .

(٣) مختصر التحفة الاثنى عشرية (ص٢٠) ـ ط إدارة البحوث ـ الرياض (١٤٠٤هـ) .

(٤) مقالات الإسلاميين / الأشعري (١ /٨٦-٨٨) ، الفرق بين الفرَق / للبغدادي (ص١٥) ، الملل والنحل / للشهرستاني (١٧٧) ، التنبيه والرد / للملطي (ص٢٩) ، الملل والنحل الواردة في كتاب الأنساب / للإمام أبي سعيد عبدالكريم السمعاني ، جمع وترتيب : عبد الله بن صالح البراك (ص٤٠) ـ دار الوطن للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) .

﴿فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، بأن علياً هو الذي يأتي في الظلل ، والرعد صوته ، والبرق تبسمه (١) .

[١٠] **الحلولية** : لزعمهم أن أرواحهم متولدة من الله القديم ، وأن البدن لباس لا روح فيه (٢) .

[١١] **الباطنية** : لقولهم بأن الناس يعلمون علم الظاهر ، والإمام يعلم علم الباطن ، وأولوا آيات القرآن تأويلات غريبة ، وجعلوا هذه التأويلات هي علم الباطن الذي عند الإمام (٣) .

ومن الألقاب التي تطلقها الشيعة على نفسها لقب الخاصة ، المؤمنين ، الناس ، فالشيعة تلقب نفسها بالخاصة والطائفة المؤمنة ، ويلقبون أهل السُّنَّة والجماعة بالعامة الذين لا خلاق لهم بل هم عندهم كفار لا تحل ذبائحهم ، وتستباح دمائهم وأموالهم (٤) .

---

(١) الملل والنحل / للشهرستاني (١ / ١٥١ ، ١٥٢) .
(٢) التنبيه والرد / الملطي (ص٣٤) .
(٣) انظر الملل والنحل / الشهرستاني (١ / ٢٠١) .
(٤) انظر : الكافي / لمحمد بن يعقوب الكليني ، شرح محمد صالح المازندراني ، تعليق : أبو الحسن الشعراني (١ / ٨) ـ المكتبة الإسلامية ـ طهران ـ إيران ـ ط بدون (١٣٨٤هـ) ، تحرير الوسيلة / الخميني (١/١١٨) ـ ط الثالثة (١٣٩٧هـ) من فرق الشيعة الذين قالوا بالوهية علي ـ رضي الله عنه ـ : « السبئية ، المغيرية ، البيانية ، الجناحية ، المنصورية ، الخطابية ، الحلولية » ، انظر : الفرق بين الفرَق / البغدادي (ص٢٢٣ـ٢٥٠) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان / السكسكي (ص٦٩ـ٨٥)) .

المبحث الثالث

مصادرهم في التلقي والاستدلال وموقفهم من مصادر أهل السُنّة

بما أن أصول فرق الشيعة ثلاثة وهي غلاة وإمامية وزيدية فسنتكلم عن مصادر التلقي والاستدلال عند الشيعة الإمامية الرافضة لأن الغلاة من طائفة الاسماعيلية لا تكون من فرق الإسلام ، وأما الزيدية فهم في مصادر التلقي والاستدلال كالمعتزلة لأنهم في العقائد معتزلة وقد سبق بيان ذلك (١) ، ومنهم من يوافق أهل السُنَّة .

فنوضح مصادر التلقي والاستدلال عند الإمامية الرافضة الاثنى عشرية ، وموقفهم من مصادر أهل السُنَّة .

---

(١) المبحث الرابع من الفصل الرابع .

المطلب الأول
مصادرهم في التلقي والاستدلال

ويشمل على أربع فروع :

الفرع الأول : أئمتهم ورجالهم :

وهو يعتبر مصدراً أساسيًا عند الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ، والمراد بالقداسة هنا أي رفع الأئمة فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها ، معتقدين أن لهم من القداسة الذاتية المكتسبة ما يستوجب الخضوع لهم والإذعان لأوامرهم دون عرضها على الكتاب والسُّنَّة قد يكون ذلك لعدم حجيتها عند الشيعة الرافضة ، فقد يتوجهون إلى الولي ــ على حسب زعمهم ــ ويظنون أنه المصدر الوحيد لتلقي دينهم عنه، فالشيعة تعتقد بعصمة أئمتها ، وكذلك الاسماعيلية وسائر فرق الباطنية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله - : « إنما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة ..... فالرافضة تزعم أن الاثنى عشر معصومون من الخطأ والذنب ، ويرون هذا من أصول دينهم » [١] .

ويعتقد الشيعة الإمامية أن أقوال ائمتهم الاثنى عشر كأقوال الله ورسوله ﷺ ، وذلك لأن الإمامة عندهم استمرار للنبوة ، فمن ضروريات مذهبهم وأركان دينهم وفحواه عندهم أن رسول الله ﷺ قد بلغ جُزءاً من الشريعة وكتم الباقي وأودعه الإمام علياً ــ رضي الله عنه ــ فأظهر علي ــ رضي الله عنه ــ منه جزءاً في حياته ، وعند موته أودعه الحسن وهكذا كل إمام يظهر منه جُزءاً حسب الحاجة ثم يعهد بالباقي لمن يليه .

ولذلك يقول المجلسي [٢] وهو من أعيان الشيعة : « اعلم أن الإمامية رضي الله عنهم على

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ٦٧) .

(٢) هو محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني المجلسي ، ولد سنة ١٠٣٧هـ بأصفهان ، علاّمة إمامي شيعي ، فقيه ، مؤرخ ، ترجم إلى الفارسية مجموعة كبيرة من الأحاديث ، له تصانيف كثيرة ، منها : ((بحار الأنوار أكثر من ٢٥ جزءاً في مباحث مختلفة ، ومرآة العقول في أخبار الرسول ، الحق اليقين في أصول الدين)) توفي بأصفهان سنة ١١١٠ وقيل ١١١١هـ . انظر : الأعلام للزركلي (٦ / ٤٨) ، معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة (٣ / ١٥٤) برقم / ١٢٣٤٩ .

عصمة الأئمة من الذنوب صغيرها وكبيرها فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا لخطأ في التأويل ، ولا للإسهاء من الله سبحانه وتعالى » (١) .

ويقول آخر: « إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي ﷺ كما هو الحال عند أهل السُّنَّة » (٢) .

وبذلك خالفوا مذهب أهل السُّنَّة الذين يجوزون الخطأ والسهو على الأنبياء والرسل ، وقد ورد في السُّنَّة النبوية ما يشير إلى ذلك في وقائع صدرت من الرسول الكريم ﷺ كما قال تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة:٤٣] ، وما ورد في عتابه عن أخذه الفداء من أسارى معركة بدر ، وغير ذلك مما هو معروف في الكتاب والسُّنَّة وأقوال علماء المسلمين .

ولكن الشيعة الرافضة تجعل الأئمة أفضل حتى من الرسل .

يقول الخميني: « فإن للإمام مقاماً محموداً ، ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول ﷺ والأئمة كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله بعرشه محدقين »(٣) .

ولو طلب من هؤلاء الذين يدعون عصمة أئمتهم أن يأتوا بدليل واحد من القرآن أو من السُّنَّة النبوية أو عن الصحابة ، أو عن إجماع الأمة لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

---

(١) بحار الأنوار / للمجلسي (ج٢٥ / ٢١١) ط الثالثة ـ إيران ، أصول الكافي / للكليني ـ تعليق : علي أكبر الغفاري (٢ / ٢٧١ ، ٢٧٢) ، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة / لعبد الله الفياض (ص١٤٥) ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٣٩٥هـ) ، كشف الأسرار / للخميني ـ تقديم الدكتور : محمد علي الخطيب (ص١٧٥ ، ١٧٦) .

(٢) تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة / لعبد الله الفياض (ص١٤٠) .

(٣) انظر : الحكومة الإسلامية / الخميني (ص٥٢) ط إيران (١٣٨٩هـ) .

الفرع الثاني : العقل :

كان الشيعة في بداية أمرها لم تعتمد على المعقولات والمناظرات فلمّا زعموا أن أغلب الصحابة قد غيروا وبدلوا بعد موت رسول الله ﷺ ، وأن الأيدي قد امتدت إلى القرآن بالتحريف ـ على حسب زعمهم ـ عمدوا إلى الاعتماد على العقل وذلك لنصرة مذهبهم ومعتقداتهم المنحرفة ، وهم بهذا يناقضون معتقدهم في أئمتهم معتمدين على الأدلة العقلية ضاربين بالأدلة النقلية عرض الحائط .

قال الطوسي (١) عند تقريره لعصمة الأنبياء من القبائح جميعها صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها على طريق العمد والنسيان وعلى كل حال ، فيرد على من جوز وقوع المعاصي منهم بقوله :« وأما الذين جوزوا وقوع المعاصي من الأنبياء استناداً إلى ظواهر النصوص مثل قوله تعالى :﴿ وَعَصَىٰٓ آدَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه : ١٢١] ، إنه قد بين خطأ هؤلاء في تفسيره للقرآن الكريم ، ويكتفي هنا بأن يقرر أن الظواهر يجب أن تنبني على أدلة العقول لا العكس ، أي لا يصح أن تنبني أدلة العقول على ظواهر النصوص ، والواضح الصحيح في هذه المسألة هو أن دليل العقل قد أوجب أن الأنبياء لا يجوز عليهم فعل القبيح ، فإذن يجب أن تؤول الآيات التي يفيد ظاهرها ذلك » (٢) .

معتمدين في التأويل على العقول ولم يكن لهم مستند شرعي من المنقول ، وهم بهذا يناقض بعضهم بعضًا ، وهذا ديدن أهل البدع عند استدلالهم لمذهبهم

(١) هو : أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، ولد سنة ٣٨٥هـ ، هو عند الشيعة شيخ من شيوخ الإمامية ورئيس الطائفة ، أعرض عنه الحفاظ لبدعته ، له مؤلفات منها : ((تهذيب الأحكام ، والاستبصار ، وهما من أهم الكتب عند الشيعة (كالكتب الستة عند أهل السُّنَّة) ، وفهرست كتب الشيعة)) ، توفي سنة ٤٦٠هـ بالنجف . أنظر: الكنى والألقاب / للقمي (٢ / ٣٥٧) ، لسان الميزان /لابن حجر (٥ / ١٥٣) برقم/ ٧٢٣٧ ،سير أعلام النبلاء/ للذهبي (١٨ / ٣٣٤ ، ٣٣٥) ، الأعلام / للزركلي (٦/ ٨٤) .

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد / لمحمد بن الحسن الطوسي (ص٢٦٢) ـ دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٩٨٦م) ، والشافي في شرح أصول الكافي / لعبد المحسن أية الله العظمى المظفر (١/ ٥٠-٨١) ـ مطبعة الغري الحديثة ـ النجف ـ العراق ـ ط الثاني (١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م) .

ومعتقدهم ، ولهذا يتخذون تلك القاعدة العقلية التي تقول : « كل ماحكم به العقل حكم به الشرع » ، أي أن المستقلات العقلية التي لايجد العقل إلا بداً من قبولها أو رفضها فالشرع يحكم بذلك (١) .

فالشيعة الرافضة أصبحت تزعم أن المعطيات العقلية هي أكثر المعطيات إتباعاً وقبولاً وهي التي تغنيهم عن السير أشواطاً وراء الخيالات .

يقول الموسوي (٢) : « إننا نحن كمسلمين وكأمة نعتقد بأن المعطيات العقلية هي أكثر المعطيات اتباعاً وقبولاً وهي التي تغنينا عن السير أشواطاً وراء السراب ، ونحن الشيعة بالذات قد اتخذنا المذهب العقلي جزءاً من استنباط أحكامنا الفقهية... » (٣) .

وهذا تناقض لأقوالهم في أئمتهم ومغالطة ، إذ يجعلون الأئمة هم مصدر الدين والعقيدة فهم كمن يسعى إلى الجمع بين المتناقضات فلا يقدر على ذلك .

الفرع الثالث : الروايات والآثار الضعيفة أو الموضوعة :

فأهل البدع والأهواء والضلال من الشيعة وغيرهم يعتمدون على الكذب ، ولذلك يكثر استدلالهم بالمكذوبات والآثار الضعيفة ، وما لا أصل له .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « وهذا في البدع الكبار مثل الرافضة والجهمية فإن الذي وضع الرفض كان زنديقاً ابتدأ تعمد الكذب الصريح الذي يعلم أنه كذب ، كالذين ذكرهم الله من اليهود الذين يفترون على الله الكذب وهم

---

(١) انظر : الشيعة والتصحيح / لموسى الموسوي (٨١-٩١) .

(٢) هو موسى الموسوي حفيد أبي الحسن الموسوي الأصفهاني ، ولد في النجف سنة ١٩٣٠م ، عمل أستاذاً للاقتصاد الإسلامي في جامعة طهران ١٩٦٠م ، ١٩٦٢م ثم عمل أستاذاً للفلسفة الإسلامية في جامعة بغداد ١٩٦٨م ـ ١٩٧٨م، ثم انتخب رئيساً للمجلس الأعلى الإسلامي في غرب أمريكا منذ ١٩٧٩م، له عدة مؤلفات ، منها : ((من الكندي إلى ابن رشد ، إيران في ربع قرن ، فلاسفة أوربيون ، الثورة البائسة ، الجمهورية الثانية ، الشيعة والتصحيح ..)) . انظر : ترجمته في خاتمة كتابه الشيعة والتصحيح .

(٣) الشيعة والتصحيح (ص٨١ فما بعده) .

يعلمون » [١] .

فاعتماد الشيعة الرافضة الإمامية على الروايات الضعيفة أو الموضوعة أمر ظاهر ، وتضع الحديث لتؤيد مذهبها [٢] ، ثم ترويه عن أئمتهم ويعدون مروياتهم في قسم المتواتر الذي لا يقبل الشك [٣] . بل قد يعارض دليلاً صحيحاً بآخر لا أصل له .

الفرع الرابع : التلقي عن الأمم الضالة والفرق الهالكة :

إن هذا المصدر لا تكاد توجد فرقة افترقت عن الأمة المحمدية أو عن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ، إلا واستقت من هذا المصدر ، فهو مصدر أصيل لمعظم الفرق الضالة ، حيث إنه بعد توسع الفتوحات الإسلامية ودخول الناس في دين الله أفواجاً من سائر الأديان والنحل ، أدى ذلك إلى اختلاط المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات السابقة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ، ولعل أبرز مثل يصور هذا الأثر ما حصل على يد عبد الله بن سبأ اليهودي من الفتن والبدع التي خاض الناس فيها وما زال أتباعه إلى الآن .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧ / ٤٤٥) .

(٢) انظر: الاسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة/ لملاعلي القاري ـ تحقيق الدكتور: محمد لطفي الصباغ ـ برقم / ٢٠٩ .

(٣) انظر : الاستبصار في الحديث عن الجبر والإختيار / لمحمد حسن الطوسي (ص٣ ، ٤) ـ دار الكتب العلمية ـ طهران ـ إيران ـ ط بدون (١٣٩٠هـ) .

المطلب الثاني

موقفهم من مصادر التلقي عند أهل السُنّة

أما المصادر الأساسية عند أهل السُنَّة والجماعة فلا تقولُ معظم الشيعة بحجيتها إلا بشرط وهو : أن يكون هناك قيّم وهو من أئمتهم الأثنى عشر ، ونبين ذلك في الفروع الآتية :

الفرع الأول : القرآن الكريم وموقفهم منه :

قد يوجد فيهم من يطعن في صحته . وإذا اصطدم بشيء من معتقداتهم يؤولونه تأويلات عجيبة ، تتفق مع مذهبهم (١) .

أو يعتقدون بعدم حجيته إلا بقيّم ، وأكبر دليل هو قول شيخ الشيعة الرافضة ومن يسمونه (ثقة الإسلام) الكليني (٢) ، يروي في كتابه(*) : أصول الكافي

---

(١) الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الإثنى عشرية / لمحب الدين الخطيب (ص٧٠) ط الثالثة (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني البغدادي من أكابر علماء الإمامية الشيعة ، يعد من أكابر الأئمة عندهم ، ويعد عالماً متعمقاً محدثاً ثقة عندهم ، اتفقت الشيعة على تفضيل كتابه (الكافي) والأخذ منه والثقة بخبره ، وأخذ الأحكام منه ، فهو يعد عندهم بمنزلة كتاب صحيح البخاري عند أهل السُنَّة ، من مؤلفاته : ((الكافي ، والعقل وفضل العلم)) وغيرها ، توفي سنة ٣٢٩هـ بغداد . أنظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٥ / ٢٨٠) الأعلام / للزركلي (٧ / ١٤٥)، معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة (٣ / ٧٧٥) برقم ١٦٤١٩ .

(*) أصح الكتب عند الإمامية الاثني عشرية ثمانية (وهي الكتب الأساسية) يسمونها ((الجوامع الثمانية) وبعضهم يطلق عليها ((صحاح الإمامية الثمانية)) يقول أحد علمائهم)) : وأما صحاح الإمامية فهي ثمانية: أربعة منها للمحمدين الثلاثة الأوائل، وثلاثة بعدها للمحمدين الثلاثة الأواخر ، وثامنها لحسين النوري الطبرسي)) ـ أصول مذهب الشيعة / القفاري(١ / ٣٥٣) .

فالأربعة الأولى هي :

[١] الكافي / لمحمد بن يعقوب الكليني ت : ٣٢٩هـ ، وهو أصح كتب الشيعة ـ عندهم ـ وهو عندهم أعظم من صحيح البخاري عند أهل السُنَّة ، وقد زعموا أنه عرضه على الإمام الغائب فقال عنه : كاف لشيعتنا.

[٢] من لا يحضره الفقيه / لمحمد بن بابوية القُمّي الملقب عند الشيعة بالصدوق . ت : ٣٨١هـ .

والذي هو عندهم كصحيح البخاري عند أهل السُّنَّة ، يروي ما نصه : « أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيّم.. وأن علياً ـ رضي الله عنه ـ كان قيّم القرآن وكانت طاعته مفترضة ، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله ﷺ » (١) .

كما توجد هذه المقالة أيضاً في طائفة من كتبهم المعتمدة كرجال الكشي (٢) ، وعلل الشرائع (٣) ، وغيرها .

وقال الكليني: إن الإمام عليًا رضي الله عنه قال : « ذلك القرآن فاستنطقوه فلن ينطق لكم أخبركم عنه .... » (٤) .

---

[٣] تهذيب الأحكام / لمحمد بن الحسن الطوسي ت : ٤٦٠هـ .

[٤] الإستبصار في الحديث عن الجبر والإختيار / لمحمد بن الحسن الطوسي.. وهذه الكتب الأربعة قال عنها شيخهم الفيض الكاشاني :((إن مدار الأحكام الشرعية اليوم على هذه الأصول الأربعة، وهي المشهود عليها بالصحة من مؤلفيها)) .

ويقول آخر : ((إن كون مجموع ما بين دفتي كل واحد من هذه الكتب الأربعة من حيث المجموع متواتراً مما لا يعتريه شك ولا شبهة ، بل هي عند التأمل فوق حد التواتر)) . انظر : انتصار الحق مناظرة علمية مع بعض الشيعة الإمامية / مجدي محمد علي محمد ـ ص٢٧٠-٢٧١ – دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٨هـ – ١٩٩٧م)، وهذا الكلام مبالغ فيه جداً ، إذ يوجد في هذه الكتب وغيرها من كتبهم الكثير الكثير من الأحاديث المكذوبة والموضوعة والمفتراة عن رسول الله ﷺ وعن الأئمة ، وإنما الغاية من افترائها واختلاقها نصر مذهبهم الباطل . ويلي تلك الكتب الأربعة عندهم بقية الكتب الثمانية وهي :

[٥] الوافي / لشيخهم محمد الفيض الكاشاني ت: ١٠٩١هـ .

[٥] بحار الأنوار لدرر الأخبار للأئمة الأطهار / لمحمد باقر المجلسي : ت : ١١١١هـ ، وقد الف منه ٢٦ مجلداً فقط ثم أكمل من غيره من علماء الشيعة ، واليوم الكتاب وصل إلى ١١١ مجلداً .

[٧] وسائل الشيعة لشيخهم محمد بن الحسن الحر العاملي ت: ١١٠٤هـ .

[٨] مستدرك الوسائل / لحسين النوري الطبرسي ت : ١٣٢٠هـ . أنظر:انتصار الحق مناظرة علمية مع بعض الشيعة الإمامية / مجدي محمد علي (ص٢٧٠، ٢٧١) .

(١) أصول الكافي (١ / ١٨٨) .

(٢) أنظر : رجال الكشي (ص٤٢٠) – نقلاً عن أصول مذهب الشيعة / للقفاري (١/١٥٦).

(٣) أنظر : علل الشرائع / لابن بابوية القمي (ص١٩٢) ـ المكتبة الحيدرية ومطبعتها ـ النجف ـ العراق ـ ط الثانية (١٣٨٥هـ) .

(٤) أصول الكافي (١ / ٦١) .

وفي نهج البلاغة المنسوب لعلي ـ رضي الله عنه ـ والذي هو عند الشيعة لا ينكر نسبته إليه ، جاء النص التالي : « فالقرآن أمر زاجر ، وصامت ناطق ، حجة الله على خلقه ... » [١] .

ولهذا جعلوا مصدرهم الوحيد هم الأئمة المعصومين ـ على حسب زعمهم ـ وكذلك لا عتقادهم بأن الأئمة اختصوا بمعرفة القرآن لا يشركهم فيه أحد .

فإنه مما علم من الإسلام بالضرورة أن علم القرآن لم يكن سراً تتوارثه سلالة معينة، ولم يكن لعلي ـ رضي الله عنه ـ اختصاص بهذا دون سائر صحابة رسول الله ﷺ وأن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ هم الطليعة الأولى الذين حازوا شرف تلقي هذا القرآن عن رسول البشرية محمد ـ ﷺ ـ ونقله إلى الأجيال كافة، ولكن الشيعة تخالف هذا الأصل وتعتقد أن الله سبحانه قد اختص أئمتهم الأثنى عشر بعلم القرآن كله،وأنهم اختصوا بتأويله، وأن من طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضل[٢] .

جاء في أصول الكافي للكليني: « إن الناس يكفيهم القرآن لو وجدوا له مفسراً ، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فسره لرجل واحد ، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب » [٣] .

وجاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله أنزل عليّ القرآن وهو الذي من خالفه ضل،ومن يبتغي علمه عند غير علّي هلك »[٤] .

ويعتقدون بأن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر لا تفسّرها إلا أئمتهم ، جاء في أصول الكافي للكليني ما نصه : ... عن محمد بن منصور قال : « سألت عبداً

---

(١) نهج البلاغة المنسوب لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ تحقيق : صبحي الصالح (ص٢٦٥) ـ دار الكتاب اللبناني ـ ط بدون (١٣٨٧هـ) .

(٢) انظر : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية / للقفاري (١ / ١٦٢) .

(٣) أصول الكافي (١ / ٢٥٠) ، ووسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة / لمحمد بن الحسن الحر العاملي ـ تحقيق : عبدالرحيم الشيرازي (١٨ / ١٣١) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الخامسة ـ(١٤٠٣هـ) .

(٤) وسائل الشيعة (١٨ / ١٣٨) ، وأنظر : بحار الأنوار / للمجلسي(٧ /٣٠٢) ، (١٩ /٢٣) .

صالحاً عن قول الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] ، قال : فقال : إن القرآن له ظهر وبطن ، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر ، والباطن من ذلك أئمة الجور ، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر ، والباطن من ذلك أئمة الحق » (١) ، وهذا كله تحريف لكلام الله ـ عز وجل ـ إذ التأويل لابد أن يرجع فيه إلى القرآن أو إلى السُّنَّة ، أو إلى أقوال الصحابة ، أو إلى اللغة العربية ، فيكون بقرائنه المعروفة عند أهل التأويل .

وقد استغل الشيعة الرافضة جانب التأويل المحرف كغيرهم من الباطنية والمبتدعة استغلالاً كبيراً ، ووجدوا فيه متسعاً لبث سمومهم وعقائدهم الفاسدة ، فأي باب يجدون فيه بث عقائدهم يسلكونه .

ويسعون إلى حصر مصادر التشريع في أئمتهم ، ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف سلكوا طريق التأويل الفاسد فجنوا به على الإسلام والمسلمين .

قال محب الدين الخطيب (٢) ـ رحمه الله ـ : « وحتى القرآن الذي كان ينبغي أن يكون المرجع الجامع لنا ولهم على التقارب نحو الوحدة ، فإن أصول الدين عندهم ، قائمة على جذورها على تأويل آياته ، وصرف معانيها إلى غير ما فهمه منها الصحابة عن النبي ﷺ ، وإلى غير ما فهمه منها أئمة الإسلام عن الجيل الذي نزل عليه القرآن » (٣) .

ولما كان الله قد تعهد بحفظ دينه في حفظ كتابه الكريم جاءت تأويلاتهم مفضوحة ومكشوفة لكل ذي عينين ، وفضحهم الله شر فضيحة بين الثقلين ، ومن

(١) أصول الكافي (١ / ٣٧٤) .

(٢) هو محب الدين بن أبي الفتح محمد ابن عبدالقادر بن صالح الخطيب ، من كبار الكتاب الإسلاميين ، ولد في دمشق سنة ١٣٠٣هـ ، خرج من دمشق وحكم عليه الأتراك بالإعدام غيابياً ، ولما جلا العثمانيون عن دمشق عاد إليها عام ١٩١٨م ، وفر بعد دخول الفرنسيين سنة ١٩٢٠م فاستقر في القاهرة من مؤلفاته : ((الرعيل الأول في الإسلام ، اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب ، الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الاثنى عشرية)) وغيرها ، توفي عام ١٣٨٩هـ الموافق ١٩٦٩م) . انظر : الأعلام / للزركلي (٥ / ٢٨٢) ، معجم المؤلفين / كحالة (٣ / ١٦) برقم / ١١٣٦٤ .

(٣) الخطوط العريضة (ص١٣) .

أبرز تأويلاتهم المفضوحة :

أولاً : أنهم أوّلوا الساعة بعلي بن أبي طالب [١] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قوله تعالى ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾ [الفرقان : ١١] .

والثاني : أوّلوا الكفر والفسوق، والعصيان، بالخلفاء الثلاثة [٢]، في قوله تعالىٰ : ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات : ٧] ، أجارنا الله من الزيغ والضلال .

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب [٣] ـ رحمه الله ـ فيهم: « فانظر إلى سخافة رأي هؤلاء الأغبياء ، يختلقون ما يرده بديهة العقل وصراحة النقل ، وقولهم هذا مستلزم تكذيب ما ثبت قطعاً في الآيات والأحاديث .. لكن سلب الله عقولهم وخذلهم في الوقيعة في خلص أوليائه لشقاوة سبقت لهم » [٤] .

وهذا يدل على خطورة معتقد الشيعة في الإمامة ، ودفاعهم عن ذلك المعتقد كان له أثر كبير في دفع بعض الشيعة إلى تبني أفكار خطيرة حول القرآن والسُّنَّة والصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ فشككوا في القرآن [٥]

الفرع الثاني : السنّة وموقفهم منها :

الشيعة لا يعتمدون إلا الأحاديث المنسوبة لآل بيت الرسول ـ ﷺ ـ وبعض الأحاديث المرويّة عمّن كانوا مع علي ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ في معاركه السياسية ،ويرفضون ما

---

(١) انظر: بحار الأنوار / للمجلسي (٢٤ / ٣٣١) .

(٢) انظر : أصول الكافي / للكليني (١ / ٤٢٦) .

(٣) هو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي التميمي، الإمام، العالم، العلامة ، المجدد ، ناصر السُّنَّة ، وقامع البدعة ، الداعي ، المجاهد ، ولد سنة ١١١٥هـ في العيينة من بلاد نجد ونشأ بها ، كان أبوه قاضي العيينة وفقيهها ، له عدة مؤلفات منها : ((كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، أصول الإيمان ،كشف الشبهات، مختصر السيرة النبوية)) وغيرها ، توفي في الدرعية سنة ١٢٠٦هـ . أنظر : المجد في تاريخ نجد / عثمان بن بشر النجدي (١/٨٩ ــ ٩٦) ــ مكتبة الرياض الحديثة ــ ط بدون ، علماء نجد خلال ثمانية قرون البسام (١/١٢٥-١٥٥) ، الأعلام / للزركلي (٦/٢٥٧) .

(٤) رسالة في الرد على الرافضة،تحقيق د/ناصر بن سعد الرشيد،دار طيبة للنشر والتوزيع،الرياض(ص٢٢)

(٥) انظر : الشيعة والقرآن / لإحسان إلهي ظهير .

سوى ذلك. ولا يهتمون بصحة السند، ولا الأسلوب العلمي فكثيراً ما يقولون مثلاً: (عن محمد بن إسماعيل عن بعض أصحابنا عن رجل عنه أنه قال ..)، وكتبهم مليئة بعشرات الآلاف من الأحاديث التي لا يمكن إثبات صحتها. وقد بنوا عليها دينهم. وبذلك أنكروا أكثر من ثلاثة أرباع السُّنَّة النبوية. وهذه من أهم نقط الخلاف بينهم وبين سائر المسلمين (١). (٢).

ومفهوم الشيعة الرافضة للسنة أو الخبر الذي يحتجون به هو: «كل كلام صدر عن معصوم، أو وصل إليهم بواسطة معصوم آخر» وعرفها بعضهم بقوله: «هي كل ما يصدر عن المعصوم من قول أو فعل أو تقرير» (٣).

ونصوا في دستورهم على أن السُّنَّة هي «سنة المعصومين سلام الله عليهم».، لا سنة رسول الله ﷺ المعصوم وحده (٤).

والمعصوم إذا أطلق عند الشيعة الرافضة ليس هو الرسول - ﷺ - فحسب وإنما هم الأئمة الإثنا عشر بما فيهم المهدي المنتظر، ولا فرق عندهم بين قول الرسول - ﷺ - وقول أي إمام من أئمتهم الأثنى عشر في أن قول الكل حجة، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله.

يقول ابن بابويه (٥) القُمي «ونعتقد فيهم - عليهم السلام - أنّهم جاءوا بالحق

---

(١) الخطوط العريضة / لمحب الدين الخطيب (ص٧١، ٧٢).

(٢) لقد ألف الأستاذ / إحسان إلهي ظهير كتباً تبين موقف الشيعة من القرآن والسُّنَّة وهي بعنوان «الشيعة والقرآن، والشيعة والسُّنَّة» وغيرها.

(٣) الأصول العامة للفقه المقارن / لأحمد تقي عبدالحكيم (ص١٢٢) دار الأندلس - بيروت - لبنان - ط الأولى (١٩٧٩م).

(٤) الدستور الإسلامي لجمهورية إيران (ص٢٠) - انظر: مسألة التقريب بين أهل السُّنَّة والشيعة / للدكتور: ناصر القفاري (١ / ٢٥٥).

(٥) هو محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمّي، أبو جعفر الملقب عند الشيعة بالصدوق، محدث إمامي كبيرة من رؤوس الإمامية، ولد سنة ٣٠٦هـ، لهد نحو ثلاثمائة مصنف سائرة بين الرافضة، منها: «الاعتقادات، عيون أخبار الرضي، دين الإمامية» وغيرها، توفي سنة ٣٨١هـ في الري ودفن بها. انظر: سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٦ / ٣٠٣-٣٠٤)، الأعلام / للزركلي (٦ / ٢٧٤)، معجم المؤلفين / كحالة (٣ / ٥٠٧) (برق ١٤٦٨٧).

من عند الحق،وأنّ قولهم قول الله وأمرهم أمر الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله وأنهم ـ عليهم السلام ـ لم ينطقوا إلا عن الله وعن وحيه » (١) .

ويروي الكليني عن أبي عبد الله قال :« حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ ، وحديث رسول الله ـ ﷺ ـ قول الله عز وجل» (٢) ، وعلى هذا فإنه يجوز لمن سمع حديثاً من أحد أئمتهم أن يرويه عن أي إمام آخر أو عن الله لأنه في معتقدهم معصوم .

وفي إبطال دعواهم أن كل إمام من أئمتهم قوله حجة يقول الألوسي (٣) ـ رحمه الله ـ : « وقالوا : وقول كل واحد من أولئك ـ الأئمة ـ حجة فضلاً عن إجماعهم وأن الأرض لا تخلوا عن واحد منهم حتى يرث الله الارض ومن عليها ، ولا يخفى أنّ دون إثبات ما قالوه خرط القتاد » (٤) .

الفرع الثالث : الإجماع وموقفهم منه :

فموقف الشيعة الرافضة من الإجماع متناقض متضارب ، يبطل جزءُه كلّه ، فهم أثبتوا الإجماع ثم اشترطوا له شرطاً وجعلوا هذا الشرط هو الحجة ، بحيث لو انفرد

---

(١) الاعتقادات (اعتقادات الصدوق) / لابن بابويه (ص٧٧) ـ منشورات الأعلمي للمطبوعات ـ بيرت ـ لبنان .

(٢) الكافي(١ / ٥٣) ـ انظر:جهود أبي الثناء الالوسي في الردّ على الرافضة/للدكتور: عبد الله البخاري (ص٢٠٢) ـ دار بن عفان للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ مصر ـط الأولى (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م) .

(٣) هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي ، شهاب الدين ، أبو الثناء ، مفسر ، محدث ، أديب ، من المجددين من أهل بغداد ، مولدُه في بغداد سنة ١٢١٧هـ ، كان سلفي الاعتقاد ، مجتهداً ، تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ ، وعزل ثم انقطع للعلم ، من مصنفاته : ((روح المعاني في التفسير)) توفي ببغداد سنة ١٢٧٠هـ . انظر : جلاء العينين / لابن الألوسي نعمان خير الدين (ص٤٣ـ٤٥) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، الاعلام/للزركلي (٧ / ١٧٦) ، معجم المؤلفين / كحالة (٣ /٨١٥) برقم / ١٦٦٢٩) .

(٤) جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة للدكتور : عبد الله البخاري (ص٢٠٣) .

هذا الشرط لكفى في الحجية ، أما لو حصل الإجماع بدون هذا الشرط فإنه لا قيمة للإجماع حينئذٍ ، وهذا الشرط الذي اشترطوه هو(وجود الإمام المعصوم ضمن المجتمعين) ، فلو أجمعت الأمة كلها على أمرٍ ما ، ولم يكن من بينها إمام معصوم فإنّ إجماعها ليس بحجة، لأن الحجة في قول الإمام المعصوم وليس في إجماع الأمة .

والمسألة يمكن تخريجها بناء على عقيدة الشيعة الرافضة ، فإنّ عصمة الإمام ـ بزعمهم ـ تقتضي أنّ كلامه ككلام رسول الله ـ ﷺ ـ ، فكما أن أهل السُّنَّة لا قيمة للإجماع عندهم في حياة رسول الله ـ ﷺ ـ فكذلك الرافضة لا قيمة للإجماع عندهم مع وجود المعصوم ، وبما أنهم يعتقدون أنّ الأرض لاتخلو لله من حجة إلى قيام الساعة ، فما الحاجة إلى إجماع الأمة ، ولكنهم لمّا لم يستطيعوا التصريح بهذه الخرافة ، أثبتوها بطريقة ملتوية كعادتهم ، فقالوا : « الإجماع حق لأنا نوجب المعصوم في كل زمان وهو سيد الأمة فالحجة في قوله »(١) ، فثبت بهذا أن الشيعة الرافضة ينكرون الإجماع .

قال الإمام الألوسي ـ رحمه الله ـ : « كون الإجماع حجة عندهم ليس بالأصالة بل لكون قول المعصوم في ضمنه ، فالمدار على قول المعصوم »(٢) .

فالحجية عندهم على المعصوم لا على الإجماع .

ويقول ـ رحمه الله ـ : « وأما الإجماع ـ أي عند الشيعة الرافضة ـ فبطلانه أظهر لأن ثبوته فرع ثبوت الشرع ، وإذا لم يثبت الاصل لا يثبت الفرع »(٣) .

وإذا كان المستند للإجماع هو الكتاب والسُّنَّة ، والشيعة الرافضة لا يكونان عندهم حجة إلا بشروطهما المعروفة سابقاً فيكيف يثبت الفرع بدون أصله .

(١) مبادئ الوصول إلى علم الاصول / لابي منصور الحسن بن يوسف الحلي ـ تحقيق : عبد الحسين محمد ابن علي البقال (ص١٩٠) مطبعة الآدب ـ النجف ـ العراق ـ ط الأولى (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م) .
(٢) انظر : جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة / لعبد الله البخاري (ص٢٢٩ ، ٢٣٠) .
(٣) المصدر السابق (ص٢٣٠) .

المبحث الرابع

موقف الشيعة الأثنى عشرية من الشفاعة

ويشمل على مطلبين :

المطلب الأول

موقفهم من شفاعة الرسول ﷺ

إن الشيعة الإمامية أتباع المعتزلة في كثير من أصول الدين يخالفونهم في أصل الوعيد بشطريه ، ففي جانب الأسماء جنح الإمامية الأثنا عشرية إلى مذهب المرجئة ، ففسروا الإيمان بالتصديق القلبي واللساني ، أو التصديق القلبي وحده ، ولم يخرجوا مرتكبي الكبائر عن الإيمان إلى الفسق كما فعلت المعتزلة .

وفي جانب الأحكام جوزوا العفو عن مرتكبي الكبائر بالشفاعة وغيرها ، وأجمعوا على أن الخلود في النار مختص بالكافر ، وأنكروا الإحباط بين الطاعة والمعصية أو الثواب والعقاب (١) .

قال العلامة الحلي (٢) : « اتفق المسلمون على ثبوت الشفاعة لنبينا ـ ﷺ ـ واختلفوا فذهبت المعتزلة إلى أن الشفاعة إنما هي للمؤمنين في زيادة المنافع ، وذهب

---

(١) انظر : الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد / للطوسي (١٩٢-١٩٣- ٢٠٦-٢٢٧) ، الإلهيات / لجعفر السبحاني ، إعداد حسن العاملي (٢ /٨١١-٨١٤-٨٤٧-٨٦٢-٩٠٥) الدار الإسلامية .

(٢) هو الحسن ـ ويقال ـ الحسين بن يوسف ابن علي بن المطهر الحلي ، جمال الدين أبو منصور، من ائمة الشيعة ، نسبته إلى الحلة (في العراق) ، ولد فيها سنة ٦٤٨هـ ، له كتب كثيرة ، منها ((تبصرة المتعلمين في أحكام الدين ، تهذيب طريق الوصول إلى علم الأصول ، مناهج اليقين في أصول الدين ، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة ـ وهو الكتاب الذي رد عليه ابن تيمية في منهاج السنة، وكان يسميه ابن المنجس))عكس شهرته توفي في الحلة سنة ٧٢٦هـ. انظر : الوافي بالوفيات / للصفدي (١٣ / ٥٤) برقم / ٣٧٢٥ ، البداية والنهاية / لابن كثير (ج١٤ / ١٢٩ ، ١٣٠) ، المجلد السابع ، الدرر الكامنة / لابن حجر (٢ / ٧١) برقم / ١٦١٨ ، النجوم الزاهرة / الأتابكي (٩ / ٢٦٧) ، الأعلام / للزركلي (٢ / ٢٢٧) .

غيرهم إلى أنها تكون للفساق في سقوط عقابهم ، وهو الحق عندي » (١) .

وقال المفيد : « اتفقت الإمامية على أن الوعيد بالخلود في النار متوجه إلى الكفار خاصة دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة ، وأنهم بارتكاب الكبيرة لا يخرجون عن الإسلام ، وإن كانوا يفسقون بما فعلوه من الكبائر والآثام » (٢) .

وهذا القول في ظاهره موافق لمذهب أهل السُّنَّة ، لكنهم خرجوا عن تحقيق هذا المذهب من طريق آخر ، حيث توسعوا في مفهوم الكفر والمكفرات، ولذلك « اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار ، وأن على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البينات عليهم ، فإن تابوا عن بدعهم وصاروا إلى الصواب وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان ، وأن من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار » (٣) .

واتفقت على القول بكفر من حارب أمير المؤمنين علياً وأنهم « كفار ضلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين ، وأنهم بذلك في النار مخلدون » (٤) .

وهكذا حكمهم في كل من خالفهم، ولذلك قال ابن بابوية :« واعتقادنا فيمن خالفنا في شيء واحد من أمور الدين كاعتقادنا فيمن خالفنا في جميع أمور الدين»(٥) .

فهم في هذا الباب وعيدية على من خالفهم ، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بأن متأخري الشيعة وعيدية في باب الأسماء والأحكام (٦) .

---

(١) مناهج اليقين في أصول الدين / للحلي (ص٥٢٨) ـ دار الأسوة للطباعة والنشر التابعة لمنظمة الأوقاف والشئون الخيرية ـ ط الأولى (١٤١٥هـ) .

(٢) أوائل المقالات / للمفيد (ص١٤ ، ١٥) .

(٣) أوائل المقالات / للمفيد (ص١٦) .

(٤) المصدر السابق (ص١٠) .

(٥) عقائد الصدوق / لابن بابوية القُمي (ص١١٦) ـ إيران ـ ط الثانية (١٣٢٠هـ) ، والاعتقادات / للمجلسي (ص١٠٠) ـ انظر حاشية عقائد الصدوق .

(٦) مجموع الفتاوى (٦ / ٥٥) .

ويذكر الإمام الأشعري ـ رحمه الله ـ بأن طائفة من الروافض: « يثبتون الوعيد على مخالفيهم ، ويقولون : إنهم يعذبون،ولا يقولون بإثبات الوعيد في من قال بقولهم ، ويزعمون أن الله سبحانه يُدْخلهم الجنة، وإن ادخلهم النار أخرجهم منها » (١) .

فالشيعة الرافضة تعتقد أن النار محرمة على الشيعي إلا قليلاً ، وهذا ما تقوله اليهود في قوله تعالى ، واصفاً قولهم : ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] ، بل إن الشيعة الرافضة تُكفر جميع من خالفها كما سبق وتجعله من أهل النار .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « وأعظم من ذلك من يكفّر من خالفه من المسلمين ، ويرى نجاسة الكفار كما عليه كثير من أهل البدع من أهل الرافضه .. وغيرهم » (٢) .

أما اعتقادهم في أنفسهم فقد أوجبوا الجنة لأنفسهم وذلك لمحبتهم لعلي ـ رضي الله عنه ـ والأئمة ، فالإيمان بالأئمة ومحبتهم يكفي : فلذلك يقولون : « إن الإيمان لا يضر معه سيئة ، والكفر لا ينفع معه حسنه » (٣) ، والإيمان عندهم هو حب الأئمة الأثنى عشر ومعرفتهم .

ويذكر الإمام الأشعري ـ رحمه الله ـ أنهم « رووا عن أئمتهم أن ما كان بين الله وبين الشيعة من المعاصي سألوا الله فيهم فصفح عنهم ،وما كان بين الشيعة وبين الأئمة تجاوزوا عنه ، وما كان بين الشيعة وبين الناس من المظالم شَفَعْوا لهم إليهم حتى يصفحوا عنهم » (٤) .

وهذا المعنى الذي يتحدث عنه الإمام الأشعري ـ رحمه الله ـ قد تبنى المجلسي

---

(١) مقالات الإسلاميين (١ / ١٢٦) .

(٢) الجواب الصحيح (٢ / ١٣) ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) .

(٣) أصول الكافي (٢ / ٤٦٣) .

(٤) مقالات الإسلاميين (١ / ١٢٦) .

إشاعته في باب عَقَدَهُ بعنوان: « باب الصفح عن الشيعة » وذكر فيه سبعاً وتسعين رواية [١]، وبعد ما ذكر هذه الروايات كلها كأنه استقلها فقال: « قد مرت أخبار كثيرة من هذا الباب في أبواب المعاد من الحوض والشفاعة وأحوال المؤمنين والمجرمين في القيامة وغيرها، وأبواب فضائل الأئمة »[٢]، وقد صدّر الباب المذكور بحديث يحكي نفس المذهب الذي أشار إليه الإمام الأشعري، يقول حديثهم: « إذا كان يوم القيامة وُلِّيْنَا حساب شيعتنا، فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله ـ عز وجل ـ حكمنا فيها فأجابنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبين الناس استوهبناها فوهبت لنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنا أحق من عفا وصفح »[٣].

ويذكرون أن علّي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يقف على متن جهنم فيخرج منها من يحب، ويدخل فيها من يبغض، ويأتي أبواب الجنة فيدخل فيها من يشاء بغير حساب[٤].

ويقولون: « إن الشيعة افترقت اثنين وسبعين فرقة، والناجية منها الإثنا عشرية وسائر فرق الشيعة يعذبون في النار ثم يخرجون منها إلى الجنة، وسائر الفرق الإسلامية كلهم مخلدون في النار »[٥].

وهذا باطل وافتراء، والحق ما ذهب إليه أهل السُّنَّة من أن الفِرق غير الناجية من المسلمين لا يخلدون في النار، بل يعذبون فيها على قدر بدعتهم ومعصيتهم.

فخلاصة القول: الشيعة الإمامية الاثنا عشرية وعيدية بالنسبة لمن خالفهم، كما أنهم مرجئة فيمن دان بقولهم.

---

(١) انظر: بحار الانوار للمجلسي (ج٦٨/٩٨/١٤٩).

(٢) المصدر السابق (ج ٦٨/١٤٩).

(٣) المصدر السابق (ج٦٨ / ٩٩)، عيون اخبار الرضا/لابن بابويه القُمي (٢ / ٦٨) ـ ط / طهران ـ إيران (١٣١٨هـ).

(٤) انظر: السيوف المشرقة ومختصر الصواعق المحرقة/ لنصير الدين الشيخ محمد الشهير بخواجة نصر الله الهندي / اختصره وشذبه / السيد محمود شكري الآلوسي، تحقيق /د: مجيد خلف الخليفة (ص٤٦٩) ـ نسخة المحقق.

(٥) المصدر السابق (ص٤٧٠).

المطلب الثاني

موقفهم من شفاعة غيره ﷺ

الشيعة الإثنا عشرية يثبتون الشفاعة لغير الرسول ﷺ وهي لأئمتهم ، وقد تكون أعظم أهمية من غيرها .

فقد غلوا في أئمتهم وأثبتوا لهم الشفاعة على غير الوجه الشرعي وما ذلك إلا لاعتقادهم أن الأئمة الأثنا عشر هم الواسطة بين الله والخلق وقالوا عنهم : « أنهم حُجُبُ الرب والوسائط بينه وبين الخلق » (١) .

وعقد المجلسي باباً في كتابه بعنوان : « باب أن الناس لا يهتدون إلا بهم وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم » (٢) ، فهم بهذا يعظمون أئمتهم أكثر من تعظيمهم لرسول الله ـ ﷺ ـ فيدخلون بذلك الشفاعة الشركية ويطلبون من أئمتهم أحياء وأمواتاً ليشفعوا في الدنيا في أمور الدنيا والآخرة وهو جائز عندهم لا محذور فيه (٣) .

ويقولون: إنه لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة ، ويروون عن أئمتهم القول :« من دعا بنا أفلح ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك » (٤) .

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ خطورة غلوهم في أئمتهم بقوله : « وكذلك الغلاة في العصمة يعرضون عما أمروا به من طاعة أمرهم ، والاقتداء بأفعالهم إلى ما نهوا عنه من الغلو والإشراك بهم ، فيتخذونهم أرباباً من دون الله يستغيثون بهم في مغيبهم وبعد مماتهم وعند قبورهم ، ويدخلون فيما حرَّمه الله تعالى ورسوله من العبادات الشركية التي ضاهوا بها النصارى » (٥) .

---

(١) بحار الأنوار / للمجسي (ج٢٣ / ٩٧) ، انظر : الخطوط العريضة / لمحب الدين الخطيب (ص٧٦) .
(٢) بحار الأنوار/ للمجسي (ج٢٣ / ٩٧) .
(٣) انظر : كشف الإرتياب / للسيد محسن الأمين (ص١٩٧) ـ ط بيروت (١٤١١هـ - ١٩٩١م) .
(٤) بحار الأنوار (٢٣ / ١٠٣) ، وسائل الشيعة (٤ / ١٤٢) .
(٥) منهاج السُّنَّة (ج٢ / ٤٣٥) ـ ط جامعة الإمام ، (٢ / ٤٣٥) ـ مؤسسة قرطبة .

ويقولون عن الأئمة في زيارة مراقدهم : « أشهد أنكم الأئمة الراشدون المهديون المعصومون المكرمون المقربون المتقون الصادقون ، الراغب عنكم مارق واللازم لكم لاحق،والمعترض في حقكم زاهق، والحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم، وأنتم أهله ومعدنه وميراث النبوة عندكم وآيات الخلق إليكم وحسابهم عليكم ، وفصل الخطاب عندكم ، وغرائمه فيكم » (١) .

فشفاعة غير الرسول ﷺ عندهم أعظم درجة من شفاعة الرسول - ﷺ - لأنهم جعلوا لأئمتهم مقدرة في التصرف أكثر من غيرهم ، من نبينا أو سائر الأنبياء ، وذلك ضلال وإفتراء وغلو .

وذكر المجلسي روايات في باب بعنوان :« باب ثواب حبهم - أي الأئمة - وولايتهم وأنهم أمان من النار » (٢) .

ويقولون :« إنهم عليهم السلام يختلفون عن سائر الناس اختلافاً في قدم الخلق وفي الوجود، ولهم مع الرب تعالى مرتبة لا يدانيها ملك مقرب ولا نبي مرسل» (٣).

وجاءت أخبارهم تقول بأن الأئمة يملكون الضمان لشيعتهم بدخول الجنة ، وقد شهدوا بذلك لبعض أتباعهم على وجه التعيين ، فهم يعدون بالثواب (٤) .

وخلاصة القول : أن الشيعة الإمامية يثبتون الشفاعة لغير الرسول - ﷺ - وهي لأئمتهم الأثنى عشر ، ولكنهم يغالون فيها فيجعلونها أهم وأرفع درجة من شفاعة الرسول ﷺ . فغلوهم في أئمتهم وتفضيلهم على سائر الأنبياء ظاهرة في كتبهم القديمة والحديثة ، كالكافي وما كتبه الخميني وغيره.

---

(١) الشيعة والتصحيح / لموسى الموسوي (ص٩٢) .
(٢) بحار الأنوار (ج٢٧ / ٧٣-١٤٤) .
(٣) ولاية الفقيه والحكومة الإسلامية / للخميني (ص ٦١) . نقلاً عن فرق معاصرة / لغالب عواجي (١ / ٢٦١ - ٢٦٢).
(٤) انظر : أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية / د. ناصر القفاري (٢ / ٧٠٠) .

الفصل السابع

الصوفية وموقفهم من الشفاعة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث :

تمهيـــد :

المبحث الأول : تعريف الصوفية وألقابهم ، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : تعريف الصوفية لغةً واصطلاحاً .
- المطلب الثاني : ألقاب الصوفية .

المبحث الثاني : أقســام الصـوفيــة .

المبحث الثالث : مصادر الصوفية في التلقي والاستدلال ، وفيه أربعة مطالب :

- المطلب الأول : الأحلام والرؤى والمنامات .
- المطلب الثاني : الذوق والكشف وإيحاء الشياطين .
- المطلب الثالث : آراء الرجال وتحكيم العقل .
- المطلب الرابع : التلقي من مصادر شتى من أهل الكتاب والمجوس والفلاسفة وغيرهم.

المبحث الرابع: موقف الصوفية القبورية من الشفاعة ، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول : موقفهم من الشفاعة لأهل الكبائر .
- المطلب الثاني : موقفهم من شفاعة الصالحين .

الفصل السابع

الصوفية وموقفهم من الشفاعة

تمهيد :

الصوفية كانت في بداية أمرها عبارة عن دعوة إلى الزهد وشدة العبادة وهي كانت عبارة عن رد فعل مضاد للإنغماس في الترف وغيره ، وهذه هي صوفية ممدوحة كان السلف يسلكونها ، لأنها متصلة بالعبادة المشروعة دون الغلو المفرط الخارج عن الحق إلى البدع .

والحقيقة أن الزهد في الدنيا بدون مبالغة وتنطع أمر مشروع في الإسلام ، إلا أن المتصوفة بالغوا فيه حتى أدخلوا فيه تدريجياً عناصر من المذاهب والفلسفات الأجنبية المخالفة للإسلام .

والصوفية التي نبحثها هنا هي الصوفية التي خرجت عن الحق إلى الغلو متأثرة بشتى الأفكار المنحرفة التي هي في الواقع أفكار بدعية طرأت على المسلمين في غياب الوعي الإسلامي وبروز الجهل ، وعلماء السوء المغرمين بالخرافات ، وحب الزعامة وهي ذات مفاهيم خاطئة مضطربة تأثرت بمسالك منحرفة ، وبالغت فيها إلى الهوس والإضطراب الفكري الشنيع .

وطرقوا مسائل ليست من الإسلام في شيء ، ولم يقل بها أحد من المسلمين ، وأظهروها بزخرفهم على أنها من الإسلام بما قدموه من تقليب الأدلة وإثارة الشبه والتفنن في الاستدلال والجواب ، وقال غلاتهم بوحدة الوجود [1] ، والحلول

(١) وحدة الوجود : عقيدة إلحادية هندية كما قال بها فلاسفة اليونان القدماء ، وتبعهم عليها بعض المذاهب الفلسفية المعاصرة وغلاة الصوفية ، تقوم هذه المقولة على الوحدة الذاتية لجميع الأشياء مع تعدد صورها في الظاهر ، أنظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٢ / ١١٧٨) .

والإتحاد (١) والكشف (٢) وغير ذلك من الأمور التي طرقها كبار دعاة غلاة الصوفية القبورية .

وهكذا أصبح مذهب الصوفية الغلاة بعد أن لَبَّسَ إبليس على أتباعه خليطًا من شتى الأفكار والآراء المنحرفة ، حيث يظهر فيه جلياً غلو الشيعة ، ومبادئ المذاهب المنحرفة وشركيات الديانات الأخرى .

وقد ذكر ابن الجوزي - رحمه الله - كلاماً طويلاً في هذا فقال : « وكان أصل تلبيس إبليس عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل ، فلمّا أطفأ مصباح العمل عندهم تخبطوا في الظلمات . فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم ، وشبهوا المال بالعقارب ، ونسوا أنه خُلق للمصالح ، وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع . وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة .

وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا

---

(١) الحلول : هو اعتقاد وزعم أن الله يحل في أجساد بعض الخاصة كالأنبياء والأولياء ، مما يكسبهم بعض الصفات الإلهية ، الاتحاد : هو أحد العقائد الوثنية الدخيلة على عالمنا الإسلامي ، حيث تلغي الفرق بين الخالق والمخلوق ، فهو زعم من يقولون بأن الذات الإلهية تتحد بالذات الإنسانية دون حلول فيها ، وهو يتسع ليشمل من هم أقل درجة من الأنبياء والأولياء ، انظر : المواقف والمخاطبات / محمد عبدالجبار بن الحسن النفري (ص٥) ، التعرف لمذهب أهل التصوف / للكلاباذي (ص١٢٧-١٥٦) مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (بدون تاريخ) ، الفلسفة الصوفية في الإسلام / عبدالقادر محمود (ص٣٩٨) ، معجم مصطلحات الصوفية / عبدالمنعم الحفني (ص٨٢) دار المسيرة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٩٨٠م) ، التصوف في الميزان / الدكتور : مصطفى غلوش (ص٦٧) ـ دار النهضة ـ القاهرة ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٢ / ٩٥٣) ، (٢ / ١٠٥٩) ، مختصر معارج القبول / هشام آل عقدة (ص٧٠) .

(٢) الكشف هو الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً ، والمراد به هنا أن أهل البدع يزعمون إدراك العوالم العلوية والسفلية عياناً كرؤية الملائكة والأنبياء والإطلاع على اللوح المحفوظ . . يقول أحد شيوخ الصوفية (اعلم أني إذا تعرفت عليك لم أقبل من السُّنّة إلا ما جاء به تعرفي ، لأنك من أهل مخاطبتي ، تسمع مني وتعلم أنك تسمع مني وترى الأشياء كلها مني) ، انظر: المواقف والمخاطبات / لمحمد النفري (ص٢٢ ، ٢٣) ، التوقيف على مهمات التعاريف / محمد عبدالرؤوف المناوي (ص٦٠٤) ، معجم مصطلحات الصوفية (ص٢٢٥) .

يدري . ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع ، والفقر ، والوساوس ، والخطرات ، وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي .

وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة ، والسماع ، والوجد ، والرقص والتصفيق ، وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة .

ثم ما زال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً ، ويتكلمون بواقعاتهم ، ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه ، أو في العلوم حتى سموه العلم الباطن ، وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر . ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة ، فادعى عشق الحق والهيمان فيه ، فكأنهم تخايلو شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به ، وهؤلاء بين الكفر والبدعة .

ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق، ففسدت عقائدهم ، فمن هؤلاء من قال بالحلول، ومنهم من قال بالاتحاد ، وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً » (١) .

وهذا مخالف للنهج الإسلامي الصحيح ، فالله سبحانه وتعالى قال في وصف أنبيائه :﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ، فما دام أن الله ـ عز وجل ـ وصف أنبياءه بهذا الوصف ، وهم أعرف به من غيرهم فمن باب أولى أن يعبد الله غيرهم رغباً ورهباً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهو يتكلم عن كيفية عبادة الله ـ عز وجل ـ : « قال بعضهم : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري ، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجيء ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد » (٢)

---

(١) تلبيس إبليس / لابن الجوزي (ص١٦٣ ، ١٦٤) ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط بدون (١٣٦٨هـ).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠ / ٨١) .

وقد قامت دعوة الصوفية الغلاة وظهر شأنها من جديد في هذا العصر على نطاق واسع بسبب عوامل عدة منها :

[١] جهل كثير من المسلمين بحقيقة دينهم ثم الجهل بحقيقة الصوفية الغلاة كذلك .

[٢] مساعدة أعداء الإسلام على نشر الصوفية الغلاة لمعرفتهم المكاسب والثمار التي سيكسبونها إذا انتشرت الصوفية وفشا الجهل ، وانتشرت الخرافات والخزعبلات الصوفية (١) .

ومن ضمن هذه الخرافات ، والشركيات التي انتشرت بشكل كبير ، تعظيم بعض المسلمين لمن يسمونهم بالأولياء ، والصالحين ، ودعاؤهم من دون الله واعتقادهم أنهم ينفعون ويضرون ، فعظموهم وطافوا على قبورهم وطلبوا الشفاعة منهم بعد موتهم ، وهذا منكر حتى ولو كان هذا الطلب موجه بصيغته إلى رسول الله ﷺ بعد موته .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « ومنهم من يتأوّل قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء: ٦٤] ، يقولون إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته ، كنّا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة . ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وسائر المسلمين ، فإنّ أحداً منهم لم يطلب من النبي ﷺ بعد موته أن يشفع له ، ولا سأله شيئاً ، ولا ذكر ذلك أحدٌ من أئمة المسلمين في كتبهم .. فهذه الأنواع وخطاب تماثيلهم هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب ، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادة ما لم يأذن به الله ... » (٢) .

---

(١) انظر : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام / غالب بن علي عواجي (٢ / ٥٧٥ ٥٧٦) . بتصرف .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٤ ، ٢٥) ، ومجموع الفتاوى (١ / ١٥٩) .

وهكذا تطورت الصوفية حتى وصلت إلى الغلو من البدع العملية إلى البدع القولية والاعتقادية ، بعد أن كان الغالب على بدايات التصوف عدم الغلو ، ثم دخلت عليها عناصر خارجية ، وهي كأي تفرق يبدأ بسيطاً ساذجاً ، ثم ينتقل إلى التأصيل والتفريع ، ثم الإيغال في الضلال ، ويمكن تقسيم هذا التطور إلى ثلاث مراحل ، وهي :

(أ) أوائل الصوفية ومن مشى على طريقتهم في العبادة والزهد المشروع .

(ب) تقيد الصوفية بمصطلحات خاصة .

(جـ) دخول الصوفية في الغلو في الأولياء والصالحين والخرافات والشركيات ، وغيرها .

والفرق بين الزهد الأول ، والتصوف عند المتأخرين هو كالفرق بين التشيع بمعناه اللغوي الذي هو المناصرة والمحبة لعلي ـ رضي الله عنه ـ بدون غلو أو تفضيل متجاوز للحد ، وبين التشيع الذي استقر أخيراً كفرقة لها عقائدها المميزة بعد أن أدخلت الباطنية الغلو في علي ـ رضي الله عنه ـ توسلاً إلى الطعن في الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وهكذا بثت الباطنية تعاليمها الإلحادية في غلاة الصوفية .

المبحث الأول

تعريف الصوفية وأقسامها

وفيه :

المطلب الأول

تعريف الصوفية لغةً واصطلاحاً

أولاً : في اللغة :

الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح وهو الصوف المعروف .

فيقال كبش أصوف ، وصوف ، وصائف ، وصاف ، كل هذا يكون في كثير الصوف ، وكبش صاف أي كثير الصوف .

ويقولون أخذ بصوفة قفاه إذا أخذ بالشعر السائل في نُقرته .

فيقال : الصوف للشاه ، والصُوفَةُ أخصُّ منه .

وصُوفَةُ ، أي حي من مضر وهو : الغوث بن مريم بن أدين بن طانجة بن إلياس ابن مضر ، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج ، أي يفيضون بهم .

ومنها قول الشاعر : حتى يقال أجيزوا آل صوفانا .

وصاف السهم عن الهدف يصوف ويصيف عدل عنه ، ومنه قولهم : صاف عني شر فلان ، وأصاف الله عني شره (١) .

ومن خلال هذه التعريفات اللغوية المتقدمة يتضح لنا أن كلمة صوف تأتي بمعنى : الصوف المعروف للشاة ونحوها ، كما تأتي بمعنى مال وعدل .

---

(١) الصحاح / للجوهري (٤ / ١٣٨٨) ، معجم مقاييس اللغة / لابن فارس (٣ / ٣٢٢) ، لسان العرب / لابن منظور (٩ / ١٩٩) ، شمس العلوم / نشوان الحميري (٦ / ٣٨٦٠) ، المصباح المنير / للمقري (١ / ٣٥٢) ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

ثانياً : تعريف الصوفية اصطلاحاً :

يجب إدراك أن الصوفية مرت بمراحل وتطورات ومفاهيم مختلفة ، كما سبق الإشارة إليها [١] ،ومن هنا وقع كثير من الجدل بين العلماء في التعريف بالصوفية، ومهما قيل عن كثرة التعريفات للتصوف فإنه يصدق عليه عموماً أنه بدعة محدثة في الدين وطرائق ما أنزل الله بها من سلطان [٢] .

ونذكر فيما يلي بعض التعريفات التي أطلقت على مفهوم التصوف سواء كانت من الصوفية أو من مخالفيهم ، ومن ذلك ما يلي :

أولاً : تعريف التصوف لدى المتصوفة أنفسهم:

اختلفوا اختلافاً كثيراً في تعريفه ، كما اختلفوا في اصله واشتقاقه ، بل اختلفوا حتى تناقضت وتعارضت تعريفاتهم ،فمن المتصوفة الذين أوردوا تعريفات عدة للتصوف ، ما يلي :

[١] معروف الكرخي [٣] ، وقد عرفه بقوله: « التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق » [٤] .

وكلمة الحقائق تحتمل عدة وجوه ، ولا ندري ماذا يقصد بها ، ولعله في الغالب يقصد بها العلم الصوفي الذي يقولون عنه علم الحقيقة [٥] .

[٢] الجنيد [٦] ، وقد عرفه بما يلي فقال: « التصوف أن تكون مع الله بلا

---

(١) في تمهيد الفصل .

(٢) فرقة معاصرة تنتسب إلى الإسلام / غالب عواجي (٢ / ٥٧٨) .

(٣) هو أبو محفوظ: معروف بن فيروز الكرخي، أحد أعلام الزهاد والمتصوفين، كان من موالي الإمام علي الرضى بن موسى الكاظم ، ولد في كرخ ببغداد ونشابها، اشتهر بالصلاح وإجابة الدعوة توفي ببغداد سنة ٢٠٠هـ على الصحيح. انظر : وفيان الأعيان / لابن خلكان (٥/ ٢٣١-٢٣٣) برقم / ٧٢٩، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٩ / ٣٣٩ وما بعدها (، الاعلام / للزركلي (٧ / ٢٦٩) .

(٤) عوارف المعارف / السهروردي (ص٦٢) ـ دار المعارف ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

(٥) انظر : مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية / ادريس محمود ادريس(١ / ٣٠) مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م) .

(٦) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي ، ولد ببغداد بعد سنة ٢٢٠هـ، وهو شيخ الصوفية أخذ العلم وتفقه على أبي ثور وصحب الحارث المحاسبي وغيره، وكان جامعاً للعلم والعمل، توفي ببغداد سنة ٢٩٨هـ. انظر : تاريخ بغداد / للخطيب (٧ / ٢٤١) برقم / ٣٧٣٩ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٤ / ٦٦ وما بعدها) ، الاعلام / للزركلي (٢ / ١٤١) .

علاقة » [١] ، وعرفه أيضاً بقوله :« التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدواعي النفسانية ، ومنازلة الصفات الربانية ، والتعلق بعلوم الحقيقة ، وإتباع الرسول في الشريعة » [٢] .

فتعريفه الأول الذي يقول فيه : « التصوف هو أن يكون الإنسان مع الله بلا علاقة » ، فلعله يقصد بأن على الإنسان أن يقطع جميع علاقاته مع بني جنسه ، وهذه دعوة باطلة فإننا لسنا مأمورين بالهروب عن البشر ، والاختفاء عنهم في الأربطة والخوانق والزوايا الصغيرة ، كما يفعل بعض المتصوفة إلى يومنا هذا .

وأما قوله في التعريف الثاني فهو مخالف لما جاء به الرسول ﷺ من عند الله ـ عز وجل ـ لأن الإنسان بشر ، وسيظل بشراً هكذا مهما عبد الله سبحانه وتعالى [٣] .

[٣] سحنون [٤] ، وقد عرف التصوف فقال : « التصوف هو أن لا تملك شيئاً ولا يملك شيء » [٥] .

وهذا أيضاً مخالف للإسلام لأن الإسلام لم يأمرنا بالتجرد عن أملاكنا بل أمرنا الرسول ﷺ أن نعطي كل شيء حقه [٦] .

[٤] وقيل : « التصوف هو تجريد العمل لله تعالى والزهد في الدنيا وترك دواعي الشهرة ، والميل إلى التواضع والخمول وإماتة الشهوات في النفس » .

وهذا التعريف قد لا يصدق في الواقع إلا على التصوف في عهده الأول الذي

---

(١) عوارف المعارف / السهروردي (ص٦٢) .
(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف / لأبي بكر محمد الكلاباذي (ص٣٤) .
(٣) أنظر : مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية / ادريس محمود ادريس ١ / ٣٠) .
(٤) هو سحنون بن عمر المحب ، ويقال : سحنون بن عبد الله أبو الحسن الخواص ، ويقال : كنيته أبو القاسم سمى نفسه سحنون الكذاب ، صحب السري السقطي، ومحمد بن علي القصاب ، وغيرهما . وهو من كبار مشائخ العراق مات بعد الجنيد . انظر : الأعلام/ الزركلي (٤ / ٥) .
(٥) اللمع / لأبي السراج الطوسي (ص١٥) ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون، وانظر : التصوف المنشأ والمصادر / لإحسان إلهي ظهير (ص٢١) ـ إدارة ترجمان السُنّة ـ لاهور ـ باكستان ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م) .
(٦) انظر : مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية / ادريس محمود ادريس (١ / ٣٠) .

كان التصوف فيه عبارة عن الإنقطاع لعبادة الله وحده والزهد في الدنيا ، والتخفيف من متاعها ، والإقبال على الآخرة دون أن يلبسوا ذلك بشيء من الأفكار والسلوك المشين الذي وصلت إليه الصوفية بعد ذلك (١) .

ثانياً : تعريف التصوف لدى غير المتصوفة من المسلمين :

« رغم كثرة التعريفات التي عرف بها التصوف الإسلامي في كتب التصوف وغيرها فإننا نستطيع أن نقول أن التصوف كما يراه الصوفية في عمومه هو السير في طريق الزهد ، والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها،وأخذ النفس بأسلوب من التقشف وأنواع من العبادة والأوراد والجوع والسهر في صلاة أو تلاوة وِرْد . حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي، ويقوى فيه الجانب النفسي أو الروحي، فهو إخضاع الجسد للنفس بهذا الطريق المتقدم سعياً إلى تحقيق الكمال النفسي كما يقولون ، وإلى معرفة الذات الإلهية وكمالاتها ، وهو ما يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة » (٢) .

والإسلام يدعو حقيقة إلى تربية الإنسان تربية إسلامية صحيحة حتى يكون مستقيماً في حياته ويخضع لأوامر الله ورسوله عن قناعة كاملة .

ولكن الإسلام لا يسلك في تربية الإنسان الطريق الذي سلكه المتصوفة في تربية الإنسان ، وإنما يسلك في التربية إلى تقوية الإيمان بالله وباليوم الآخر ، وبجميع ما يجب الإيمان به والعمل بالشريعة في حدود استطاعة الإنسان ، بالإتيان بالواجبات والإقلاع عن المحرمات والإبتعاد عنها كلية ، ولذا أقول إن سلوك المتصوفة في تربية الإنسان سلوك منحرف بعيد كل البعد عن المنهج الذي جاء به الإسلام ، وأمرنا أن نسلكه ، ذلك لأن السلوك الذي يسير عليه المتصوفة في التربية يحطم معنويات الإنسان ، ويسعى دائماً أن يفصل الإنسان عن هذه الحياة نهائياً حتى يصبح عضواً

---

(١) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام/ غالب عواجي (٢ / ٥٧٩) ، الصوفية معتقداً ومسلكاً / د : صابر طعيمة (١٩ ، ٢٠) ـ ط الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) .

(٢) التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة / للدكتور : إبراهيم هلال (ص١) ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م) .

ميتاً لا قيمة له في هذه الحياة ، وهذا سلوك يختلف تماماً مع السلوك الذي دعا إليه الإسلام ذلك لأن الإسلام دين شامل كامل يدعو الإنسان لكي يقوم بوظائفه في هذه الحياة على أكمل وجه وأتمه .

فالمتصوفة قد أدخلوا في الإسلام ما ليس منه في جميع جوانبه سواء كان في جانب العبادة أو كان في جانب العقائد والأخلاق حتى أصبحت معرفة الصوفية في عمومها معرفة فلسفية أو إشراقية ، لا معرفة دينية ترجع إلى محض التمسك بالكتاب والسُّنَّة .

فالإشراق الفلسفي الذي عرف من قبل عند سقراط (١) ، وأفلاطون (٢) ، وغيرهم من فلاسفة اليونان والهند والفرس ، والذي يصل فيه المرء بعد مرحلة التجرد والرياضة والعبادة إلى مرحلة الكشف والإخبار عن المغيبات هو غاية التصوف الإسلامي في منهجه الفلسفي (٣) .

[٢] وقيل في تعريف التصوف بأنه : « طريقة زهدية في التربية النفسية يعتمد على جملة من العقائد الغيبية (الميتافيزيكية) فما لم يقم على صحتها دليل لا في الشرع ولا في العقل » (٤) .

---

(١) سقراط بن سفر نيسقوس يوناني من أهل أثينه ولد سنة (٤٦٩ ق.م) ، أقتبس الحكمة من فيثاغورس أو كان مقارباً له إن لم يكن اخذها منه ، توفي حوالي سنة ٤٠٠ قبل الميلاد ، وقيل سنة (٣٩٦ ق.م) أو (٣٩٩ ق.م) . انظر : الملل والنحل / للشهرستاني (٢ /٣٩٩-٤٠٠) ، مبادئ الفلسفة / أحمد أمين (ص٢١٧) ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، دائرة معارف القرن العشرين / محمد فريد وجدي (٥ / ١٩٦) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط / الثالثة ـ بدون تاريخ .

(٢) هو إفلاطون بن أرسطن فيلسوف يوناني من أهل اثينة تتلمذ على يد الفيلسوف سقراط . في مؤلفاته : (المحاورات السقراطية) توفي قبل الميلاد بـ ٣٤٧ سنة ، وقيل (٢٤٧) ق.م . انظر : الملل والنحل / للشهرستاني (٢ / ٤٠٥) ، الموسوعة العربية الميسرة / إشراف محمد شفيق غربال (١ / ٨٧) ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٢ / ٨٠٣) ، دائرة معارف القرن العشرين / محمد فريد وجدي (١ /٤١٨) .

(٣) مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية (١ / ٣١ ، ٣٢) ، وانظر : التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة / إبراهيم هلال (ص١) .

(٤) التصوف بين الحق والخلق / للشيخ :محمد فهر شقفة(ص٧) ـ الدار السلفية للنشر والتوزيع ـ ط الثالثة .

وقد شرح هذا التعريف صاحبه بقوله : « وقولنا : يعتمد على جملة من العقائد الغيبية (الميتافيزيكية) ما لم يقم على صحتها دليل في الشرع ولا في العقل »، يعني تلك العقائد التي تبحث فيما وراء الطبيعة والتي يدعون بأنهم تعلموها عن طريقة الكشف أو وردت إليهم عن طريق الخواطر أو الرؤى المنامية كعقيدة البعض في الحلول ووحدة الوجود ، والحقيقة المحمدية واعتبارها أصلاً لكل حياة بشرية كونية ، وعقيدة البعض الآخر عن النواميس الطبيعية مالم يخبر بذلك قرآن ولا سنة ولا يقوم على أساس علمي ولا يتفق مع المقاييس العقلية »(١) .

[٣] **وقيل :** « أن سبب التسمية للمتصوفة بهذا الاسم أي (الصوفية) إنما كان نسبة إلى لبسهم الصوف الذي يعبر عن الزهد والتقشف وترك التنعم والملذات المباحة (٢) .

[٤] **وقيل:** «إن التصوف مأخوذ من الصفاء ، أي صفاء أسرارهم ، أو صفاء قلوبهم ، أو صفاء معاملتهم لله تعالى ، وهو ما يحب الصوفيون التسمي به »(٣) .

[٥] وبعضهم يرى أنه نسبة إلى الصفَّة ، التي كان يجلس فيها فقراء الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في المسجد (٤) ، وفي هذا الادعاء بأن النسبة إلى صفة المسجد يستهدف به ارتباط التصوف في نشأته الأولى بعصور تاريخية متقدمة ، بل يستهدف ارتباطه بعصر النبي ﷺ ، والزعم في نفس الوقت بأن النبي ﷺ قد أقر منهجهم في الافتقار، والاعتزال ، والتجرد ، والتواكل المزعوم ، وهذا ما لا يقبله عقل منصف اطلع على كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ ، بالإضافة إلى سيرة السلف ـ رضوان الله عليهم ـ(٥) .

---

(١) التصوف بين الحق والخلق / محمد فهر شقفه (ص٧) .
(٢) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام / غالب عواجي (٢ / ٥٧٩) .
(٣) المصدر السابق (٢ / ٥٧٩) .
(٤) المصدر السابق (٢ / ٥٧٩) .
(٥) الصوفية معتقداً ومسلكاً / د: صابر طعيمة (ص٢٣) .

وقد وضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عند كلامه عن الصوفية بقوله : « فقيل : إنه نسبة إلى أهل الصفة ، وهو غلط لأنه لو كان كذلك لقيل : صُفِّي . وقيل : نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله ، وهو أيضاً غلط ، فإنه لو كان كذلك لقيل : صَفِيّ . وقيل : نسبة إلى الصفوة من خلق الله ، وهو غلط ، لأنه لو كان كذلك لقيل : صفوي . وقيل : نسبة إلى صفوة بن بشر بن أدّ بن طابخة ، قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ،ينسب إليهم النساك ، وهذا وإن كان موافقاً للنسب من جهة اللفظ ، فإنه ضعيف أيضاً ، لأن هؤلاء غير مشهورين ، ولا معروفين عند أكثر النساك ،ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ، ولأن غالب من تكلم باسم (الصوفي) لا يعرف هذه القبيلة ، ولا يرضى أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام .

وقيل: وهو المعروف أنه نسبة إلى لبس الصوف ،فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة ، . . . وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك مالم يكن في سائر أهل الأمصار ، ولهذا كان يقال : فقه كوفي ، وعبادة بصرية »[1] .

ولكن الصوفية التي جاءت بكتب ومصطلحات خاصة ، فيها إشكالات وبعد عن المنهج الإسلامي الصحيح ، أدت فيما بعد إلى أمور خطيرة مثل الاتحاد والحلول وغيرها[2] .

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ : « والزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف »[3] . والذين اكتفوا بحسن الخلق والزهد في الدنيا والتأدب بآداب الشرع لقبوا بالنُساك ، والقُراء ، والزُهاد ، والعُباد ، والذين أقبلوا على دراسة النفوس

---

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ٦ ، ٧) ، وانظر : تلبيس إبليس / لابن الجوزي (ص١٦٣) .

(٢) انظر : كتاب الصوفية / لمحمد العبده ، وطارق عبدالحليم (ص٧) ـ دار الأرقم للنشر والتوزيع ـ الكويت ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م) .

(٣) تلبيس إبليس (ص١٦٥) .

وآفاتها ، وما يرد على القلب من خواطر ، وحرص على الصيغة المذهبية لقبوا بالصوفية [١] .

وخلاصة القول في هذا أن الصوفية :

فرقة تعتبر نفسها من أهل السُّنَّة وليسوا منهم [٢] - إي غلاتهم - قد خالفوهم في الاعتقاد والأفعال والأقوال ، أما الاعتقاد فسلكوا مسلكًا للباطنية الذين قالوا إن للقرآن ظاهراً وباطناً ، فالظاهر ما يعلمه العامة ، والباطن ما يعتقدونه هم ، ويعتقدون أن الله حال فيهم وممازج لهم ، ويدعون أنهم قد ارتفعت درجتهم عن التعبدات اللازمة للعامة ، ولهم شطحات بعيدة عن الدين الإسلامي [٣] .

---

(١) انظر: التصوف الإسلامي في الادب والاخلاق/ د: زكي مبارك (٢ / ٢١) ـ مطبعة الرسالة ـ ط الاولى(١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م) .

(٢) **الصوفية تنقسم إلى قسمين :**

القسم الأول : الصوفية الزهدية وهي التي تسلك مسلك الزهد في الدنيا فمن سلكها فله سلف في ذلك من الصحابة والتابعين ، وهو من أهل السُّنَّة إن كان على السُّنَّة .

القسم الثاني : الصوفية الغالية المبتدعة في الدين بدع لم تكن مشروعة ، فهي التي يقصد بها أن أصحابها ليسوا من أهل السُّنَّة لانهم من أهل البدعة لما سلكوه من مسلك مخالف للكتاب والسُّنَّة الصحيحة .

(٣) انظر : البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان / للسكسكي (ص١٠١-١٠٥) أضواء على التصوف للدكتور / طلعت غنام (ص٢٨) ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ مصر ط بدون .

المطلب الثاني
ألقـــاب الصوفيـــة

من أشهر الأسماء لهذه الطائفة اسم (الصوفية) ولهم أسماء أخرى غير مشهورة على ألسنة الناس ومن تلك الأسماء التي أطلقت عليهم أو أطلقوها على أنفسهم :

[١] **الصوفية** :وهو الاسم المشهور الذي يشمل كل فرقهم أو طرقهم وأقسامهم، وهم يرضون به ويتمدحون بالانتساب إليه وقد سبق تعليل هذه التسمية في التعريف .

[٢] **أرباب الحقائق** : لزعمهم أنهم وصلوا إلى حقائق الأمور وخفاياها بخلاف غيرهم من الناس الذين أطلقوا عليهم « أهل الظاهر ، وأهل الرسوم » [١] .

[٣] **الفقراء** :وهو اسم زعم السهروردي [٢] أن الله هو الذي سماهم به حيث قال : « وأهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر ، يقولون : قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٧٣] ، هذا وصف الصوفية والله تعالى سماهم فقراء » [٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « وأما اسم الفقير فإنه موجود في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، لكن المراد به في الكتاب والسُّنَّة الفقير المضاد للغني »[٤] فكلام ابن تيمية يوضح بأنه لا يقصد بالفقير المتصوف ، على حسب ما

---

(١) الصوفية معتقداً ومسلكاً / د: صابر طعيمة (ص٣١) .
(٢) هو عمر بن محمد بن عبد الله،أبو حفص شهاب الدين القرشي البكري السهروردي من كبار الصوفية ، فقيه شافعي، مفسر ، واعظ ، مولده في سهرورد سنة ٥٣٩هـ ، كان شيخ الشيوخ ببغداد ، له كتب كثيرة في التصوف ، منها (عوارف المعارف ، وجذب القلوب إلى مواصلة المحبوب) توفي ببغداد سنة ٦٣٢ هـ . انظر : الأعلام / للزركلي (٥ / ٦٢) ، وفيات الأعيان / لابن خلكان (٣ / ٤٤٦) برقم / ٤٩٦ ، معجم المؤلفين / كحالة (٢ /٥٧٥) برقم ١٠٤٨٧.
(٣) عوارف المعارف / السهروردي (ص٤٢) ، وانظر : فرق معاصرة / غالب عواجي (٢ /٥٨٦) .
(٤) مجموع الفتاوى (١١ / ٢٠) .

يزعمونه .

[٤] **شكفتيه** : ويلقبون بهذا اللقب في خُراسَانُ (١) نسبة إلى الغار قال: السهروردي عن الصوفية في خراسان : « كان منهم طائفة بخراسان يأوون إلى الكهوف والمغارات ولا يسكنون القرى والمدن ، يسمونهم في خراسان شكفتيه لأن شكفت اسم الغار ينسبونهم إلى المأوى والمستقر » (٢) .

[٥] **جوعية** : ومن ألقابهم المعروفة عند أهل الشام الجوعية ، قال السهروردي : « وأهل الشام يسمونهم جوعية » (٣) .

[٥] **الملامية أو الملامتية** (٤) : وهذا اللقب ناتج عن تطور المذهب الصوفي ووساوسه المتشعبة ، وأمانيه البراقة ، وهذه الملامة التي يعتنقها بعض الصوفية ويتظاهرون بها هي في أحد مفاهيمها النفاق بعينه ، يدخل فيه الشخص من حيث يشعر أو لا يشعر ، بل وسموه النفاق المحمود (٥) .

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ : « وفي الصوفية قوم يسمون الملامتية اقتحموا الذنوب وقالوا مقصودنا أن نسقط عن أعين الناس فنسلم من الجاه ، وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله ـ عز وجل ـ لمخالفة الشرع » (٦) .

ويعللون لهذا بأنه مع الناس في الظاهر ، وهو مع الله في الباطن مهما كانت أفعاله في الظاهر (٧) ، وهذا من الزيغ والضلال عن الحق والعياذ بالله من ذلك .

---

(١) خُراسَانُ : بلاد واسعة ، أول حدودها مما يلي العراق ، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها ، وتشتمل على أمَّهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومَرْو وغيرها. انظر : معجم البلدان / ياقوت الحموي (٢ / ٣٥٠) .

(٢) عوارف المعارف / السهروردي (ص٤٨) ، وانظر : فرق معاصرة / غالب عواجي (٢ / ٥٨٦) .

(٣) عوارف المعارف (ص٤٨) .

(٤) انظر : جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف / محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني (١ / ١٢٢) – مطبعة المدني العباسية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م) .

(٥) انظر : الصوفية معتقداً ومسلكاً / د : صابر طعيمة (ص٣٣٤) .

(٦) تلبيس إبليس (ص٣٦٣) .

(٧) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام / غالب عواجي (٢ / ٥٨٧) .

وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - الملامية إلى قسمين :

(أ) ملامية يفعلون ما يحبه الله ورسوله - ﷺ - ولا يخافون لومة لائم في ذلك ، وهؤلاء هم أهل الملام المحمود .

(ب) ملامية يفعلون ما يبغضه الله ورسوله - ﷺ - ويصرون على الملام في ذلك والصبر عليه ، وهؤلاء هم أهل الملام المذموم .

قال - رحمه الله -: « وبهذا يحصل الفرق بين الملامية الذين يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك ، وبين الملامية الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك » [(١)] .

[٧] الخاصة أو خاصة الخاصة : وهذه من الألقاب التي يطلقونها على أنفسهم ، ولذلك فإن لهم عبادات خاصة ومناهج وطرائق خاصة ، ومفاهيم تختلف تماماً عن مفاهيم العامة خصوصاً بعد وصول أحدهم درجة اليقين - كما يزعمون - وقد شرع كل قوم منهم شرائع خاصة بهم [(٢)] .

[٨] الحلولية : وهو لقب لما يعتقده غلاة الصوفية بأن الله - عز وجل - يحل في بعض مخلوقاته . فيشابهون غلاة الشيعة في قولهم وزعمهم أن أرواحهم متولدة من الله القديم ، وأن البدن لباس لا روح فيه [(٣)] .

[٩] القبوريون : وذلك نسبة إلى ما يزعمونه ويعتقدونه في الأولياء أصحاب القبور بأن لهم تصرفًا في الكون وفي الاستعانة والاستغاثة والشفاعة وغيرها بينما لا تكون هذه إلا لله - عز وجل - ولا يقدر عليها إلا الله - عز وجل - [(٤)] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٦١) ، وانظر : الخطط / للمقريزي (٢ / ٤٣٢) .
(٢) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام / غالب عواجي (٢ / ٧١١) .
(٣) التنبيه والرد / للملطي (ص٣٤) .
(٤) انظر : مجموع الفتاوى (١١ / ٦٧ وما بعدها) ، (١٠ / ٢٦٧) .

المبحث الثاني

أقســـام الصوفيـــة

الصوفيون طوائف عديدة وأهواء متباينة شأن كل أصحاب البدع حين يتركون المنهج الذي شرعه الله لعباده.

ولقد اختلف العلماء في عدهم لأقسام وطرق التصوف اختلافاً واسعاً، إذ تجد بعضهم يعدّهم قسمين،وبعضهم يعدهم ثلاثة أقسام ، وبعضهم يوصلهم إلى ستة أقسام.

وهذا الاختلاف سببه تنوع مصادر الصوفية،وتنوع أفكارهم فبعض الصوفية تابعون للمذهب الإشراقي الذي يدعي أن المعرفة والعلم تقذف في النفس بسبب طول المجاهدة الروحية إذ يحصل لها بذلك فيض وإشراق إلهي ومذهبهم أشبه ما يكون بالمذهب البوذي في رياضة النفس وحملها على المكاره، هذا قسم من الصوفية.

وقسم آخر : بعض العلماء يعبر عنهم بصوفية الحقائق ، وهم من صفوا من الكدر وامتلؤا من الفكر كما يدعون على طريقة الفلسفة الهندية .

وقسم آخر : قائلون بالحلول أي دعوى أن الله ـ تعالى عن قولهم ـ حل في مخلوقاته وأن أرواحهم لاهوتية وأجسامهم ناسوتية (١) .

ونذكر كذلك بعض من أقوال العلماء الذين تكلموا في تقسيم الصوفية :

أولاً : قسم شيخ الإسلام ابن تيمية الصوفية إلى ثلاثة أقسام هي :

[١] **صوفية الحقائق** : وهم المتفرغون للعبادة والذكر والزاهدون في الدنيا.

[٢] **صوفية الأرزاق** : وهم الذين وقفت عليهم الوقوف .. ويشترط فيهم ثلاثة شروط :

أحدها : العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم.

الثاني : التأدب بآداب أهل الطريق ، وهي الآداب الشرعية في غالب الأوقات ،

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام / غالب عوجي (٢ / ٦٠٠) .

وأما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت إليها .

الثالث : أن لا يكون أحدهم متمسكاً بفضول الدنيا .

[٣] **صوفية الرسم :** وهم المقتصرون على النسبة ، فهمّهم في اللباس والآداب الوصفية ، ونحو ذلك فهؤلاء في الصوفية بمنزلة الذي يقتصر على زي أهل الإسلام ، وأهل الجهاد ونوع مًّا من أقوالهم وأعمالهم بحيث يظن الجاهل حقيقة أمره أنه منهم وليس منهم (١) .

ثانياً : أقسام الصوفية عند الهجويري : (٢)

يقسم الهجويري الصوفية ـ وهو من علمائهم ـ إلى ثلاثة أقسام ويقول إن منهم :

[١] **الصوفي :** وهو المتفرغ لعبادة الله المتجه إليه المتجرد عن العلائق الدنيوية .

[٢] **المتصوف:** وهو الذي يجاهد نفسه ويقوّمها للوصول إلى الدرجة السابقة .

[٣] **المستصوف :** وهو من تشبه بهم من أهل المنزلة والجاه والمال ، ولا رصيد له من العمل المخلص حتى قيل فيه : المستصوف عند الصوفية كالذباب ، وعند غيرهم كالذئاب (٣) .

ثالثاً : أقسام الصوفية عند الفخر الرازي :

لقد قسم الفخر الرازي الصوفية إلى ست فرق نوجزها فيما يلي :

[١] **أصحاب العادات :** وهم الذين يهتمون بتزيين الظاهر كلبس الخرقة وتسوية السجادة .

---

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ١٩ ، ٢٠) . بتصرف

(٢) هو أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري الغزنوي من كبار أئمة الصوفية في القرن الخامس الهجري ، توفي سنة ٤٩٣هـ ، وتظهر لنا مكانته بين الصوفية من خلال كتابه (كشف المحجوب) فقد ذكر فيه عقائد الصوفية وآدابهم وعباداتهم وسلوكهم ، وهو من بلاد فارس، وقد ترجم كتابه الدكتور : سعاد قنديل . انظر : مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية / أدريس محمود ادريس (١ / ٦٨) .

(٣) كشف المحجوب / علي بن عثمان الهجويري (١ / ٢٣١) ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠) نقلاً عن مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية (١ / ٥٠) .

[٢] **أصحاب العبادات** : وهم المتفرغون للعبادة المنقطعون عن الدنيا .

[٣] **أصحاب الحقيقة** : وهم الذين إذا فرغوا من الفرائض لم يشتغلوا بنوافل العبادات بل في التفكر في ملكوت الله وتجريد النفس عن كل ما يشغلها عن ذكر الله ، فهم يحرصون أن لا يخلو بَالُهم عن ذكر الله .

[٤] **النورية** : وهم يقولون إن الحجاب حجابان نوري وناري ، أما النوري فالإشتغال باكتساب الصفات المحمودة ، وأما الناري فالاشتغال بالشهوة والغضب والحرص والأمل .

[٥] **الحلولية** : وهم قوم يزعمون انه قد حصل لهم الحلول أو الاتحاد ، فيدعون دعاوى عظيمة ،وليس لهم من العلوم العقلية نصيب .

[٦] **المباحية** : وهم قوم يدّعون محبة الله ، ويخالفون شريعته ، ويقولون إن الحبيب رفع عنا التكاليف وهؤلاء شر الطوائف [١] .

وهنا قسمان آخران من أقسام الصوفية تعرف من كتب زعماء غلاة الصوفية المنحرفة وهي :

(أ) الصوفية القائلون بوحدة الوجود كابن عربي [٢] وغيره من ملاحدة الصوفية .

(ب) الصوفية القبورية : وهم الذين يزعمون أن للأولياء تصرفاً في هذا الكون ، وأنهم يغيثون من استغاث بهم ، ويجيبون من ناداهم ويفرجون الكربات ، وهم

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / للرازي (ص١١٥-١١٧) ـ شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ ط بدون .

(٢) هو محي الدين ابو بكر محمد بن علي بن محمد بن احمد الطائي الحاتمي الاندلسي المعروف بابن عربي من غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود ، ويقول عنه الصوفية (الإمام الاكبر والكبريت الاحمر) قال عنه عز الدين ابن عبدالسلام :((شيخ سوءٍ كذابٌ ..)) وقال عنه الذهبي : ((قدوة القائلين بوحدة الوجود)) له كتب كثيرة في التصوف ، منها : ((الفتوحات المكية ، فصوص الحكم ، ذخائر الاعلام)) وغيرها ولد في مرسية) بالاندلس) سنة ٥٦٠هـ ، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٨هـ . انظر : فوات الوفيات / الكتبي (٣ / ٤٣٥) برقم / ٤٨٤ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٢٣ / ٤٨ ، ٤٩) ، الأعلام / للزركلي (٦ / ٢٨١) ميزان الاعتدال / للذهبي (٣ / ٦٥٩) برقم / ٧٩٨٤ .

الداعون إلى دعاء الأنبياء والأولياء أحياءً أو أمواتاً من دون الله أومع الله فيستغيثون بهم ويتوسلون ويستشفعون بدون ضوابط شرعية ، ومن الكتب المملؤة بنشر عقيدة هذا القسم كتاب : شفاء السقام في زيارة خيرا لأنام [١]، وشواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق [٢] ، والطبقات الكبرى والصغرى [٣] ، وخلاصة الكلام ، ومحق التقول في مسألة التوسل [٤] ، والدرر السنية في الرد على الوهابية [٥] ، ومفاهيم يجب أن تصحح [٦] ، وغيرها من الكتب التي تخدم هذا الفكر الصوفي القبوري المنحرف ، الموصل إلى الشرك بالله - عز وجل - وهذا القسم هو مرادنا في هذا البحث لمعرفة موقفهم من الشفاعة سواءً شفاعة الرسول ﷺ أو غيره من الشفعاء .

---

(١) للسبكي . وقد رد عليه الإمام ابن عبدالهادي في كتابه : « الصارم المنكي في الرد على السبكي » .

(٢) ليوسف بن اسماعيل النبهاني. وردّ عليه الإمام محمود شكري الألوسي في كتابه: (غاية الأماني في الرد على النبهاني) .

(٣) لعبدالوهاب بن أحمد الشعراني .

(٤) لزاهد الكوثري. وقد رد عليه الشيخ عبدالرحمن المعلمي في كتابه : (التنكيل بما في تانيب الكوثري من الاباطيل).

(٥) لأحمد زني دحلان. وردّ عليه الشيخ محمد بشير السهسواني في كتابه: (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان).

(٦) لمحمد بن علوي المالكي الحسيني . وردّ عليه الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ في كتابه : (هذه مفاهيمنا) .

المبحث الثالث

مصادر الصوفية في التلقي والاستدلال

إن التصوف مذهب عجيب وغريب ذلك لأن التصوف خاصة المغالى فيه له روافد متعددة ومصادر مختلفة ، إذ هو متأثر بالثقافات المتنوعة والديانات المختلفة سواء كانت هذه الديانات وثنية في الأصل كالبوذية [١] واليونانية [٢] أو كانت ديانات سماوية في الأصل كالمسيحية التي تأثرت بهذه الفلسفات .

وأريد أن أذكر أهم المصادر التي استقى منها المتصوفة الغلاة القبورية أذكارهم ومباديهم ومعتقداتهم .

وأخص بذلك غلاة الصوفية القبورية لأن الصوفية التي المقصود بها الزهد ، مصادرهم هي مصادر أهل السُّنَّة والجماعة .

فنقول مصادر غلاة الصوفية القبورية قي التلقي والاستدلال هي في المطالب الآتية .

---

(١) هم اتباع بوذا ، لها انتشار بين عدد من الشعوب الاسيوية ، وتتباين عقائد الاتباع حول هذه النحلة ، فتجعل البوذية اليابانية بوذاً جوهراً إلهاً حالاً في الكون ، وبوذية الهند هي الاصل لا إله لها ، وبوذية الصين مالت إلى الاعتقاد بفكرة كائن مطلق يتمثل في شخصيات مختلفة بوذا واحد منها، أنظر: مقارنات الأديان/ محمد ابو زهرة (ص٤٥-٤٦) دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ مصر ــ ط بدون ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٢ / ٧٦٨) .

(٢) اليونانية : نسبة إلى اليونان : واسمها القديم (هيلاس) او (آلاس) وهي الآن مملكة او روبية واقعة في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان ، تحد من جهة الشمال ببلغاريا والصرب ، وشرقاً بتركيا ، وجنوبا البحر الابيض المتوسط ، وغرباً ببحر يونان ، حضارة هذه البلاد قديمة ، وكانت ديانة اهلها تاليه قوى الطبيعة (البحر ، الشمس ، القمر ، النور، . .) وكانوا يبنون لها الهياكل ، انظر: حاشية الفتوى الحموية / لابن تيمية ــ تحقيق : محمد بن عبدالمحسن التويجري (ص٢١٤) ــ دار الصميعي للنشر والتوزيع ــ الرياض السعودية ــ ط الأولى (١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨ م) .

المطلب الأول

الأحلام والرؤى والمنامات

إن أهل البدع والشركيات يعتمدون على أهوائهم وشهواتهم فيتسلط عليهم الشيطان في اليقظة والمنام . قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٢١] ، فيعتقدون في المنامات أنها وسيلة من وسائل مصادر العقيدة الإسلامية .

وأكثر أهل البدع اعتماداً على المنامات والرؤى هم الصوفية ، فيعولون عليها ويزعمون الاستمداد من رؤية الله ـ سبحانه وتعالى ـ أو رؤية النبي ﷺ ، أو شيوخهم فيعتمدون على ذلك في تفسير القرآن الكريم ، والتمييز بين الأحاديث الصحيحة والضعيفة ، والأمور الفقهية ، والأحكام الشرعية ، ومعرفة الراجح من المرجوح .

قال الإمام الشاطبي ـ رحمه الله ـ : « وأضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات وأقبلوا وأعرضوا بسببها فيقولون : رأينا فلاناً الرجل الصالح فقال لنا : اتركوا كذا أو اعملوا كذا ، ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف ، وربما قال بعضهم : رأيت النبي ﷺ في النوم وقال لي كذا ، وأمرني بكذا ، فيعمل بها ويترك بها ، فيعمل بها معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة » (١) .

ويعتمد غلاة الصوفية في اعتقادهم هذا على قول الرسول ﷺ : « **من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي** » (٢) .

---

(١) الإعتصام (١ / ٢٦٠) ـ مطبعة السعادة .

(٢) رواه البخاري: كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام (٩ / ٤٢) ح٦٩٩٣ ، ومسلم : كتاب الرؤيا ، باب قول النبي ﷺ : « من رآني في المنام فقد رآني » (٤ / ١٧٧٥) ح٢٢٦٦ . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد ورد الحديث بالفاظ منها: « فقد رآني » « فسيراني » « لكأنما رآني في اليقظة » ، وهذه الألفاظ تفسر الحديث تفسيراً صحيحاً وتزيل شبه الصوفية القبورية ـ انظر فتح الباري (١٢ / ٤٠٠ فما بعدها) .

فالحديث بلفظه يدل على أن العبد قد يرى الرسول ﷺ في المنام ، لا أن يأخذ منه الأحكام والمعتقدات ، لأن الدين قد كمل قبل وفاة الرسول ﷺ ، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ .

[المائدة : ٣] .

فغلاة الصوفية يرون أن رؤيته ﷺ مناماً من أهم وسائل التمييز بين صحيح الروايـ وضعيفها ، ويرى ابن عربي أنه قد ينفي بواسطتها ما هو ثابت بطريقة النقل فيقول : « هذا هو الفرقان عند أهل الله بين الأمرين حين رؤيتهم له ﷺ في كشفهم فيصحح لهمْ من الأخبار ما ضعف عندهم بالنقل ، وقد ينفون من الأخبار ما ثبت عندنا بالنقل » (١) .

فالأحلام والرؤى والمنامات معتبرة عند الصوفية مصدراً للتلقي والاستدلال وهذا الابتعاد عن المصادر الأساسية كالكتاب والسُّنَّة ، وإجماع الصحابة جعلهم يبتدعون في الدين بدعًا وشركيات ما أنزل الله بها من سلطان .

(١) الفتوحات المكية / لابن عربي (٤ / ٢٨) ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٩٩٦م) .

المطلب الثاني
الذوق والكشف وإيحاء الشياطين

[أ] الــــذوق :

والمقصد من الذوق عند الصوفية الغلاة هو : تلقي الأرواح للأسرار الطاهرة من الكرامات وخوارق العادات [١] .

فهم يزعمون أنهم عن طريق الذوق أو التذوق في معرفة الله ـ عز وجل ـ يستطيعون الاطلاع على اللوح المحفوظ ، ومعرفة مقادير الخلائق حسبما هو مدون فيه ، ومعرفة ما سيكون في المستقبل ، وكشف ما في ضمائر الناس واعتقاداتهم ، وماتخفيه صدورهم ، وعن طريق القول بالذوق يمكن عندهم التفسير الخاص من غير ضابط ولا رابط [٢] ، ويمكن تأويل كل نص وكل حديث ليتمشى مع ما قرروه ، ويجعلونه حاكماً لا محكوماً عليه ، فيشبهون الاتحادية كما يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ عنهم بأنهم: « يحتجون بالذوق والوجد على كفرهم وإلحادهم .. ويقول القائل: ثبت عندنا بالكشف والذوق ما يناقض صريح العقل » [٣] .

ولو كان الاحتجاج بالذوق صحيحاً لا حتج كل مبطل على باطله بالذوق والوجد [٤]، فغلاة الصوفية يفعلون ما يفعلون ويقولون ما يقولون ويحيلون ذلك إلى الذوق ، ويزعمون أن ذلك لا يفهمه إلا من سلك طريقهم ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « وهؤلاء يسمون ما أحدثوه من البدع حقيقة ..... وطريق الحقيقة عندهم هو السلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه، ولكن بما يراه، ويذوقه ويجده ونحو ذلك » [٥] .

---

(١) انظر : معجم مصطلحات الصوفية / الدكتور : عبدالمنعم الحفني (ص١٠٤) .
(٢) الصوفية نشأتها وتطورها / محمد العبده ، طارق عبدالحليم (ص٣٥ ، ٣٦) .
(٣) مدارج السالكين / (٣ / ٤٤٢) .
(٤) المصدر السابق (٣ / ٤٤٢) .
(٥) مجموع الفتاوى (١٠ / ١٦٩) .

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « وهذا الاحتجاج قد سلكه أرباب السماع المحدث الشيطاني ، الذي هو محض شهوة النفس وهواها ، واحتجوا على إباحة هذا السماع بما فيه من الذوق والوجد واللذة » (١)

[ب] الكشف :

وهو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً (٢) .

ويعتمد الصوفية الكشف مصدراً وثيقاً للعلوم والمعارف ، بل تحقيق غاية عبادتهم (٣) .

فيزعم غلاة الصوفية أنهم يدركون العوالم العلوية والسفلية عياناً لرؤية الملائكة والأنبياء والاطلاع على اللوح المحفوظ ، ومعرفة المعتقدات والأحكام ، ويقدمونه على ما جاء في القرآن والسُّنَّة .

يقول محمد بن عبد الجبار النفري (٤) ـ وهو أحد شيوخ الصوفية ـ : « اعلم أني إذا تعرفت عليك لم أقبل من السُّنَّة إلا ما جاء به تعرفي ، لأنك من أهل مخاطبتي ، تسمع مني وتعلم أنك تسمع مني وترى الأشياء كلها مني » (٥)

ويزعمون كذلك أن الكشف يحصل للعبد بعد المجاهدة والرياضة القاسية ، وهذه الأمور قد استقوها من نظريات وطقوس النصرانية ، خاصة وبالذات الرهبان منهم ، وأما الكشف والاتصال بالله ـ عز وجل ـ فهي مأخوذة من الفلاسفة اليونان ، ويكفي

---

(١) مدارج السالكين (٣ / ٤٤٢) .

(٢) معجم مصطلحات الصوفية / لعبدالمنعم الحفني (ص٢٢٥) .

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١ / ٢٦٥) .

(٤) هو محمد عبدالجبار النفري بن الحسن النفري ، أبو عبد الله : عالم بالدين ، متصوف ، نسبته إلى بلدة (نفرٌ) بين الكوفة والبصرة ، من كتبه (المواقف ، المخاطبات في التصوف) . توفي سنة ٣٥٤هـ . انظر : الأعلام / للزركلي(٦/ ١٨٤) ، معجم المؤلفين / كحالة (٣/ ٣٨٤) برقم / ١٣٨٩٢ .

(٥) المواقف والمخاطبات / للنفري (ص٢٢ ، ٢٣) ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (بدون تاريخ) .

ذلك بطلاناً لهذا المصدر الذي بنى عليه غلاة الصوفية وغيرهم من أهل البدع أموراً تخالف الكتاب والسُّنَّة .

أمّا الكشف الذي يحصل للأولياء والصالحين بلا غلوٍ فإن أهل السُّنَّة يعترفون به ويقرونه ، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات (١) ، ولكن بضوابط شرعية موزونة بالكتاب والسُّنَّة .

كما قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « فالمحدَّث الملهم المكاشف من هذه الأمة يجب عليه أن يزن ذلك بالكتاب والسُّنَّة ، فإن وافق صدّق ما ورد عليه ، وإن خالف لم يلتفت إليه » (٢) .

فقد ثبت بالصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « قد كان يكون في الأمم قبلكم محدَّثون (٣) ، فإن يكُنْ في أمتي منهم أحدٌ ، فإن عمر بن الخطاب منهم » (٤) .

فثبت بالصحيح أنه محدّث في هذه الأمة ، ومع هذا فكان ـ رضي الله عنه ـ يفعل ما هو الواجب عليه فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول ﷺ فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر، كما نزل القرآن بموافقته (٥) ، وتارة يخالفه فيرجع عن ذلك .

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « والمكاشفة الصحيحة علوم يحدثها الرب سبحانه وتعالى في قلب العبد ويطلعه بها على أمور تخفى على غيره ، وقد يواليها

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١١ / ٣١٣) .

(٢) المصدر السابق (٢٤ / ٣٧٧) .

(٣) محدَّثون : ملهمون . والملهم هو الذي يُلْقى في نفسه الشيء فيخبر به حَدْساً وفراسة ، وهو نوع يختص به الله من يشاء من عباده ، فيجري الصواب على ألسنتهم . النهاية لابن الأثير (١ / ٣٥٠) ، وصحيح مسلم (٤ / ١٨٦٤) الحاشية .

(٤) رواه مسلم : كتاب الفضائل ، باب فضائل عمر بن الخطاب (٤ / ١٨٦٤) ح٢٣٩٨ .

(٥) لما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « وافقت ربِّي في ثلاث : في مقام إبراهيم ، وفي الحجاب ، وفي أسارى بدر » ـ انظر : صحيح مسلم (٤ / ١٨٦٥) ح٢٣٩٩ . وهذا الحديث يبين ثلاث فقط بينما غير هذا الحديث يذكر أخر مثل : منع الصلاة على المنافقين ، وتحريم الخمر ، ونزول الآية : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ ﴾ [التحريم :٥] ، بعد قوله لنساء النبي ﷺ عند اجتماعهن على رسول الله ﷺ في الغيرة .

وقد يمسكها عنه بالغفلة عنها ، ويواريها عنه بالغيْن الذي يغشى قلبه وهو أرق الحجب ، أو بالغيم وهو أغلظ منه ، أو بالران وهو أشدها » (١)

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ الحجب التي تمنع من الكشف السني فذكر عشرة أصناف ، فقال : « .... الثالث : حجاب البدعة القولية ، كحجاب أهل الأهواء والمقالات الفاسدة على اختلافها ، والرابع : حجاب البدعة العملية كحجاب أهل السلوك المبتدعين في طريقهم وسلوكهم .. » (٢)

[ج] إيحاء الشياطين :

فقد تستحوذ عليهم الشياطين ، وتتمثل لهم بأشخاص أو مخلوقات أخرى ، وهذا ما يدعيه غلاة الصوفية من الاتصال بالرسول ﷺ ، ورؤيته والأخذ منه ، أو من الخضر ـ عليه السلام ـ بل بالارتقاء إلى سدرة المنتهى والكرسي والعرش والتلقي من الله مباشرة (٣) .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن هؤلاء أنها تأتيهم أرواح تخاطبهم وتتمثل لهم وهي جن وشياطين فيظنونها ملائكة (٤)

فإيحاء الشياطين يؤدي إلى الاعتقاد بالإلهام غير المشروع ، والإسراءات والمعارج (٥) البدعية .

والاتصال والهاتف والسماع (٦) الذي يرى العبد ذاته متصلة بالموجود الأحدى

---

(١) مدارج السالكين (٣ / ٢٢٢ ، ٢٢٣) .

(٢) المصدر السابق (٣ / ٢٢٣) .

(٣) انظر : كشف الحجاب / للشعراني ـ تحقيق : محمد عبد الله عبد الرزاق (ص ٢٣٠) ـ مطبعة حجازي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٣٤٧هـ) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (١ / ١٧١-١٧٤) .

(٥) يقصد بذلك العروج إلى الملكوت الاعلى والاتصال بالانبياء والملائكة . كما يُروى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال : « عرج بروحي فخرقت الملكوت ، فما مررت بروح نبي إلا سلمت عليه ، وأقرأته السلام ، غير روح محمد ﷺ ، فإنه كان حول روحه الف حجاب من نور » . انظر: الفتوحات المكية (٣ / ٣٤٢ ، ٤٤٣) ، كشف الحجاب / للشعراني (ص٥٢) .

(٦) يقصدون بالاتصال والهاتف والسماع :أن يرى العبد ذاته متصلة بالموجود الاحدي ، والا يتقيد بوجود نفسه ، وأن يسمع مباشرة من الله . انظر : معجم مصطلحات الصوفية (ص١٠) .

وإلا يتقيد بوجود نفسه وأن يسمع مباشرة من الله،وكلها تنافي الحق والدين الصحيح .

ولهذا يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « فمن أين للمخاطب أن هذا الخطاب رحماني أو ملكي ، بأي برهان ؟ أو بأي دليل ، والشيطان يقذف في النفس وحيه ، ويلقي في السمع خطابه ، فيقول المغرور المخدوع : قيل لي وخوطبت . صدقت لكن الشأن في القائل لك والمخاطب »⁽¹⁾ .

وبذلك يتضح موقف أهل السُّنَّة من هذا المصدر الشيطاني ، فهم يعتمدون على وحي الكتاب والسُّنَّة ، ولا يعتمدون على هذه الخرافات الباطلة ، فهم يعلمون أن الصحابة وهم أولياء الله وأحب الخلق إلى الله تعالى ، وأعرف به ممن سواهم ، وأفضلهم له عبادة لم يدَّعوا هذا النوع من الكشف أو الوحي المناهض لوحي الأنبياء الناسخ لما نزل عليهم بل كانوا يبكون انقطاع الوحي بعد موته ـ ﷺ ـ ولو كان شيء من ذلك يحصل لهم لما بكوا عليه ، إذ يستحيل أن يكون بكاؤهم على شيء لم يفقدوه . فلم يثبت عن خير هذه الأمة بعد نبيها أن أحداً منهم ادعى مجيء الملائكة إليه وأخذه الأحكام وشرائع الإسلام عنها .

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٤٧) .

المطلب الثالث

آراء الرجال وتحكيم العقل

الأول : آراء الرجال :

وذلك بتقديسهم وعدم رفض أوامرهم ، فعند الصوفية الغلاة اعتقاد الولاية لفلان من الصوفيين ، فعند ذلك لا يحق للمريد أن يعترض أو يرفض أمر الشيخ ، حتى قالوا ليكن المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ موضحاً من عمل واعتقد هذا : « فمن جعل غير الرسول ﷺ تجب طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه ، وإن خالف أمر الله ورسوله فقد جعله نداً ، وربما صنع به كما تصنع النصارى بالمسيح ، ويدعوه ويستغيث به، ويوالي أولياءه ... فهذا من الشرك » (١) .

وقال رحمه الله تعالى : « ..... يجعلون نصوص أئمتهم بمنزلة نص الرسول ـ ﷺ ـ ويقلدونهم » (٢) ، فغلاة الصوفية يعتقدون أن قداسة أوليائهم ومشايخهم مكتسبة من الله فيوجبون على أنفسهم طاعتهم والإذعان لأوامرهم دون عرضها على الكتاب والسُّنَّة مع التوجه إليهم أحياءً أو أمواتاً ، بأنواع العبادات التي لا يجوز التوجه بها لغير الله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « إنما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة وأشباه الرافضة من الغالين في بعض المشايخ ،ومن يعتقدون أنه من الأولياء ، ... والغالية من المشائخ يقولون إن الولي محفوظ والنبي معصوم، وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه فحاله حال من يرى أن الشيخ والولي لا يخطئ ولا يذنب » (٣) .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٦٧) .

(٢) المصدر السابق (٩ / ٢٧٢) بتصرف .

(٣) المصدر السابق (١١ / ٦٧) .

وكذلك جعلهم وسائط لقول النبهاني (١) : « .... جعلهم الله سبحانه وتعالى وسائط لنا في تبليغ شرائع دينه فوسطانهم له عز وجل لقضاء حوائجنا تبعاً له في توسيطهم لنا في تبليغ شرائعه والاحتفاظ لأنفسنا عن أن نكون أهلاً لطلب حوائجنا منه سبحانه وتعالى بلا واسطة لكثرة ذنوبنا ووفرة عيوبنا » (٢) فاستدل بقياس الواسطة في العبادة على الواسطة في الرسالة لتجويز طلب الحوائج وقضائها والنفع ودفع المضار من الرسل ، وعلل لذلك أن الاتصال ب الله مباشرة لطلب قضاء الحوائج لا يمكن لكثرة الذنوب ووفرة العيوب ، وهذا مطابق لقول المشركين عن أصنامهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر :٣] .

وبذلك يظهر مذهب أهل السُّنَّة النقي من الضلالات والبدع ومشابهة اليهود والنصارى ، فهم ليس عندهم في الإسلام، تحديد للولاية بالنسبة إلى شخص أو طائفة أو نسب ، اللهم إلا ما نص عليه الكتاب العزيز كما في صحابة الرسول ﷺ الذين آووه ووالوه ونصروه، وتعرضوا للاضطهاد والتعذيب من أجل نصرة دين الله ، أو نصت عليه السُّنَّة المطهرة كما في العشرة المبشرين بالجنة ، وكل من انطبقت عليه هذه الصفات وتحقق فيه الإيمان والتقوى بعد هؤلاء فهو ولي الله بينه وبين ربه ، ولا يحق له أن يطلق لقب الولاية على نفسه ، ولا أن يرمي من لم يطلقها عليه بالتقصير في حقه (٣) .

---

(١) هو يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني الشافعي الأشعري الشاذلي ، ولد بأجزم التابعة لحيفا بفلسطين سنة ١٢٦٥هـ ، شاعر ، أديب صوفي ، من رجال القضاء نسبته إلى بني نبهان من عرب البادية بفلسطين،درس بالأزهر من (١٢٨٣ هـ - ١٢٨٩هـ) له كتب كثيرة خلط فيها الصالح بالطالح ، وحمل على أعلام الإسلام ، كابن تيمية وابن القيم والإمام الألوسي المفسر وغيرهم ، من كتبه : (جامع كرامات الأولياء ، الأنوار المحمدية) وغيرها ، توفي سنة (١٣٥٠هـ) في قريته بفلسطين . أنظر : الأعلام / للزركلي (٨ / ٢١٨) ، معجم المؤلفين / كحالة (٤ / ١٤٥) برقم / ١٨٣١٨ .

(٢) انظر : شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق / النبهاني (ص٦٦) ـ دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأخيرة (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣) .

(٣) انظر : جامع البيان / للطبري (٦ / ٥٧٥ ، ٥٧٦) ، تاويل آية ٦٢ ، ٦٣ من سورة يونس .

الثاني : العقل وتحكيمه :

يزعم الصوفية أن الشريعة هي ما أوحاه الله إلى رسوله ـ ﷺ ـ وأما الحقيقة فهي عندهم المعرفة العقلية التي وصلوا إليها بذوقهم ، وصارت من الدين بغض النظر عن موافقتها للشريعة أو مخالفتها [١] .

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام / غالب عواجي (٢ / ٦٦٨) .

المطلب الرابع
التلقي من مصادر شتى من أهل الكتاب والمجوس والفلاسفة وغيرهم

جاء الإسلام وزالت بمجيئه نظريات الرهبنة والتبتل والهروب إلى الصحاري والغابات، وترك الأهل والأولاد واعتزل المجتمعات بحجة تطهير النفس وتربيتها، وصار للرهبنة في الإسلام مفهوم جديد يخالف تماماً ذاك المفهوم الذي كان عليه سابقاً في العهود الماضية قبل الإسلام . فقد صارت الرهبنة رمزاً للجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى ومقارعة الأعداء ، والدخول في خضم المعارف بعد أن كانت رمزاً للخلوات المظلمة التي كثيراً ما تكون هذه الخلوات المظلمة مأوى لمردة الشياطين والتبتلات ، وقطع العلائق مع البشرية التي نتج عنه الخلل العقلي والخيالات ، ولما جاء رجل إلى النبي ﷺ مستوصياً قال له ﷺ : « وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام» ، وفي رواية عن أنس بن مالك : « لكل نبي رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله (١) »(٢) .

لكن التصوف المغالي أعاد مفهوم الرهبنة السابق إلى الأمة الإسلامية ،واستمد من مصادر تصطدم مع العقيدة الإسلامية اصطداماً صريحاً ، وتلك المصادر كالفلسفات اليونانية وغيرها .

فمن النصوص التي تثبت بأن غلاة المتصوفة قالوا بمثل ما قال به اليونانيون ، وأنهم يعتقدون نفس هذه العقيدة الوثنية هو قول ابن عربي ، والذي قال في تقرير عقيدة وحدة الوجود :

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣ / ٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري ، (٣ / ٢٦٦) من حديث أنس بن مالك ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤ / ٢١٥) ، وقال رواه أحمد وابو يعلى .. ورجال احمد ثقات ، وفي إسناد أبي يعلى ليث بن أبي سليم ، وهو مدلس ، وقال الألباني : لا أعرف أحداً رماه بالتدليس ، وإنما هو ضعيف لاختلاطه وكثرة خطئه . ولبعضه شاهد من حديث أنس رضي الله عنه .. فمثله يستشهد به . أنظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢ / ٨٧) ح٥٥٥ .

(٢) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية / إدريس محمود ادريس (١ / ٧٢-٧٣) .

فلولاه لما كنا ولولا نحن ما كانا
فإن قلنا بأن هو يكون الحق إيانا
فيظهر ليظهر هو سراراً ثم إعلانا [١]

وكذلك الأخذ من أديان الهند الوثنية ، فإن كل من يقرأ في كتب المتصوفة بإمعان ويفهمها جيداً سيدرك بأن غلاة المتصوفة قد تأثروا إلى حد كبير بأديان الهند القديمة في تعاليمهم وفلسفتهم ، وآورادهم وأذكارهم [٢] ، وكذلك التأثر بمصادر التصوف المسيحية المحرفة [٣] .

(١) الفتوحات المكية / لابن عربي (٢ /٥٩) نقلاً عن كتاب : التصوف بين الحق والخلق / لشقفه (ص٦٨) .
(٢) انظر : مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية (١ / ٦٣) .
(٣) المصدر السابق (١ / ٧٢) .

المبحث الرابع
موقف الصوفية القبورية من الشفاعة

المطلب الأول
موقفهم من الشفاعة لأهل الكبائر

إذا كان هناك من أنكر الشفاعة الثابتة في الكتاب والسُّنَّة وخصوصاً الشفاعة في أهل الكبائر ، كالخوارج والمعتزلة ومن تبعهم في ذلك ، كما تقدم توضيح ذلك ، فقد وُجد من اثبت الشفاعة ولكن على غير الوجه الشرعي ، فغلوا فيها وفرطوا في جانب الحذر من الشرك بالله ــ عز وجل ــ الموبق للأعمال الصالحة ، وأن الشرك موجود وواقع فيهم في باب الاستغاثة والتوسل والاستشفاع ، فلا يفرقون بين الوجه المشروع في ذلك من عدمه .

وغالب من يسلك هذا المنهج من يُعرفون بالقبوريين ، وهم الذين يتعلقون بالقبور وبأصحابها الأموات ويعظمونهم وكذا نحوهم من المبتدعة [١] ، موافقين في ذلك المشركين والنصارى ،الذين نفى الله تعالى شفاعتهم في القرآن الكريم وأبطلها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عند بيان افتراق الناس في مسألة الشفاعة : « وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق : طرفان ووسط ، فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب ، كالنصارى ، ومبتدعة هذه الأمة أثبتوا الشفاعة التي نفاها القرآن .... » [٢] ، وهي الشفاعة الشركية ، والاصل في قبول الشفاعة هو التوحيد . فلا نصيب في الشفاعة لمن أشرك مع الله في الدعاء ، ولم يخجل من مناداة غيره جاهلاً أن شفاعة النبي ــ ﷺ ــ لا نصيب فيها لمشرك ، إنما

---

(١) انظر مثلاً : كتاب شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق / ليوسف النبهاني ــ وغيره من الكتب .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم / لابن تيمية ــ تحقيق ، د : ناصر العقل (٢ / ٨٣٠) ــ مكتبة الرشد ــ الرياض ــ السعودية ــ ط الخامسة (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) .

هي لأهل الكبائر والموحدين من أمته لا لأهل الشرك كما قال ﷺ : « .... **فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً** » (١) .

ثم إن مفهوم الشفاعة عند الصوفية القبورية يؤدي إلى التعلق بالأماني والخرافات التي لا تفيد ، وقد أخبرنا الله تعالى عن المشركين الذين زعموا أن أصنامهم وتماثيلهم تشفع عند الله بقوله تعالى : ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** ﴾ [الزمر : ٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **هَٰؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ** ﴾ [يونس : ١٨] .

ولقد تقدم لنا أن الشفاعة الثابتة في الآخرة لا بد لها من شروط ، وعلى رأسها إذن الله تعالى للشافع أن يشفع ، ورضاه عن المشفوع له ، وأن الله تعالى لا يرضى إلا عن المؤمنين الموحدين ، فالأمر كله لله تبارك وتعالى ، إلا أن الصوفية القبورية وأشباههم قد خالفوا ذلك ، فأثبتوا الشفاعة لأوليائهم الأموات ، وطلبوها منهم في الحياة الدنيا ، كما طلبها المشركون من أصنامهم ، والنصارى من رهبانهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « ومنهم من يتأوّل قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء : ٦٤] ، يقولون إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته ، كنّا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة ، ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر المسلمين ، فإن أحداً منهم لم يطلب من النبي ﷺ بعد موته أن يشفع له ، ولا سأله شيئاً ، ولا ذكر ذلك أحدٌ من أئمة المسلمين في كتبهم .. فهذه الأنواع ، وخطاب تماثيلهم هو من اعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب ، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادة ما لم يأذن به الله ...... » (٢) .

فالشفاعة لأهل الكبائر ثابتة بالأدلة الصحيحة الصريحة ، ولكن على وجه مشروع وطريقة مشروعة بشروطها وأسبابها ، وليس على طريقة أهل البدع من القبورية وغيرها ممن غلا في إثباتها على الوجه الغير شرعي .

---

(١) سبق تخريج الحديث ص ٨٦ .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٤ ، ٢٥) ، مجموع الفتاوى (١ / ١٥٩) .

المطلب الثاني
موقفهم من شفاعة الصالحين

تثبت الصوفية القبورية شفاعة الأولياء والصالحين ، ولكن على غير الوجه الشرعي ، وكان أصل سبب ضلال هؤلاء الصوفية القبورية هو الغلو في الصالحين ، ورفعهم فوق منزلتهم، واعتقادهم فيهم اعتقادات باطلة ، منها اعتقادهم : « أن أئمة الفقهاء والصوفية كلهم يشفعون في مقلديهم ويلاحظون أحدهم عند طلوع روحه، وعند سؤال منكر ونكير له وعند الحشر والنشر والحساب والميزان والصراط، ولا يغفلون عنهم في موقف من المواقف .وجميع الأئمة يشفعون في اتباعهم، ويلاحظونهم في شدائدهم في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة حتى يجاوز الصراط »(١) .

وقد يؤدي الغلو في الصالحين إلى اعتقادات باطلة كدعائهم وهم أموات ، وسؤال الشفاعة وقضاء الحاجات وهذا كله من المنكرات الشنيعة ، فموقف الصوفية القبورية من شفاعة الصالحين موقف فيه الغلو المؤدي إلى الشرك بالله - عز وجل - ومشابهة اليهود والنصارى ، فقد ذكر الله تعالى غلو اليهود والنصارى في الصالحين ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ﴾ [النساء: ١٧١] ، وقوله تعالى :﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾ .

[التوبة: ٣١] .

وقد وقعت الصوفية القبورية وغيرهم من أهل البدع وكذلك الرافضة من قبل ، في غلوهم في الصالحين وائمتهم وهذا ضلال وشرك بالله - عز وجل - وقد حذر النبي ﷺ عن الغلو أيما تحذير بقوله : « إياكم والغلو في الدين ، فإنما هلك من

---

(١) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية / شمس الدين الأفغاني (٢ / ٧٦٠) دار الصميعي للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية - ط الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) .

كان قبلكم بالغُلو في الدين » (١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الشفاعة المنفية : « فهذه الشفاعة التي أثبتها المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين حتى صوروا تماثيلهم وقالوا : استشفاعنا بتماثيلهم استشفاع بهم ، وكذلك قصدوا قبورهم وقالوا : نحن نستشفع بهم بعد مماتهم ليشفعوا لنا إلى الله ، وصوَّروا تماثيلهم فعبدوهم كذلك ، وهذه الشفاعة أبطلها الله ورسوله ، وذم المشركين عليها وكفرهم بها » (٢) .

فالصوفية القبورية شابهوا أولئك في الغلو في الصالحين والاستغاثة بهم والاستشفاع غير المشروع ، وجانبوا الصواب في الاستشفاع المشروع الذي بينه النبي ﷺ وحذر من سواه لخطورة الوقوع في الشرك المحرم للعبد من دخول الجنة .

وخلاصة القول أن الصوفية القبورية تثبت الشفاعة لأهل الكبائر سواء كان الشافع الرسول ﷺ أو غيره من الشفعاء ، ولكن بوجه غير شرعي بل قد تكون شركاً فيثبتون الشفاعة الشركية التي أبطلها الشرع .

وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بقوله : « لم يكن النبي ﷺ بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين، ولا يستشفعوا بهم ، لا بعد مماتهم ولا في مغيبهم » (٣) .

فالشرك بالله ـ عز وجل ـ يُحرم العبد من الشفاعة « لأن هذه الشفاعة الخاصة لا نصيب فيها لمنتحلي الشفاعة الشركية الذين كانوا يزعمون في الدنيا أن لشفعائهم تأثيراً في مشيئة الله وأفعاله ، حتى يحملوه على فعل مالم يكن يفعله لولا شفاعتهم ، فيجعلون ذاته وصفاته وأفعاله معلولة تابعة لما يطلبونه منه ، وأما شفاعة

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١ / ٢١٥ ، ٣٤٧) / عن عبد الله بن عباس ﷺ والحديث صحيح : أنظر صحيح الجامع / للألباني (١ / ٥٢٢) برقم / ٢٦٨٠ .

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ١٥١) .

(٣) مجموع الفتاوى (١ / ١٦٠) .

الإيمان الصحيحة فهي تابعة لمشيئته ولمرضاته ، ﴿ ولا يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَن ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] »[١] .

(١) تفسير المنار / محمد رشيد رضا (١١ / ٣٥١ ، ٣٥٢) .

الفصل الثامن

شبهة الرافضة والصوفية القبورية في الشفاعة والرد عليها

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : شبهة الرافضة والصوفية القبورية في الشفاعة .

المبحث الثاني : الرد على شبهة الرافضة والصوفية القبورية .

الفصل الثامن

شبهة الرافضة والصوفية القبورية في الشفاعة والرد عليها

المبحث الأول

شبهة الرافضة والصوفية القبورية في الشفاعة

إذا نظرنا في العالم الإسلامي من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب نجد أن بناء المساجد على القبور،وبناء القباب على قبور الأولياء والأئمة المعصومين ـ على حسب زعمهم ـ منتشر فيه انتشاراً واسعاً وواضحاً كل الوضوح ، وأن كثيراً من أفراد الأمة الإسلامية في الماضي والحاضر قد وقع في صرف عبادات لأصحاب هذه المساجد والقباب المبنية على القبور حيث توجهوا إليهم بالدعاء والاستغاثة والاستشفاع بهم والنذور ، رغم أن هذه الأشياء عبادات من أجلّ العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله ، وبسبب هذه المشاهد الصوفية والاعتقاد في عصمة الأئمة عند الشيعة الرافضة أو غلاة الصوفية وقع كثير من أبناء الأمة الإسلامية في الشرك بالله عز وجل .

فنجد أن الشيعة الرافضة والصوفية القبورية أثبتوا الشفاعة لرسول الله ﷺ ولغيره من الأئمة والأولياء الذين يعتقدون عصمتهم ولكنهم غلوا في ذلك كثيراً ، فأثبتوا الشفاعة المنفية في القرآن الكريم ، وهي الشفاعة الشركية . فدعوى العصمة للأئمة عند الرافضة ، ودعوى غلاة الصوفية استمداد أوليائهم من الله مباشرة جعلهم يثبتون الشفاعة الشركية ، ويسعون إلى الدعوة إليها ولهم في ذلك شبهة هي : [لقد اعتقد هؤلاء أن أئمتهم المعصومين وأولياءهم كونهم عندهم لهم القداسة سيشفعون لهم عند الله حتماً إذا استشفعوا بهم ، وقاسوا هذه على الشفاعات الدنيوية المعروفة بين الناس ، وذلك من حيث لزوم الشفاعة وتحقق وقوعها] ، وهذا

ما كان يعتقده المشركون من قبلهم في أصنامهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مبيناً ذلك : « المشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين ، ويصورون تماثيلهم ، فيستشفعون بها ويقولون : هؤلاء خواص الله ، فنحن نتوسل إلى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا ، كما يُتوسل إلى الملوك بخواصهم ، لكونهم أقرب إلى الملوك من غيرهم ، فيشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك ، وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره ، فيحتاج إلى إجابة شفاعته رغبة ورهبة » (١) .

وقال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ مصوراً كيفية حصول الشفاعة في نظر هؤلاء بعد عرضه زيارة الموحدين للقبور ، ثم زيارة المشركين لها : « وهذا الذي ذكر هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها ، وتشفع لهم عند الله تعالى قالوا : فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرّب عند الله ، وتوجه بهمّته إليه ، وعكف بقلبه عليه ، صار بينه وبينه اتصال ، يفيض به عليه منه نصيب كما تحصل له من الله سبحانه ، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاهٍ وخطوة وقُرْبٍ من السلطان، فهو شديد التعلق به ، فما يحصل لذلك من السلطان ، من الإنعام والإفضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به » (٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « فكثير منهم يظن أن الشفاعة هي بسبب اتصال روح الشافع بروح المشفوع له ، ... ويقولون : من كان أكثر صلاة على النبي ﷺ كان أحق بالشفاعة من غيره . وكذلك من كان أحسن ظناً بشخص ، وأكثر تعظيماً له كان أحق بشفاعته ، وهذا غلط . بل هذا هو قول المشركين الذين قالوا : نتولى الملائكة ليشفعوا لنا ، يظنون أن من أحب أحداً من الملائكة والأنبياء والصالحين وتولاه . كان ذلك سبباً لشفاعته له ، وليس الأمر كذلك بل الشفاعة

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١٥٠) ، وانظر : تيسير العزيز الحميد (ص٢٢٤-٢٢٥) .

(٢) إغاثة اللهفان / تحقيق : محمد عفيفي (١ / ٣٣٨ ، ٣٣٩) ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ، وانظر : مجموع الفتاوى / لابن تيمية (٤ / ٤١٢-٤١٤) .

سببها توحيد الله ، وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له فكل من كان أعظم إخلاصاً كان أحق بالشفاعة ، كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة ، فإن الشفاعة من الله مبدؤها ، وعلى الله تمامها ، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ، وهو الذي يأذن للشافع ، وهو الذي يقبل شفاعته في المشفوع له » (١) .

وهكذا هو تعلق الشيعة الرافضة والصوفية القبورية في أئمتهم وأوليائهم في موالاتهم لينالوا شفاعتهم ، مع اختلاط الموالاة بالشرك المانع للشفاعة عند الله عز وجل .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤١٤) .

المبحث الثاني

الرد على شبهة الرافضة والصوفية القبورية

يرد على هذه الشبهة من عدة وجوه كما يأتي :

الوجه الأول : أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر ، فقد تحصل الشفاعة عند البشر بدون إذن المشفوع إليه ، أو بدون رضاه عن المشفوع له لسبب من الأسباب ، بخلاف الشفاعة عند الله تعالى فلا تحصل إلا بعد إذنه - عز وجل - للشافع ورضاه عن المشفوع له ، فليس حصول الشفاعة عند الله تعالى أمراً مطلقاً لازماً ، وإنما هو مقيد بشروط لا تتحقق عند الشيعة الرافضة والصوفية القبورية .

قال ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - : « فالحاصل أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر ، فإن الشفيع عند البشر كما أنه شافعٌ للطالب شفعة في الطلب ، بمعنى أنه صار شفعاً فيه بعد أن كان وتراً ، فهو أيضاً قد شَفَع المشفوع إليه ، وبشفاعته صار فاعلاً للمطلوب ، فقد شَفَع الطالب والمطلوب منه ، والله تعالى وتر لا يشفعه أحدٌ ، فلا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه ، فالأمر كله إليه ، فلا شريك له بوجه » [(١)] .

وقال العلامة حسين بن مهدي النعمي [(٢)] - رحمه الله - : « وسرُّ الفرق بين الشفاعتين : أن شفاعة المخلوق إلى المخلوق وسؤاله للمشفوع عنده لا يفتقر فيها إلى أذن ، ولا أمر من المشفوع عنده .... والشفاعة عند الخالق جل وعلا امتثالاً لأمره وطاعةً له ، فالربُّ سبحانه هو الذي يحرك الشفيّع حتى يشفع .... » [(٣)] .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق الألباني (ص٢٣٨-٢٣٩) .

(٢) حسين بن مهديّ النعميّ التهامي ثم الصنعاني ، فاضل ، من أهل (صَبْيا) في تهامة اليمن ، تعلم وأقام في صنعاء ، يقرئ كتب السنة في مسجد القبة ، إلى أن توفي في سنة ١١٨٧هـ . له (معارج الألباب في مناهج الحق والصواب) . أنظر : الأعلام / للزركلي (٢ / ٢٦٠) .

(٣) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب / للنعمي - تحقيق : محمد حامد الفقي (ص١٥٠) - مكتبة المعارف - الرياض - السعودية - ط الرابعة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ، إغاثة اللهفان (١ / ٣٤٣ ، ٣٤٤) .

الوجه الثاني : أن الله تعالى نفى الشفاعة الشركية التي يتعلق بها أولئك المشركون ومن وافقهم ، وأبطل هذه الشفاعة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنعام: ٥١] ، وقوله تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر :٤٣-٤٤] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقوله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بعد أن ساق هذه الآيات وأمثالها :

« فهذه الشفاعة التي أثبتها المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين ، حتى صوروا تماثيلهم وقالوا : استشفاعنا بتماثيلهم استشفاع بهم ، وكذلك قصدوا قبورهم وقالوا : نحن نستشفع بهم بعد مماتهم ليشفعوا لنا إلى الله ، وصوروا تماثيلهم فعبدوهم كذلك ، وهذه الشفاعة أبطلها الله ورسوله ، وذم المشركين عليها وكفّرهم بها » (١) .

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ تعليقاً على قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الإسراء:٥٩] ، « فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين ، سواءً كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١٥١) .

تناولته هذه الآية » (١) .

وقال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ موضحاً وجه كون الشفاعة المنفية في القرآن الكريم هي الشفاعة الشركية : « الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يعرفها الناس ، ويفعلها بعضهم مع بعض . ولهذا يطلق نفيها تارة ، بناءً على أنها هي المعروفة المشاهدة عند الناس ، ويُقيِّدها تارة بأنها لا تنفع إلا بعد إذنه . وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه ، فإنه الذي أذن ، والذي قبل ، والذي رضي عن المشفوع ، والذي وفّقه لفعل مايستحق به الشفاعة وقوله . فمتخذ الشفيع مشرك . لا تنفعه شفاعته . ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب وحده إلهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوَّه ومخوفه الذي يتقرب إليه وحده ،ويطلب رضاه ، ويتباعد من سَخَطه ، هو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع فيه » (٢) .

وقال الإمام الألوسي ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿ **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا** ﴾: « رد لما يجيبون به وهو أن الشفعاء ليست الأصنام أنفسها بل أشخاص مقربون هي تماثيلهم ، والمعنى أنه تعالى مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة ما إلا أن يكون المشفوع مرتضى والشفيع ماذون وكلاهما مفقودان ههنا » (٣) .

الوجه الثالث : أن ما زعموه من وصف حصول شفاعة معظميهم عند الله تعالى لا دليل عليه، بل هو مخالف للشرع وللعقل .

وعلى أي حال فإن شفعاءهم المزعومين يقسمون إلى أربعة أصناف :

[١] إما أن تكون أصناماً أو تماثيل لا نفع فيها ولا ضر ، كما قال تعالى: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ** ﴾ [الفرقان : ٥٥] .

[٢] أن يكون هؤلاء الشفعاء من الأموات، ولا ريب أن دعاء الأموات لم يشرع ، بل المشروع الزيارة الشرعية التي تتضمن الدعاء للأموات ، لا دعاؤهم .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥ / ٢٢٦) .

(٢) إغاثة اللهفان (١ / ٣٤٢) ، معارج الألباب في مناهج الحق والصواب / للنعمي (ص١٥٠ ، ١٥١) .

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢ / ١٠) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الشفاعة بالأموات:

« فإن طلب شفاعته ـ أي الميت ـ ودعائه واستغفاره بعد موته وعند قبره ليس مشروعاً عند أحد من أئمة المسلمين،ولا ذكر هذا أحد من الأئمة الأربعة وأصحابهم القدماء ،......ومعلوم أنه لو كان طلب دعائه وشفاعته واستغفاره عند قبره مشروعاً لكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان أعلم بذلك وأسبق إليه من غيرهم » (١) .

[٣] وقد يكون هؤلاء الشفعاء من الأحياء الذين لا يقبل الله شفاعتهم ولا يأذن لهم فيها ، لخلل في التوحيد عند الشفعاء أو المشفوع لهم .

[٤] وإن كانوا ممن قد تُقبل شفاعته فلا بد من إذن الله تعالى لهم في الشفاعة ، كما لابد من رضاه تعالى عن المشفوع لهم أيضاً .

وبهذا يتضح بطلان مزاعم الرافضة والصوفية القبورية واعتقادهم الباطل في أئمتهم وأوليائهم المعصومين الذين يجعلون لهم مرتبة رفيعة مساوية لمرتبة النبي ﷺ وقد تكون أرفع ، وهذا غلو فيما اعتقدوه وزيغ وضلال ، فالحق يظهر باتباع الكتاب والسُّنَّة دون سواهما .

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٢٤١) .

الخاتمة

وبعد أن منّ الله تعالى عليّ باتمام هذا البحث ، أحمد الله حمداً كثيراً على ما أنعم به وتفضل من إنهاء هذا البحث وجمع ما تيسر من شتات مسائله المتفرقة في بطون الكتب ، وتوضيح وشرح ما تيسر من ذلك ، بناء على ما دلت عليه النصوص من الكتاب الكريم والسُّنَّة النبوية المطهرة ، ومن كلام السلف الصالح فيها .

وقد كان من توفيق الله وتسديده أني توصلت من خلال دراستي لهذا الموضوع في العقيدة الإسلامية (الشفاعة وموقف الفرق الإسلامية منها) إلى نتائج أقيد ذلك في نقاط ، وهي ما يلي :

[١] أن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلى هدي النبي ﷺ والتمسك به عقيدة وشريعة ، لإخراجها من الضلال والشقاء إلى الهدى والسعادة والنور ، وهذا لا يكون إلا باتباع الكتاب العزيز والسُّنَّة النبوية المطهرة والبحث عن الاعتقاد الصحيح ، اعتقاد الرسول ﷺ ، وأصحابه الكرام .

[٢] الإيمان باليوم الآخر عموماً وسيلة إلى فعل الخيرات وترك المنكرات بما يوجد في النفس من الرغبة فيما عند الله من خيري الدنيا والآخرة ، وبما يوجد لها من الخوف من عذاب الله ، والرهبة من عقابه .

[٣] أهمية التمسك بالألفاظ الشرعية المعروفة من لغة الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

[٤] الشفاعة تدل على توسط الغير بجلب منفعة أو دفع مضرة سواء كانت في أمور الدنيا أو الأخرة ، وهي مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر ، وأقسامها باعتبار ذاتها (حسنة ، وسيئة) وباعتبار قبولها عند الله (منفية ، ومثبتة) ، وأنها في

أمور الدنيا على نوعين : مباحة (مشروعة) ، محرمة (غير مشروعة) . والتوسل : هو سبب موصل إلى المقصود ، وتقرب إلى المطلوب ، والتوصل إليه برغبة ، وهو على قسمين : مشروع ، وممنوع . والاستغاثة : مأخوذة من الغوث ، وهي عبارة عن طلب الغوث والاستنجاد والاستنقاذ من الشدة والهلاك ، وهي قسمان : استغاثة مثبتة مشروعة ، واستغاثة منفية ممنوعة .

[٥] العلاقة بين الشفاعة والتوسل والاستغاثة في الدعاء والسؤال ، والفرق بينها أن الشفاعة والتوسل أعم من الاستغاثة كون التوسل والشفاعة تكون كل منهما بواسطة وهو المستشفع به أو المتوسل به وبدون واسطة ، بينما الاستغاثة أخص لعدم وجود واسطة بين المستغيث والمستغاث به .

[٦] ثبوت الشفاعة بأنواعها يوم القيامة لدلالة القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية وإجماع السلف الصالح على ذلك

[٧] لا تحصل الشفاعة يوم القيامة إلا بعد تحقق شروطها وهي : إذن الله تعالى للشافع أن يشفع ، ورضاه عن المشفوع له ورضاه عن الشافع ، وقدرة الشافع على الشفاعة ، إسلام المشفوع له وتجرده من الشرك بالله عز وجل . وأسبابها تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما :الأول :تحقق شروط الشفاعة،الثاني :الأسباب المختصة بالشفاعة من الأعمال الصالحة مثل (قراءة القرآن ، الصيام ، الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، الدعاء عند الأذان ، صلاة الموحدين على الميت ، كثرة السجود لله تعالى ، سُكنى المدينة والموت بها ، قضاء حوائج المسلمين ، الأخوة في الله) .

[٨] أن طلب الشفاعة من الرسول ﷺ بعد موته (في الحياة البرزخية) لا يجوز ، وكذلك الملائكة لتعذر إجابتهم ، وكذا غيرهم من الأنبياء والصالحين بعد موتهم ، لا عند قبورهم ولا بعيداً عنها .

[٩] جواز الاستشفاع بفلان فيما هو مباح في الدنيا ، وكذلك ما ثبت في الآخرة ، وعدم جواز الإقسام بحق فلان لأنه من الشرك .

[١٠] أن الشفاعة يوم القيامة تتنوع من حيث الشفعاء ، فهم : الرسول ﷺ ، الأنبياء ، الملائكة ، الشهداء ، المؤمنون ، الأبناء للآباء ، القرآن الكريم ، الصيام ، وشفاعة أرحم الراحمين .

ومن حيث نوع الشفاعة ، فلرسول الله ﷺ عدة أنواع من الشفاعة يوم القيامة ، منها ما تكون خاصة به متفقًا في خصوصيتها ، به كالشفاعة العظمى ، شفاعته لأهل الجنة ليدخلوها ، شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض أهل النار ، شفاعته في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ، خصوصيته في تأجيل دعوته لأمته إلى يوم القيامة ، ومنها ما يكون مختلفًا في خصوصيتها به ، كالشفاعة في أقوام استوجبوا النار ببعض أعمالهم فلا يدخلوها ، والشفاعة في رفع درجات أهل الجنة ، والشفاعة في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، ومنها ما يكون عاماً له ولغيره من الشفعاء ، كالشفاعة لأهل الكبائر .

[١١] أن الشفاعة يوم القيامة تتكرر مراراً ، وتتفاوت على حسب درجة الشافع أو المشفوع له .

[١٢] الوعيدية (الخوارج والمعتزلة) يحبطون بالكبيرة صحة العمل وثوابه معاً ، والمرجئة يقصرون الإحباط على الردة المتصلة بالموت ،ويتأولون نصوص الوعيد بالإحباط على المستحل ، وما أشبه ذلك ، وأهل السُّنَّة مبنى الحكم في الكبيرة عندهم على الموازنة ومشروط بانتفاء موانع إنفاذ الوعيد ، فيكون الحكم على مرتكب الكبيرة كالتالي :

(أ) **الخوارج** : يكفرون مرتكب الكبيرة بمجرد ارتكابه لها ، وفي الآخرة يكون مخلداً في النار .

(ب) **المعتزلة** : في منزلة بين المنزلتين (لا مؤمن ولا كافر) ، وفي الآخرة يكون مخلداً في النار .

(ج) **المرجئة** : يعتبرونه مؤمنًا كامل الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية ، وفي

الآخرة : لا يدخل النار أحد بذنب دون الكفر بالكلية .

(د) **أهل السُّنَّة :** مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته ، وفي الآخرة هو إلى الله إن شاء غفر له وعفا عنه ، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يخرج بالشفاعة وغيرها ، وذلك لثبوت الشفاعة لأهل الكبائر والخروج من النار ، لأدلتها الصحيحة الصريحة ، والمتواترة .

[١٣] ظهور أثر الشرك وخطورته على الأمة ، ومن آثاره حرمان العبد من الشفاعة .

[١٤] بيان أن أهل السُّنَّة والجماعة ليس لهم لقب يعرفون به إلاّ الإسلام وما دل عليه ، وأن ما اشتهر عنهم من أسماء (كأهل السُّنَّة والجماعة ـ والطائفة المنصورة ، وغيرها) مستمدة من الكتاب والسُّنَّة . وهي تخالف تماماً أسماء أهل البدع التي هي في الغالب مشتقة من أصل بدعهم ، أو ترجع في الانتساب إلى الأشخاص الذين هم رؤوسهم في تلك البدع .

وأن مذهب أهل السُّنَّة يقوم على أسس وقواعد قوية ثابتة ، عمادها الكتاب والسُّنَّة والإجماع ، وكل دعوى في إتباع مذهب السلف الصالح لا تقبل مالم تكن مبنية على منهجهم الواضح المستقيم .

[١٥] أهل السُّنَّة لم يتعمقوا في الأمور العقلية التي هي خارج نطاق العقل، بل لم يتكلفوا البحث عنها، مع التزامهم بأيسر الأدلة المتمثلة في الأدلة الفطرية العقلية ، والأدلة السمعية ، ولذلك لم تصعب طريقتهم على عوام الناس .

[١٦] الأشاعرة موافقون لأهل السُّنَّة فيما يتعلق بالسمعيات كالمعاد ، والحشر والشفاعة والحساب والحوض والصراط ، والجنة والنار وعذاب القبر ، ونحو ذلك . وكذلك في الإمامة والتفضيل وما يتعلق بهما ، وكذلك في أنه لا يخلد أحد من أهل القبلة في النار ، فهم مخالفون في ذلك لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة والشيعة ، ومن ثم كانوا أقرب الطوائف إلى أهل السُّنَّة .

[١٧] اعتماد الفرق الإسلامية المبتدعة في التلقي والاستدلال على الآتي :

(أ) الاعتماد على الرأي المجرد .

(ب) تقديم العقل على النقل .

(ج) اعتمادهم على الحكايات والرؤى

(د) اعتمادهم على العقليات أكثر من الشرعيات .

(هـ) اعتمادهم على كتب الأدب والكلام والفلسفات ونحوها .

(و) أعتماد بعضهم دعوى زائفة ـ كغلاة الصوفية ـ أنه يستمد من الله مباشرة .

(ز) اعتماد الرافضة وغلاة الصوفية على دعوى العصمة لغير الرسول ﷺ والتلقي عنهم .

(ح) تلقيهم عن الديانات والفلسفات الأجنبية .

(ط) الاعتماد على الكذب والموضوعات وما لا سندله ، كالرافضة وغلاة الصوفية .

(ي) الاعتماد على الظن وترك مصادر اليقين (القرآن والسُّنَّة) .

[١٨] منهج الفرق المبتدعة في التلقي والاستدلال كان من أسباب تماديهم في الضلالة والبدع والافتراق والشك والحيرة والجدل والاستهانة بنصوص الشرع وغير ذلك .

[١٩] أن للعقل مكانة في العقيدة الإسلامية ، وأن الإسلام قد أثنى على أرباب العقول ، وأنه لم يلغ عمل العقل ، كما أنه لم يطلق له العنان ليخوض فيما لا يدركه ، أو يحار فيما لا يفهمه ، وأن العقل الصريح الخالي من أمراض الشبه والأهواء موافق للنقل الصحيح ، ولا يختلفان إلا عند فساد أحدهما .

[٢٠] إنكار الوعيدية (الخوارج والمعتزلة) الشفاعة لأهل الكبائر ، وتشابههم

في هذا ، ولهم في ذلك عدة شبه نقلية وعقلية وهي :

(أ) **شبه نقلية :** آيات الوعيد الدالة على العموم ـ آيات الوعيد المصرحة بالخلود في النار ـ الآيات النافية للشفاعة .

(ب) **شبه عقلية :** عدم ثبوت الأحاديث - بزعمهم - ، أو كونها آحاداً لا يحتج بها في العقائد ، أو يكون المقصود بها التائب ، فيه إخلاف لوعيده سبحانه وتعالى ، وغيرها.

[٢١] إثبات أهل السُّنَّة شفاعة النبي ﷺ وغيره لأهل الكبائر من أهل التوحيد ، وأنهم لا يخلدون في النار ، وردّهم على أدلة الوعيدية النقلية من وجوه :

الأول : إقرار الصحابة والتابعين بما تواترت به الأحاديث الصحيحة في الشفاعة لأهل الكبائر .

الثاني : آيات الوعد والرجاء والترغيب في مقابل آيات الوعيد والتوفيق بينهما .

الثالث : الآيات النافية للشفاعة خاصة بالكفار فقط ، أما من مات موحداً فمصيره إلى الجنة وإن عُذِّب .

الرابع : مخالفة استدلالهم بالوعيد إثباتهم على توبة مرتكب الكبيرة وإسقاط الوعيد عنه .

الخامس : ترجيح عمومات الوعد أولى لتناسبه مع رحمة الله ـ عز وجل ـ .

السادس : النصوص المتواترة التي تدل على انقطاع عذاب عصاة الموحدين .

والردّ على الشبه العقلية : بأن الأحاديث ثابتة صحيحة رواها الأئمة في الصحاح متواترة ، والآحاد يعمل بها في العقائد ، وأخبار الوعد مبينة وموضحة لأخبار الوعيد ، وأمّا إخلاف الوعيد فعيتبر إكراماً وليس ذماً ، وأمّا حصر الشفاعة بالتائب ، فلا معنى لها لأن النصوص مصرحة بخروج قوم دخلوا النار بذنوبهم ، فيشفع لهم .

[٢٢] تناقض الفرق الإسلامية أهل البدع والأهواء في استدلالاتهم وضرب

النصوص بعضها ببعض .

[٢٣] مشابهة غلاة الصوفية للشيعة الروافض الإمامية في تعظيم الأئمة والأولياء، وإدعاء العصمة لهم .

[٢٤] مغالات الشيعة الرافضة الإمامية ، والصوفية القبورية في مسألة الشفاعة ، وإثباتها في غير مكانها ، فقد أثبتوها لأوليائهم الأموات وأئمتهم المعصومين ـ على زعمهم ـ وأنهم طلبوها منهم في الدنيا ، كما طلبها المشركون من أصنامهم ، والنصارى من رهبانهم ، وأنهم قاسوا ذلك على الشفاعات الدنيوية المعروفة بين الناس، وذلك من حيث لزوم الشفاعة وتحقق وقوعها ، وكذلك طلبهم ذلك عند قبورهم ، واعتقادهم بأن لهم تصرفًا في ذلك .

[٢٥] أن الشفاعة عند الله ـ عز وجل ـ ليست كالشفاعة عند البشر ، وأن الله تعالى نفى الشفاعة الشركية التي يتعلق بها أولئك المشركون ومن وافقهم .

[٢٦] إبطال دعوى غلاة الصوفية والشيعة الرافضة الإمامية شفاعة معظميهم ، لمخالفته للشرع والعقل .

[٢٧] وأخيراً فقد تبين أن ما أثير من حُجج وغيرها حول الشفاعة سواءٌ إنكاراً أو مغالاةً إنما هي حجج باطلة سهلة نقضها ، بشرط أن يلتزم من يناقشها منهجاً واضحاً محدداً لئلاً يقع في تناقض أو انحراف ، والشبهات لا تأتي بأدلة قوية ، لأنها تنشأ عن هوى يقع في النفوس ، فيزين الشيطان لها الانحراف فتجد لها مبرراً فيما تستدل به وتعتقده .

وأيضاً يتضح جلياً من خلال عرض مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في موضوع الشفاعة والفرق المخالفة لها أن أهل السُّنَّة أسعد الناس بالدليل.وأحرص على الحق والالتزام به من غيرهم،وأنهم وسط بين المخالفين في كل أمور الدين وأنهم يوفقون بين النصوص التي ظاهرها التعارض إمّا بالتأويل الصحيح السائغ،أو بغير ذلك مثل تفسيرها وبيان معناها الصحيح وحملها على ما يناسب الأدلة التي ظاهرها التعارض.

توصيات ومقترحات

● أوصي نفسي وإخواني الباحثين والدعاة والأساتذة وجميع المسلمين بتقوى الله - عز وجل - فهي وصية الله للأولين والآخرين ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء : ١٣١] .

● وأوصي كذلك الباحثين وأهل العلم بمزيد من التعمق في دراسة العقيدة الإسلامية، والاهتمام بها ، وبيان مخاطر الاعتقاد الخاطئ،وفوائد الاعتقاد الصحيح ، والكشف عن وجه الحقيقة فيما عليه الفرق المخالفة من الاعتقادات ، والملبسة على الأمة في أفكارها ومعتقداتها الباطلة ، وبيان خطورة هذه الفرق في تشتيت الأمة والطعن في الإسلام باسم الإسلام ، وإذهاب الأمن ونشر الشركيات والخرافة ، وتعظيم الأولياء والأئمة تعظيم غير شرعي .

● وكذلك أوصي العاملين في مكان القرار من أقسام للدراسات الإسلامية ، أو مراكز علمية أو دعاة أو خطباء إلى تدريس مادة العقيدة الإسلامية ، وجعلها من المواد الأساسية التي يجب الاهتمام بها بما في ذلك اختيار كتاب صحيح في العقيدة يبين ما كان عليه الصحابة وأتباعهم في العقيدة ، ودعم ذلك مادياً ومعنوياً لإذهاب الأفكار المخالفة التي تؤدي إلى نشر الفوضى في المجتمع ، والجدل بما لا طائل تحته ، ولا فائدة فيه > أو التخفيف من ذلك .

● وكذلك أوصي الجامعة بتوفير مكتبة مستقلة خاصة بقسم الدراسات الإسلامية ، مزودة بالمراجع الكثيرة ، والوسائل العصرية التي تخدم الباحث من كمبيوتر وتبعاته وغير ذلك من المراجع العلمية المبرمجة .

● وفي الختام فهذا جهد المُقل أقدمه ، فما كان فيه من صواب فمن الله وهو المحمود على توفيقه ، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان ، والحمد لله الذي

وفقني على الإتمام ، وأساله المغفرة في الخطأ والنقصان ، وأن يسلك بي وجميع المسلمين طريقة الصراط المستقيم ، وأن يجنبنا طرق المغضوب عليهم والضالين وأهل البدع والأهواء .

و الله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وأتباعه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم :

[١] الإباضية بين الفرق الإسلامية / لعلي يحيى معمر ـ مطبعة وزارة التراث القومي ـ عُمان ـ ط (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، ط أخرى ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م)،ط أخرى ـ ط الثالثة (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) .

[٢] الإباضية تاريخاً وعقيدة / للدكتور / وليد مساعد الطبطبائي ـ دار التجديد ـ الكويت ـ ط الأولى (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م) .

[٣] الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم / علي يحيى معمر ـ مكتبة وهبة القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م) .

[٤] الإباضية عقيدة ومذهباً / الدكتور : صابر طعيمة .

[٥] الإباضية في موكب التاريخ / لعلي يحيى معمر ـ نشر مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون ، ط أخرى ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م) .

[٦] الإبانة عن أصول الديانة / لأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ) ـ تحقيق : بشير محمد عيون ـ مكتبة دار البيان ـ دمشق ـ سوريا ، بيروت ـ لبنان ـ ط الرابعة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

[٧] أحكام القرآن / لابي بكر بن العربي (ت : ٥٤٣هـ) ـ تحقيق : علي محمد البجاوي ـ دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٨] الإحكام في أصول الأحكام / للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم (ت : ٤٥٦هـ) ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٤١٣هـ ١٩٩٢م) .

[٩] إحياء علوم الدين / لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[١٠] الإختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة / عبد الله بن مسلم بن قتيبة

الدينوري (ت : ٢٧٦هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

[١١] الأذكار / للإمام أبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت : ٦٧٦هـ) ـ تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط ـ دار الهدى ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثالثة (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) .

[١٢] الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد / لابي المعالي عبدالملك بن عبد الله الجويني (ت: ٤٧٨هـ) ـ تحقيق: أسعد تميم ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ ط الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

[١٣] إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول / للإمام محمد بن علي الشوكاني(ت : ١٢٥٠هـ) ـ تحقيق: محمد سعيد البدري ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى(١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .

[١٤] الاستبصار في الحديث عن الجبير والإختيار / لمحمد بن الحسن الطوسي (ث: ٤٦٠هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ طهران ـ إيران ـ ط بدون (١٣٩٠هـ) .

[١٥] الاستغاثة في الرد على البكري / شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) ـ الدار العلمية ـ دلهي ـ الهند ـ ط بدون ـ وط أخرى ـ تحقيق : عبد الله بن دجين السهيلي ـ دار الوطن ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) .

[١٦] الاستقامة / لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية)ت:٧٢٨هـ) ـ تحقيق الدكتور / محمد رشاد سالم ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[١٧] الإستيعاب في معرفة الاصحاب / يوسف بن عبدالبر (ت:٤٦٣) ـ بهامش الإصابة ـ دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٢٨هـ) .

[١٨] أسد الغابة في معرفة الصحابة / للحافظ أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير(ت: ٦٣٠هـ) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) .

[١٩] الاسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة / لملا علي القاري (ت: ١٠١٤هـ) ـ تحقيق :

الدكتور / محمد لطفي الصباغ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .

[٢٠] الإسماعيلية / لإحسان إلهي ظهير ـ إدارة ترجمان السُّنَّة ـ لاهور ـ باكستان ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ) .

[٢١] الإصابة في تمييز الصحابة / للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٢٨هـ) ، ط / الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) المجلد الأول فقط الجزء الأول والثاني.

[٢٢] أصول الدين / لأبي اليسر محمد بن محمد البزدوي (ت: ٤٩٣هـ) ـ دار الحلبي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٣٨٣هـ) .

[٢٣] أصول الدين الإسلامي / لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت: ٤٢٩هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ) .

[٢٤] أصول السرخسي / أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت : ٤٩٠هـ) ـ تحقيق : أبو الوفاء الأفغاني ـ توزيع مكتبة المعارف ـ الرياض ـ السعودية ـ ط بدون .

[٢٥] أصول العامة للفقه المقارن / لأحمد تقي عبد الحكيم ـ دار الأندلس ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأول١٩٧٩م) .

[٢٦] أصول العدل والتوحيد / أبو محمد القاسم بن إبراهيم الرسي (ت: ٢٤٦هـ) ـ (ضمن رسائل العدل والتوحيد) ـ قدم لها : سيف الدين الكاتب ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٢٧] أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية / الدكتور : ناصر القفاري ـ دار الرضا للنشر والتوزيع ـ الجيزة ـ مصر ـ ط الثانية (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) .

[٢٨] أصول من الكافي / محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٩هـ) ـ تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ـ دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ إيران ـ ط

الثالثة (١٣٨٨هـ) .

[٢٩] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين الشنقيطي (ت : ١٣٩٣هـ) ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) .

[٣٠] أضواء على التصوف / للدكتور: طلعت غنام ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون.

[٣١] الاعتصام / للإمام أبي أسحاق الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون ، ط أخرى ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م) ، ط أخري بتحقيق : سليم الهلالي ـ دار عفان بالخبر ـ السعودية ـ ط الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

[٣٢] الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد / الحافظ أبي بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ) ـ تحقيق : أحمد بن إبراهيم أبو العينين ـ دار الفضيلة ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م) .

[٣٣] الاعتقادات (إعتقادات الصدوق) / لابن بابوية محمد بن علي القمّي (ت : ٣٨١هـ) ـ منشورات الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، ط أخرى ـ إيران ـ ط الثانية(١٣٢٠هـ).

[٣٤] إعتقادات فرق المسلمين والمشركين / لأبي عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) ـ تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م) ، ط أخرى ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١٣٩٨هـ) .

[٣٥] أعلام / خير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ ط السادسة (١٩٨٤م).

[٣٦] إعلام الحديث في شرح صحيح البخاري / أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت :٣٨٨هـ) تحقيق:الدكتور / محمد بن سعود آل سعود ـ ط الأولى ١٤٠٩هـ.

[٣٧] أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة / لحافظ بن أحمد الحكمي (ت:١٣٧٧هـ) ـ دراسة وتحقيق : أحمد بن علي علوش مدخلي ـ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية،شركة الرياض للنشر والتوزيع (طبعة خاصة بالمنتدى الإسلامي)ـ ط الأولى (١٤١٨هـ – ١٩٩٨م) .

[٣٨] إعلام الموقعين عن رب العالمين / للإمام ابن القيم الجوزية(ت: ٧٥١هـ) ـ تحقيق : عصام الدين الصبابطي ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م).

[٤٩] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان / لابن القيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ) ـ تحقيق : محمد عفيفي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٤٠] الاقتصاد في الاعتقاد / أبو محمد عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي (ت: ٦٠٠هـ) ـ تحقيق : أحمد بن عطية الغامدي ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ ط الأولى (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م) .

[٤١] الاقتصاد في الاعتقاد / لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت :٥٠٥هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) .

[٤٢] الاقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد / لمحمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) ـ دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٩٨٦م) .

[٤٣] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم /لشيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) ـ تحقيق : الدكتور / ناصر بن عبدالكريم العقل ـ مكتبة الرشد ـ الرياض– السعودية ـ ط الخامسة (١٤١٧هـ – ١٩٩٦م) .

[٤٤] الإلهيات / لجعفر السبحاني ـ إعداد : حسن العاملي ـ الدار الإسلامية .

[٤٥] انتصار الحق مناظرة علمية مع بعض الشيعة الإمامية/مجدي محمد علي محمد ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى(١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

[٤٦] الأم /للشافعي (ت : ٢٠٤هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان الأولى (١٤١٣هـ – ١٩٩٣م) .

[٤٧] الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار / للإمام يحيى بن أبي الخير العمراني (ت: ٥٥٨هـ) ـ تحقيق : الدكتور / سعود بن عبدالعزيز الخلف ـ أضواء السلف ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م) .

[٤٨] الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (مالك والشافعي وأبي حنيفة) / لأبي عمر يوسف بن عبدالبر (ت: ٤٦٣هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٤٩] الأنساب / للسمعاني (ت: ٥٦٢هـ) ـ تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي ـ دار الفكر ـ ملتزم الطبع والنشر والتوزيع دار الجنان ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٧هـ- ١٩٨٨م) .

[٥٠] أنوار التنزيل وأسرار التأويل / لأبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: ٧٩١هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م) .

[٥١] أوائل المقالات في المذاهب والمختارات / محمد بن محمد النعمان المفيد (ت: ٤١٣هـ) ـ مكتبة الدوري ـ قم ـ إيران ـ ط بدون ، طبعة بتعليق / فضل الله الزنجاني .

[٥٢] إيثار الحق على الخلق / محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن الوزير(ت: ٨٤٠هـ) ـ دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٥٣] أيسر التفاسير / لأبي بكر الجزائري ـ ط الأولى الخاصة بالمؤلف (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م) .

[٥٤] إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة / لمحمد بن إسماعيل بن الأمير الصنعاني (ت:١١٨٢هـ) ـ تحقيق: محمد صبحي حلاق ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م) .

[٥٥] الإيمان / لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) (ضمن أربع رسائل مجموعة) ـ تحقيق : محمد بن ناصر الدين الألباني ـ دار الأرقم ـ الكويت ـ ط الثانية (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م) .

[٥٦] الإيمان / لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) _ تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني _ المكتب الإسلامي _ دمشق _ سوريا ، بيروت- لبنان _ ط الرابعة (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م) .

[٥٧] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار / محمد باقر محمد تقي المجلسي (ت : ١١١١هـ) _ ط الثالثة _ إيران .

[٥٨] البحر الزخار / لأحمد بن يحيى المرتضى (: ٨٤٠هـ) مؤسسة الرسالة _ بيروت _ لبنان _ ط بدون ١٣٩٤هـ- ١٩٧٥م) .

[٥٩] البحر المحيط (تفسير) / لأبي عبد الله محمد بن يوسف أبي حيان الغرناطي(ت : ٧٤٥هـ) _ دار الكتب العلمية _ بيروت _ لبنان _ ط الأولى (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م) .

[٦٠] بدائع التفسير / لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ) _ جمع وتخريج : يسرى السيد محمد _ دار ابن الجوز ي _ الدمام _ السعودية _ ط الأولى (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م) .

[٦١] بدائع الفوائد / لابن القيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ) _ دار الكتاب العربي _ بيروت _ لبنان _ ط بدون .

[٦٢] البداية والنهاية / لابي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت : ٧٧٤هـ) _ دار الريان للتراث _ القاهرة _ مصر _ ط الأولى (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م) .

[٦٣] البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت : ١٢٥٠هـ) _ مكتبة ابن تيمية _ القاهرة _ مصر ط بدون .

[٦٤] البدعة ضوابطها وأثرها السيئ في الأمة / الدكتور : علي بن محمد ناصر الفقيهي _ ط الجامعة الإسلامية _ المدينة المنورة _ ط بدون .

[٦٥] البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان / لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي (ت : ٦٨٣هـ) _ تحقيق : الدكتور / بسام علي سلامة العموش _ مكتبة المنار _ عمّان _ الأردن _ ط الأولى (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م) .

[٦٦] البعث والنشور / لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ـ تحقيق : عامر أحمد حيدر ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .

[٦٧] بيان تلبيس الجهمية / لشيخ الإسلام احمد بن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ـ تصحيح وتعليق : محمد بن عبدالرحمن قاسم .

[٦٨] تاملات في التراث العقدي للفرق الكلامية / الدكتور : عبد السلام محمد عبده ـ دار الكتاب الجامعي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[٦٩] تأويل مختلف الحديث / لابن قتيبة الدينوري (ت : ٢٧٦هـ) ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، ط أخرى بتحقيق : عبدالقادر أحمد عطا ـ دار الكتب الإسلامية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٤٠٢هـ) .

[٧٠] تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) ـ تحقيق : إبراهيم الترزي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٧١] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام / الإمام شمس الدين محمد أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ـ تحقيق : الدكتور / عبدالسلام تدمري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٩هـ) .

[٧٢] تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة / عبد الله فياض ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية ١٣٩٥هـ) .

[٧٣] (تاريخ الخلفاء / للإمام جلال الدين التسيوطي (٩١١هـ) دار القلم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .

[٧٤] تاريخ الطبري / لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ـ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار سويدان ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، ط أخرى طبعة مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

[٧٥] التاريخ الكبير / للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت : ٢٥٦هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت- لبنان ـ ط بدون .

[٧٦] تاريخ المذاهب الإسلامي / محمد أبو زهرة (ت : ١٣٩٤هـ) ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[٧٧] تاريخ بغداد / أحمد بن علي بن ثابت الخطيب (ت : ٤٦٣هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٧٨] التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين / للإمام أبي المظفَر الإسفرائيني (ت : ٤٧١هـ) ـ تحقيق : كمال يوسف الحوت ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) .

[٧٩] التبصير في معالم الدين / الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠هـ) ـ تحقيق : علي بن عبدالعزيز الشبل ـ دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ الرياض – السعودية ـ ط الأولى (١٤١٦هـ- ١٩٩٦م) .

[٨٠] تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري / لابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت: ٥٧١هـ) ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م) .

[٨١] تتمّة الأعلام للزركلي / لمحمد خير رمضان يوسف ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م) .

[٨٢] تحرير الوسيلة / الخميني (ت: ١٤٠٩هـ) ـ ط الثالثة (١٣٩٧هـ).

[٨٣] تحكيم العقول في تصحيح الأصول / لابي سعيد الحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي (ت: ٤٩٤هـ) ـ تحقيق : عبدالسلام بن عباس الوجيه ـ مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ـ عمّان ـ الأردن ـ ط الأولى (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م) .

[٨٤] التدمرية / لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ـ تحقيق : الدكتور : محمد عودة السعوي ـ ط الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

[٨٥] تذكرة الحفاظ / شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٨٦] التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة / لأبي عبد الله القرطبي (ت:٦٧١هـ) ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .

[٨٧] الترغيب والترهيب ـ للحافظ عبدالعظيم عبدالقوي المنذري (ت : ٦٥٦ هـ) ـ ضبط أحاديثه : مصطفى محمد عمارة ، دار الحديث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .

[٨٨] التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة / الدكتور : إبراهيم هلال ـ دار النهضة العربية ـ بيروت- لبنان ـ ط الأولى (١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م) .

[٨٩] التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق / الدكتور : زكي مبارك ـ مطبعة الرسالة ـ ط الأولى (١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م) .

[٩٠] التصوف المنشأ والمصادر / لإحسان إلهي ظهير ـ إدارة ترجمان السُّنَّة ـ لاهور ـ باكستان ـ ط الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .

[٩١] التصوف بين الحق والخلق / للشيخ : محمد فهر شقفة ـ الدار السلفية للنشر والتوزيع ـ ط الثالثة (بدون تاريخ) .

[٩٢] التصوف في الميزان / الدكتور : مصطفى غلوش ـ دار النهضة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[٩٣] التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي الحنفي ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (بدون تاريخ) .

[٩٤] تعريفات ابن النحاس في شرحه على القصائد المعلقات- دار الكتب العلمية ـ بيروت- لبنان- ط الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

[٩٥] تعظيم قدر الصلاة / للإمام محمد بن نصر المروزي) ت : ٣٩٤هـ) ـ تحقيق : الدكتور : عبدالرحمن الفريوائي ـ مكتبة الدار بالمدينة المنورة ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ) .

[٩٦] تفسير التحرير والتنوير / لمحمد الطاهر بن عاشور (ت : ١٣٩٣هـ) ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ ط بدون (١٩٨٤م) .

[٩٧] تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل) / محمد جمال الدين القاسمي (ت :١٣٣٢هـ) ـ ترقيم وتخريج وتعليق : محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م) .

[٩٨] تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار / لمحمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م) .

[٩٩] تفسير القرآن العظيم / للإمام الحافظ إسماعيل بن كثير (ت : ٧٧٤هـ) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط السادسة (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م) .

[١٠٠] تفسير الكبير (مفاتيح الغيب) / للإمام الفخر الرازي (ت : ٦٠٦هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م) .

[١٠١] التفسير الكبير / لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ـ تحقيق : عبدالرحمن عميرة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) .

[١٠٢] تفسير غريب القرآن / عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت : ٢٧٦هـ) ـ تحقيق السيد : أحمد صقر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[١٠٣] تقريب التهذيب / للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م) .

[١٠٤] تلبيس إبليس / لابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٣٦٨هـ) .

[١٠٥] تلخيص كتاب الاستغاثة / لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ـ دار أطلس للنشر والتوزيع ـ ط بدون (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م) .

[١٠٦] التمهيد / لابن عبدالبر (ت: ٤٦٣هـ) ـ تحقيق : سعيد أحم أعراب ، ومحمد الفلاح ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ ط بدون .

[١٠٧] تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل / محمد بن الطيب الباقلاني (ت : ٤٠٣هـ) ـ تحقيق : عماد الدين حيدر ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ ط الأولى (١٤٠٧هـ ١٩٨٧م) .

[١٠٨] التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع / أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي (ت : ٣٧٧هـ) ـ تحقيق : يمان بن سعد الدين المياديني ـ رمادي للنشر والمؤتمن للتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) .

[١٠٩] تهافت الفلاسفة / لأبي حامد الغزالي (ت : ٥٠٥هـ) ـ تحقيق / سليمان دنيا ـ دار المعارف ـ ط السادسة .

[١١٠] تهذيب التهذيب / للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٢٦هـ) .

[١١١] تهذيب اللغة / محمد بن أحمد الأزهري (ت : ٣٧٠هـ) ـ تحقيق ومراجعة : عبدالسلام محمد هارون ، محمد علي النجار ـ الدار المصرية للطباعة والترجمة ـ ط بدون (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) .

[١١٢] توجيه النظر إلى أصول الأثر / لطاهر بن صالح أحمد الجزائري الدمشقي(ت : ١٣٣٨هـ) ـ المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة ـ السعودية ـ ط بدون .

[١١٣] التوحيد إثبات صفات الرب عز وجل / محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ تحقيق : الدكتور / عبدالعزيز الشهوان ـ مكتبة الرشد ـ الرياض- السعودية ـ ط الثانية (١٤١١هـ - ١٩٩١م) .

[١١٤] توقيف على مهمات التعاريف / محمد عبدالرؤوف المناوي (ت : ١٠٣١هـ) ـ تحقيق: محمد رضوان الداية ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[١١٥] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان / عبدالرحمن السعدي ـ دار ابن الجوزي ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) .

[١١٦] جامع البيان في تأويل القرآن / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت :

٣١٠هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .

[١١٧] جامع الرسائل / لشيخ الإسلام بن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ـ تحقيق : محمد رشاد سالم ـ دار المدني ـ جده ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤٠٥هـ) .

[١١٨] جامع العلوم والحكم / لابن رجب الحنبلي (ت : ٧٩٥ هـ) دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون، ط أخرى ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى(١٤٠٨هـ) .

[١١٩] جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله / لأبي عمر يوسف بن عبدالبر (ت : ٤٦٣هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[١٢٠] الجامع لأحكام القرآن / أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت : ٦٧١هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .

[١٢١] الجرح والتعديل / عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي(ت : ٣٢٧هـ)دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى بمطبعة دائرة المعارف ـ الهند ـ بدون تاريخ .

[١٢٢] العينين / لابن الألوسي نعمان خير الدين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[١٢٣] جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف / محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني ـ مطبعة المدني العباسية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) .

[١٢٤] جمهرة اللغة / لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي / البصري (ت : ٣٢١هـ) دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[١٢٥] الجهمية والمعتزلة / الدكتور : ناصر بن عبدالكريم العقل ـ دار الوطن ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) .

[١٢٦] جهود أبي الثناء الألوسي في الردّ على الرافضة / للدكتور : عبد الله البخاري ـ دار بن عفان للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) .

[١٢٧] جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية / شمس الدين الأفغاني ـ دار الصميعي للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) .

[١٢٨] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق / د: علي بن حسن بن ناصر ، د: عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر ، د: حمدان بن محمد الحمدان ـ دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) .

[١٢٩] الجواهر المضية في طبقات الحنفية / لمحي الدين أبي محمد عبدالقادر القرشي الحنبلي (ت : ٧٧٥هـ) ـ تحقيق : عبدالفتاح الحلو ـ مؤسسة الرسالة ـ مطبعة هجر ـ ط الثانية (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م (.

[١٣٠] الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر / لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢) ـ تحقيق : إبراهيم باجس عبدالمجيد ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) .

[١٣١] حادي الأرواح / للحافظ ابن القيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت- لبنان ـ ط بدون .

[١٣٢] حاشية التفتازاني ـ تصحيح : شعبان محمد إسماعيل ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[١٣٣] الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السُّنَّة / للإمام إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني (ت : ٥٣٥هـ) ـ تحقيق محمد بن محمود أبو رحيم ـ دار الراية للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى(١٤١١هـ - ١٩٩٠م) .

[١٣٤] الحق الدامغ / الشيخ أحمد بن حمد الخليلي (المفتي العام بسلطنة عمان) مطابع النهضة بمسقط ـ عُمان ـ ط بدون (١٤٠٩هـ) .

[١٣٥] الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه / للدكتور / عبدالرحمن بن صالح المحمود ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية

(١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م) .

[١٣٦] الحكومة الإسلامية / الخميني (ت: ١٤٠٩هـ)ـ طهران إيران ـ ط بدون ـ (١٣٨٩هـ).

[١٣٧] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى(١٤٠٩هـ -١٩٨٨م).

[١٣٨] الحياة الآخرة مابين البعث إلى دخول الجنة أو النار ، الدكتور : غالب بن علي عواجي ـ دار لينة للنشر والتوزيع (مطابع الفاروق الحديثة) ـ دمنهور ـ مصر ـ ط الأولى (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م) .

[١٣٩] خصائص التصور الإسلامي ومقوماته / سيد قطب) ت: ١٩٦٦م) ـ دار الشرق ـ بيروت ـ لبنان ـ ط العاشرة (١٤٠٨هـ) .

[١٤٠] الخطط المقريزيه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) / أبو العباس أحمد بن علي المقريزي (ت: ٨٤٥هـ) ـ مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون ، ط أخرى ـ دار التحرير ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١٢٧٠هـ) ، ط أخرى ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ العراق ـ ط بدون .

[١٤١] الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الأثنى عشرية / محب الدين الخطيب (ت : ١٣٨٩هـ) ـ ط الثالثة (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) .

[١٤٢] الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة / الدكتور : عامر النجار ـ مكتبة القُدسي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م) .

[١٤٣] دائرة معارف القرن العشرين / محمد فريد وجدي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (بدون تاريخ) .

[١٤٤] الدر المنثور في التفسير المأثور / جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ـ دار الفكرة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) .

[١٤٥] الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ضمن الرسائل السلفية في إحياء سنة

خير البرية) / للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت : ١٢٥٠هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م) .

[١٤٦] درء تعارض العقل والنقل / لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ـ تحقيق : محمد رشاد سالم ـ دار الكنوز الأدبية ـ ط (١٣٩٩هـ).

[١٤٧] دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها / الدكتور : ناصر بن عبدالكريم العقل ـ مركز الدراسات والإعلام ـ دار اشبيليا ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)

[١٤٨] دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة) الدكتور : أحمد الجلبي ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ ط الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

[١٤٩] دراسة في تاريخ الإباضة / لأبي الفضل البرادي ـ تحقيق : الدكتور / محمود زينهم عزب ، وأحمد عبدالتواب عوض ـ دار الفضيلة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[١٥٠] الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة / للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ـ دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[١٥١] الدلائل التوحيد / لمحمد جمال الدين القاسمي (ت : ١٣٣٢هـ) ـ مطبعة جمعية النشر والتأليف الأزهرية- القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية ـ بدون تاريخ .

[١٥٢] الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب / لابن فرحون المالكي ـ تحقيق : محمد أبو النور ـ دار التراث .

[١٥٣] الدين الخالص / لمحمد صديق حسن خان (ت : ١٣٠٧هـ) ـ تحقيق : محمد زهري النجار ـ مكتبة دار التراث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[١٥٤] ديوان الإسلام / لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن الغزي (ت : ١١٦٧هـ) ـ تحقيق : سيد كسروى حسن ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى(١٤١١هـ - ١٩٩٠م).

[١٥٥] ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين / لعبد الله بن أسعد اليافعي (ت : ٧٦٨هـ) ــ تحقيق : الدكتور / موسى سليمان الدويش ــ دار البخاري ــ المدينة المنورة ــ السعودية ــ ط الأولى (١٤١٠هـ) .

[١٥٦] الرد على الجهمية / للإمام عثمان بن سعيد الدارمي) ت : ٢٨٠هـ) ــ منشورات المكتب الإسلامي ــ ط الثالثة (١٣٨١هـ - ١٩٦١م) .

[١٥٧] الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ / الدكتور :علي الفقيهي - دار المآثر ــ المدينة المنورة ــ السعودية ــ ط الثانية (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

[١٥٨] رسالة إلى أهل الثغر / لأبي الحسن الأشعري (ت : ٣٢٤هـ) ــ تحقيق : عبد الله شاكر محمد الجنيد ــ مكتبة العلوم والحكم ــ المدينة المنورة ، ومؤسسة علوم القرآن ــ بيروت ــ لبنان ــ ط الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) .

[١٥٩] الرسالة الوافية / لأبي عمر وعثمان بن سعيد الداني (ت : ٦٠٠هـ) ــ تحقيق : محمد بن سعيد القحطاني ــ دار بن الجوزي - الدمام ــ السعودية ــ ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م.

[١٦٠] رسالة تحكيم القوانين / محمد بن إبراهيم آل الشيخ ــ مطابع شركة الصفحات الذهبية ط الثانية (١٤٠٣هـ) .

[١٦١] رسالة في الرد على الرافضة / للإمام المقدسي (ت : ٦٠٠هـ) ــ تحقيق : عبدالوهاب خليل الرحمن ــ الدار السلفية ــ بومباي ــ الهند ــ ط الأولى (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .

[١٦٢] رسالة في الرد على الرافضة / لمحمد بن عبدالوهاب النجدي (ت : ١٢٠٦هـ) ــ تحقيق : د/ ناصر بن سعد الرشيد ــ دار طيبة للنشر والتوزيع ــ الرياض ــ السعودية ــ ط بدون .

[١٦٣] روح المعاني في تفسير العظيم والسبع المثاني / لمحمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (شهاب الدين أبو الثناء) (ت : ١٢٧٠هـ) ــ دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان ــ ط بدون .

[١٦٤] روضة المحبين ونزهة المشتاقين / لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[١٦٥] زاد المسير في علم التفسير / لابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان، دمشق ـ سوريا- ط الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٩٧م).

[١٦٦] الزواجر عن اقتراف الكبائر/ لأبي العباس أحمد بن محمد بن حجر المكي الهيثمي (ت : ٩٧٤هـ) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

[١٦٧] السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة / لمحمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي (ت : ١٢٩٥هـ) .

[١٦٨] سلسلة الأحاديث الصحيحة / محمد ناصر الدين الألباني (ت : ١٤٢١هـ) ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) .

[١٦٩] سلسلة الأحاديث الضعيفة / محمد بن ناصر الدين الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) .

[١٧٠] السنة / للإمام أحمد بن حنبل (ت : ٢٤١هـ) ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[١٧١] السُّنَّة قبل التدوين / لمحمد عجاج الخطيب ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ سوريا ، بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م) .

[١٧٢] (السُّنَّة / عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت : ٢٨٧هـ) ـ تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) .

[١٧٣] السُّنَّة ومكانتها في التشريع / لمصطفى السباعي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت- لبنان ـ ط الثانية (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) .

[١٧٤] السُّنَّة / لعبد الله بن أحمد بن حنبل (ت : ٢٩٠هـ) ـ تحقيق : الدكتور / محمد بن سعيد القحطاني ـ رمادي ، والمؤتمن للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ

السعودية ـ ط الثانية (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م (.

[١٧٥] سنن أبي داود / للإمام الحافظ أبي داود (سليمان بن الأشعث السجستاني (ت : ٢٧٥هـ) ـ دار الحديث للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٩١هـ - ١٩٧١م) .

[١٧٦] سنن ابن ماجة / للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (ت : ٢٧٥هـ) ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[١٧٧] سنن الترمذي / لابي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت : ٢٧٩هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) .

[١٧٨] سنن الدارقطني /للإمام علي بن عمر الدارقطني (ت : ٣٨٥هـ) ـ دار المحاسن للطباعة ـ القاهرة ـ مصر ط بدون .

[١٧٩] سنن الدارمي / للحافظ أبو محمد عبد الله بن عبدالرحمن الدارمي (ت : ٢٥٥هـ) ـ دار المحاسن للطباعة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[١٨٠] السنن الكبرى / لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت : ٤٥٨هـ) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) .

[١٨١] السنن الكبرى / لأبي عبدالرحمن أحمد النسائي (ت : ٣٠٣هـ) ـ تحقيق : الدكتور / عبدالغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ـ دار الكب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩١م) .

[١٨٢] سير أعلام النبلاء / للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

[١٨٣] السيوف المشرقة ومختصر الصواعق المحرقة / لنصير الدين الشيخ محمد الشهير بخواجة نصر الله الهندي ـ اختصره وشذبه / السيد محمود شكري الآلوسي ـ تحقيق / د: مجيد خلف الخليفة ـ نسخت المحقق .

[١٨٤] الشافي في شرح أصول الكافي / عبدالحسن آية الله العظمى المظفر ـ مطبعة الغري الحديثة ـ النجف ـ العراق- ط الثانية (١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م) .

[١٨٥] شذرات الذهب في أخبار من ذهب/لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت:١٠٨٩هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[١٨٦] شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة/ لأبي القاسم هبة الله بن الحسين اللالكائي (ت: ٤١٨هـ) ـ تحقيق : أحمد سعد حمدان ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط بدون .

[١٨٧] شرح الأصول الثلاثة / محمد بن صالح العثيمين) ت : ١٤٢٢هـ) ـ دار التراث للنشر والتوزيع .

[١٨٨] شرح الأصول الخمسة / القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني (ت: ٤١٥هـ) ـ تعليق : أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ـ تحقيق : الدكتور / عبدالكريم عثمان ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٣٨٤هـ، ١٣٨٩هـ) (١٤١٦هـ١٩٩٦م) .

[١٨٩] شرح السُّنَّة / لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت : ٥١٦هـ) ـ تحقيق : شعيب الأرناؤوط ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان - ، دمشق ـ سوريا ـ ط الثانية (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) .

[١٩٠] شرح السُّنَّة / للإمام أبي محمد بن الحسن بن علي خلف البربهاري (ت : ٣٢٩هـ) ـ تحقيق : الدكتور / محمد بن سعيد القحطاني ـ دار ابن القيم للنشر والتوزيع ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ) ، ط أخرى ـ مطبعة الصميعي ـ بتحقيق : خالد بن قاسم الردّادي ـ ط الثالثة (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م) .

[١٩١] شرح العقائد النسفية / نجم الدين النسفي التفتازاني ـ مطبعة كردستان العلمية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١٣٢٩م) .

[١٩٢] شرح العقيدة الطحاوية / لعلي بن علي بن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢هـ) ـ تحقيق : محمد بن ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان

ـ ط التاسعة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) و ط أخرى ـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، والدكتور : عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤١٢هـ - ١٩٩١م) .

[١٩٣] شرح العقيدة الواسطية / محمد بن صالح العثيمين (ت : ١٤٢٢هـ) ـ داز ابن الجوزي ـ القاهرة ـ مصر ط بدون .

[١٩٤] شرح الفقه الأكبر / لأبي منصور السمرقندي (ث : ٣٣٣هـ) ـ منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[١٩٥] شرح المقاصد في علم الكلام / لمسعود بن عمر التفتازاني (ت: ٧٩٣هـ) ـ تحقيق : الدكتور / عبدالرحمن عميرة ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

[١٩٦] شرح صحيح مسلم / لابي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت : ٦٧٦هـ) ـ دار الريان ـ القاهرة ـ مصر ط الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .

[١٩٧] الشرح والإبانة على أصول السُّنَّة والديانة / للإمام عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري (ت : ٣٨٧هـ) ـ تحقيق : الدكتور / رضا معطي ـ المكتبة الفيصلية ـ مكة المكرمة ـ السعودية ـ ط بدون (١٤٠٤هـ) .

[١٩٨] شرف أصحاب الحديث / لابي بكر بن ثابت الخطيب البغدادي (ت : ٤٦٣هـ) ـ تحقيق : محمد سعيد الخطيب أوغلي ـ دار إحياء السُّنَّة ـ ط بدون ١٩٧١م ـ توزيع المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة ـ السعودية ـ ط بدون .

[١٩٩] شريعة / للإمام أبي محمد بن الحسين الآجري (ت : ٣٦٠هـ) ـ تحقيق : محمد حامد الفقي ـ دار السلام ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) .

[٢٠٠] (شعب الإيمان / لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ـ تحقيق : محمد بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) .

[٢٠١] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتنزيل / للإمام ابن القيم الجوزية ـ (ت:٧٥١هـ) مكتبة المعارف ـ مطابع دار الكتاب العربي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون.

[٢٠٢] الشفاء بتعريف حقوق المصطفى / للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ) ـ تحقيق : علي محمد البجاوي- دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

[٢٠٣] الشفاعة/ الشيخ مقبل بن هادي الوادعي (ت : ١٤٢٢هـ) ـ دار الأرقم ـ الكويت ـ ط الثانية (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .

[٢٠٤] شمس العلوم / نشوان الحميري (ت : ٥٧٣هـ) ـ تحقيق : الدكتور / حسين العمري وغيره ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ، دمشق ـ سوريا ـ ط الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) .

[٢٠٥] شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق / يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت : ١٣٥٠هـ) ـ دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت- لبنان- ط (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .

[٢٠٦] الشيعة في التاريخ / لمحمد حسين العاملي ـ دار الآثار ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٣٩٩هـ) .

[٢٠٧] الشيعة والتصحيح / لموسى الموسوي ـ ط عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .

[٢٠٨] الشيعة والقرآن / لإحسان إلهي ظهير ـ إدارة ترجمان السُّنَّة - لاهور ـ باكستان ـ ط الثالثة (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .

[٢٠٩] الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ / لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ـ تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) .

[٢١٠] الصحاح / لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت : ٣٩٨هـ) ـ تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار ـ دار العلم للملايين ـ ط الثالثة (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

[٢١١] صحوة الإسلامية بين الجحود والتطوف / للدكتور : يوسف القرضاوي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الخامسة (١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م) .

[٢١٢] صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان(ت :٧٣٩هـ) – تقديم وضبط : كمال يوسف الحوت ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت – لبنان ـ ط الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).

[٢١٣] صحيح ابن ماجه / للألباني ـ إشراف زهير الشاوش ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان– ط الثالثة (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) .

[٢١٤] صحيح البخاري / لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت : ٢٥٦هـ) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بذون .

[٢١٥] صحيح الترغيب والترهيب / محمد بن ناصر الدين الألباني (ت : ١٤٢١هـ) ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثالثة (١٣٠٩هـ – ١٩٨٨م) .

[٢١٦] صحيح الجامع الصغير وزيادته / محمد ناصر الدين الألباني (ت : ١٤٢١هـ) إشراف : زهير الشاوش ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) .

[٢١٧] صحيح مسلم / للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت : ٢٦١هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) .

[٢١٨] الصفدية / لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ـ تحقيق : الدكتور / محمد رشاد سالم ـ ط / على نفقة أحد المحسنين (١٤٠٦هـ) .

[٢١٩] الصلاة وحكم تاركها / للحافظ ابن القيم الجوزية) ت : ٧٥١هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٢هـ) .

[٢٢٠] الصواعق المرسلة الشهابية على الشبة الداحضة الشامية / للعلامة : سليمان بن سحمان النجدي الحنبلي (ت : ١٣٤٩هـ) ـ تحقيق عبدالسلام بن برجس ـ دار العاصمة ـ الرياض– السعودية ـ ط الأولى (١٤٠٩هـ) .

[٢٢١] الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة / للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية (ت :٧٥١هـ) ـ تحقيق :الدكتور/علي بن محمد الدخيل الله

ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ) .
[٢٢٢] الصوفية / لمحمد العبده / وطارق عبدالحليم ـ دار الأرقم للنشر والتوزيع ـ الكويت ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م) .
[٢٢٣] الصوفية معتقداً ومسلكاً / الدكتور : صابر طعيمة ـ ط الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) .
[٢٢٤] صون المنطق والكلام عن فنّ المنطق والكلام / لجلال الدين السيوطي (ت : ٩١١هـ) ـ تعليق : علي سامي النشار ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .
[٢٢٥] ضعيف الجامع الصغير .
[٢٢٦] الضوء اللامع لأهل القرن التاسع / شمس الدين محمد بن عبدالرحيم السخاوي (ت : ٩٠٢هـ) ـ دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م) .
[٢٢٧] الضوء المنير على التفسير / لأبي عبد الله بن القيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ) ـ مؤسسة النور للطباعة ، ودار السلام ـ الرياض ـ السعودية ـ ط بدون .
[٢٢٨] ضوابط التكفير عند أهل السُّنَّة والجماعة / عبد الله بن محمد القرني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م) .
[٢٢٩] طبقات الحفاظ / للحافظ جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) .
[٢٣٠] طبقات الحنابلة / للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .
[٢٣١] طبقات الشافعية الكبرى / لابي نصر عبدالوهاب بن علي السبكي (ت : ٧٧١هـ) ـ تحقيق : عبدالفتاح الحلو ، ومحمود الطناحي ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى ١٩٨٣م) .
[٢٣٢] طبقات الفقهاء الشافعيين / لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت : ٧٧٤هـ) ـ تحقيق : الدكتور / أحمد عمر هاشم وآخر ـ مكتبة الثقافية الدينية ـ القاهرة ـ

مصر ـ ط الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) .

[٢٣٣] الطبقات الكبرى / لابن سعد أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي (ت : ٢٣٠هـ) ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٢٣٤] طبقات المفسرين / محمد بن علي أحمد الداودي (ت : ٩٤٥هـ) ـ تحقيق : علي محمد عمر ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) .

[٢٣٥] طريق الهجرتين وباب السعادتين / لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ) تخريج الأحاديث : عمر بن محمود أبو عمر ـ دار ابن القيم ـ الدمام ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) .

[٢٣٦] ظاهرة التكفير شبهات وردود / الدكتور : عبدالفتاح شاهين ـ دار الإسراء ـ ط الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)

[٢٣٧] ظاهرة الغلو في التكفير / للدكتور : يوسف القرضاوي ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثالثة (١٤١١هـ - ١٩٩١م) .

[٢٣٨] عبد الله بن سبأ / لمرتضى العسكري ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٣٨١هـ) .

[٢٤٩] عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام / الدكتور : سليمان ابن حمد العودة .

[٢٤٠] العدة في أصول الفقه / للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء (ت : ٤٥٨هـ) ـ تحقيق : الدكتور / أحمد بن علي سير المباركي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) .

[٢٤١] عقائد الثلاث والسبعين فرقة / لأبي محمد اليمني ـ تحقيق ودراسة : محمد عبد الله زربان الغامدي ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) .

[٢٤٢] العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية (شرح الدرة السنية ...) / لأحمد ابن حجر آل بوطامي ـ ط الأولى ـ بيروت ـ لبنان (١٩٧٠م) .

[٢٤٣] العقد الثمين في معرفة رب العالمين / للامير الحسين بن بدر الدين (المتوفي سنة ٦٦٣هـ) - تحقيق : عبدالكريم الفضيل ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٢٤٤] العقل والحرية : دراسة في فكر القاضي عبدالجبار / للدكتور : عبدالستار الراوي ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م) .

[٢٤٥] العقل وفهم القرآن / للحارث المحاسبي (ت : ٢٤٣هـ) ـ تحقيق : حسين القوتلي ـ دار الكندي ، ودار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٣٩٨هـ) .

[٢٤٦] العقود الفضية في أصول مذهب الإباضية / سالم بن محمد الحارثي العُماني الإباضي ـ دار اليقظة العربية ـ دمشق ـ سوريا ، بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٢٤٧] عقيدة السلف أصحاب الحديث / لأبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني (ت : ٤٤٩هـ) ـ تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ـ مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م) .

[٢٤٨] عقيدة المؤمن / لأبي بكر الجزائري ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٢٤٩] علل الشرائع / لابن بابوية القُمي (ت : ٣٨١هـ) ـ المكتبة الحيدرية ومطبعتها ـ النجف ـ العراق ـ ط الثانية (١٣٨٥هـ) .

[٢٥٠] العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ / للإمام صالح بن مهدي المقبلي (ت : ١١٠٨هـ) ـ مكتبة دار البيان ـ دمشق ـ سوريا ـ ط بدون ، ط أخرى ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ـ مصر (١٣٢٨هـ) .

[٢٥١] علم الكلام على مذهب أهل السُنَّة والجماعة / لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم (ت : ٤٥٦هـ) ـ تحقيق : الدكتور / أحمد حجازي السَقا ـ دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ، والمكتبة الثقافية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثالثة (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م) .

[٢٥٢] علماء نجد خلال ثمانية قرون / لعبد الله البسام ـ دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤١٩هـ).

[٢٥٣] علماء ومفكرون عرفتهم / محمد المجذوب ـ دار الشواف ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الرابعة (١٩٩٢م).

[٢٥٤] عمل اليوم والليلة / للإمام النسائي (ت : ٣٠٣هـ) ـ تحقيق : الدكتور / فاروق حمادة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م).

[٢٥٥] عوارف المعارف / للسهروردي (ت :٦٣٢هـ) ـ دار المعارف ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون.

[٢٥٦] عيون أخبار الرضا / لابن بابوية القُمّي (ت :٣٨١هـ) ـ ط طهران ـ إيران (١٣١٨هـ).

[٢٥٧] غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام / محمد بن ناصر الدين الألباني (ت : ١٤٢١هـ) ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة ـ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

[٢٥٨] غاية المرام في علم الكلام / لسيف الدين الآمدي (ت : ٦٣١هـ) ـ تحقيق : حسن محمود عبداللطيف ـ يشرف على إصدارها / محمد توفيق عويضة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧١م).

[٢٥٩] غربال الزمان في وفيات الأعيان / ليحيى بن أبي بكر العامري الحرضي اليماني (ت : ٨٩٣هـ) ـ صححه وعلق عليه : محمد ناجي زعبي العمر ـ دار الخير للنشر والتوزيع ـ دمشق ـ سوريا ـ ط بدون (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

[٢٦٠] فتح الباري في شرح صحيح البخاري / للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ـ دار الريان ـ القاهرة ـ مصر ط الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

[٢٦١] فتح البيان في مقاصد القرآن / لصديق حسن خان (ت : ١٣٠٧هـ) ـ مطبعة

العاصمة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١٩٦٥م) ، ط مكتبة ابن تيمية ـ الناشر : أم القرى للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[٢٦٢] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) .

[٢٦٣] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (ت :١٢٨٥هـ) ـ بهامشه : تعليقات الشيخ ابن باز ـ دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان - ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩) ، ط أخرى بتحقيق : عبدالقادر الأرنؤوط ـ مكتبة دار البيان ـ دمشق ـ سوريا ، بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) .

[٢٦٤] فتوحات المكية / لابن عربي (ت :٦٣٨هـ) ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٩٩٦م) .

[٢٦٥] الفتوى الحموية / لابن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ـ تحقيق : محمد بن عبدالمحسن التويجري ـ دار الصميعي للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية- ط الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) .

[٢٦٦] فرق الشيعة / للحسن بن موسى النوبختي (ت : ٣١٠هـ) ـ دار الأضواء ـ بيروت- لبنان ـ ط الثالثة ١٤٠٤هـ) .

[٢٦٧] لفرق بين الفرق / عبدالقاهر بن طاهر البغدادي) ت : ٤٢٩هـ) ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ لبنان- ط الرابعة-(١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ، ط أخرى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبناف ـ ط بدون .

[٢٦٨] فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها / الدكتور : غالب ابن علي عواجي ـ مكتبة لينة للنشر والتوزيع ـ دمنهور ـ مصر ـ ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) .

[٢٦٩] الفرقان بين الحق والباطل / لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ـ

تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط ــ مكتبة دار البيان ــ دمشق ــ سوريا ــ ، بيروت ــ لبنان ــ ط الثانية (١٤١٢هـ - ١٩٩٣م) .

[٢٧٠] الفصل في الملل والأهواء والنحل / أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (ت : ٤٥٦هـ) ــ تحقيق : عبدالرحمن عميرة ــ شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ــ الرياض ــ السعودية ــ ط الأولى (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ، ط أخرى ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان ــ ط الثانية (١٣٩٥هـ) .

[٢٧١] فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة / لأبي القاسم البلخي ، القاضي : عبدالجبار الهمذاني ، الحاكم الجشمي ــ تحقيق : فؤاد سيد ــ الدار التونسية ــ تونس ــ ط بدون (١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م) .

[٢٧٢] الفقه الأكبر / لأبي حنيفة النعمان (ت : ١٥٠هـ) ــ شرح الملا على القاري (ت : ١٠١٤هـ) ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط الأولى (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

[٢٧٣] الفلسفة الصوفية في الإسلام / عبدالقادر محمود ــ دار الفكر العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط بدون (١٩٦٦م) .

[٢٧٤] الفهرست / لابن النديم (ت : ٣٨٥هـ) ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان ــ ط بدون (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) .

[٢٧٥] فوات الوفيات / محمد بن شاكر الكتبي (ت : ٣٨٥هـ) ــ تحقيق : إحسان عباس ــ دار صادر ــ بيروت ــ لبنان ــ ط بدون .

[٢٧٦] القائد إلى تصحيح العقائد / عبدالرحمن بن يحيى المعلمي (ت : ١٣٨٦هـ) ــ تعليق : محمد ناصر الدين الألباني ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط الثالثة (١٤٠٤هـ) .

[٢٧٧] قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة / شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ــ تحقيق: ربيع بن هادي المدخلي ــ مكتبة لينة للنشر والتوزيع ــ دمنهور ــ مصر ــ ط الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) .

[٢٧٨] القاموس المحيط / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت : ٨١٧هـ) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت- لبنان ـ ط الثانية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .

[٢٧٩] قضاء والقدر في الإسلام / لفاروق أحمد الدسوقي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .

[٢٨٠] قواعد الأحكام في مصالح الأنام / للعز بن عبدالسلام (ت : ٦٦٠هـ) ـ مؤسسة الريان ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) .

[٢٨١] الكافي / محمد بن يعقوب الكليني ـ شرح : محمد صالح المازنداني ـ تعليق : أبو الحسن الشعراني ـ المكتبة الإسلامية ـ طهران ـ إيران ـ ط بدون (١٣٨٤هـ) .

[٢٨٢] الكامل في التاريخ / لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالواحد الشيباني عز الدين ابن الأثير (ت : ٦٣٠هـ) ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) . .

[٢٨٣] الكامل في اللغة والأدب / لأبي العباس محمد بن يزيد المشهور بالمبرّد (ت : ٢٨٥هـ) ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٢٨٤] الكبائر / لشمس الدين محمد بن عثمان الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) ـ تحقيق : محي الدين مستو- مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق ـ سوريا ، وبيروت ـ لبنان ، ومكتبة دار التراث ـ المدينة المنورة ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

[٢٨٥] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / لأبي القاسم جاره الله الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٢٨٦] كشف الإرتياب / للسيد محسن الأمين ـ ط بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

[٢٨٧] كشف الأسرار / للخميني (ت : ١٤٠٩هـ) ـ تقديم الدكتور : محمد أحمد الخطيب ـ ترجمة عن الفارسية : د : محمد البنداري ـ علق عليه : سليم

الهلالي ـ دار عمّار للنشر والتوزيع ـ عمّان ـ الأردن ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م) .

[٢٨٨] كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان / الشعراني تحقيق : محمد عبد الله عبد الرزاق ـ مطبعة حجازي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٣٤٧هـ) . .

[٢٨٩] كشف المحجوب / عثمان بن سعيد الهجويري ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م) .

[٢٩٠] الكشف والبيان / لأبي عبد الله محمد سعيد الأسدي القلهاني ـ وزارة التراث القومي ـ عُمان ـ ط بدون ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م) .

[٢٩١] الكليات / لأبي البقاء الكفوي (ت : ١٠٩٤هـ) ـ قابله وأعده الدكتور : عدنان درويش ، ومحمد المصري ـ دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م) .

[٢٩٢] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / للعلامة علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت : ٩٧٥)ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون(١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م) .

[٢٩٣] اللباب في شرح العقيدة / للدكتور : إبراهيم القريبي ـ دار الجيل ـ صنعاء ـ اليمن ـ ط (١٤١٣هـ(.

[٢٩٤] لسان العرب / جمال الدين محمد بن منظور (ت : ٧١١هـ) ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـط الأولى (١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م)(١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م) .

[٢٩٥] لسان الميزان / للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٢٩٦] (اللمع / لأبي السراج الطوسي ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[٢٩٧] اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع / لأبي الحسن الأشعري (ت : ٣٢٤هـ) ـ تحقيق الشيخ / عبدالعزيز عز الدين السيروان ـ دار لبنان للطباعة والنشر ـ

ط الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) ..

[٢٩٨] لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية / محمد بن أحمد السفاريني (ت : ١١٨٨هـ) ـ تعليق : الشيخ عبدالرحمن أبا بطين ، وسليمان بن سحمان ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤١١هـ - ١٩٩١م) .

[٢٩٩] الماتريدية دراسة وتقويماً (رسالة جامعية) / أحمد بن عوض الله بن داخل الله يبي الحربي ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٣هـ) .

[٣٠٠] مبادئ الفلسفة / أحمد أمين ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٣٠١] مبادئ الوصول إلى علم الأصول / لابي منصور الحسن بن يوسف الحلّي (ت : ٧٢٦هـ) ـ تحقيق : عبدالحسين محمد بن علي البقال ـ مطبعة الآدب ـ النجف ـ العراق ـ ط الأولى (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) .

[٣٠٢] متشابه القرآن / للقاضي : عبدالجبار الهمذاني) ت : ٤١٥هـ) ـ تحقيق : عدنان زرزور ـ دار التراث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[٣٠٣] مجاز القرآن / لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت : ٢١٠هـ) ـ تعليق محمد فؤاد سزكين ـ دار الفكر ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) .

[٣٠٤] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت : ٨٠٧هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٣٠٥] مجمل اللغة / أحمد بن فارس (ت : ٣٩٥هـ) ـ تحقيق : زهير عبدالمحسن سلطان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .

[٣٠٦] مجموع الفتاوى / شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ـ جمع : عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ـ توزيع مكتبة المتنبي ـ دار الرحمة للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[٣٠٧] مجموعة التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي (ت : ١٢٠٦هـ) ـ تحقيق : بشير محمد عيون ـ مكتبة المؤيدة ـ الرياض ـ السعودية ـ ط بدون

(١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) .

[٣٠٨] مجموعة الرسائل الكبرى / شيخ الإسلام ابن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٣٠٩] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / لابن عطية الأندلسي ـ تحقيق المجلس العلمي بفاس ـ ط بدون .

[٣١٠] حيط المحيط / المعلم بطرس البستاني- مكتبة لبنان- بيروت- لبنان ـ ط بدون (١٩٧٧م) .

[٣١١] المختار من كنوز السُّنَّة / للدكتور : محمد عبد الله دراز ـ دار الأنصار ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية ١٣٩٨هـ.

[٣١٢] مختصر التحفة الأثني عشرية / لشاة عبدالعزيز الدهلوي ـ إختصار : محمود شكري الألوسي ـ تحقيق : محب الدين الخطيب ـ المطبعة السلفية ـ ط الثانية ١٣٨٧هـ) ، ط أخرى طبعة الرياسة العامة لإدارة البحوث ـ الرياض- السعودية ـ ط بدون (١٤٠٤هـ).

[٣١٣] مختصر معارج القبول / هشام آل عقدة ـ دار طيبة الخضراء ـ مكة المكرمة ـ ط السابعة (١٤٢١هـ) .

[٣١٤] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ) ـ تحقيق : محمد حامد الفقي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م) .

[٣١٥] مذاهب الإسلاميين / الدكتور : عبدالرحمن بدوي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة ١٩٨٣م.

[٣١٦] مذكرة في أصول الفقه / للشنقيطي (ت : ١٣٩٣هـ) ـ المكتبة السلفية بالمدينة المنوزة ـ ط بدون .

[٣١٧] مروج الذهب ومعادن الجوهر / لأبي الحسن علي المسعودي (ت : ٣٤٦هـ) ـ تحقيق: محي الدين عبدالحميد ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الخامسة

١٣٩٣هـ ،ط أخرى ـ دار الأندلس ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الخامسة (١٩٨٣م) .
[٣١٨] مسالة التقريب بين أهل السُنَّة والشيعة / الدكتور : ناصر بن عبد الله القفاري ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية ١٤١٣هـ .
[٣١٩] مسائل الإمامة / لابي العباس عبد الله بن محمد ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٩٧١م) .
[٣٢٠] المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة ـ جمع وتحقيق : عبد الإله بن سليمان الأحمدي ـ دار طيبة ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م).
[٣٢١] المستدرك على الصحيحين / لابي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت: ٤٠٥هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م) .
[٣٢٢] مسند أبي عوانه / للإمام الجليل أبي عوانه يعقوب بن إسحاق الاسفرائيني (ت: ٣١٦هـ) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .
[٣٢٣] سند أبي يعلى / للحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت : ٣٠٧هـ) ـ تحقيق : حسين سليم أسد ـ دار الثقافة العربية ـ بيروت ـ لبنان ، دمشق ـ سوريا ـ ط الأولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م) .
[٣٢٤] مسند الإمام أحمد / للإمام أحمد بن حنبل الشيباني) ت : ٢٤١هـ) ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .
[٣٢٥] مشارق أنوار العقول / نور الدين أبي محمد عبد الله بن حميد السالمي ـ تعليق المفتي لسلطنة عُمان : أحمد بن حمد الخليلي .
[٣٢٦] مشاهير علماء الأمصار / لمحمد بن حبان البستي (ت : ٣٥٤هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .
[٣٢٧] المشكاة المصابيح / الخطيب التبريزي ـ تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) .
[٣٢٨] المصباح المنير / للمقري (ت: ٧٧٠هـ) ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ

ط بدون .

[٣٢٩] مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية / إدريس محمود إدريس (رسالة جامعية) ـ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ـ الرياض- السعودية- ط الأولى (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).

[٣٣٠] معارج الألباب في مناهج الحق والصواب / حسين بن مهدي النعمي (ت : ١١٨٧هـ) ـ تحقيق : محمد حامد الفقي ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الرابعة (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).

[٣٣١] (معارج القبول في شرح الوصول إلى علم الأصول في التوحيد (ت : ١٣٧٧هـ) / لحافظ بن أحمد الحكمي ـ تحقيق :عمر أبو عمر ـ دار ابن القيم ـ الرياض ، دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤١٨هـ- ١٩٩٥م) .

[٣٣٢] معارج الوصول / لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) (ضمن مجموع الرسائل الكبرى) ـ إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٣٣٣] عالم الإنطلاقه الكبرى لأهل السُّنَّة والجماعة / محمد عبدالهاي المصري ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض السعودية ـ ط الرابعة (١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م) .

[٣٣٤] معالم التنزيل (تفسير البغوي) / للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود للبغوي (ت :٥١٦هـ) ـ تحقيق : محمد عبد الله النمر ـ عثمان جمعة ضميرة ـ سليمان مسلم الحرش ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م) .

[٣٣٥] المعالم الدينية في العقائد الإلهية / يحيى بن حمزة ـ تحقيق : سيد مختار محمد حشاد ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م) .

[٣٣٦] معالم طريق السلف في أصول الفقه (الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية) ـ الدكتور : عابد محمد السفياني ـ مكتبة المنار ـ مكة المكرمة ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ) .

[٣٣٧] المعتزلة / لزهدي جار الله ـ مطبعة مصر ـ القاهرة ـ ط بدون (١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م).

[٣٣٨] المعتزلة بين القديم والحديث / لمحمد العبده ، وطارق عبدالحليم ـ دار الأرقم ـ برمنجهام ـ بريطانيا ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) .

[٣٣٩] معجم البلدان / شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ملتزم التوزيع ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت لبنان ـ ط بدون .

[٣٤٠] معجم ألفاظ العقيدة /عامر عبد الله فالح ـ مكتبة العبيكان ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)

[٣٤١] المعجم الكبير / لأبي القاسم بن أحمد الطبراني) ت : ٣٦٠هـ) ـ دار إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف العراقية ط الثانية (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) .

[٣٤٢] معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٤هـ١٩٩٣م) .

[٣٤٣] المعجم الوسيط / إبراهيم أنيس وآخرون ـ إشراف : حسن علي عطيه ومحمد شوقي أمين / دار إحياء التراث العربي ـ بيروت- لبنان- ط الثانية ـ بدون تاريخ .

[٣٤٤] معجم مصطلحات الصوفية / عبدالمنعم الحفني ـ دار المسيرة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٩٨٠م) .

[٣٤٥] عجم مقاييس اللغة / لابن فارس (ت :٣٩٥هـ) ـ تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) .

[٣٤٦] معرفة الله عز وجل (ضمن مجموعة رسائل) / ليحيى بن الحسين بن القاسم ـ تحقيق : عبد الله بن محمد الشاذلي ـ مؤسسة الإمام زيد بن علي ـ عمّان ـ الأردن ـ ط الثانية (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) .

[٣٤٧] المغني في أبواب التوحيد والعدل / للقاضي : عبدالجبار الهمذاني (ت : ٤١٥هـ) ـ تحقيق : الدكتور / محمود محمد قاسم .

[٣٤٨] مفتاح الجنة في الإحتجاج بالسُّنَّة / لجلال الدين السيوطي (ت : ٩١١هـ) ـ قدم له وخرج أحاديث وعلق عليه / بدر البدر ـ دار الهدي النبوي ، مكتبة ابن تيمية ـ الكويت ـ ط بدون .

[٣٤٩] مفتاح السعادة الجامع للمهم من مسائل الإعتقاد والمعاملات والعبادات / جمعه السيد العلامة / علي بن محمد العجري ت : (١٤٠٧هـ) - تحقيق : عبد الله ابن حمود العزي ـ مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ـ صنعاء ـ اليمن ـ ط الأولى (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) .

[٣٥٠] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة / للإمام ابن القيم الجوزية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، و ط أخرى مطبعة الرياض الحديثة .

[٣٥١] المفردات في غريب القرآن / لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) ـ تحقيق: محمد سيد كيلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون.

[٣٥٢] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم / لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت : ٦٥٦هـ) - تحقيق : محي الدين ديب مستو وآخرون ، دار ابن كثير ـ دمشق ـ سوريا ، بيروت ـ لبنان ، ودار الكلم الطيب ـ دمشق ـ سوريا ، بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) .

[٣٥٣] مقارنات الأديان / محمد أبو زهرة (ت : ١٣٩٤هـ) ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[٣٥٤] مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين / الإمام أبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ) ـ تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) .

[٣٥٥] المقالات والفرق / لسعد بن عبد الله القمي ـ تحقيق : محمد جواد مشكور ـ مكتبة حيدري ـ طهران ـ إيران ـ ط بدون (١٩٦٣م) .

[٣٥٦] مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع / الدكتور / ناصر بن عبدالكريم العقل ـ دار الوطن ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤١٥هـ) .

[٣٥٧] قدمة ابن خلدون ـ تحقيق : الدكتور / علي عبدالواحد الكافي .

[٣٥٨] الملل والنحل الواردة في كتاب الأنساب / للإمام أبي سعيد عبدالكريم السمعاني (ت : ٥٦٢هـ) ـ جمع وترتيب : عبد الله بن صالح البراك ـ دار الوطن للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م) .

[٣٥٩] الملل والنحل / محمد بن عبدالكريم الشهرستاني) ت : ٥٤٨هـ) ـ تعليق : أحمد فهمي محمد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م) .

[٣٦٠] مناقب الإمام أحمد بن حنبل / .لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) ـ دار الآفاق الحديثة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م) .

[٣٦١] (مناهج اليقين في أصول الدين / لأبي منصور الحسن بن يوسف الحلّي (ت : ٧٢٦هـ) ـ دار الأسودة للطباعة والنشر التابعة لمنظمة الأوقاف والشئون الخيرية ـ ط الأولى (١٤١٥هـ) .

[٣٦٢] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم / لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) ـ تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا ـ راجعه وصححه : نعيم زرزور ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٣٦٣] منهاج السُّنَّة / لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ـ تحقيق : محمد رشاد سالم ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٤٠٩هـ) ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م) ، ط أخرى ـ مكتبة العروبة ـ القاهرة ـ مصر

ـ ط بدون ، ط أخرى طبعة مكتبة الرياض الحديثة ، ط أخرى ـ مؤسسة قرطبة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ) .

[٣٦٤] منهج أهل السُّنَّة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله (رسالة جامعية) / لخالد عبد اللطيف محمد نور ـ مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م) .

[٣٦٥] منهج الإستدلال على مسائل الإعتقاد عند أهل السُّنَّة والجماعة (رسالة جامعية) عثمان بن علي حسن ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

[٣٦٦] منهج الأشاعرة في العقيدة / للدكتور : سفر الحوالي ـ مركز الصديق العلمي ـ صنعاء ـ اليمن ـ ط الثانية (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) .

[٣٦٧] منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل) رسالة جامعية) / لجابر إدريس علي أمير ـ دار أضواء السلف ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م) .

[٣٦٨] المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل / أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت: ٨٤٠هـ) ـ تحقيق : الدكتور : محمد جواد مشكور ـ دار الندى ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م) .

[٣٦٩] الموافقات في أصول الشريعة / لأبي إسحاق الشاطبي . (ت : ٧٩٠هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م) .

[٣٧٠] موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول / لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) .

[٣٧١] المواقف في علم الكلام / للقاضي : عبدالرحمن عضد الدين الإيجي (ت : ٧٥٦هـ) ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٣٧٢] المواقف والمخاطبات / محمد عبدالجبار بن الحسن النفري ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (بدون تاريخ) .

[٣٧٣] الموسوعة العربية الميسرة / إشراف : محمد شفيق غربا ـ دار النهضة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٣٧٤] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة إشراف وتخطيط ومراجعة الدكتور : مانع بن حمّاد الجهني ـ الناشر ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض ـ السعودية .

[٣٧٥] الموطأ / للإمام مالك بن أنس (ت : ١٧٩هـ) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٣٧٦] موقف ابن تيمية من الأشاعرة (رسالة جامعية) / لعبدالرحمن بن صالح المحمود ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م) .

[٣٧٧] موقف ابن حزم من المذهب الأشعري / عبدالرحمن دمشقية ـ دار الصميعي للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م) .

[٣٧٨] موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب السُّنَّة (رسالة جامعية) / سليمان بن صالح بن عبدالعزيز الغصن ـ دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م) .

[٣٧٩] ميزان الاعتدال / للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) ـ تحقيق :علي محمد البجاوي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

[٣٨٠] النبوات / لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) .

[٣٨١] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / يوسف تغري الأتابكي (ت : ٨٧٤هـ) ـ طبعة مصورة من مطبعة دار الكتب ـ وزارة الثقافة ـ مصر ـ ط بدون .

[٣٨٢] نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر / جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) ـ تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي ـ مؤسسة الرسالة ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية ـ ١٤٠٥هـ) .

[٣٨٣] نصب الراية لأحاديث الهداية / للزيلعي (ت : ٧٦٢هـ) ـ المكتبة الإسلامية لصاحبها / رياض الشيخ ـ ط الثانية (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) .

[٣٨٤] نقض المنطق / لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ـ تحقيق وتصحيح : محمد حامد الفقي ـ مكتبة السُّنَّة المحمدية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[٣٨٥] النهاية في الفتن والملاحم / لابي الفداء إسماعيل بن كثير (ت : ٧٧٤هـ) ـ تحقيق : محمد أحمد عبدالعزيز ـ دار الصابوني ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

[٣٨٦] النهاية في غريب الحديث والأثر / مجد الدين المبارك بن الجزري (ابن الأثير) (ت : ٦٠٦هـ) ـ تحقيق : الدكتور / محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) .

[٣٨٧] نهج البلاغة / المنسوب لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ تحقيق : صبحي الصالح ـ دار الكتاب اللبناني ـ ط بدون (١٣٨٧هـ) .

[٣٨٨] النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين / الدكتور : محمد رجب البيُّومي ـ دار القلم ـ دمشق ـ سوريا ـ ط الأولى (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) .

[٣٨٩] نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف / الدكتور : محمد عبد الله ابن علي الوهيبي ـ دار المسلم للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) .

[٣٩٠] نونية ابن القيم .

[٣٩١] الوابل الصيب من صحيح الكلم الطيب / لابي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ) ـ تحقيق : بشير محمد عيون ـ مكتبة دار البيان ـ دمشق ـ سوريا ، ودار المؤيد ـ الطائف ـ السعودية ـ ط بدون .

[٣٩٢] الوافي بالوفيات / صلاح الدين خليل الصفدي (ت : ٧٦٤هـ) ـ تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) .

[٣٩٣] وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة / لمحمد بن الحسن الحر العاملي ـ تحقيق : عبدالرحيم الشيرازي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الخامسة (١٤٠٣هـ) .

[٣٩٤] وفيات الأعيان / أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت : ٦٨١هـ) ـ تحقيق : د/ إحسان عباس ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون، ط أخرى بتحقيق وتعليق / محمد محي الدين عبدالحميد مكتبة النهضة المصرية بالقاهرية ـ مصر ـ ط بدون (١٩٤٩م) .

[٣٩٥] اليمن عبر التاريخ / أحمد حسين شرف الدين .

[٣٩٦] (ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة / الحسين بن بدر الدين (ت : ٦٦٣هـ) – تحقيق : المرتضى المحطوري ـ مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع ـ صنعاء ـ اليمن ـ ط الأولى (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م) .

فهرس

فهرس

رقم الصفحة